

تاريخ ايران السياسي المعاصر

الدكتور سيد جلال الدين المدني


مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق
في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com


بسم الله الرحمن الرحيم

تاريخ ايران السياسي المعاصر

تأليف

الدكتور السيد جلال الدين المدني

ترجمه:

سالم مشكور



منظمة الاعلام الاسلامى

٤٥٠



الكتاب: تأريخ ايران السياسي المعاصر
المؤلف: الدكتور السيد جلال الدين المدني
المترجم: سالم مشكور
الناشر: منظمة الإعلام الاسلامي-العلاقات الدولية
الجمهورية الإسلامية في ايران - طهران ص - ب ١٣١٣/١٤١٥٥.
تاريخ الطبع: الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م
النسخ المطبوعة: ٣٠٠٠ نسخة
المطبعة: سبهر

الفهرست

مقدمة الناشر

على الرغم من مرور اكثر من عقد كامل من الزمن على انتصار الثورة الاسلامية المباركة في ايران وقيام الجمهورية الاسلامية فيها، وعلى الرغم من هذه الانجازات الباهرة التي تمت خلال هذه الفترة، فان كثيرين مايزالون يحملون صوراً غامضة عن الدوافع الحقيقية التي ادت الى قيام هذه الثورة المباركة وخلفياتها، ومن ثم نجاحها، وعلى الاخص عند اولئك الذين لم يواكبوا الاحداث ولم يعايشوا التطورات من الداخل.

لقد كانت هذه الثورة المظفرة بمثابةالانفجار الذي هز اركان الاستكبار الذي بدوره لم يخطر بباله لحظة واحدة أن ايران المهيضة الجناح يمكن أن تحطم القيود التي كبلها بها منذ قرون في يوم من الايام.

لذلك كان من اللازم على الاسلام المنتصر في ايران أن يبين للعالم المضطهد المحروم المكبل بقيود الاستكبار - لا العالم الاسلامي فحسب - كيف يحذو حذو ايران الاسلامية، وكيف يتحرر من تلك القيود وينتزع حقوقه المشروعة من براثن مضطهديه وغاصبي حقه.

والكتاب الذي بين يديك ، ايها القارئ العزيز، شرح لجوانب مهمة من تاريخ ايران السياسي المعاصر ولكيفية وقوف ابناء الشعب الايراني المسلم كالبنيان المرصوص وراء قيادتهم الشرعية التي اوصلتهم الى تحقيق الهدف الاول المنشود، وهو قيام الدولة الاسلامية الاولى في هذه العصور المتأخرة.

و(العلاقات الدولية في منظمة الاعلام الاسلامي) في ايران اذ تقدم هذا الكتاب الجليل للقارئ الكريم في كل مكان، انما ترجوأن تكون قد وفت بجزءمما عليها تجاه الاخوة المسلمين في العالم العربي.

والله من وراء القصد.

العلاقات الدولية

في منظمة الإعلام الإسلامي

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

«قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذّبين * هذا بيان للناس وهدىً وموعظة للمتقين * ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلَون ان كنتم مؤمنين».

(آل عمران ٣/١٣٧ - ١٣٩)

لا يخفى على أحد أن الثورة الإسلاميّة التي انتصرت في شباط عام ١٩٧٩ قد أربكت كلّ الحسابات القائمة على التوازن الدولي بين الشرق والغرب، وفتحت آفاقاً جديدة في العالم خارج نطاق المعايير المعهودة.

ولعلّ أهمّ ما لفت أنظار المراقبين الدوليّين، وأثار دهشتهم؛ هو الإرادة الشعبيّة الصلبة بإنهاء عمر النظام الملكي الذي استمرّ عدّة آلاف من السنين، وامتثال الشعب لقيادة مرجع ديني شيعي هو آية الله العظمى الإمام الخميني (قدّس سرُّه) مؤسّس الجمهوريّة الإسلاميّة، والالتزام بحالة وحدة لا نظير لها، وحدة في الفكر والعمل والتحرُّك بثبات نحو الهدف.

وقد جسّدت هذه الثورة التي لم يشهد القرن العشرون لها مثيلاً، الدور الكبير للإيمان والعقيدة والقيادة التي تعتمد المعايير الاسلاميّة الأصيلة في تحقيق المعجزات، وقدّمت للعالم ـ وللمرّة الاولى ـ ظاهرة التجمُّعات السياسيّة المليونيّة. إنّها الثورة التي هزّت أركان الاستكبار، وزفّت الى جميع مستضعفي العالم بشرى الحريّة والمساواة والأُخوّة، بمعناها الحقيقي. فقد أصبحت ايران منطلقاً لنداء الحقِ والعدل الإسلامي الى شعوب العالم، لإنقاذهم من الفساد والتحلُّل والظلم، التي فرضها المستكبرون والسلطويُّون.

وفي هذه الأثناء، كانت الجهة الأُخرى التي ترى الخطر يهدّد وجودها مشغولةً بالإستعداد

للمواجهة في الوقت المناسب، من أجل تعكير صفو هذا الينبوع الصافي وإطفاء هذا النور الساطع - بالضبط كما حدث عند ظهور الإسلام في القرن السادس الميلادي - حيث كانت الشعوب غارقةً في ظلام القرون الوسطى، فبدأ الإسلام مسيرة جديدة دفع فيها الناس باتجاه العلم والحقِ والوعي، لكن هذا التقدُّم باتجاه المعنويات، والسير نحو اللّه، واجه تكالب القوى الطاغوتيّة، والقوى الماديَّة وقوى الظلم والجور التي تعمل باسم التحضُّر والتقدُّم الغربي. وقد توغَّلت هذه القوى في نهجها، حتى أصبح إعداد أدوات القتل والبطش من ضروريات عملها.

وطيلة قرون عديدة شهدنا الحرب والعنف والقمع من جانب هذه القوى التي تستهدف بسط نفوذها أكثر فأكثر، وليس خدمة الشعوب. فبعد الحرب العالميّة الثانية ظهر القطبان الرأسماليُّ والاشتراكيُّ ليتقاسما العالم بشرقه وغربه، وأخذ كلٌّ منهما ينهب الشعوب من أجل زيادة قوّته في سبيل الحفاظ على التوازن فيما بينهما. وفي ظلِّ هذا الوضع، أصبح ما يسمى باستقلال دول العالم الثالث عنواناً فارغاً من أيِّ مضمون، وأضحت القوى الكبرى تبيح لنفسها التطاول على حقوق الشعوب كيفما أرادت ومتى ما شاءت، وتؤسِّس المنظَّمات الدوليَّة لتكون غطاءً للمتسلِّطين الغاشمين - أعداء البشرية - والأنظمة الفاسدة والعميلة تولَّت زمام الامور في البلدان الضعيفة، لتكون أداةً بيد القوى الكبرى، تخنق أنفاس الأحرار بالسجن والقتل والتنكيل والتعذيب.

ومن بين أكثر من ١٥٠ دولة مستقلّة استطاعت ايران، بعد انتصار الثورة الإسلاميَّة، أن ترفع وتجسِّد شعار «لا شرقيّة ولا غربيّة» البسيط في ألفاظه، الكبير في مضمونه، عبر التضحية بدماء الآلاف من خيرة أبنائها الأبطال، وتحت وطأة أشكال المؤامرات والعدوان، وأن تعرض للعالم العقيدة الإسلاميّة كأساس فكري لها، وأن توصل الثورة الى جميع جوانب الحياة، وتواصل - في نفس الوقت - دعمها ومساندتها لباقي المحرومين والمظلومين في العالم.

جلال الدين المدني

الفصل الاول

مقدمات النهضة الاسلامية في ايران

القسم الاول

مقدمات النهضة

١ـ الاطار العام للبحث:

شهد تاريخ إيران المعاصر حتى الان حوادث وتغيُّرات عديدة أفرزت كلُّها حركات دينيّة وشعبيّة بأشكال وأنماط خاصّة بها، وعرّضت في كثير من الأحيان السلطة الحاكمة ـ التي غالباً ما كانت مرتبطة بالأجنبي ـ للخطر، ولكن وبالرغم من التضحيات الجسام التي قُدِّمت، فإن السلطة والحكم لم يصبحا في أيّ يوم من الأيّام في يد الشعب بالمعنى الكامل، وكلّما تحرّكت جماهير الشعب العظيمة نحو الوعي ونحو ادراك واقعها وتقرير مصيرها بنفسها؛ برز هنالك العملاء بأشكال وعناوين مختلفة، وهم موجَّهون من قبل مراكز ودوائر من خارج البلاد؛ ليتولّوا تقويض هذه النهضة الشعبية، وبثّ روح اليأس لدى الأمة، بل والقيام أحياناً بالتعرُّض لقادة النهضة وطلائعها، وشنِّ حملات إعلاميّة مكثّفة لتضليل الرأي العام وإبعاده عن إدراك الحقيقة.

وقد بذل بعض الأشخاص جهوداً جبارة امتازت ببعد النظر وإسلاميّة المنطلق، من أجل تحقيق وحدة الشعوب الاسلامية، إلاّ أنّ القوى السلطويّة المتأصّلة في المنطقة عملت على معاداتهم ومحاربتهم وعزلهم بشكل لا يدعهم يفكّرون بالتحرك في المستقبل، وبهذا تبقى الجماهير المليونيّة عاجزة عن التحرُّك المنظَّم ذي الجذور والأبعاد الإسلاميّة والعقائدية.

وقد سعت هذه القوى إلى إظهار القوانين الإلهيّة الإسلاميّة التي شرّعت لتبقى في كلّ زمان ومكان، على انّها رجعيّة وقديمة، ولا يمكن أن تلبّي حاجة العصر، وأنّها غير قابلة للتطبيق والتنفيذ، كما عمدوا إلى استخدام تعابير وتحاليل وتنظيرات مظلِّلة من أجل إبعاد الشبّان عن مراكز الوعي والتحرُّك الإسلامي، وجذبهم باتجاه الأوساط التي أُوجِدت خصّيصاً لحرفهم

وإفسادهم، مستغلّين الأساليب الماديّة والتأثير على الأهواء النفسيّة لإبعاد الشبّان عن أيّة فرصة لمعرفة الحقيقة، والتفكير في المسائل المعنويّة والإنسانيّة، أي إنّهم سعوا إلى إغلاق جميع الأبواب في وجوه الشبّان تاركين الباب المؤدي إلى التحضُّر والتقدُّم المزعومين فقط مفتوحاً لإغراقهم في عالم من التقليد الأعمى للغرب في جميع المجالات؛ من الثقافة واللغة، إلى الصناعة والزراعة وحتى عملية التقنين.

وقد سيطر هذا التقليد على المجتمع الايراني على نطاق واسع، بحيث شلّه عن التفكير في خصوصياته وهويّته وأصالته وطاقاته الكامنة في المجالات الفنية والعلميّة.

وفي هذا البحث نسعى إلى دراسة بدايات النهضة الإسلاميّة التي تعود إلى عامي ١٣٤٠ و١٣٤١ هـ. ش الموافقَين لعامي ١٩٦١ ـ ١٩٦٢م بما امتازت به هذه النهضة من خصوصيّات، وما استفادته من تجارب الماضي، وما واجهته من عقبات وعراقيل وهجمات. ذلك أن هذه النهضة ـ وخلافاً لما كان يُتوقَّع ـ تكلّلت وبعد (١٥) عاماً بالنصر الكامل... إنها نهضة أربكت الكثير من المعايير والموازين العالميّة. وهي نهضة عمّت جميع الفئات والمجموعات والأحزاب والتيّارات، ودفعت العديد منها إلى الامتثال لها واتّباعها بالرغم من اختلافهم معها في الفكر والنهج.

وقد كان المسجد هو القاعدة الأساس للثورة باعتباره قاعدة إلهيّة عباديّة لها منزلتها المقدّسة والرفيعة، وتحظى بالاحترام من لدن شعبنا. وقد عمل المسجد على تعبئة الملايين من المؤمنين وحشدهم ودفعهم لاتّباع القيادة دون الحاجة إلى أساليب الإجبار والانتماء والتقسيمات المتّبعة في الحركات والأحزاب، وهذا ما كانت النهضة بحاجة إليه آنذاك.

إن تجسُّد القيادة وتبلورها في شخص الإمام الخميني (رض) كان خلافاً لكلّ ما حدث من ثورات وليس له نظير إلاّ في رسالات الأنبياء، ويكفي في أهمّيتها القول بأنّها وضعت نهاية لحقبة تاريخيّة بلغت عدّة آلاف من السنين، وأوجدت عصراً جديداً يتميّز بكلّ خصوصياتها الجديدة في مركز الشرق الأوسط صار يسمّى عصر الثورة الاسلامية التي جاءت بمفاهيم وقيم تتطلّب تقويماً ونظرة جديدتين.

وفي هذا الفصل سنقوم بدراسة المراحل الأولى لهذه النهضة، كما سنتعرّف على أسباب انطلاقتها واستمرارها واقترانها بالعديد من الحوادث:

لماذا بدأت هذه النهضة في عام ١٩٦٢ بالذات؟

ولِمَ ظهر علماء الدين كفئة مؤثّرة في عمليّة المواجهة السياسيّة؟

وكيف تحقّقت التعبئة العامّة بالدين؟

٢ـ الجهاد والسياسة من وجهة نظر الإسلام والمذهب الشيعي:

تؤكّد النظريّة السياسية الشيعيّة أن النظام السياسيّ في الاسلام يعتمد عنصر النصّ على الإمام سواء كان بالنصّ التعييني على المعصوم، أو بالنص على صفات عامّة تؤهِل المتّصف بها لمنصب القيادة، فشيعة علي(ع)[1] يخوضون ـ منذ أربعة عشر قرناً ـ جهاداً متواصلاً تراوح بين السرّ والعلن، ضدّ القوى المتجبّرة والمعتدية في كلّ عصر[2].

إنّ المذهب الشيعيّ يعتبر الحكومة حكومة حقٍ وعدل متى ما استندت الى الاسلام الحقيقي، وسارت على نهج التوحيد والاتجاه إلى الله.

إنّ الإسلام يولي التبدلات والأحداث التاريخية اهتماماً كبيراً، ويرى أن الصراع بين الحقّ والباطل مستمر في كلّ مراحل التاريخ البشريّ وعلى كلّ المستويات. ففي جبهة الحقّ توجد مفاهيم من قبيل: الله، والإيمان، والبحث عن الحقيقة، والإيثار، والعدالة والصدق، والطهارة وفي جبهة الباطل نرى مفاهيم: البحث عن التفوق، والشرك، والقوة، والاعتداء، والفساد، والتفريق والتميز، والتجبُّر، وانتشار الرذيلة، وانعدام الفضائل الانسانيّة، وحبّ التسلُّط، كلّها أساس العمل والتحرُّك في هذه الجبهة.

هاتان الجبهتان كانتا تخوضان دائماً صراعاً واسع الابعاد، وقد أدّى ظهور الأنبياء إلى إيجاد تغييرات عديدة في جبهة الحقّ، فقد استطاعوا استقطاب الأتباع والمؤيدين لهم من المؤمنين، وعبّأوهم لمحاربة الظلم والفساد والشرك، ليقيموا مكانها العدل والحقّ، إلاّ أن الأهواء النفسيّة وحبّ الذات والانحرافات كانت تأخذ طريقها الى القلوب والأنفس تدريجياً، فتشيع النفاق وروح الاعتداء والاختلافات، وحين يصل هذا التحلُّل والظلم والتسلُّط الطاغوتي إلى ذروته، ويبلغ أقصى مداه، ينتشر نور الحق ليقضي على الباطل.

إن الاسلام يرى أن المجتمعات البشريّة تستحق تلك الحكومة العادلة لذا فهو يضع هذا الهدف المنشود كبارقة أمل في المسيرة التكامليّة للتاريخ، والمدرسة الشيعيّة ترى ظهور المهدي(عج)[3] نهاية سعيدة وطيّبة لحياة البشريّة، وان الإرادة الإلهيّة هي المخططة لهذه المسيرة التكاملية نحو التوحيد.

والنهضة التي نحن بصدد دراستها الان، تمتاز بخصوصيّة أساسية تتمثّل بالعقيدة الإسلاميّة، إذ إنها انطلقت من هذه العقيدة، وقادت الجماهير وفقاً للخطِ الفكريّ الإسلاميِ.

لقد قدّم الإمام الخميني مشروع الحكومة الاسلاميّة في ذروة الكبت والاستبداد اللّذين

كان النظام البهلوي يمارسها، وقد وضّح الخطوط العامة لهذه الحكومة في كتابه «ولاية الفقيه».
فالحكومة من وجهة نظر الاسلام ـ وكما ورد في دستور الجمهورية الاسلامية ـ تجسّد الهدف السياسيّ لشعب يحمل أفراده عقيدةً وفكراً واحداً وينظّم تحرُّكه ليسير في طريق التغيير الفكري والعقائدي باتجاه الهدف النهائي، ألا وهو السير إلى اللّه؛ ليبني مجتمعاً يكون أسوة للآخرين، مجتمعاً يترتبى على القيم الاسلاميّة الرفيعة والشاملة، ويتّبع قائداً فقيهاً جامعاً للشرائط تنتخبه الأُمة ليكون صمام أمان يضمن، عدم انحراف المؤسسات المختلفة عن الواجبات الاسلامية الأصيلة وهذا هو الهدف الذي قاد الامام الخميني الشعب باتجاه تحقيقه دون تباطؤ أو كلل.

القسم الثاني

الحوادث الاولى للنهضة

١ـ وفاة آية الله البروجردي و آية الله الكاشاني عام ١٩٦١:

في مارس ١٩٦١م توفي آية الله البروجردي وقد جرت مراسيم تشييع جثمانه بشكل منقطع النظير، واهتزّت إيران لتلك الحادثة... وأعلنت الحكومة حداداً وعطلة عامّة، وتقاطر عشرات الآلاف من الناس على قم المقدسة من أنحاء البلاد كافّة. فكان هذا التجمُّع الكبير تجسيداً لمنزلة المرجعيّة وقوّتها. وفي مارس ١٩٦٢م توفي آية الله الكاشاني فكان التأبين الشعبي له فريداً من نوعه، إذ حملت جموع المشيّعين جنازته على الأكفّ من طهران إلى مدينة (شهرري) القريبة حيث استغرق التشييع ساعات طويلة، كلُّ ذلك دفع الباحثين والمحقّقين الى التساؤل: ألا يمكن استغلال هذه القوّة الدينيّة العظيمة في إيجاد تحرُّك منظّم؟ وهل يمكن ان يكون للاسلام ـ وخاصّة المدرسة الشيعيّة ـ حزب منظّم قويٌّ، أعضاؤه المؤمنون الذين لا حصر لهم يتجمّعون وقت الحاجة تلقائياً ودون استخدام الأساليب المتّبعة لدى باقي الاحزاب؟

إن وفاة هذين العالِمين الكبيرين حدثت في وقت كانت إيران تشهد فيه تغييرات عديدة فكلٌّ من هذين العالِمَين كان يمثّل نهجاً فكرياً إسلامياً في الوسط الديني (الحوزة)؛ فآية الله البروجردي كان يتمتع بمنزلة كبيرة في قم، ومرجعيته تحظى بتأييد الجميع [4]. وله العدد الأكبر من المقلّدين في داخل البلاد وخارجها، ولهذا كان القسم الأكبر من الحقوق الشرعيّة (الخمس والزكاة وأمثالها) يسلّم إليه، ليُنفَق على الشؤون الدينية، كبناء المساجد، وتوسيع الحوزة العلمية وتقويتها وإرسال مبالغ إلى خارج البلاد. لقد كان مشهوراً بمستواه العلمي، وقوة ذاكرته. وكان قد تولّى المرجعية بعد وفاة آية الله السيد أبي الحسن الأصفهاني، وعلى الرغم من أن المراجع الآخرين كانت لهم رسائل عملية إلاّ أنهم كانوا أدنى مستوى منه.

وفي مجال السياسة، كان الأصل عند آية الله البروجردي هو عدم التدخُّل فيها، فلم يكن مستعداً ـ مهما كانت الظروف ـ لمعارضة النظام أو مواجهته، أما النظام الحاكم فقد سعى إلى حفظ احترامه له وتحاشي كلِّ ما قد يثيره ويغضبه، وتسويغ الأجراءات المنافية للدين بذرائع مختلفة، كضرورات العصر وغيرها، وكان يقدم الوعود بـإصلاح هذه الإجراءات وتعديلها.

وطبيعي أنّ آية اللّه البروجردي كان على علم بما يمارسه الجهاز الحاكم من ظلم واعتداءات وإعدامات، إذ لا يمكن القول بانه لم يكن مطلعاً على مجريات الامور في ايران على الرغم من ضعف حاسة السمع لديه إلاّ أنه كان يرى أن الحكومة قوية جداً، ومدعومة من قبل الأجانب، وأن ظروف العصر كانت تلائم إقامة مثل هذه الحكومة، ولذلك فـإن ادّعاء المسلمين بأن هذه الحكومة غير إسلامية لا يمكن أن يصل إلى نتيجة، كما كان يعتقد أن توفير الأمن في هذا العالم المليء بالمخاطر؛ قضية مهمة بالنسبة للاسلام وأن هذا النظام استطاع ـ على أية حال ـ إقرار هذا الأمن، واذا ما ضعف هذا النظام فـإن وجود بعض ضعاف الإيمان وأدعياء الاسلام قد يؤدي الى استبدال الفاسد بالأفسد، وإذا كان هذا النظام يتظاهر بترويج الاسلام ويعطي الاموال لبعض المتلبسين بزي العلماء، فـإن النظام القادم قد يجهر بكونه معادياً للدين أو على الاقل متجاهلاً له، خاصة وأنه كان يرى توسُّع نشاطات الشيوعيين وهجومهم على الاسلام ومقدساته. فضلاً عن ذلك، كان آية اللّه البروجردي قد كرّس كل جهده ووقته للشؤون غير السياسية، منصرفاً ـ بالكامل ـ للامور العلمية المثمرة، وبقي على هذا النهج طوال عمره. إلاّ أنه في نفس الوقت لم يكن راضياً عن وضع الحكومة لكنه لم يتجاوز حدود توجيه التوصية والنصيحة والاعتراض الخفي.

أمّا آية اللّه الكاشاني فقد كان يمثل الوجه الثاني لنهج العلماء والحوزة، فلم يكن يؤمن بالفصل بين الدين والسياسة، وكان يعتبر المواجهة والمعارضة والاحتجاج وحتى الحرب؛ جزءاً من واجبه الشرعي. ولم يسعَ آية اللّه الكاشاني للوصول إلى المرجعية التي تقترن باصدار رسالة عملية في الأحكام الشرعية، ففي عهد شبابه شارك مع جماعة من علماء العراق في إشعال حرب العصابات التي وجّهت للانكليز ضربات مؤثّرة.

وعندما صدر عليه الحكم بالإعدام، عاد إلى ايران وأصبح في عهد الدكتاتور رضا خان من مشاهير مدرّسي الحوزة العلمية. إذ جعل من منزله مركزاً للتدريس، إلاّ أنه لم يركن إلى المساومة والتسليم. فقد استهدفت تحركاته السياسية الاولى مكافحة نفوذ الانكليز الذين كانوا قد أوجدوا لهم في ذلك الوقت قواعد للتسلُّط والنفوذ في الشرق الأوسط تحت عناوين مختلفة،

حتى أنهم كانوا ـ أحياناً ـ يسيِّرون المؤسسات والمراكز الدينية بشكل خفي. ومن الطبيعي أن يلجأ هؤلاء إلى استغلال الخلافات الدينية في تحقيق مآربهم. والكاشاني الذي لم يكن له ما كان للبروجردي من جاه ومركز، ولم تكن تأتيه الحقوق الشرعية، سلك طريقاً جعل حتى مركزه الديني معرّضاً للخطر، حتى أن الشبهات والشكوك بدأت تحوم حوله، وبدأت تدور التساؤلات: هل إنه شخصية دينية أم سياسية؟ وتدخُّله في السياسة ألا يوجب طرده من الوسط الحوزوي والديني؟ فقد كان التصور العام هو أنه لا يمكن الجمع بين الدين والسياسة. ويبدو أن الكاشاني سعى مرة أو مرتين الى جر البروجردي إلى السياسة، إلاّ أنه لم يفلح في ذلك ، و آل الامر إلى حالة من القلق وعدم الرضا.

ونتيجة لولوجه عالم السياسة واعتقاله ونفيه عدَّة مرات فقد اكتسب آية اللّه الكاشاني شهرة عالمية. وقد ظلّ خلال السنوات العشرين الأخيرة من عمره (١٩٤٢ ـ ١٩٦٢م) معارضاً لجميع الحكومات التي توالت على حكم إيران والتي كانت مرتبطة بسياسات الأجانب، ولم يقف يوماً موقف المؤيّد للحكومة إلاّ عندما تمّت عمليّة تأميم النفط. وكان يبذل جهوداً كبيرة من أجل وحدة الشعوب الإسلامية، وكان يُتَّهم في هذا السبيل باتهامات عديدة مثل (جاسوس، ورجعي، وعميل للانكليز والأميركين) كما أن هذه التهم وُجِّهت حتى لبعض الذين لم يكونوا في خضم الأحداث، وكان كثير من الطلبة وعلماء الدين يعتبرون مواجهة الكاشاني لهذه الاتهامات، أو تحمُّله السجن والنفي، أمراً يتنافى وشأن عالم الدين ومقامه ، وكانوا يقولون: أيُّ دنيا هذه التي يلوّث عالم الدين نفسه فيها بهذه الامور؟!

وقد كان من الصعب أن تختار الجموع الشعبيَّة المليونيَّة طريق آية اللّه الكاشاني فهم يرون سكوت ووقار آية اللّه البروجردي أمام الحكومة وهو الذي يتمتَّع بدعم مطلق من علماء الحوزة وطلبتها . ولهذا لم يكن باستطاعتهم اتّباع الكاشاني عن يقين وعقيدة [٥]؛ خاصة وأن النظام كان يسعى إلى إظهار سلوك آية اللّه البروجردي ـ الذي امتاز بالهدوء والوقار، وإبعاده الحوزة عن شؤون البلاد ـ على أنه المقياس الصحيح والقدوة المثلى، وبالمقابل كان النظام يشيع بأن نهج آية اللّه الكاشاني وتدخُّله في السياسة، وخلقه المشاكل والمتاعب للحكومات؛ أمر مخالف للدين وشؤون الحوزة، وقد أفلح النظام في ذلك إلى حدٍّ ما.

وقد كان لوفاة هذين العالمين الكبيرين عامي (١٩٦١ و١٩٦٢م) معنيان مختلفان لدى كلٍّ من النظام العميل من جهة، والعلماء والشعب من جهة ثانية. فآثار الارتياح كانت بادية على النظام لوفاة آية اللّه البروجردي، إذ كان يعتقد أنه بالرغم من كونه لا يشكِّل عقبة في طريق النظام ولا

يبدي مقاومة واضحة له إلاّ أنه يبقى مرجعاً ذا مركز راسخ ومكانة رفيعة لدى المسلمين، مما يتطلّب من النظام أن يحسب له حسابه عند أيّ إجراء ينوي اتخاذه ، كما يضطر النظام ـ بوجوده ـ الى عدم اتخاذ بعض الإجراءات أو إلى تسويغها وإصلاحها. ولهذا سعى النظام إلى العمل على حرمان مركز الحوزة من قوّته السابقة لئلاّ يشكّل عامل ضغط عليه، وقد انصبّت جهود البلاط على السعي لأن يكون المرجع القادم شخصاً يسكن خارج ايران.

ويتضح من برقيّة التعزية التي أُرسلت إلى النجف بمناسبة وفاة آية اللّه البروجردي، أن النظام كان مسروراً لوفاة آية اللّه الكاشاني الذي كان النظام يرى فيه العالم اليقظ والمنافس الذي يقف له بالمرصاد، والذي لا يعرف التعب ولا الملل، ويَعتبر نفسه صاحب الحقّ والقرار وممارسة السلطة . ولهذا نرى النظام يتخذ ـ بعد وفاة البروجردي والكاشاني مباشرة ـ سلسلة إجراءات لم يكن يجرؤ على القيام بها في حياة هذين العالمين الكبيرين.

لقد اعتقد النظام أن العلماء قد انتهوا في إيران، فكانت المصادقة على مشروع مجالس الولايات بمثابة جس نبض للوضع الجديد، كما كانت حكومة (علم) والنظام عموماً يتوقان الى التخلُّص ـ الى الأبد ـ من عقبة الدين ومؤسساته وأوساطه من خلال سَنّ مجموعة قوانين جديدة خاصة في غياب البرلمان.

لقد دفعت وفاة هذين العالمين الكبيرين العلماء وطلاب الحوزة العلمية الشباب إلى إعادة تقويم الأوضاع دون أن يعمدوا إلى عقد اجتماعات خاصة، وكانت النتيجة أنهم توصّلوا إلى مجالات ومسائل لم يسبق أن طُرقت في أوساط الحوزة من قَبلُ، فتبلورت لديهم النظرة العالميّة للاسلام ومستلزماتها شيئاً فشيئاً. وقد أدرك علماء الدين ـ بعد الهزّة التي أحدثتها وفاة الكاشاني والبروجردي في كل مكان ـ أن القوى الشعبية الشيعيّة الكبرى تمتلك العنصر الاساس للوحدة، وهي مهيأة لتقديم مصاديق لهذه القوة الالهيّة والمعنويّة، هذا الوضع أفرز مؤشِّرات لإمكانيّة استغلال هذه القوى والطاقات الخلاّقة، من خلال توعيتها وقيادتها، وعندها لن تتمكّن أيّة قوّة أو حزب او مجموعة من منافستها ، وإذا ما وُجِدت الوحدة الاسلاميّة؛ فان وجود مليار مسلم سيساعد على نشر القيم والموازين الإسلاميّة بشكل كبير، كما أدركوا تدريجياً اهميّة المسجد باعتباره قاعدة عقائديّة راسخة وقويّة ظلّت معطّلة عن أداء دورها الطبيعي طيلة قرون، ولاحظوا أن آية اللّه الكاشاني قد ترك تأثيره العميق في إدارة البلاد، بالرغم من أنه كان وحيداً تقريباً، فقد قام بتغييرات عديدة، وكان سيقوم بأكثر من ذلك لو أنه كان قد تولّى المرجعيّة، ولو كان آية اللّه البروجردي قد تحرّك ودفع بالقوى الشعبيّة إلى ساحة الصراع بما كان يتمتع به من

منزلة دينيّة ومرجعيّة عامّة، لما تمكّنت أية حكومة ونظام من الوقوف في وجهه مهما كانت معتمدةً على القوى الكبرى، فكانت هذه الدروس والتجارب القيّمة تبعث على الأمل بالمستقبل... وسنلاحظ من خلال الموضوع التالي كيف استُفيد من تجارب الماضي ودروسه.

٢ـ ظهور الامام الخميني في موقع القيادة والمرجعيّة[٦]:

بدأت نشاطات الإمام السياسيّة منذ عام ١٩٦٢م تزامناً مع اتساع نطاق مرجعيته التي شملت أرجاء البلاد كافة. والسؤال الذي كان يتردّد دائماً هو: لماذا ظهر الامام على الساحة السياسيّة فجأةً؟ ولماذا لم تكن تحرُّكاته الجهاديّة تشاهَد قبل هذا الوقت؟

إن مراجعة سريعة لتاريخ النشاطات العلميّة والتحركات الجهاديّة للإمام تفرز لنا مرحلتين واضحتين،

الأُولى: تنتهي في عام ١٣٤٠هـ. ش (١٩٦١م)،

والثانية: تبدأ منذ عام ١٣٤١هـ. ش (١٩٦٢م).

وفي كلتا هاتين المرحلتين كان الإمام يتحلّى بالروح الثوريّة والجهاديّة، وكان يَعتبر الدين والسياسة امرين متلازمَين لا فصل بينهما.

وفي المرحلة الأُولى من هاتين المرحلتين، ألّف الإمام كتاب «**كشف الأسرار**» الذي ضمّنه تعاليم الإسلام الجهاديّة، ودافع عن الثورة الاسلاميّة المسلحة، بل إنه دعا المسلمين إلى ذلك[٧]، وسعى إلى إيصال نداء الإسلام القرآني الثوري إلى الجميع، فهو يقول:

(يا عديمي العقول!

أيمكن للإسلام الذي يقول: «وقاتلوا المشركين كافّة كما يقاتلونكم كافّة»[٨] أن يقول لكم اقعدوا حتى تصبحوا فريسة للآخرين؟!

أيمكن للإسلام الذي يقول: «واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث اخرجوكم»[٩]، أن يقول لكم ضعوا يداً على يد وآتركوا الآخرين يسيطرون عليكم؟

أيمكن للإسلام الذي يقول: «وقاتلوا في سبيل اللّه الذين يقاتلونكم»[١٠] أن يقول لكم استسلموا للآخرين!؟

أيمكن للإسلام الذي يقول: (الخير كلُّه في السيف، وتحت ظلّ السيف، ولا يقيم الناس إلاّ السيف، والسيوف مقاليد الجنّة والنار، وللجنّة باب يقال له باب المجاهدين)[١١] ـ إضافة إلى مئات الآيات والأحاديث الأخرى الخاصة بمحاربة الأجانب،

واستقلال البلاد - أن يمنع الأمّة من الحرب!؟)[١٢].

وهنا يلاحَظ أن الإمام يرسم نهج الأمّة الاسلاميّة بطرحه هذه التساؤلات الاستنكارية المستندة إلى كلام اللّه الصريح. فهو باستناده إلى الآيات التالية يجدِّد الطريقة الإسلاميّة في اختيار النهج، وهذا هو الواجب الملقى على عاتق كلِّ مسلم:

«بشِّر المنافقين بأنّ لهم عذاباً أليماً * الّذين يتّخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزّة فإن العزّة للّه جميعاً» (النساء: ١٣٨ و١٣٩).

«يا أيّها الذين آمنوا لا تتّخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولّهم منكم فإنّه منهم إن اللّه لا يهدي القوم الظالمين» (المائدة: ٥١).

«وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل تُرهبون به عدوَّ اللّه وعدوَّكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم ألله يعلمهم وما تنفقوا من شيءٍ في سبيل اللّه يوفَّ إليكم وأنتم لا تُظلَمون» (الأنفال: ٦٠).

في نفس المرحلة التي كان يبدو فيها الإمام وكأنه لا يمارس نشاطاً سياسياً، نراه يستند إلى الآيات السالفة ويقول في (كشف الاسرار):

(يا أبناء وطني الأعزاء، أيُّها القرّاء الكرام، يا إخوتي في الإيمان، أيُّها الشباب المحبُّون لإيران، أيُّها الإيرانيون الساعون إلى العظمة، أيُّها المسلمون الساعون إلى العزَّة، ايها المتدينون الساعون إلى الاستقلال، هذه هي الأوامر السماوية، هذه هي الأوامر الإلهية، هذه هي النداءات الغيبية التي أنزلها إليكم إله العالم ليحقّق بها استقلال بلاد المسلمين، وليقيم صرحاً شامخاً لأمة القرآن، فاقرأوها وكرِّروها، وأمعنوا النظر فيها، وضعوها موضع التنفيذ، ليعود لكم استقلالكم وعظمتكم، وتستعيدوا نصركم وشموخكم، وفي غير هذا ستعيشون حياة الذلِّ وستصبحون فريسة للغزاة الدوليين)[١٣].

وهكذا فان كلام الإمام هذا، يوضح أنه كان يتابع الامور عن كثب، بل ويشارك في الجهاد خلال السنوات التي تلت شهر ايلول من عام (١٩٤١م)[١٤]. وشخصية الإمام الدينيّة والثوريّة وطريقة تفكيره، دفعت بالمرحوم آية اللّه الكاشاني إلى أن يقول:

(السيّد الخمينيُّ هو الرجل الوحيد الذي يؤمَّل أن يهتمَّ من بعدي بآمال الشعب الايراني وتطلُّعاته)[١٥].

وفي عام (١٩٤٢م) طُبع كرّاس بمناسبة الذكرى السنويّة لوفاة أحد الأشخاص[١٦] ضمَّ موضوعاً يحمل توقيع (روح اللّه الخميني) يشرح فيه القيام في سبيل اللّه، ويعتبره الطريق

الوحيد لإصلاح العالم، كما اعتبر أعمال وممارسات السلطة الحاكمة آنذاك قياماً لأجل النفس وحمل عليها بشدَّة، ثمَّ دعا جميع فئات المجتمع إلى القيام في سبيل الله وفي سبيل تحقيق الأهداف الإسلامية، ونظراً للأهميّة التاريخية لهذه الوثيقة وقوة وصراحة العبارات الواردة فيها فإنّنا نورد نصّها في الهامش[١٧].

ومع كلِّ ذلك فإن الإمام الخميني كان خلال سنوات ما قبل عام ١٣٤٠هـ. ش (١٩٦١م) مشهوراً على صعيد التدريس، وليس السياسة، إلاّ أن العلماء الخواصّ من الذين مارسوا السياسة كانوا يعرفونه جيداً، ولعلّ ذلك عائد إلى أن الإمام كان خلال تلك الفترة مهتماً بإعداد الانصار وتربية الاشخاص الذين يستطيعون حمل عبء مسؤوليّة الجهاد الثقيلة بكلِّ شجاعة، قبل أن يُظهر نفسه للامة.

وفي المرحلة الثانية، كان الإمام يتطلّع إلى الوقت المناسب، وقد حان ذلك عقب وفاة آية الله البروجردي، فقد سعى النظام إلى تسيير المؤسسة الدينية في قم في ركاب ما يسميه بـ«الثورة البيضاء» وتقويضها والقضاء على قوة تأثيرها الديني من خلال إيجاد دُور السينما التي يريدها، ومراكز الفساد وإشاعة الخمور لدفع قم الى اللحاق بما أسماه بـ«ركب التقدُّم والتحضُّر». وقد قام طلبة العلوم الدينية الشبان بتنبيه علماء قم إلى ذلك، ودعوهم إلى اتخاذ إجراءات ومواقف حازمة، وكان الإمام هو الوحيد الذي تحرّك من بين العلماء لمواجهة هذا المخطّط، إذ استدعى مدير الشرطة وأعلمه بخطورة العمل الذي أقدمت الدولة عليه كما اشاد بمعنويّات طلاّب الحوزة الشبان وأوقفهم ـ في تصريح له ـ على عظم مسؤوليّتهم، ولمّا لم تعقّب السلطة هذا الأمر فقد اعتُبر منتهياً.

وقد ورد في الصفحة ١٠٧ من كتاب (بررسي وتحليلي از نهضت امام خميني) في هذا الخصوص مايلي: (ولكن كان من الضروري وقبل كلِّ شيء أن يوفر الدافع والمحرك الذي يمكنه تحريك الناس وشدّهم إليه وإلفات انظارهم نحوه، وبغير امتلاك مثل هذا الدافع المحرك للجماهير والمحفّز لفئة العلماء لضم صوتهم إلى صوته فلا يمكن القيام بالنهضة. أمّا طرح شعارات النضال ضد الامبريالية والاستعمار والنظام الملكي، والنضال من أجل ضمان حقوق الطبقات المحرومة و.. الخ ـ في تلك الظروف التي كان يعد الحديث فيها عن السياسة والقضايا السياسية مخالفاً للشرع ـ بالرغم من انه يمكن أن يحرّك معه مجموعة من المثقّفين والتحرريّين ويمكن أن يستجيبوا لهذه الشعارات، إلاّ انه لا يمكن أن يحرك الذين يعتبر تحريكهم ضرورياً للنهضة.

وفضلاً عن أن طرحها كان يخلو من أيِّ عامل تحريك، فانه يؤدي الى تشويه سمعة العالم

وعزله جانباً من خلال إلصاق صفة (المعمَّم السياسي) به. فقد كان المعمَّمون المزيَّفون وعامة الناس الذين ابتعدوا كثيراً عن الاسلام الأصيل لا يَعتبرون تدخُّل القائد الروحي والعالِم الاسلامي في السياسة أمرا حراماً وحسب، بل يعتبرون حتى الحديث عن محرومية الكادحين ومعاناتهم أمراً بعيداً عن شؤون الدين! فهم يعتقدون أن واجب العلماء يقتصر على حث الأغنياء على مساعدة الفقراء! أمّا اذا أراد العالم الجهاد لانتزاع حقوق الفقراء من الأثرياء والرأسماليين فانه لن يعود عالماً وقائداً روحياً إسلامياً بل «معمَّماً سياسياً يجب الابتعاد عنه...»!

وقد كانت الاوضاع تشير الى انه لم يكن للتحركات المعارضة للحكومة ـ التي كانت تظهر على شكل تظاهرات وإضرابات وتوزيع منشورات ضدّ الحكومة ـ أيُّ تأثير على الأوساط الشعبية. أمّا الأحزاب والمجموعات السياسيّة فلم تكن فعّالة بسبب سوء ظنّ الناس بها واتهام بعضها بالعمالة للأجنبي ممّا أدّى إلى أن تكون تحركاتها ونشاطاتها مضرَّة بدل أن تكون مؤثِّرة ونافعة.. وفي ظل هذه الأوضاع كان على الإمام الخميني التحرُّك من موقع المرجعيّة، وطرح شعار الثورة والنهضة في قالب ديني، مستفيداً من الجذور الفكرية والدينية العميقة لدى الأُمة.

٣ـ سقوط حكومة أميني عام ١٣٤١ هـ. ش (١٩٦٢م):

استطاع أميني الذي وصل إلى رئاسة الوزراء بدعم اميركي أن ينفّذ عدّة برامج في غياب المجلس النيابي، أدت الى التخفيف من حدّة الأزمة وإعطاء وعود عديدة للشعب. ومن بين تلك البرامج؛ تطبيقه ما يسمى بـ(قانون الإصلاح الزراعي) على الطريقة الاميركية طبعاً. أمّا الشاه فقد كانت قوته ونفوذه قد تقلّصا، وكان يرى في رئيس وزرائه أميني شخصاً غير مطيع له إطاعة تامّة، لذلك بدأ يفكر ويخطط لعزله كي يتظاهر بكونه هو صاحب هذه الاصلاحات.

وقد كانت هناك مؤشرات واضحة على هذا الامر خلال فترة السنة وبضعة أشهر التي شغل فيها أميني منصب رئاسة الوزراء، منها تهيؤ تيمور بختيار لتولّي رئاسة الوزراء، وحادثة الجامعة[١٨] في ١٩٦١/١٢/٢٢ التي أدت إلى إغلاق الجامعة. وأخيرا فقد فشل أميني في الحصول على المزيد من المساعدات الاميركية وقدَّم استقالته بشكل مفاجئ. وقد اعتُبرت الاستقالة بمثابة هزيمة لحكومته.

٤ـ الشاه يمسك بزمام الأُمور:

أتاحت استقالة أميني الفرصة للشاه ليتسلّم زمام الأُمور بيده وينصّب شخصاً ظلَّ طوال

سنين عديدة خادماً مطيعاً في قصره، ليصبح رئيس وزراء شكلي، هذا الشخص هو (أسد اللّه عَلَم) الذي يفخر بكونه عبداً مطيعاً في بيت الشاه.

وبمجيء (أسد اللّه عَلَم) قُضي على جميع محاولات أميني لإعطاء حريّات صورية والسماح بممارسة نشاطات سياسية محدودة، وعادت من جديد سياسة الكبت الشديد، وتوسّعت نشاطات أجهزة الأمن والمخابرات الشاهنشاهية، وضُيّق على الشخصيات الوطنية والمعارضة ، كما اعتُقِل عدد كبير منهم، وعملت أجهزة الإعلام على تسميم الأجواء. وقد سعى الشاه وبدعم من (عَلَم) الى تثبيت هيمنته وترسيخها على جميع الشؤون، وممارسة الدكتاتورية بأقصى حدودها، كما عمد إلى تسمية أعماله هذه بـ«الابتكارات» وإظهار نفسه كنابغة، فمن هذه «الابتكارات» كانت لائحة مجالس الولايات التي تستوجب وضع القضايا الدينية جانباً ليرى الغربيّون والمتطلّعون الى الاصلاحات الشاهنشاهية كيف أنه يسنّ قوانين «تحرّرية» لا دينية.

وقد واصل (علم) برنامج أميني للاصلاح الزراعي، كما سعى ضمنياً إلى اقتلاع جذور أية قوة معارضة وترسيخ اسس الدكتاتورية في البلاد.

٥ـ أول مواجهة للدولة ضد علماء الدين:

رأينا فيما مضى أن اميني سعى إلى التقرُّب من الحوزة وعلماء الدين لتنفيذ أهدافه، أما أسد اللّه علم فقد كان مرتبطاً بالخارج ارتباطاً تاماً، بحيث كان يَعتبر الشاه منفذاً لأوامر الأجانب فقط، ويعتقد أن تنفيذ الأوامر بالشكل المطلوب دون معارضة من أحد يتطلّب رفع الشاه إلى مستوى الربوبيّة ، ولم يكن يرغب في أن يحظى أيُّ شخص بأية درجة من الاهتمام والعناية، أو أن ينهض أيُّ أحد لمعارضة الشاه، وقد تصور أنه وجد الفرصة المناسبة خاصة بعد وفاة آية اللّه الكاشاني نهاية عام ١٣٤٠هــ . ش (١٩٦٢م) بعد أن قضى سنوات طويلة في الجهاد ضد السلطة الحاكمة، وأقضّ مضاجع الحكومات العميلة للأجانب.

وبعد وفاة آية اللّه البروجردي في عام ١٩٦١ ولما كانت المرجعية لم تتبلور في شخص واحد بعد؛ بادر (عَلَم) إلى المصادقة على قانون مجالس الولايات في ٨/تشرين أول/ ١٩٦٢. وقد كان قانون حكومة (علم) هذا بمثابة جس نبض للحوزة، إذ ساد الاعتقاد بأن القيادة الدينيَّة تعاني حالياً من التفرقة والتشتت، وليست لها القدرة على اتخاذ موقف موحّد، كما كانت الحكومة تتصوّر أن شريحة المثقّفين وحَمَلة الشهادات قد ابتعدوا عن الدين، وأن الدين لم يعد يمتلك قاعدة له إلاّ في أوساط محدودي الدخل كالفلاّحين والعمّال، وهؤلاء قد استمالتهم الحكومة عن طريق

لعبة (الاصلاح الزراعي) ، وإشراك العمال في ملكية المعامل! وفي ظلّ هذه الظروف يمكن تشكيل برلمان جديد قادر على استبعاد القوانين الإسلاميّة، وإخراج إيران من مجموعة الدول الإسلاميّة.

وفي هذا القانون، أُغفِلَ القَسَمُ بالقرآن كما أُغفِلَ اشتراط كون المرشَّح لعضويّة المجلس مسلماً. وقد نهض العلماء وعلى رأسهم الإمام الخميني (قدّس سرُّه) لمعارضة هذا القانون، وقد أكّد الامام في خطابه في ذلك اليوم أنّ دور العلماء السياسي ليس لم ينته فحسب، بل إنه مستمرّ بقوّة واتساع أكثر من ذي قبل.

القسم الثالث

مراحل الهزيمة الاولى لنظام الشاه

١ـ مصادقة حكومة علم على قانون مجالس الولايات:

بعد أن قام أميني بحل البرلمان العشرين عام (١٩٦١م) ، أخذت الحكومة تصادق على القوانين التي تحتاجها بأسلوبها الخاص. أمّا الشعب فلم يكن يرى فرقاً بين أسلوب مصادقة حكومة (علم) على القوانين والمصادقة على القوانين في البرلمان؛ خاصة عندما رأى الدورة التاسعة عشرة للبرلمان، وطبيعة النواب فيه، وأسلوب مصادقته على القوانين، بل كان يفضّل أحياناً أن تتم المصادقة على القوانين بعيداً عن مثل ذلك البرلمان الذي شاهده.

والمادتان ٩١ و٩٢ من ملحق الدستور، قد حددتا الشروط التي يجب توفرها في الناخبين والمرشحين لمجالس الولايات، وقد وردت هذه الشروط في المادتين ٧و٩ من نظام المجالس المصادق عليه في الدورة الأُولى للبرلمان وهذه الشروط هي كالآتي:

١ـ أن يكون مسلماً وليس لديه انحراف عقائدي.

٢ـ أن يكون القَسَمُ بالقرآن الكريم.

٣ـ لا يحق للنساء الترشيح أو انتخاب أحد المرشحين.

وفي ٨ تشرين الأول من عام ١٩٦٢ أعلنت الصحف أن الحكومة صادقت على اللائحة الجديدة لمجالس الولايات، وقد نشرت الصحافة نصَّها حيث تبيَّن أن الشروط الثلاثة السابقة قد حُذفت اذ لم يعد كون المرشّح والناخب مسلماً شرطاً، واستعيض عن ٱلقَسَم بالقرآن بالقسم بأيّ كتاب سماوي آخر، كما مُنحت المرأة حقّ الانتخاب والترشيح[١٩]، وقد استهدف النظام من هذا التغيير في القانون عدَّة أُمور منها:

أولاً: ممارسة ضغط على الحوزة والمتدينين لعزلهم وإضعاف قوتهم لئلّا تكون الحكومة مجبرة على التحفّظ حيال العلماء والمراجع، وقد وجدت الحكومة الوقت مناسباً لذلك.

ثانياً: بالغاء مادة كون الاسلام الدين الرسمي للمرشَّح والنائب، وكذلك الاستعاضة عن الحلف بالقرآن بالحلف بأي كتاب سماوي آخر ـ كما مرَّ ـ فتح الباب على مصراعيه للأحزاب والمجموعات غير المعتقدة بالاسلام وحتى من غير الاقليات الدينية المعترف بها (كالزرادشت واليهود والمسيح) التي تمسك عملياً بزمام أُمور البلاد لممارسة دورها بشكل علني وتحت غطاء القانون.

ثالثاً: إلقاء تبعة حرمان المرأة وتخلُّفها؛ على الإسلام، والدستور السابق من خلال إعطائها حق الانتخاب والترشيح وبعض الحريات الزائفة.

رابعاً: القضاء على آخر عقبة في طريق التبعية الكاملة للغرب.

٢ـ الفرصة المواتية للبدء بالتحرك:

كان لابد أن تبدأ عملية المواجهة مع النظام بتوعية الأُمة، وكما تصور النظام الحاكم أن الفرصة كانت مواتية لإلغاء الدين، فإن الامام أيضا كان بانتظار الفرصة المناسبة ليبدأ منها عملية تغيير كبير، وسنرى فيما بعد كيف أنه واصل طريق الجهاد دون توقف، حيث استمرت النهضة حتى أعطت ثمارها بسقوط الحكم الملكي وإقامة الجمهورية الإسلامية.

وقد ذكرنا مراراً بأن الظروف الاجتماعية وضعف وعي الأمة لم يكونا ليسمحا بتدخل عالم الدين في السياسة، ولهذا كان لا بدَّ من خوض عملية توعية الأُمة ودفعها إلى المواجهة من خلال قضية دينية، والولوج منها الى السياسة، كما انه لا بدَّ من زج فئة العلماء بأسرها في حركة النضال؛ لأن التحرك الفردي كان من الممكن أن يواجه شكوكاً وشبهات تثار حوله في المجتمع غير الواعي أيامذاك.

وقد توفّرت هذه الجوانب في اللائحة الجديدة لمجالس الولايات والتي صادقت عليها

حكومة (علم). وكان من اللائق أن ينهض العلماء وطلبة الحوزة للاحتجاج وألّا يبدي المتلبسون بلباس الدين والعلماء أي معارضة لاي احتجاج ضدها . ذلك أن حذف شرط الإسلام والقَسَم بالقرآن لم يكن بالإمكان التغاضي عنه من قبل أيّ ملتزم بالدين مهما كانت درجة معارضته للتدخل بالسياسة، لأن قانون حكومة (علم) كان بمثابة إعلان حرب على الإسلام والقرآن ومحاربة هذا القانون تعتبر واجباً شرعياً، أمّا من وجهة نظر المجموعات السياسية والوطنية فقد كان هذا القانون بمثابة تلاعب بالدستور في زمن تجميد المجلس ، وتدخلٍ في الدستور، واعتداءٍ على مبادئ الحركة الدستورية، وهذا مسوغ كافٍ للوقوف في وجهه.

وهكذا فقد كان بإمكان عمليّة المواجهة هذه أن تستقطب كلّ الطاقات والقوى لتتحول إلى حركة شاملة بإمكانها كشف طبيعة النظام. وفي ٨ تشرين الاول عُقد في منزل آية الله الحائري مؤسس الحوزة العلميّة في قم أول اجتماع ضم الإمام الخميني (رض) وعدداً آخر من كبار العلماء؛ حيث شرح فيه الإمام الخميني طبيعة نظام الشاه ومخطّطاته المعادية للامة، ومساعيه لحماية المصالح الاستعمارية والامبريالية في إيران، والتي تؤدي بالنهاية إلى القضاء على الإسلام والأمة الاسلاميّة ، كما ذكَّر بمسؤولية العلماء والزعماء الدينيّين حيال المخططات الخطيرة لعملاء الاستعمار ضدّ الاسلام واستقلال الدول الإسلاميّة، وحذّر من أنّ التهاون في هذا الواجب سيحمّلهم مسؤوليّة كبرى أمام الباري (عزّ وجل) وأمام النبيّ الأكرم (ص)[٢٠].

وأخيراً انتهى الاجتماع بالاتفاق على جملة أُمور، منها؛ أن يرفع كلٌّ من العلماء ـ على انفراد ـ برقية إلى الشاه يطالبه فيها بإلغاء هذا القانون[٢١]، ومنها الاتصال بالعلماء في طهران وباقي المدن وتحذيرهم من أبعاد هذا القانون ونتائجه، ودعوتهم إلى النهوض لمواجهته، كما قرّروا عقد اجتماعات أُسبوعيّة لتوحيد جهودهم وتنسيق وجهات نظرهم في عمليّة المواجهة هذه.

لكنّ ردّ الشاه على برقيات العلماء كان يتضمّن معاني أُخرى، فقد كان يكشف عن أنه آلة تنفيذيّة فقط، وليس المقرّر الأصلي، وذلك يتّضح من عبارة (ألفت نظر حضرتكم إلى الظروف الحاليّة والوضع في باقي الدول الاسلاميّة). المهمّ أنّ الشاه أنهى الأمر بتحويله إلى الحكومة.

٣ـ شن الحملات على حكومة علم:

مثلما هو واضح لم يكن جواب الشاه مقنعاً، ولمّا كان قد أحال الموضوع إلى الحكومة فقد قرّر مَراجع قم ـ في اجتماع لهم ـ توجيه برقيات إلى (علم) ومطالبته بإلغاء هذا القانون. وفي ٢٠ تشرين الثاني ١٩٦٢ أرسلوا إليه برقيات بعبارات مختلفة .

فالامام لم يخاطب (علم) بأي لقب، كما تجاوز حدود الاحتجاج على قانون المجالس مؤكداً ان تجميد المجلس يعتبر عملا مخالفاً للدستور والحركة الدستورية، وحذّره من ردود الفعل العنيفة من قبل الامة على مخالفة الاحكام الاسلامية ويضع الُامة في مواجهة مباشرة مع الحكومة. وأخيراً صرح بأن العلماء الأعلام في إيران وفي العتبات المقدّسة وإلى جانبهم جميع مسلمي العالم لن يقفوا مكتوفي الأيدي حيال انتهاك حرمة الشريعة الاسلامية، وأنهم لن يدعوا هذا الانتهاك يأخذ صفة رسمية. وقد حملت برقية الامام لهجة الأمر عندما طالب فيها (علم) بأن يعالج الامر في أسرع وقت، وأن يحذَر من تكراره، واذا كان لديه ثمة إبهام فليأتِ إلى قم من أجل التفاهم حلّه.

اما آية الله الحكيم و آية الله الخوئي فقد أبرقا إلى آية الله البهبهاني يطالبانه بمخاطبة الشاه والحكومة لإلغاء هذا القانون. فقد جاء في برقية آية الله الحكيم: (أبلغوا أولياء الُامور بضرورة الوقوف في وجه إصدار أمثال هذه القوانين الكافرة المخالفة لقوانين الإسلام المقدَّسة والمذهب الجعفري الحق، وأن لا يفرّطوا بهذا المركز الاسلامي الذي هو محُطّ أنظار و آمال العالم، ولا يجعلوه معرضاً للبلايا والأعاصير التي تعصف به، وأن يعتبروا بالحوادث التي وقعت في البلدان الاسلامية مؤخراً...).

أما باقي المراجع فقد طالبوا (علم) ـ في برقياتهم ـ بأن يبادر إلى إلغاء هذا القانون . ولم يقف الاحتجاج عند هذا الحد، بل تعدّاه ليشمل حتى المساجد والأوساط العامة. فقد كان علماء طهران يعقدون الاجتماعات ليبحثوا فيها كيفيّة التحرُّك، وراح الوعّاظ والخطباء يعقدون الاجتماعات لبحث الأمر، وأمّا فئات الشعب فقد راحت تتصل بالعلماء للاستفسار عمّا يمليه عليها واجبها الشرعي.

وبعد فترة قصيرة تعدَّى الأمر حدود العلماء والبازار (السوق الرئيسة في طهران) ليشمل حتى الجامعة ومراكز الدراسة، وعمّت موجة السخط كلّ أوساط الأمة. وبدأت رسائل وعرائض الاحتجاج الشعبي والدعم لموقف العلماء تنهال على القصر الملكي ورئاسة الوزراء والمراجع، وبدأ الخطباء بمناقشة الموضوع في الأوساط والاجتماعات العامة، وقراءة البرقيات والنداءات الصادرة في هذا الشأن من على المنابر.

أما الحكومة فقد بدأت من جانبها بفرض رقابة مشدَّدة على الصحف للحيلولة دون نشر أيّ خبر عمّا يدور في الأوساط والاجتماعات العامة في محاولة منها للتعتيم على الأمور والتقليل من أهميتها، كما عمدت إلى التغاضي والمماطلة ظناً منها أن العلماء سيتعبون أخيراً ويصرفون النظر عن المواجهة، إلاّ انهم لم يكونوا كما تصورت الحكومة، فهم حين بدأوا الاحتجاج والمواجهة إنما

بدأوهما انطلاقاً ممّا يمليه عليهم واجبهم الشرعي ولهذا فقد كانوا يفكِّرون دوماً في سبل تصعيد عملية المواجهة أكثر فأكثر. وقد فتح موضوع نشر الرسائل والبرقيات والخطابات آفاقاً جديدة أمام عملية تصعيد المواجهة. ففرضت الحكومة حظراً شديداً على نشر أي خبر في الصحف يتعلّق بتحركات العلماء ونشاطاتهم، ممّا دفع علماء الحوزة في قم إلى إيلاء أهميّة أكبر لعمليّة النشر والتوزيع في طول البلاد وعرضها، وطلب الدعم من جميع المسلمين والدعوة الى رصّ الصفوف.

أمّا (علم) هذا العميل والخادم المطيع للاستعمار ـ فقد التزم سكوتاً مطبقاً حيال كلِّ حملات الاحتجاج والاستنكار، وكأنَّ المحتجّين لا يستحقُّون الردَّ ـ في نظره ـ محاولاً، من خلال ذلك، التظاهر بمظهر مستشاري فترة ما قبل الحركة الدستورية، مثل أتابك وعين الدولة. وهنا لا بدَّ لنا من التوقُّف عند برقيّتين شديدتَي اللهجة بعث بها الإمام إلى الشاه ورئيس وزرائه (علم) حيث يتبيّن من خلالها أن الامام لا يريد ترك هذا الأمر، بل إنه يضيف كلَّ يوم أبعاداً جديدة وواسعة لعمليّة المواجهة. فقد وجَّه سهامه بالدرجة الأُولى الى (علم) باعتباره المسؤول عن الأمر وفقاً للدستور حيث ظل في منصبه دون وجود مجلس للشورى مخالفاً بذلك الحركة الدستورية ومتجاهلاً الدستور. أمّا الشاه فلم يكن الامام يخاطبه بصفته المسؤول المباشر، رغم أنه مسؤول شخصياً عن الفساد والتبعية للأجانب، وقد كان الاستناد إلى الدستور محور عمليّة المواجهة، وهذا بحدِّ ذاته عامل يساعد في عملية كشف ضعف الحكومة وخيانتها، فقد جاء في برقية الإمام الى الشاه:

(.... على الرغم من أنني نبّهت السيد أسد الله علم إلى هول البدعة التي يريد إيجادها في الاسلام إلاّ أنه لم يرضخ لأمر الواحد القهّار، ولم يولِ اهتماماً للدستور وقانون المجلس، ولم يصغ لنصيحة العلماء، ولم يرضخ لإرادة الشعب المسلم. لقد فرض السيد علَم حظراً على إبداء الرأي العام في الصحف، كما يمارس أعوانه الإرهاب والتهديد ضد الشعب المسلم الذي يريد إيصال صوته إليكم وإلى علماء الأُمة. لقد كشف السيد علَم للجميع انتهاكه لقوانين الاسلام والدستور. لقد تصوَّر السيد علَم أنه سيتمكَّن من إلغاء القرآن رسمياً من خلال الاستعاضة عنه بأيِّ كتاب سماوي آخر في عملية القَسَم والحلف.

إن هذا الشخص يمارس كلَّ هذا الانتهاك لقوانين الإسلام تحت شعار الالتزامات الدوليّة. إن التحجُّج بالالتزامات الدوليّة في انتهاك القرآن الكريم والاسلام

والدستور ومحاربة الشعب هو ذنب كبير لا يُغتفر.

إنني وحرصاً منّي على خير الأُمة الاسلامية ومصلحتها ألفت انتباه حضرتكم إلى ضرورة عدم طرح الثقة بالمتملِّقين الذين يرتكبون الأعمال المنافية للدين والقانون وينسبونها إليكم، كما ينتهكون حرمة الدستور من خلال إصدارهم القوانين الخيانيّة المنحرفة... أجبِروا السيد علم على تقديم استغفاره لما صدر منه من تطاول على القرآن الكريم وإلاّ فسنكون مضطرّين إلى تذكيركم بمواضيع أُخرى في رسالة أكثر صراحة وتفصيلاً...).

أمّا برقيّته إلى (علم) فقد جاء فيها:

(... يبدو أنّك لا تنوي الاستجابة لنصيحة علماء الاسلام. لقد تصوَّرتَ بأن في إمكانك الوقوف في وجه القرآن الكريم والدستور وأحاسيس الرأي العام ومشاعره، فإن تصوَّرتَ أنّ بإمكانك تغيير القَسَم بالقرآن إلى (افستا) الزرادشت أو الإنجيل وبعض الكتب الضالّة الأُخرى لعدة أيّام مستعيناً بالقوة والإكراه، وإن تصورت أنك تستطيع أن تلغي ـ رسمياً ـ القرآن الكريم وهو الكتاب السماوي الوحيد لعدّة ملايين من مسلمي العالم، وتعيد عبادة الكهنة؛ اذا تصورتَ أن بامكانك ذلك، فقد وقعتَ في خطأ كبير، وإن تصوَّرتَ أن إصدارك قانوناً باطلاً مخالفاً للدستور يمكن أن يوجّه ضربة مدمّرة لأسس الدستور الذي هو ضمان استقلال البلاد، ويفتح الطريق أمام أعداء الاسلام وإيران فقد وقعتَ في خطأ كبير.

إنني أجدّد هنا نصيحتي لك بأن تذعن لطاعة اللّه والدستور، وأن تفكّر ملياً بعاقبة انتهاكك للقرآن وأحكام علماء الأُمة وزعماء المسلمين، وأن لا تعرِّض البلاد إلى المخاطر دون مبرِّر، وإلاّ فإنَّ علماء الاسلام لن يتوانوا عن إبداء آرائهم..)

(بررسي وتحليلي از نهضت امام خميني / ص ١٥٥).

وقد أدّى نشر برقيات الإمام وما جاء فيها من عبارات جريئة مثل (علَم يريد إلغاء الاسلام رسمياً) و (إنه يعمل خلافاً للقرآن جهراً ولا يذعن للأوامر الإلهية) و (لقد تجاهل علم دستور البلاد) و... الخ إلى تأجيج شعلة الغضب الشعبي في أنحاء البلاد، وروح اللّه الذي كان اسمه ـ وإلى وقت قريب ـ لا يتردَّد إلاّ في الأوساط العلمائية الخاصة حيث يُشاد بمنزلته العلمية والدينية، أصبح الآن يستقطب الأنظار كعالم مجاهد صلب.

٤ـ رد فعل أسد الله علم على موجة الاحتجاجات:

لقد حاول (علم) إنهاء هذه الأزمة عن طريق التزام الصمت حيالها إلى جانب فرض أجواء من الكبت والقمع بواسطة الشرطة وجلاوزة الأمن، وكذلك استخدام مختلف الحيل والخدع والأساليب الخبيثة التي كانت من سماته المعروفة، لتفكيك التلاحم الشعبي، إلاّ أنه لم ينجح في ذلك، واضطر أخيراً إلى تولّي عملية القمع شخصياً وعلنياً، وهكذا فقد أصدر بياناً قُرئ من الإذاعة جاء فيه (أنه أصدر أوامره لقوى الأمن الداخلي بقمع أية تحركات معارضة بكل شدة والحيلولة دون الإخلال بالنظام والأمن، كما أعلن رده الأخير لبعث اليأس في نفوس المعارضين حين قال:

(إن عجلة الزمن لن تعود الى الوراء، والحكومة لن تتراجع عن برنامجها الاصلاحي الذي تستعدُ لتنفيذه). لكن هذا الحديث الفارغ لهذا العبد الذليل لم يُثِر أيَّ خوف في أوساط الشعب وقادته العلماء، بل وسّع أبعاد المواجهة، ودفع بالكثير من الناس الذين كانوا غافلين عمّا يجري إلى المساجد للاطلاع على تفاصيل الأمر. وقد دفع تنامي موجة الاستياء العام من (علم) وأمثاله، حتى الاشخاص المحايدين إلى الوقوف في وجه ابن شوكت الملك البيرجندي ـ الجزّار العريق في الإجرام ـ ومناصرة الحق. وقد أصبح بيان (علم) مادة دسمة لخطباء المنابر الذين راحوا يتناولون عباراته بالتحليل والاستهزاء[٢٢].

أما حكومة علم، والبلاط الملكي فقد راحا ـ وبالتعاون مع قائمقام الملك رفيع[٢٣] الذي كان على صلة ببعض الأوساط الدينية يرسمان خطّة خبيثة تقضي بتحويل عمليّة الاحتجاج على قانون مجالس الولايات إلى الاحتجاج على قضية الاصلاح الزراعي الذي كان قد مضى عليه حوالي عام في محاولة للإيقاع بين الناس والفلاحين من جهة، والعلماء من جهة أُخرى، وعندها تتدخّل الحكومة كسلطة عليا وتُظهر العلماء على أنهم يؤيّدون الملاّكين والإقطاعيين، وتشنّ حملة إعلاميّة واسعة عن طريق الإذاعة والصحف مفادها أن الرجعيين يؤيدون الإقطاع ويعارضون تقسيم الأراضي على الفلاحين.

وقد تصوّر الشاه وحكومة علم أن بإمكانهما استغلال ذلك لإثارة فئات الشعب على العلماء، لكن هذه الخطّة فشلت، إذ بادر العلماء المجاهدون إلى تحليل أبعاد القضيّة وكشفها وواصلوا جهادهم دون اكتراث بما تشيعه الحكومة التي أُجبرت على التراجع عن هذه الخطّة.

والطريف هنا هو أن الإقطاعيين والملاّكين الكبار كانوا هم أنفسهم وراء المطالبة بتنفيذ قانون الإصلاح الزراعي وقد ظلّوا بعد تطبيق هذا القانون يملكون الأراضي كما في السابق مع

فارق بسيط هو أنهم واصلوا النهب والسطو تحت عناوين وأسماء مختلفة إضافة الى إدخال المكننة إلى مزارعهم، وتبديل اسم الفلاح إلى عامل زراعي دون أن يتغيَّر من جوهر الموضوع شيء.

٥ـ التراجع التكتيكي لحكومة الشاه:

عندما رأت السلطة أن التهديد والقمع والتخويف لن تثني العلماء عن جهادهم، وبعد أن حدَّدت مركز المعارضة ومصدرها، وأدركت أن روح الله الخميني مجاهد صلب غطت آراؤه وأفكاره على الآخرين، وأنه هو الذي يقود حركة الاحتجاج، وهو الذي أرسل تلك البرقية الشديدة اللهجة، لهذا كلّه بدأت السلطة تفكّر في تفكيك صفوف العلماء، وبث الفرقة بينهم و(فصل رأس الفتنة عن الباقين!) كما تصوّرت عقولهم البالية. إذ فكرت بالإطراء على باقي العلماء واحترامهم وبالتالي بإرضائهم دون الإمام. وهكذا نرى (علم) الذي امتنع مدّة شهر ونصف عن الردِ على البرقيات، واستخدم أُسلوب التهديد والوعيد، نراه فجأة يبرق إلى ثلاثة من المراجع يخاطبهم فيها بلقب أرفع قليلاً ممّا خاطبهم به الشاه إذ خاطبهم بلقب آية اللّه، وقسّم لهم الموضوع إلى ثلاثة أقسام. وقال: إن الحكومة تؤيّد رأي العلماء في وجوب كون الناخبين والمرشّحين مسلمين، كما إن القَسَم يجب أن يكون بالقرآن الكريم، أما عن اشتراك النساء في الانتخابات فذكر أن الحكومة ستقوم بنقل رأي السادة العلماء إلى المجلس وهو الذي سيتخذ القرار اللازم بشأنه.

وتزاماً مع ذلك عقد (علم) مؤتمراً صحفياً فصّل فيه ماورد في البرقية التي تعتبر أول إجراء رسمي يتّخذه الشاه ضد الإمام. فالسلطة كانت تتصوّر أن عدم ردِّ (علم) على الإمام سيوجّه ضربة معنويّة إليه، وسيكسر هيبته أمام المجتمع، لكن النتيجة كانت معكوسة تماماً، إذ أدّى ذلك إلى رفع شأن الإمام أكثر فأكثر، كما ظهرت تحليلات ووجهات نظر كثيرة حول سبب استثناء الحكومة للخميني في مخاطبتها للعلماء، وكم كانت الضربات التي وجهها الامام للحكومة مؤثرة ومؤلمة لها بحيث تسببت في اتخاذ هذا الموقف. وهكذا بدأت كلمات الإمام وأحاديثه تخضع للتفسير والتحليل أكثر من السابق، أمّا طلاب الحوزة عموماً فقد ازداد إقبالهم على الإمام، وزادوا من تحركاتهم لنشر أحاديثه وتعليماته، وأمّا الذين كانوا يخوضون المواجهة منهم فقد ضاعفوا من دعمهم له. وهكذا فقد كان تظاهر حكومة (علم) بتجاهل الامام قد رفع من شأنه، كما أن أُسلوبه الحادَّ الذي خاطب به علم قد ضاعف من يأس (علم) من إمكانية ترويض الإمام وجرِّه الى المساومة.

٦ـ استمرار نهضة علماء الدين:

لم تستطع برقية (علم) إقناع علماء قم، إذ بادروا إلى عقد اجتماع بحثوا فيه أبعاد القضية، ورفضوا اعتبار الموضوع منتهياً، كما اعتبروا هذه الخطوة من جانب (علم) خدعة ليس إلاّ. ذلك أن القانون الذي صودق عليه لا يُلغى بتصريح متردّد لرئيس الحكومة، ثمّ إنه أحال الموضوع إلى المجلس الذي لم يكن له وجود آنذاك.

وقد بادر الإمام إلى فضح دسائس الحكومة، وحذّر العلماء من خطورة هذه اللعبة التي يمارسها النظام، ودعا الجميع إلى مواصلة الجهاد والمواجهة، وهكذا فقد أبطل مفعول كلِّ الاحتفالات والافراح المفتعلة بمناسبة برقية (علم). وقد أعلن الإمام أمام جموع من زوّاره عن مواصلة الجهاد، كما بذل جهوداً مضنية لثني أولئك الذين كانوا يفكرون في إنهاء القضية، عن تفكيرهم ذلك. أمّا علماء قم فقد أبرقوا إلى (علم) معلنين أن برقيته غير كافية لاقناعهم، كما أوضحوا في البرقية احتجاجاتهم وانتقاداتهم بكل صراحة. ثم طالبوا بـإلغاء القانون، إلاّ أن الإمام وضّح تفاصيل الموضوع خلال ردّه الذي تلخّص في ست نقاط، جواباً عن سؤال لأصحاب المهن، حيث أوجب في هذا الجواب مواصلة التصدي فقد كتب يقول:

(يجب أن نقول للسيّد رئيس الوزراء إنه ليس بامكان أي مجلس أو مسؤول إصدار قانون مخالف للشرع الإسلامي والمذهب الجعفري. إرجعوا إلى المادة الثانية من ملحق الدستور فشعبنا وعلماؤنا واعون ولله الحمد، وسيقطعون كلَّ يد تحاول خيانة الاسلام وشرف المسلمين، والله غالب على أمره) [٢٤].

وفي هذا الجواب حذّر الإمام ـ ولأول مرة ـ من خطر الصهيونيّة التي تهيمن على مقدّرات الدول الاسلامية واقتصادها، وطالب المسلمين بعدم السكوت أمام هذا الخطر [٢٥]. ومنذ ذلك الحين لم تنحصر مطالب الإمام بالمطالبة بـإلغاء قانون مجالس الولايات، بل بدأ يتناول كلَّ ممارسات الحكومة بالنقد والتعريض، ويطرح مطاليب تفوق طاقة الحكومة، فالحكومة المرتبطة بأميركا كلياً كيف يمكنها قطع الدعم عن إسرائيل!؟ كما إن الامام كان يركّز على الأسئلة التالية:

لماذا استمرّ تعطيل نشاطات المجلسين كلّ هذه المدة؟

لماذا كلُّ هذا الانتهاك للدستور؟

لماذا سُلِبت حريّة الصحافة؟

لماذا كلُّ هذا التدهور في حياة الناس؟

وكان لذلك أكبر الأثر في توسيع نطاق عملية المواجهة، إذ لم تعد ترتكز على مطاليب من قبيل: القَسَم بالقرآن الكريم، وكون الناخب والمرشَّح مسلمَين، وإشراك النساء في الانتخابات، كما لم تعد عملية المواجهة تقتصر على العلماء بل وقفت إلى جانبهم كلُّ فئات الشعب الأُخرى من جامعيين وكسبة ومجموعات واحزاب سياسيّة. وفي جامعة طهران تجمهر الطلاّب واتجهوا إلى قم المقدّسة في تظاهرة حاشدة أكدوا خلالها دعمهم وتأييدهم للعلماء[٢٦].

٧ـ الدعوة إلى مجلس دعاء في مسجد السيد عزيز اللّه:

إنّ رفض العلماء لبرقية (علم) وطرح الإمام الخميني لقضايا جديدة، وتوسيع نطاق الاجتماعات العامّة، وتصاعد موجة المحاضرات التي يلقيها الخطيب الشيخ الفلسفي في مسجد أرك، كلُّ ذلك لم يُخرج الحكومة والصحافة من حالة الصمت التي التزمتاها، وهذا ما اعتبره الشعب تجاهلا من قبل الحكومة للمؤسّسة الدينية والاسلام عموماً. فالحكومة كانت تتصوّر أن تجاهلها لتحركات الإمام الخميني سيكسبها دعم الغالبية العظمى من العلماء، لكن النتيجة كانت على العكس من ذلك تماماً، فحتى العلماء الذين كانوا حتى ذلك الوقت يلتزمون الصمت أو عدم التدخُّل في السياسة[٢٧]، أو كانوا يدافعون عن ممارسات الحكومة[٢٨]، نزلوا ـ بشكل من الأشكال ـ إلى ساحة الصراع، وكانت دعوة جماعة العلماء لإقامة مجلس دعاء في مسجد السيد عزيز اللّه بطهران صباح يوم الخميس المصادف للاول من شهر رجب ـ اتّباعاً لسنّة النبي الأكرم (ص) ـ بمثابة موجة عارمة عمّت كل أرجاء العاصمة طهران، والحكومة التي عملت منذ وفاة آية اللّه البروجردي على بث الفرقة والخلاف في أوساط العلماء والحوزة، أصبحت هي نفسها سبباً في جمع كلمتهم وتوحيد صفوفهم. فحتى العلماء الذين كان الشاه يؤيد مرجعيتهم التحقوا بصفوف المعارضة بشكل من الأشكال، وأصبح رأي الجميع في الحكومة المطيعة للشاه هو (أن علم غير مستعد لطاعة الإله القادر القاهر، ولا الالتزام بالدستور). وقد صدر بيان عن حوالي مئتين من علماء طهران بمختلف اتجاهاتهم جاء فيه:

(إن حكومة علم تريد التصدّي لموجة الاحتجاجات من خلال إيجاد جوٍ من الكبت والإرهاب والتهديد بدلاً من أن تقوم بتصحيح أخطائها، وإعادة الاستقرار إلى أوضاع البلاد، وتوفير العمل لآلاف الشباب الخرّيجين العاطلين، والالتفات إلى وضع اقتصاد الشعب الذي يرزح تحت نير الهيمنة، ومعالجة آلاف الآلام والمصائب الاجتماعية الأُخرى.

أيُّها الشعب المسلم!

لقد أوصل السيد علم ضغوطه وتجاهله للرأي العام إلى حدّ منْع الصحافة ـ التي تنشر كلّ صغيرة وكبيرة ـ من نشْر حتى جوانب من الاحتجاجات الشعبية في قم وطهران وباقي أرجاء البلاد لكي لا يطّلع العالم على غضبة الشعب الايراني التي لم يسبق لها مثيل، كما قامت الحكومة مؤخراً بمنع المطابع من طبع أحاديث العلماء والرأي العام وآرائهم وأفكارهم على شكل منشورات... إنَّ على السيد علم أن يعلم أنه بممارساته هذه قد وضع نفسه أمام الغضب الشعبي العارم).

ولم يكن موضوع قانون الانتخابات بحدّ ذاته يستلزم كلّ هذه الضجة. إذ كان يكفي أن يطلب آية الله البهبهاني ـ الذي كان مقرّباً من البلاط ـ من الشاه أن يلغي هذا القانون، كما كان يحدث في كثير من الأحيان، وهكذا ينتهي الأمر إلاّ أن القضية اتخذت أبعاداً أكبر، تمثّلت في تلاحم وتراصّ صفوف مختلف فئات الشعب مع العلماء في وجه الحكومة، إضافة الى طرح مسائل أُخرى عديدة.

إن إلغاء قانون الانتخابات كان من شأنه أن يعرّض الحكومة إلى عدم الاستقرار والثبات، ويحرمها من تحقيق ما أسمته بـ(المبادئ الثورية!) التي كانت تنوي إقرارها. وبهذا يبقى المشروع الأميركي ناقصاً، مما سيثير سخط الحكومة الاميركية التي ستفقد ثقتها بقدرة نظام الشاه على تنفيذ ما تريد داخل إيران، ولهذا لم تكن الحكومة راغبة في التراجع، خاصة بعد مرور تلك الفترة من المواجهة المتصاعدة. أمّا العلماء فهم أيضا لم يكن بإمكانهم التراجع عن مطاليبهم والتزام الصمت؛ لأن هذا سيؤدي إلى سقوط هيبتهم أمام المجتمع، إضافة إلى أن المقاومة اعتُبرت واجباً دينياً وتكليفاً إلهياً اشترك فيه جميع العلماء الذين كانوا يرون أن طبيعة الموضوع والمرحلة والوحدة الحاصلة بين فئات الأُمة قد هيأت الظروف المناسبة لمواصلة الجهاد وصولاً إلى نهضة إسلامية شاملة. لكن الحكومة شعرت أن الأمر قد ينتهي بقيام ثورة، مما اضطرها للتراجع رغم ما يحمله هذا الأمر من سلبيات وتبعات سيئة بالنسبة لها. وهكذا عقدت الحكومة اجتماعاً طارئاً لها بتاريخ ١٩٦٢/١١/٢٨م حيث كان من المقرر أن يقيم الناس في اليوم التالي مجلس الدعاء، وقد صادقت في هذا الاجتماع على عدم تنفيذ قانون انتخابات مجالس الولايات المؤرخ في ١٩٦٢/١٠/٥. وفي نفس الليلة أبرق أسد الله علم إلى علماء قم[٢٩] لإطلاعهم على النتيجة، لكن (علم) استثنى الإمام الخمينيّ هذه المرّة أيضاً.

٨ـ آخر مقاومة للإمام الخميني في خصوص القانون:

أدّى الإعلان عن إلغاء القانون الذي تمّ عن طريق البرقيات والرسائل التي بعثت بها حكومة (علم) إلى اقناع علماء طهران بانتهاء الأمر. وقد راح الناس يقيمون الاحتفالات والمهرجانات، كما راح بعض العلماء يبرقون شاكرين. أمّا الإمام الخميني فلم يقنعه ما جرى، بل ظلّ مصرّاً على وجوب قيام الحكومة بإعلان نبأ إلغاء القانون عن طريق الصحف، وأن الأمر لم ينته بعد.

وقد استهدف الامام من خلال ذلك الحيلولة دون خبوت شعلة الجهاد ضد النظام، إذ كان يتعيّن عليه استخدام أساليب وطرق مشروعة ومؤثّرة، خاصة وأن بعض الاشخاص قد أصابه الملل من تعطيل الدراسة الحوزويّة لمدّة شهرين، كما أن التعب اصاب بعض التيارات السياسية او انها صارت تخشى من احتمال التلاعب والتفريط بهذا النصر الذي حقّقوه، ولهذا فقد بعث الإمام برسائل الى طهران وباقي المدن الاخرى لفت فيها نظر العلماء إلى أن المواجهة ما زالت مستمرة حتى الإعلان رسمياً عن إلغاء القانون من خلال الصحف.

وفي الحقيقة فإن المواجهة بين الحكومة والشعب بقيادة الإمام الخميني كانت قد بدأت لتوها. فبعد اطّلاع أبناء الشعب على رأي الإمام القاطع في هذا المجال قاموا بجمع البيانات والمنشورات التي تضمنت انتهاء الموضوع والغوا إقامة الاحتفالات والأفراح، وأعلنوا وقوفهم إلى جانب الإمام، وطاعتهم لتوجيهاته، وقد أدّى هذا الأمر تدريجياً إلى أن يتألّق نجم الإمام ويتميز عن باقي العلماء الكبار، وقد لقي الموقف المتصلب للإمام ترحيباً واسعاً من لدن أوساط الأُمة التي كانت تريد إضعاف الحكومة واربابها لأنها تعمل خلافاً لطموحات أفراد الأُمة، وتسلب الجميع حرياتهم وتشيع أجواء الكبت والقمع، ألأمر الذي دفع الأُمة إلى مساندة عالم مجاهد أصبح محوراً للمقاومة والثبات، وكان يتطرّق في خطاباته إلى العديد من الشؤون والقضايا.

وفي يوم الجمعة ٣٠ تشرين الثاني ١٩٦٢م إتجهت جموع شعبية حاشدة من طهران وباقي المدن إلى قم للقاء الإمام في منزله، وقد تحدث سماحته إلى تلك الجموع فقال:

(رغم أن مضمون البرقية التي أُرسِلت الى علماء قم يعتبر مقنعاً إلاّ أننا لا نستطيع ترتيب أي أثر على ذلك مالم يتم إعلان الغاء القانون رسمياً ومن خلال الصحف. ولتعلم الزمرة الحاكمة انه مالم يتم ذلك فاننا لا نعير أهميّة للإلغاء غير الرسمي وسنواصل جهادنا).

وفي هذا التجمع الحاشد تحدث العديد من الاشخاص فخاطبوا الامام بعبارة (زعيمنا الرشيد).

وفي اليوم التالي عقد (أسد الله علم) مؤتمراً صحفياً قال فيه: (إن الحكومة قررت عدم تنفيذ

قانون انتخابات مجالس الولايات، وان الحكومة تعرب عن شكرها للسادة العلماء الذين بذلوا مساعي حثيثة لإقرار الأمن، وقاموا ـ بإصدارهم البيانات ـ بسدِّ الطريق أمام المخربين المتهزين للفرص[٣٠].

وهكذا بدا أن الأزمة قد انتهت ظاهرياً، وهُزم علم في هذه المواجهة هزيمة منكرة، لكنه عرف في نفس الوقت المصدر الأساس للخطر الذي يواجهه. فالإمام الخميني الذي حقّق هدفه كاملاً في إلغاء قانون انتخابات مجالس الولايات لم يكن يريد ترك النظام لحاله. ولهذا نراه يصدر بياناً يقول فيه:

(... إنَّ نهضتكم الدينيّة الشاملة أصبحت عبرة للأجانب، لكنّني أرى من الضروري التذكير هنا بأن على المسلمين التزام الحذر، والتحلّي باليقظة والوعي، ومراقبة أوضاعهم، والمحافظة على مصالح الإسلام. إنَّ عليهم أن يرصُّوا صفوفهم أكثر فأكثر ليتمكّنوا من قطع أيّة يد قذرة قد تمتدُّ إلى مقدّساتهم ـ لا سمح اللّه ـ ..).

٩ ـ النهاية التي أصبحت بداية لمواجهة جديدة:

عندما بدا واضحاً للجميع أن الحكومة هُزمت في موضوع قانون مجالس الولايات الذي تحوَّل إلى أزمة دينيّة سياسيّة، أصبح لا بدَّ من تنحية «علم» وإحلال خادم آخر محلّه ـ حفاظاً على الشاه وذلك وفقاً للعرف السائد لدى باقي الحكومات ـ إلاّ أنَّ درجة قرب (علم) من البلاط حالت دون تطبيق هذا العرف، فقد ظلَّ في منصبه ليقوم بما يسمى بـ(الثورة البيضاء)، ويتحيّن الفرص لإطفاء شعلة الخميني الذي كان قد تألّق نجمه حينذاك. لكن الإمام الخميني ظلَّ في تلك الفترة متصدّياً للمسؤوليّة، ونزل إلى ساحة المواجهة بكلّ ما أوتي من قوة وإمكانية، وبدأ يطبّق عملياً ما جاء في كتبه وبياناته من عبارات (القيام للّه). لكن تراجع الحكومة عن قانون مجالس الولايات لم يبقِ مَنفَذاً يسوّغ استمرار المواجهة.

وقد كان استئناف الدراسة في الحوزة بعد تعطيلها مدة شهرين أمراً مثيراً لمشاعر الطلبة وأحاسيسهم. فقبل ظهر الثالث من كانون الأول ١٩٦٢ توافدت جموع غفيرة من العلماء والفضلاء وطلاّب الحوزة وأبناء الشعب على المسجد الأعظم في قم للاستماع إلى إعلان انتهاء الأزمة. وقد تحدث الإمام الخميني (قدس سره) بمناسبة استئناف الدراسة في الحوزة فتطرّق إلى أُمور عديدة كان يُشمّ منها رائحة الإعداد لنهضة جديدة في المستقبل. فقد تحدث الإمام عن دعم فئات الشعب للعلماء وأسبابه ونتائجه، كما قام بتحديد نقاط الضعف في ثقافة البلاد، وحمّل

الحكومة مسؤوليّة ذلك، وذكر الجوانب التي تستحقُّ الدعم من الدستور، لكنه أكّد أنَّ الدستور الأفضل والثابت والراسخ هو القرآن الكريم، وذكَّر العلماء والمبلّغين وناشري الإسلام بمسؤولياتهم، وأعاد إلى أذهانهم النتائج الايجابية للتلاحم والاهتمام بمصلحة الأُمة.

ثم وجّه حديثه إلى الحكومة فطالبها بأن تكون في خدمة الأمة وإلاّ فإنَّ الوضع سيستمر كما هو الآن، وقد بدأ الإمام خطابه بهذا الشكل:

(منذ ظهور الاسلام، والمسلمون هم دائماً حماة هذا الدين المبين، حتى أنهم تنازلوا عن الكثير من حقوقهم حفاظاً على بيضة الاسلام، وأبرز مثال على ذلك سيرة أمير المؤمنين في زمن الخلفاء الذين سبقوه واستمر الوضع هكذا حتى جاء معاوية إلى الحكم وانحرف عن نهج الخلفاء، وبدّل الخلافة إلى ملك، فاضطر أمير المؤمنين(ع) إلى التصدّي له، ولم يكن أمامه غير ذلك لأن موازين الشرع والعقل تمنعه من إبقاء معاوية على كرسي الخلافة حتى يوماً واحداً. أمّا أُولئك الذين كانوا ينصحون الإمام علياً ـ عن جهل وغفلة ـ بأن يترك معاوية لحاله حتى تترسخ أركان الخلافة ومن ثم يعزله، فلم يكونوا يعلمون بأن صبر الإمام وتوانيه في ذلك كان سيثير احتجاج المسلمين، كما أن التواني في ذلك سيقوّي سلطة معاوية ويرسّخها، وعندها سيكون من الصعب عزله. وحين رأى الإمام علي (ع) حكومة ظالمة تريد حكم المسلمين، أدرك أن عليه أن يقف في وجهها، وهكذا فعل.

وهكذا نهض الأئمة المعصومون(ع) رغم قلّة من معهم ـ ولم يثنهم ذلك ـ حتى قتلوا وأقاموا فرائض اللّه، ومن كان منهم لا يرى مصلحة في النهوض؛ يجلس في بيته ويؤكد للناس بأن هذا النهج موجود منذ ظهور الاسلام، وقد سار علماء الاسلام وزعماؤه على هذا النهج، فهم يدعون الناس إلى السكوت إذا اقتضت المصلحة، أمّا عندما يرون الخطر يحدق بالإسلام، فإنهم يسعون في البداية إلى حل المشاكل عن طريق النداءات وكشف الحقائق والتفاوض وإرسال المبعوثين إلى الجهاز الحاكم قدر المستطاع، واذا ما رأوا عدم جدوى ذلك، يرون أنفسهم مضطرين إلى النهوض لمواجهة الخطر.

فلم يمضِ زمن طويل على قضية المرحوم الميرزا حسن الشيرازي ـ هذا الشيخ المفكِّر صاحب العقل الكبير الذي كان يقيم في مدينة سامراء العراقية الصغيرة، ويحيط به حوالي ثلاثمئة طالب فقط ـ فعندما لاحظ هذا العالم الجليل أن الخطر يهدّد كيان الإسلام، وأن الملك المتجبر (في إيران) آنذاك كان يريد القضاء على الإسلام بواسطة الشركات

الاحتكارية باستهتار وسوء أدب وعبارات والفاظ بذيئة، وجد نفسه مضطراً لاتخاذ موقف أكثر حزماً. وهكذا اطلق كلمته المشهورة كي يعود الاستقلال، بالرغم من أنه كان يدعو دائماً إلى الهدوء.. وبعد ذلك نرى الميرزا محمد تقي الشيرازي عندما رأى العراق معرّضاً للخطر، اطلق نداءه واستنفر العراقيين ودفعهم إلى كسب الاستقلال، ولولاه لقُضي على العراق.

إن استقلال جميع الدول الاسلامية مرهون بهذه الفئة، فهؤلاء هم الذين دافعوا ـ وما زالوا ـ عن استقلال الدول الاسلامية لحد الآن، هؤلاء هم ذخر للمجتمع، ولطالما استطاعوا بنصائحهم تهدئة الناس المتمردين. لكن الأمر يختلف عندما يرون الخطر محدقاً باستقلال البلاد، إذ إن الإسلام يوجب عليهم في هذه الحالة النهوض لصدِّ هذا الخطر، كما حدث في نهضة العلماء الأخيرة التي هي نهضة قرآنية دينية قام بها العلماء انطلاقاً من واجبهم الديني.

إنني وقبل الليلة التي كان مقرراً فيها عقد مجلس الدعاء في مسجد السيد عزيز الله أُخبِرت أن الحكومة تنوي استخدام العنف، ووقتها رأيت أن واجباً آخر يقع على عاتق العلماء، وقد اتخذت أنا قراراً نهائياً إضافة إلى الدعاء، بيد أنني لم أخبر أحداً بالأمر.

وقد منَّ الله على الحكومة والشاه والشعب بأن تنبّهت الحكومة بعد منتصف الليل إلى خطورة عملها، وأيقنت أنها لن تستطيع الوقوف في وجه قوة الشعب، وكنتُ قد اتخذتُ قراراً خطيراً فيما لو قامت الحكومة بالتعدي على العلماء، لكن الحكومة تراجعت وقامت في نفس الليلة باستحصال توجيهات من علماء طهران إلى الناس بانتهاء الأزمة، وأرسلت إلى علماء قم برقيات أعلنت فيها إلغاء القانون، ولكن ظلّت هناك مخاوف من أن تكون في الأمر حيلة، لكن الأمر انتهى أمس وبعد محادثات طويلة بين قم وطهران إلى إعلان نبأ إلغاء القانون رسمياً في الصحف.

ونحن الآن نعتبر الأمر منتهياً، ونحمد الله على أن ما جرى كان بمؤازرة الشعب ونهضته، وانتهى دون عنف ودون إراقة حتى قطرة دم واحدة، ففي انتفاضة محدودة وحرب محلية؛ يسقط عادة العديد من القتلى، ويُجرح الكثيرون، ولكن لا يمكن أن نتصور أن انتفاضة يقوم بها عشرون مليون إنسان تنتهي دون أن تسقط قطرة دم من أنف أحدهم، فهل تعلم الحكومة من الذي حافظ على هذا الهدوء وحال دون تفاقم الأزمة؟!

فليأتوا ويروا الرسائل التي وصلتنا، والأشخاص الذين اتصلوا بنا، ويروا ماذا كتبوا وماذا قالوا. لقد جاء إلينا أشخاص بعيون دامعة ويقولون بلهفة: أصدِروا أوامركم وأعطونا الدعم المعنوي فقط، وسترون ما سيحدث. فلو صدرت كلمة واحدة لحدث انفجار.

فمن الذي أطفأ هذه الشعلة؟

لماذا لا يريدون إدراك هذه الحقيقة؟

لماذا هم يريدون تدمير هذه الدعامة بكل الوسائل؟

لماذا هم يستخدمون كل قواهم في تدمير هذه القوة الكبرى التي هي دعامة أساسية للاستقلال؟

يعلم اللّه كم أنا آسف اذ لماذا تقف الحكومة هذا الموقف من العلماء الذين يسايرون هذا الوضع، ويخدمون استقلال البلاد بهذا الشكل؟

ولماذا أوصلوا ثقافتنا إلى هذا الوضع؟

لماذا لا يستندون إلى العلماء؟

لماذا يتوتّر الوضع عندما يموت أحد العلماء، لكن الشعب يحتفل عندما تسقط الحكومة؟!

إن على الحكومة أن تكون بشكل بحيث يعلن الشعب الحداد إذا سقطت أو هُزمت، وأن يقف إلى جانبها من أجل الحفاظ عليها. فلو رأى الشعب أن الحكومات تسعى الحفاظ على مصالح الاسلام والمسلمين وتقوم بخدمته، فسيقوم الشعب بدعمها بكل وسيلة ممكنة، سيبيع حتى بيوته من أجل دعمها، ولكن الحكومات ـ وللأسف ـ لا تدرك هذه الحقائق. إنها غافلة عن أنه لولا وجود العلماء، فلن تكون للحكومة دعامة تسندها. إن علماء الدين هم حرّاس الدول الاسلامية ودعامتها القوية، فلماذا يريدون تحطيم هذه الدعامة؟ لماذا يلصقون كل هذه التهم بالعلماء؟

لماذا يبثّون سمومهم ضد علماء الدين عن طريق الصحف والإعلام؟

لماذا يطلقون العنان للصحافة لتنشر ما يحلو لها من الأراجيف ضد العلماء ومقدسات الإسلام؟

لماذا يسمحون بالاحتفال بالسابع من كانون الثاني بكل حرية[٣١]؟

إن كلّ هذا يثير سخط الشعب تجاه الحكومة والمسؤولين. لا تثيروا بهذه السموم سخط

الناس على الحكم ولا تسمحوا بوقوع فضائح السابع من كانون الثاني ، فالبلاد لا تتقدم بهذه الامور، بل تتطور وتتقدم بالجامعات وهذه هي الاخرى جعلتموها جامعات صورية ، فالجامعات موجودة عندنا في الظاهر منذ مئة عام ولكن لوزتي السلطان عندما تحتاج إلى عملية جراحية يجب استدعاء طبيب من الخارج لمعالجتها، وسدّ (كرج) لا ينجز إلاّ بأيدي الاجانب، والطرق لا يشقّها إلاّ المهندسون الأجانب! فهل إن الالتزامات الدوليّة تقتضي هذا الوضع؟! فلو كان عندكم المهندس والطبيب فستكون لديكم الثقافة المتقدمة.

لماذا تستقدمون الأشخاص من الخارج للعمل في مجال العمران والصحة؟

لماذا تعطون مئة ألف تومان شهرياً للأجنبي؟ أجيبوا!

إن كنتم تفتقرون إلى الكادر - فياللاسف - توجد في هذا البلد جامعة وثقافة منذ مئة عام، لكنه يفتقر إلى المهندس والطبيب الخبير. هذا هو كلام علماء الدين، إنهم لا يعارضون التقدُّم الاقتصادي والاجتماعي للبلاد. إن هذه تهمة توجّه لعلماء الدين. إنّهم يديرون الامور في أرجاء الأرض منذ خمسمئة عام.

إرجعوا إلى التاريخ، فرغم وجود خلفاء الجور والظلم ألم يكن للاسلام منهج تقدمي؟ وهل إن علماء الدين ضدّ التقدُّم والتطوُّر؟ فأيُّ موضوع تقدّمي لقي معارضة من العلماء؟ هل وقفوا في وجه بناء المدارس؟ هل عارضوا إنشاء المعامل؟ ماذا فعلتم بمشروع صهر الحديد في كرج؟ هل أردتم - مثلاً - صناعة الطائرات والتحليق في السماء لاحتلال باقي الكواكب وعارضكم العلماء!؟ نحن نقول لا تجرُّوا النساء إلى الفساد باسم الحرية والتقدم، لا تحرفوهنّ عن الصراط المستقيم، فلقد مضى على كشف الحجاب عشرون ونيِّف من الأعوام، فما الذي جناه الرجال من ذلك؟ وما الذي جنته البلاد كلّها من ذلك؟ فالذين تقلّدونهم تقليداً أعمى يصلون اليوم إلى أعالي السماء، وأنتم تصلون إلى النساء؟! لا تلصقوا التهم والألقاب السيئة بعلماء الدين، فذلك عيب عليكم.. كُفُّوا عن هذه الترّهات... لا تستهينوا بالاسلام والقرآن.. لا تتغاضوا عن الدستور باسم التقدُّم والالتزامات الدولية.

يجب أن يتم التذكير بهذه النقطة وهي أن تمسُّكنا بالدستور واستنادنا إليه هو من باب (ألزِموهم بما الزَمُوا به أنفسهم) وليس ذلك دليلاً على كمال الدستور، فعندما يتحدث العلماء فإنهم يستندون إلى المادة الثانية من ملحق الدستور التي تنصُّ على أن

سنّ أيّ قانون يخالف القرآن؛ لا يكتسب أيّة صفة رسمية، وإلاّ فمالنا والقانون الوضعي ؟ فنحن لدينا الإسلام وقوانينه، ولدينا القرآن والأحاديث النبويّة وأحاديث الأئمة (عليهم السلام).

إننا نؤيّد ونرضخ ـ وبكلّ تواضع ـ لكلّ ما يتفق مع الاسلام وقوانينه، ونعارض كلّ ما يتنافى مع الدين والقرآن ولو كان ذلك الدستور أو الالتزامات الدولية. هذه حقائق يجب أن تقال، ونصائح يجب أن تُقدَّم، ولكن ما الفائدة مادام الذين يجب أن يسمعوها غير موجودين هنا، وإن وُجِد أحد منهم؛ فلن يوصل ما يعتلج في صدورنا إلى من يهمُّه الأمر.

إن هذا التجمُّع يحدث بكلمة واحدة منا، لكن الآخرين لا يستطيعون ذلك إلاّ بشق الأنفس، ويكلّفهم بالتالي الكثير، لأن الناس تيقَّنوا أننا أصدقاؤهم، والناس يحبُّون أصدقاءهم. رجل طاعن في السن يكتب عند منتصف اللّيل (إجتمعوا للدعاء) فتتحرك طهران كلُّها، أو إن آخر يكتب من هنا (نريد أن نقوم بالابتهال إلى الله بآية «أمَّن يجيب المضطرَّ اذا دعاه ويكشف السوء») أُنظروا ما يحدث. لأن الشعب أدرك أن العلماء يريدون خير هذه الأُمة وصلاحها، إنهم مصلحون وليسوا مفسدين. نحن نريد من الحكومة أن تكون هكذا؛ إن أعلنت حداداً لبس الجميع السواد وألغوا جميع الاحتفالات، وأن يكونوا رهن إشارة الحكومة كما هم رهن إشارة العلماء، يتجمّعون ويحتشدون متى ما دُعوا الى ذلك.

لقد كتب لنا أهل مدينة (شهرري) رسالة يقولون فيها : نحن خمسة آلاف شخص نرتدي الأكفان ونقف رهن الإشارة، ومن جابلق بعث لنا مئة ألف شخص برسائل يعلنون فيها استعدادهم لتنفيذ ما يُطلب إليهم، ومن لُرستان بعثوا لنا برسائل يقولون فيها: إن عشائر اللُّر ارتدت الأكفان وتستعدُّ للتحرُّك. وهكذا فإن الأُمة ولله الحمد واعية، فهل إن الأُمة الواعية رجعيّة ومتخلّفة؟!

ألقوا سلاحكم جانباً، وارفعوا حرابكم من فوق رؤوس المواطنين لتروا مع من يكون الشعب، ومن الذي يتمتَّع بالدعم الشعبي؟! لنأتِ نحن إلى طهران وندعو إلى اجتماع جماهيري غرب طهران، وتعالوا أنتم وادعوا الناس إلى التجمع شرق طهران، أو تعالوا أنتم إلى قم واطلبوا من الناس التجمع في مركز المدينة، وسندعو نحن الناس إلى التجمُّع على بعد فرسخين من المدينة، إفعلوا ذلك في أي مكان آخر وسترون كيف أن

الأمّة معنا، تقف إلى جانبنا كما نقف إلى جانبها ونفي لها، وعلى هذا، فلا تفرِّطوا بهذه الدعامة، وأنا أنصح الشاه بأن لا يخسر هذه القوة!

لقد رأى الجميع - مرّتين - مدى وفاء الأمة لعلماء الدين. فخلال قضية قانون مجالس الولايات رأى الجميع كيف انتفض الشعب اتّباعاً وتأييداً لعلماء الدين. والمرّة الثانية عند وفاة آية الله البروجردي حيث اهتزت البلاد كلّها. فنهم يموت شخص ومنّا يموت، لكن الفرق هو كبعد السماء عن الأرض، ثمّ يأتون ليقولوا بأن المعمّم لا قيمة له، كيف يمكن ذلك؟ إنه يقول بأنني لا شأن لي بالمعمَّمين! لكن المعمَّمين لهم شأن بك. إن الاستماع إلى نصائحهم هو من الواجبات وتركها يعدُّ من الكبائر، سواء فعل ذلك الشاه أو أصغر موظف وشرطي، فالجميع يجب أن يأخذوا بنصيحة العلماء وإرشادهم، فهذه واجبات علماء الدين.

إن استمالة قلوب الأمة الاسلامية تأتي بالالتزام بالإسلام واتّباع القرآن «ألا بذكر الله تطمئن القلوب»، فالله هو مقلّب القلوب، فاتّجه إلى الله لتتجه القلوب إليك.

إن استمالة قلوب المسلمين تأتي من خلال التسليم أمام قوانين الاسلام، وهذا هو شأن أهل العلم، فكونوا أنتم كذلك. نحن لا نقول إلبسوا العمامة أيضا، بل نريدكم أن تدركوا ما أدركه عالم الدين، فهو يقول: إن الحكومات يجب أن تكون في خدمة الشعوب، تعالج مشاكلها وترعاها لكي تستميل قلوب الناس، وإلاّ فإن الوضع يصبح كما هو الآن بحيث ينتظر الشعب أيّاً من الحكومات ستقضي عليه! أيتها الحكومات! أيها المساكين! إن فتح البلاد ليس بالأمر الصعب - وهو مالا تستطيعون فعله والحمد للّه - لكن المهم هو فتح القلوب، فإن شئتم فهذا هو الطريق وإن لم تشاءوا فالأمر إليكم).

(بررسى وتحليلى أز نهضت امام خميني / ص ١٩٥ وما بعدها)

أما حكومة (علم) فقد سعت إلى التعويض عن هزيمتها؛ بشنّها حملة إعلامية ضد علماء الدين، متهمة إيّاهم بالرجعية (خاصة فيما يتعلّق بمسألة حقوق المرأة وحريتها) وأخذت الصحافة تصف علماء الدين بأنهم ضد التحضُّر والحريَّة وحقوق الانسان، ودعموا هذه الهجمة بتنفيذ سيناريو تظاهرة في (١٩٦٣/١/٧م) لإلقاء تبعة كلِّ التخلُّف والمآسي على عاتق (الرجعيين) ويقصدون بذلك الإسلاميين الذين هم - حسب ادّعاء النظام - يعارضون كلَّ عمل إصلاحي. وقد لعبت الصحف دوراً كبيراً في التمهيد لهذا الأمر الذي تم إحباطه في النهاية، كما أعلن العلماء أنه إذا ما واصلت الحكومة هذه الممارسات فسيقومون بإحياء الذكرى السنويّة للهجوم على مسجد گوهرشاد وقتل المسلمين فيه.

هوامش الفصل الاول:

١ـ الإمام علي (ع) يتصف بخاصيّة الجذب والدفع، جذبُه ودفعُه قويّان جداً، ولعلّنا لانجد ـ على مرّ العصور ـ قوة جذب ودفع لدى أحدٍ كما هي عند الإمام علي (ع). له أصدقاء وأتباع عجيبون، تاريخيّون، مضحّون، يعتبرون التضحية بأرواحهم من أجله من أهدافهم ومفاخرهم، وهم ينسون كلّ شيءٍ في حبّه، وعلى الرغم من مضيّ كلّ هذا الزمان على شهادة الإمام عليٍّ (ع) فمازالت قوّة جذبه تخيّم بظلالها على مواليه.. فقوى الجذب قد تكون أحياناً ذات بعد واحد، وأخرى ذات بعدين، وقد تكون ذات ثلاثة أبعاد، وهي عند الامام علي (ع) من النوع الأخير، فهي تجذب أكبر عدد من الناس، كما أنها لم تقتصر على قرن أو قرنين، بل ظلّت باقية على مرّ العصور، وتنامت وتوسّعت أكثر فاكثر، كما ترسّخت وتأصلت في القلوب، وهذا هو أقوى انواع الجذب. فلو لم يكن الامام علي (ع) رجلاً إلهياً لنُسي وأمّحى ذكره، مثل عليّ كمثل قوانين الفطرة الخالدة، إنه نبع فياض لا ينضب.

(جاذبه ودافعه علي «الجذب والدفع عند علي» للاستاذ الشهيد المطهري / ص ٢٩).

٢ـ مدرسة التشيُّع العلوي تقسم تأريخ البشرية إلى اربع مراحل:

المرحلة الأُولى مرحلة الرسالة والنبوة: وتبدأ منذ خلق آدم (ع) حتى التحاق خاتم الانبياء(ص) بالرفيق الاعلى.

والمرحلة الثانية: مرحلة الوصاية: وتبدأ منذ عهد الإمام علي (ع) وحتى نهاية الغيبة الصغرى، وخلال هذه المرحلة كانت القيادة في أيدي الأئمة الاثني عشر، وفي الأعوام التي كان فيها الإمام الثاني عشر في غيبته الصغرى، كان له أربعة نواب يسمّى كلٌّ منهم بـ«النائب الخاص» على اتصال مباشر به وهم يتولّون قيادة المسلمين.

والمرحلة الثالثة: مرحلة الغيبة الكبرى: تبدأ منذ بداية الغيبة الكبرى أي عام (٢٥٠) هجري قمري، ونهايتها مجهولة، وتختتم بظهور الإمام المهدي(عج).

والمرحلة الرابعة: مرحلة الظهور: حيث يقوم الإمام المهدي(عج) بثورة عالمية كبرى فيبسط العدل في المجتمع البشري، ويتولّى هو قيادة العالم أجمع.

(راجع كتاب: رَوِش علي «نهج علي» للسيد جلال الدين المدني).

٣ـ إنّ فكرة الانتصار النهائي لقوى الحق والعدالة على الباطل، وتوسُّع الإسلام عالمياً، وإحياء القيم الانسانية بشكل واسع وشامل، وإيجاد المدينة الفاضلة أو بالاحرى تنفيذ هذه الفكرة على يد شخصيّة مقدّسة عبّرت عنها الروايات الإسلاميّة بأنّها المهدي (عج) هذه الفكرة تؤمن بها جميع الفرق والمذاهب الإسلاميّة بشكل أو بآخر، ذلك أنّ لها أُسساً قرآنيّة، فالقرآن هو الذي بشّر بالنصر النهائي والاكيد للاسلام والصالحين على الظالمين والجبابرة، ووعد بمستقبل زاهر وسعيد للبشرية.

[يراجع كتاب «قيام وانقلاب مهدي از ديدگاه فلسفه تاريخ» (ثورة المهدي من وجهة نظر التاريخ والفلسفة) للشهيد المطهري].

٤ـ آية الله العظمى السيد حسين البروجردي، ينتهي نسبه إلى الإمام الحسن (ع). ولد في بروجرد عام ١٢٩٢هـ. ق وانتقل إلى اصفهان في الثامنة عشرة من عمره لإكمال دراسته. وبعد عشر سنوات ذهب إلى النجف الأشرف في العراق ليدرس على يد آية الله الخراساني، وبعد عودته إلى بروجرد بعدة سنوات انتقل إلى قم ليتولّى المرجعية حيث ظل مدة (١٦) عاماً مرجعاً عامّاً للمسلمين.

٥ـ لقد ساند آية الله البروجرديُّ الكاشانيَّ ودعمه عدة مرات، وخاصة عندما كان الكاشاني يتعرض لأخطار السجن أو النفي أو الإعدام؛ اذ كان يقوم ـ وبأساليبه الخاصة ـ بالاتصال بالنظام والعمل على التخفيف من هذه الأخطار. أمّا الحوزة العلمية في النجف وقم فلم تقف مكتوفة الأيدي حيال الإهانات التي وُجّهت إلى آية الله الكاشاني في أواخر عهد حكومة مصدق، بل قام العلماء في النجف وقم باتخاذ إجراءات جماعية في هذا السبيل، وخلال حوادث تأميم النفط أصدر آية الله محمد تقي الخونساري الذي كان من المراجع حكماً شرعياً قال فيه:

(.... إن أيّ إنسان ـ مهما كان غافلاً ـ يدرك أن تسليط الأجانب على النفط الذي هو عماد حياة هذه الأُمة، يدل على خفّة العقل، وعدم الاكتراث بالمجتمع، وعدم الالتزام بالتعاليم والواجبات الدينية، وعدم مراعاة مصلحة المجتمع. وعلى أيّ حال، فإن النبيّ يقول: (من أصبح ولم يهتم بأُمور المسلمين فليس بمسلم) فهل هناك مصداق للاهتمام بأُمور المسلمين أفضل من هذا، حيث يعاني ملايين المسلمين الذل والهوان والبؤس. ولو لم نكن قد فقدنا عواطفنا الانسانية لكنّا نبكي دماً، أمن اللائق أن يتجاهل الانسان هذا الموضوع المهم؟! إن مما يتنافى مع الضمير والوجدان أن يقول أحد إن ذلك ليس اهتماماً بأمور المسلمين، فإذا لم يشمل الحديث هذا الموضوع المهم، فما الذي يعنيه إذن؟ إن رفض هذا الحكم يعني رفض حديث رسول الله(ص)، لقد أُلقيت الحجّة علينا، خاصة وأن حضرة آية الله الكاشاني دامت بركاته، الذي هو المجتهد العادل والحريص الشهم، والمضحي من أجل دين الأُمة ودنياها، يقوم بكل جدّ بتوعية أبناء الأُمة، وهو بهذا يلقي الحجة على الجميع... الأحقر محمد تقي الخونساري).

أمّا آية الله الشاهرودي فقد أصدر هو الآخر فتوى في هذا الخصوص قال فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

(.. رداً على سؤالكم حول حكم الشرع والدين فيما يخص قطع أيدي الأجانب والخونة عن البلاد و(تأميم النفط في أرجاء البلاد) فإن من المعلوم والثابت ـ دون أدنى شك ـ أنّ كفّ أيدي الأجانب عن بلاد المسلمين وتأميم النفط في أرجاء البلاد، هو أمر واجب، وعلى كلّ مسلم العمل بجديّة في هذا الأمر الحيوي والمهم، خاصة وأن شخصاً كآية الله الكاشاني يقف في طليمة هذه النهضة المقدسة، وخصص كلّ أوقاته الشريفة للعمل على رفع الظلم والجور، وتوفير الراحة والسعادة للمسلمين، وهو يقف في طليعة المضحّين من أجل الشرع والاسلام والمجاهدين ضدّ الظلم. وهو العارف بأُمور البلاد وتفصيلاتها من خلال تحركاته ونشاطاته التي استمرّت سنوات طويلة وعلى المسلمين معرفة مكانته، والاستفادة من وجود أمثاله، وليست هناك أية شبهات من حيث الموازين الشرعيّة والدين الإسلامي المقدّس في الإقدام على تأميم صناعة النفط في كلّ أنحاء البلاد)... (الأحقر عباس علي الشاهرودي).

ويلاحَظ من الوثائق المرقّمة ٩و١٠و١١ في الصفحات ٥٨ و ٥٩ من كتاب (روحانيت ونهضت ملى شدن صنعت نفت) «موقف العلماء من قضية تأميم النفط ـ بالفارسية» أن الحوزات العلمية لم تلتزم الصمت المطبق حيال الشؤون السياسية، إلاّ أنها في نفس الوقت لم تقم بتحرّك هادر يتخذ من العلماء والحوزة محوراً له.

٦ـ وُلد الامام الخميني في مدينة خمين عام ١٣٢٠هـ. ق وكان أبوه آية الله السيد مصطفى قد تولّى الزعامة الدينية هناك، اثر عودته إلى مدينة خمين بعد اتمام دراسته في النجف الاشرف وقد قُتِل بأيدي الأشرار عندما كان في السابعة والأربعين من عمره، ولم يكن لابنه «روح الله الخميني» من العمر آنذاك أكثر من خمسة أشهر وعندما بلغ الإمام السادسة عشرة من العمر توفّيت امّه وعمّته.

تعلّم الإمام الخطّ على يد شخص اسمه حمزة المحلاتي، درس المقدمات على يد أخيه الكبير، بعدها انتقل إلى الحوزة العلمية في اصفهان لكن وجود آية الله الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي في أراك جعله ينتقل إلى هذه المدينة، وعندما انتقلت الحوزة

العلمية من أراك إلى قم عام (١٩٢١م) انتقل إليها الإمام وكان آنذاك طالباً شاباً حيث سكن في مدرسة دار الشفاء. وفي قم واصل دراسته، حتى نال درجة الاجتهاد وأصبح من المجتهدين البارزين. وقد برع الإمام في علوم أخرى كالفلسفة والحكمة والعرفان، فضلاً عن احتلاله منزلة مرموقة في الفقه.

وقد امتاز الإمام في هذه المرحلة بتهذيب النفس وبنائها وتربيتها على المفاهيم والقيم السامية. فلم يكن يفصل بين التحصيل العلمي واكتساب الفضائل الانسانية وبلوغ الدرجات الروحية، وقد خطا خطوات موفّقة في هذا الطريق.

إن المنزلة التي حظي بها الإمام لدى طلاب الحوزة وفضلائها قد نبعت من قوة تركيز الجوانب المعنويّة لديه قبل أن تنبع من منزلته العلميّة. إن تعمُّق الامام الخميني (رض) في العلوم العقلية؛ مكّنه من الرد ـ من موقعه في الحوزة العلمية في قم ـ على جميع الإشكالات والشبهات العقليّة التي كانت تُثار حول الاسلام. وقد تجلّى ذلك في كتابه (كشف الأسرار) الذي جاء ردّاً على أحد الكتب المنحرفة المضلّلة. وقد دفع ذلك الكثير من الفضلاء إلى دراسة العلوم العقليّة على يديه، معتبرين إيّاه الأُستاذ الوحيد في هذا المجال. وقد كانت الدروس الاخلاقيّة للإمام تستقطب محبيه من الفئات كافة، حيث كانت المدرسة الفيضيّة تكتظُّ بالناس في أوقات الدرس الذي كان يقيمه يومَي الخميس والجمعة. وعندما أراد الشرطة في عهد رضا شاه منع هذا الدرس ـ معتبرين انه مخالف لمصلحة النظام ـ قال الإمام حينها:

(إنَّ واجبي يحتِّم عليَّ إقامة هذا الاجتماع، فليأتِ الشرطة أنفسهم ويحولوا دون إقامته).

وقد بدأ الإمام الخميني بتدريس البحث الخارج في الفقه والأصول منذ عام ١٣٦٤هـ. ق أي عندما كان عمره (٤٤) عاماً، وقد أوجد بذلك مركزاً لتخريج المجتهدين المتبحرين، واحتلّ أعلى منزلة تدريسيّة في مجال العلوم الإسلاميّة، وكان له من التلامذة أمثال الشهيد الاستاذ المطهري، ممّن كانت قلوبهم تخفق شوقاً عند ذكر اسم الامام القائد (رض).

٧ـ يقول الإمام في كتابه (كشف الأسرار):

(... أحياناً تجب الحرب الدفاعية دون وجود إمام أو من يعيّنه، كأن يكون الشخص ضمن مجموعة تتعرض لهجوم من قبل العدوّ، أو أن يهاجم العدو بلاد المسلمين ويستولي عليها، أو يأسر أهلها المسلمين أو ينهب مالهم، وفي كلّ هذه الحالات يجب على الناس الدفاع عن بلادهم وأرواحهم وأموالهم ودخول الحرب ضد الأجانب).

٨ـ التوبة ٩ / ٣٦.

٩ـ البقرة ٢ / ١٩١.

١٠ـ البقرة ١/ ١٩٠.

١١ـ من أحاديث الرسول الاكرم (ص)، وسائل الشيعة / باب الجهاد / ج ١١/ص ٥/ ح ١ و ٢.

١٢ـ (بررسي وتحليلي از نهضت إمام خميني / ص ٨٤) نقلا عن (كشف الأسرار) ص ٢٨٩، وكلاهما باللُّغة الفارسية.

١٣ـ (بررسي وتحليلي از نهضت إمام خمينى / ص ٨٥) نقلا عن كشف الأسرار / ص ٢٢٣ ـ ٢٢٤.

١٤ـ في هذا العام تعرضت ايران لغزو الحلفاء (المترجم).

١٥ـ بررسي وتحليلي از نهضت امام خميني / ص ٩٦.

١٦ـ الكرّاس صدر بمناسبة ذكرى وفاة السيد علي الوزيري وهو شخصيّة علميّة من أهل يزد، عُرف بولعه في اقتناء الكتب ومطالعتها، وقد بلغت كتبه الآلاف مابين مخطوط ومطبوع (المترجم).

١٧ـ كتب الامام الخميني موضوعاً في كرّاس تكريم ذكرى السيد علي وزيري فيما يلي ترجمته:

بسم الله الرحمن الرحيم

(قال الله تعالى: «قل إنّما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى».

لقد أوضح الله سبحانه وتعالى في كلامه الشريف هذا كلّ شيء، من البدايات المظلمة للطبيعة وحتى نهاية المسيرة الانسانية، إنّها من أفضل المواعظ التي اختارها الله وقدّمها للبشر، هذا هو الطريق الوحيد لصلاح العالم، القيام لله هو الذي جعل من إبراهيم خليلاً لله وحرّره من كل قيود عالم الطبيعة... والقيام لله هو الذي مكّن موسى كليم الله من التغلّب على أعوان فرعون بضربة واحدة من عصاه، وبالقيام لله قضى خاتم الأنبياء على كلّ عادات الجاهليّة وتقاليدها وحطّم الأصنام في بيت الله، وأقام محلّها التوحيد والتقوى. إنّ حب الذات وترك القيام لله هما اللّذان أوصلانا إلى هذا اليوم الأسود، وسلّطا علينا العالم كلّه، وأخضعا الدول الإسلاميّة لهيمنة الآخرين.

ان القيام للنفس والمصالح الشخصيّة هو الذي قضى على روح الوحدة والأخوّة بين أبناء الأمة الإسلاميّة، وهو الذي فرّق عشرات الملايين من الشيعة بشكل أضحوا معه لقمة سائغة لمجموعة من عبّاد الشهوات.

إنّ القيام لأجل المصالح الشخصيّة هو الذي يمكّن شخصاً واحداً من السيطرة على عدّة ملايين من البشر، وإحراق الحرث والنسل بشهواته وأهوائه، وهو الذي يمكّن الآن مجموعة من الأطفال، من أبناء الشوارع، من السيطرة على أموال المسلمين ونفوسهم وأعراضهم في أرجاء هذا البلد.

والقيام للنفس الأمّارة بالسوء هو الذي جعل المدارس في قبضة حفنة من الصبيان السذّج، ومراكز العلم والقرآن تتحول إلى مراكز للفحشاء وهو الذي جعل الموقوفات والمحافل والمؤسسات الدينيّة في قبضة مجموعة من المتسكّعين عديمي الشرف؛ بينما لا ينبس احد امام كل هذا ببنت شفة.

والقيام للنفس هو الذي ساعد على نزع الحجاب من على رؤوس النساء المسلمات العفيفات، وهذا ما يحدث اليوم خلافاً للدين والقانون، ودون أن يواجه أيّ اعتراض.

والقيام للنفس هو الذي جعل الصحف ـ التي هي الآن أدوات إشاعة الفساد ـ تواصل تنفيذ تلك الخطط التي تفرزها العقول المتحجّرة.

والقيام للنفس هو الذي فسح المجال لبعض النواب غير الشرعيين في البرلمان ليتفوّهوا بما يريدون ضد الدين وعلمائه دون أن يردّ عليهم أحد.

أيّها العلماء الاسلاميون! أيها العلماء الربّانيون! أيّها المفكّرون المتدينون! أيّها الخطباء والمتحدّثون! إقرأوا الموعظة الإلهية، وآسلكوا طريق الصلاح الذي فتحتْهُ امامكم وآتركوا مصالحكم الخاصة لتنالوا بذلك سعادة الدارين، إحيوا حياة طاهرة شريفة لتفوزوا في الدارين. أليوم هو اليوم الذي هبّ فيه نسيم الروحانية الإلهية، وهذا هو أفضل يوم للنهضة الإصلاحية، فلو فرّطتم بهذه الفرصة ولم تقوموا لله ولم تتمكّنوا من إعادة المراسم الدينية، فسوف تسيطر عليكم غداً حفنة من المتسكّعين عبّاد الشهوات وتسخّر دينكم وشرفكم لتنفيذ مآربها الدنيئة. ما هي الذريعة التي تتذرّعون بها أمام الحكمة الإلهية؟! ولماذا كلُّ هذا الضعف الذي يسيطر عليكم؟!

أيّها السادة المحترمون الذين كتبتم هذه الصفحات وأوصلتموها إلى علماء البلاد وخطبائها! حريٌّ بكم اليوم أن تقوموا بتأليف كتاب يجمع الشمل ويسيّر الجميع معاً في طريق الأهداف الاسلاميّة، كان الأجدر بكم أخذ عهود ومواثيق من الجميع بالنهوض في أرجاء البلاد عندما يتعرض الدين لأية إهانة أو تعدٍّ. على الأقل تعلّموا من (...) فلو تعرّض أحدهم في قرية إلى أي أذىً، نهض الجميع لمساندته.. أيُّ عذر لكم عند الله!؟ فقد رأيتم جميعاً كيف قام

شخص تبريزي تافه بتأليف كتاب يحتوي على كل هذا التطاول على دينكم ومقدساتكم، ووجّه وهو في مركز التشيع كلّ هذه الإهانة للامام الصادق (ع) والامام المهدي المنتظر (عج) ومع ذلك لم تتفوّهوا بكلمة واحدة.

وعندما لم تنهضوا من أجل حقوقكم المشروعة نهض الظالمون، وبدأوا الهمس ضد الدين في كل مكان، وبهذه السرعة، تمكّن المفرّقون من السيطرة عليكم حتى اصبحت أوضاعكم أكثر سوءاً «ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله») .

روح الله الموسوي الخميني

(١١ جمادى الاولى ١٣٦٣ هـ . ق

كيهان / العدد ١٠٦١٣، ١٩٧٩/١/١٥م)

١٨ـ ظلّ تيمور بختيار يواصل جرائمه وإراقته للدماء وسلبه للحريات مدة عشر سنوات حتى ظهر في هذا التاريخ كمنافس لأميني، وبدأ يستعد لتولّي رئاسة الوزراء فقد كان يجري إظهاره للناس على أنه رجل السياسة الوطنية المحنّك، وقد كانت حصيلة هذا التنافس؛ الهجوم الذي تعرّضت له جامعة طهران في ١٩٦٢/١/٢١ والذي أسفر عن إصابة العديد من طلابها بجروح، وعقب ذلك ظلت الجامعة مغلقة حتى نهاية حكومة أميني. أما بختيار فقد هرب من إيران وظهر بعد عدة أعوام متلبّساً بلباس المعارضة للشاه حتى لقي مصرعه في العراق على أيدي المخابرات الشاهنشاهية.

١٩ ـ الحوزة العلميّة كانت تستدل على معارضتها لإعطاء المرأة حقّ الانتخاب والترشيح بأن المرأة الإيرانية كانت ـ كالرجل ـ محرومة من أبسط حقوقها الانسانية، والشاه خادم مطيع لامريكا وإعطاءه المرأة حق الانتخابات لا يتعدّى كونه خدعة يستهدف منها جرّ المرأة إلى الفساد. فتعيين عدة نساء في مجالس الولايات لا يداوي جرحاً. إذن فمعارضة هذه الفقرة لم تكن معارضة لحرية المرأة، بل هي معارضة لتوسيع رقعة الفساد الذي سعى الشاه دائماً إلى إشاعته وترسيخه، ولهذا فقد أوضح الإمام القائد في ذلك الوقت الأمر بقوله: (**نحن لا نعارض تقدُّم المرأة، بل نعارض الفحشاء، نعارض هذه الممارسات الخاطئة، فهل أعطوا الرجل الحريّة في هذا البلد لكي يدّعوا الآن إعطاءها للمرأة؟ وهل إنّ حريّة المرأة والرجل تتحقّق بالكلام فقط؟**).

٢٠ ـ بررسي وتحليلي از نهضت امام خمينى / ص ١٤٩ (باللغة الفارسية).

٢١ ـ بعث العلماء ـ كلاً على انفراد ـ ببرقيات إلى الشاه بلهجة ليّنة ممزوجة بالاحترام والنصح بحيث لا تحمل أيّة دلالة على بدء عملية مواجهة ضده. لكن جواب الشاه الذي جاء بعد أُسبوع، كان يحمل الكثير من النفاق والطعن، فهو **أوّلاً**: يلمّح من خلال مخاطبة العلماء بـ(حجّة الاسلام) إلى أنه لا يعترف بمرجعيّتهم، **وثانياً**: يهدف من عبارة (أتمنّى لحضرتكم التوفيق في توجيه وإرشاد العوام) إلى القول بأنّ واجبكم هو هداية العوام وإرشادهم، وليس التدخّل في الشؤون السياسية. **وثالثاً**: كان يريد من خلال عبارة (ألفت نظر حضرتكم إلى الظروف الحالية والوضع في باقي الدول الإسلاميّة) أن يقول للعلماء إنّهم رجعيون وبعيدون عمّا يدور في العالم، فلماذا يريدون إسلاماً غير ما هو موجود في البلدان الاسلامية؟ لنقرأ نص برقية الشاه الجوابية للعلماء وننعم النظر في عباراتها:

(من القصر الملكي في سعد آباد

إلى قم: حضرة حجة الاسلام.... دامت إفاضاته ـ وصلتنا برقيتكم ونحن نشكركم على دعائكم الخالص. إن بعض القوانين التي تصدر عن الحكومة هي ليست بالشيء الجديد، ونذكّر بأنّنا نسعى أكثر من غيرنا إلى الحفاظ على الشعائر الدينيّة. وسترسل البرقية المذكورة إلى الحكومة. وبالمناسبة نلفت نظركم إلى الظروف الحالية والوضع في باقي الدول الاسلامية في العالم. نرجو لكم

التوفيق في نشر الأحكام الإسلامية، وهداية أفكار العوام - ١٥ تشرين أول ١٩٦٢).

(راجع: (نهضة الشهرين لعلماء إيران) / (بالفارسية: نهضت دوماهه علماى ايران) علي دواني عام ١٩٦٢ - طبعة قم).

٢٢ - الخطيب الشيخ الفلسفي الذي كان يقوم آنذاك بإيصال أحاديث العلماء ونداءاتهم إلى الناس من خلال المنبر أجاب على حديث «علم» من على منبر مسجد أرك قائلاً:

(إنَّ دماء التحررين المسفوكة لم تجف بعدُ بينما نرى السيد علم يعطِّل المجلس التشريعي، ويعود ثانية الى عملية اتخاذ القرارات، ويسنّ القوانين داخل الغرف المغلقة.

إنه يريد إعادة عجلة الزمن إلى الوراء.. يريد هدم أركان الحركة الدستورية (المشروطة) وإعادة فرض سلطة الاقطاعيين واستبدادهم علينا، لكن على السيد علم أن يعلم أن عجلة الزمن لن تعود إلى الوراء، والحركة الدستورية لن تعود إلى المستبدّة، وقد أصبح هذا شعاراً يردِّده الشعب في تظاهراته).

(بررسي وتحليلي از نهضت امام خميني / ص ١٦٧).

٢٣ - «قائمقام الملك رفيع» عضو مجلس الشيوخ آنذاك، كما تولّى مهام المشرف على أمور الحج والأوقاف لفترة معيّنة (المترجم).

٢٤ - النص الكامل لجواب الإمام على رسالة أصحاب المهن كما ورد في الصفحة ١٧٧ من كتاب (بررسي وتحليلي از نهضت امام خميني).

٢٥ - ورد في جانب من هذا الجواب مايلي:

(إنّي وانطلاقاً من واجبي الشرعي أُحذِّر الشعب الإيراني ومسلمي العالم من أنَّ القرآن والإسلام معرَّضان للخطر، وأن استقلال البلاد واقتصادها هما في قبضة الصهيونية التي ظهرت في إيران باسم الحزب البهائي، ومع هذا السكوت القاتل للمسلمين؛ فلن يمضي وقت طويل حتى تهيمن الصهيونية - وبواسطة أذنابها - على اقتصاد هذا البلد بشكل كامل، وتقضي على أصالة هذا الشعب المسلم على الصُّعُد كافة).

(بررسي وتحليلي از نهضت امام خميني / ص ١٧٨).

٢٦ - نهضة الحرية أصدرت بياناً بعنوان (حول البيانات الأخيرة للعلماء الاعلام والمراجع العظام) أكدت فيه دعمها لنهضة العلماء وانتقدت الصحافة لعدم نشرها الأخبار المتعلّقة بالاحتجاجات. كما أدرج البيان مقاطع من عبارات العلماء التي خاطبوا بها الشاه والحكومة. وجاء في البيان:

(الأجدر بالسادة ان لا يحصروا احتجاجاتهم بموضوع انتخابات مجالس الولايات، وكذلك لا يلوّثوها بموضوع الإصلاح الزراعي الذي أصبح أُسلوباً تضليلياً ماكراً تستخدمه السلطة، بل إن الأفضل لهم أن ينظروا أبعد من ذلك، وأن يعالجوا مصدر كلِّ هذه المفاسد والانحرافات؛ ألا وهو استبداد الحكم الفردي، وبذلك يدافعون عن أحكام الشريعة والدستور المعطّلة، ويطالبون بإقامة الحكم الشعبي عن طريق الانتخابات الصحيحة).

وفي هذا البيان أكّدت (نهضة الحريّة) أن ما يطالب به العلماء الأعلام وغالبيّة الشعب المسلم لا يعتبر رجعيّة وعودة إلى الوراء أبداً. فهو ليس معارَضَةٌ للحرية ولا وقوفاً في وجه حقوق الشعب بما فيهم النساء والرجال، بل إنّنا جميعاً نطالب بالنظام البرلماني والحكومة الشرعيّة والحريات المشروعة. إن الدين الإسلاميّ والعلماء ليسا ضدّ المرأة - فالإسلام هو أوّل من أعطى للمرأة منزلتها المرموقة وحقّها في التملُّك والتصرُّف بممتلكاتها الخاصّة، والنبي الاكرم(ص) يقول: (**الجنّة تحت أقدام الأُمّهات**). إنّ اهتمام العلماء يتركّز على الأغراض الخفيّة لهذه المخططات. إن السادة يخشون أن يؤدّي جرُّ المرأة إلى ساحة المعترك

السياسي إلى سلب المرأة عفّتها ومنعها من أداء واجبها الطبيعي.

٢٧ ـ في بيان لآية الله السيّد أحمد الخونساري جاء ما يلي:

(منذ مدّة والسادة المراجع المحترمون والعلماء الأعلام «دامت بركاتهم» وعامة المسلمين يقومون ـ حبّاً منهم للخير، وحرصاً على مصلحة البلاد، وأداءً منهم للواجب الشرعي ـ بلفت نظر الحكومة إلى بعض الامور تحريريّا وشفهيّاً إلاّ أنه، وللاسف، لم تشاهَد أيّة استجابة من قبل المسؤولين، ولهذا، واتباعاً لسنّة الرسول الأكرم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بالتوجّه إلى الله تعالى بالدعاء، والتضرع إليه لحل مشاكل المسلمين فإن جماعة العلماء في طهران ستعقد يوم الخميس المصادف للأول من رجب مجلس دعاء، ونأمل من المؤمنين كافّة الحضور والمشاركة في الدعاء والابتهال إلى الله).

(الأحقر السيد أحمد الموسوي الخونساري)

٢٨ ـ أمّا آية الله البهبهاني، فقد أصدر بيانا جاء فيه:

(... إنّ قانون حكومة علم الأخير فيما يخصّ انتخابات مجالس الولايات، والذي يتعارض مع الشريعة الإسلاميّة والدستور، إنما هو دليل واضح على ارتكاب الحكومة اعمالاً منافية للقانون، كما يكشف عدم التزام الحكومة بمصلحة الشعب الإيراني المسلم وآماله.. وعلى هذا فإن علماء الدين مصممون على الوقوف في وجه هذه الممارسات قدر الإمكان).

(العبد محمد الموسوي البهبهاني)

٢٩ ـ نص البرقيّات التي بعث بها علم الى علماء قم كان كالآتي:

(من قصر رئاسة الوزراء الى حضرة آية الله...

ردّاً على برقيّة حضرتكم فيما يتعلّق بتوضيح أكثر حول موضوع قانون مجالس الولايات، أُعلن لحضرتكم بأن الموضوع وكما قلنا في البرقية المؤرخة (١٩٦٢/١١/٢٦م)، قد رُفع إلى الحكومة حيث صادقت على عدم تنفيذ القانون المؤرّخ (١٩٦٢/١٠/٥م).

رئيس الوزراء أسد الله علم

وبعد منتصف اللّيلة نفسها بربع ساعة بعث (علم) ببرقيتين إلى آية الله البهباني وآية الله الخونساري وطلب إليهما إلغاء مجلس الدعاء الذي كان مقرّراً عقده في اليوم التالي، كما كان عشرة من العلماء يعقدون اجتماعاً استمرّ حتى منتصف الليل بانتظار ردّ الحكومة، حيث قام هؤلاء العشرة ومعهم عماد تربتي مبعوث (علم) باستحصال طلب من أربعة من العلماء بـإلغاء مجلس الدعاء حيث جاء في الطلب: (بما أن حضرة السيد رئيس الوزراء أعلن أن الحكومة قد صادقت على عدم تنفيذ قانون انتخابات مجالس الولايات، لذا فإن اجتماع الخميس في الأول من شهر رجب... لا مبرّر له).

٣٠ ـ صحيفتا اطلاعات وكيهان ـ ١/ كانون الأول/ ١٩٦٢م.

٣١ ـ ٧ كانون الثاني مظاهرات أعدّ لها النظام تحت شعار: إعلان التأييد لما يسمى بالحريّات والتطوُّر والتحضُّر، وقد استهدفت الحكومة من ذلك إظهار العلماء وكأنّهم معارضون لكلّ ذلك (المترجم).

الفصل الثاني

الثورة البيضاء! وانتفاضة الشعب ضدها

القسم الاول

الهيمنة الأميركية تحت ستار ثورة الشاه

١ـ الشاه فارس الساحة بلا منازع:

نتناول في هذا الفصل مرحلة أصبح فيها الشاه ـ وبدعم من أميركا، وموافقة الاتحاد السوفيتي وبريطانيا ـ فارس الساحة السياسية الايرانية بلا منازع. فلم يكن في هذه الساحة حتى برلمان عميل، بل إن الشاه ــ ومن خلال أسد اللّه علم ــ كان يضع القوانين ويفرض على الشعب تنفيذها، ولكي يعطي الشاه أوامره وقوانينه صفة شعبيّة ويظهر حكومته أمام العالم بمظهر الحكومة الديمقراطية، أقدم على إجراء انتخابات عامّة في البلاد، وبما ان الشعب لم يكن يحمل نظرة طيّبة عن الانتخابات فقد قام الشاه بـإطلاق مصطلح آخر عليها وهو (المصادقة الشعبية) ثم سمّاها بـ(الثورة) لتمريغ هذا المصطلح الجميل في الوحل، ولإبعاد أية فكرة للثورة من أذهان الناس. وبما أن القائمين بهذه (الثورة)! والمساندين لها هم الشاه نفسه وحكومته، وقد خرجوا منها سالمين؛ فقد أضاف إليها صفة البياض وأطلق عليها اسم «الثورة البيضاء» لتميزها عن الثورة الحمراء.

هذه الإجراءات المضلِّلة التي تمّت بدعم من السياسة الاستعمارية؛ انطوت على أمر مهم، ألا وهو التصدّي للدين ومعتقداته ومقدساته، والسعي للقضاء على ما أسموه بـ(القيود الخرافية القديمة التي تكبّل الناس)! والتي كانوا يعتبرونها عقبة كأداء في طريقهم.

وفي قبال هذا التيّار، ظهرت في أوساط الحوزة الدينية ـ التي تراقب النهج السياسي للحكم البهلوي طيلة خمسين عاماً ــ شخصية بلغت منزلة المرجعية القوية التي لا يمكن اختراقها، هذه الشخصية كانت دائماً في الطليعة، ترشد وتقترح وتبادر في الوقت المطلوب.

وفي هذا الفصل، سنتطرق أيضاً إلى ظاهرة الوحدة والتلاحم بين أوساط الحوزة والعلماء في مواجهة النظام.

٢ـ استمرار النفوذ الاميركي:

تحدثنا فيما مضى عن سبب إصرار أميركا على تسلُّم علي أميني منصب رئاسة الوزراء، وكذلك إصرارها على إنجاز ما يسمى بـ(الاصلاح الزراعي) ، وعن سبب تولي الشاه مباشرة مسؤولية القيام بهذا (الاصلاح) وتكليفه به عبده المطيع (أسد الله علم).

ومن المؤكد أن الحكومة الاميركية وعبيدها من أمثال الشاه وعلم وأميني لم يكونوا يحرصون على مصلحة الشعب لكي يفكّروا في توفير الرفاهية والسعادة له، وكيف يحدث ذلك وهم الذين صادروا كلّ حقوق الشعب وحرموه حقَّه في تقرير مصيره؟!

لقد كانت الحكومة المستبدّة تستمدُّ قوّتها من القوى الخارجية، ولا تعرف في تعاملها مع الشعب غير منطق القوة والظلم، فأقل انتقاد للجهاز الدكتاتوري الحاكم او احتجاج ضدّه كان كافياً لأن يؤدِّي بصاحبه إلى زنزانات التعذيب. لكن الاستقرار والثبات والتظاهر عالمياً ومحلياً بعدم الاستبداد كانت أموراً ضروريّة للحكومة الدكتاتورية. وهذا الأمر يتمّ بالقيام بـإصلاحات شكليّة ترافقها حملات إعلاميّة واسعة لخداع عوام الناس.

إن أميركا كانت تريد البقاء في المنطقة، وكانت تعلم أن الفلاحين والعمّال هما الخطر الأكبر الذي يهدِّد مصالح الامبريالية في الدول الخاضعة لسيطرتها ولهذا كان لابدّ من القضاء على هذا الخطر من خلال القيام بمؤامرة (الاصلاح الزراعي)، ولعبة إشراك العمّال في عائدات المصانع، فضلاً عن القضاء على السنن والأعراف والقوى التي تحظى باحترام الشعب وتوجِّهه معنوياً وعلى رأسها القوّة الدينية، واستبدالها بظواهر وعناوين جذابة، كان من بينها إصلاح قانون الانتخابات. كما أن إلغاء نظام الطبقات المتمثّل في طبقتي الاقطاع والرعية كان بـإمكانه التخفيف من موجة التذمُّر والسخط الشعبيين، كما أن القيام بعمليّة استفتاء كفيلة بخداع الرأي العام[١]. وعلى أيّ حال فقد كان الغرض من القيام بالثورة الأميركية على يد الشاه ضد الشعب، هو إظهارها على أنها ثورة الشاه والشعب، وإظهار الشاه المستبدّ بمظهر البطل أمام الشعب.

٣ـ ثورة الشاه البيضاء:

ولإنجاز المهمة المكلَّف بها، قام الشاه بتاريخ (١٩٦٣/١/٩م) بـإعلان مشروعه (المبتكر!)

حيث قال: (... المبادئ التي أعرضها على الرأي العام باعتباري ملكاً للبلاد ورئيساً للسلطات الثلاث من أجل مصادقة الشعب عليها مباشرة ودون أية واسطة هي كالآتي:

١ـ إلغاء نظام الاقطاع والرعية أو المصادقة على بنود الاصلاح الزراعي على أساس لائحة تعديل قانون الإصلاح الزراعي التي صودق عليها في (١٩٦٢/١/٩م) وملحقاتها.

٢ـ المصادقة على لائحة قانون تأميم الغابات في أنحاء البلاد.

٣ـ المصادقة على لائحة قانون بيع أسهم المصانع الحكومية كدعم للاصلاح الزراعي.

٤ـ المصادقة على لائحة قانون إشراك العمال في أرباح الوحدات الإنتاجية والمصانع.

٥ـ لائحة تعديل قانون الانتخابات.

٦ـ لائحة قانون تشكيل (جيش العِلم) بهدف تنفيذ التعليم الاجباري العام.

وقد بادرت وكالات الأنباء وأجهزة الاعلام الغربية ـ التي كانت بانتظار هذا الإعلان ـ إلى تناقله مصحوباً بحملة ضجيج إعلامي كبير، وبدأت تتوقع إدلاء الغالبية العظمى من الناخبين بأصواتها بالايجاب في هذا الاستفتاء، وقد كان الوضع آنذاك حساساً جداً، وكان معارضو السلطة يبحثون عن طريق يرشدهم إلى اتخاذ موقف من ذلك، والعديد من السياسيين والاحزاب التي تدَّعي زعامتها للمعارضة قامت بمباحثات ومشاورات عديدة تمخّضت عن اعلانها لشعار معيَّن طُرح على أنه المنهج السياسي للمعارضة. هذا الشعار هو (نعم للاصلاحات... لا للدكتاتورية!)، حيث ملأوا به شوارع طهران، إضافة إلى يافطة علّقت فوق المدخل الرئيس لجامعة طهران.

القسم الثاني:

تحرُّك علماء الدين بدعمٍ شعبيٍّ

١ـ موقف علماء الدين من (ثورة الشاه البيضاء):

عمد علماء الدين ـ وقبل اتخاذ أيّ موقف ـ إلى التحقيق في مغزى اللّوائح الست التي قدّمها الشاه، ولهذا فقد التقى آية الله روح الله كمال وند ـ وهو من علماء خرّم آباد ـ بالشاه بعد اجتماعه بعلماء قم، وأبلغه معارضة علماء قم لما يُسمى بالإصلاحات والتي هي مخالفة للإسلام، لكن الشاه كان يعتبر بقاءه مرهوناً بعمليّة الاستفتاء التي فُرِضت عليه، كما أنه لم يكن يتوقّع ظهور شخصيّة بارزة في المؤسسة الدينيّة لتقف في وجهه، ولهذا فقد أبلغ آية الله كمال وند أن هذه المواد يجب أن تطبّق، وقال: إن لم أطبّق هذه المواد فسأنتهي، وسيتسلّم السلطة أُناس لا يؤمنون بكم ولا بنهجكم، بل سيهدمون هذه المساجد على رؤوسكم ويقضون عليكم.

وأضاف الشاه: اذا وافق علماء الدين على برنامجي الإصلاحي هذا ولم يضعوا العقبات في طريقه؛ فأنا أعدُهم بأنني سأُلبّي أيَّ طلب أو حاجة لهم فيما يخصُّ الحوزة! ثم شكا الشاه من العلماء وقال: عليهم أن يتعلّموا حبَّ الملك من علماء السنّة الذين يَدْعُون لملوكهم بعد كلِّ صلاة، لكن ما الذي يفعله علماؤنا!!؟ فردَّ كمال‌وند على الجزء الأخير من كلام الشاه بقوله: إن علماء السنة هم موظفون لدى الحكومة، ودعاؤهم لرؤسائهم وملوكهم هو جزء من واجباتهم الإدارية. أمّا علماء الشيعة فلم يكونوا في يوم من الأيام موظّفين لدى الحكومة أبداً. كما قال للشاه: إن الاستفتاء لم يرد ذكره في الدستور، وحكومة مصدِّق حوربت بسبب قيامها بعملية الاستفتاء. لكنّ الشاه ظل يسوّغ ذلك مدّعياً بأنه سيقوم بعمليّة (مصادقة شعبيّة) وليس استفتاء. وقد سارعت الصحف بعد ذلك إلى استخدام مصطلح (المصادقة الشعبية) بدل الاستفتاء.

أمّا آية الله العظمى الخميني فقد أوضح وجهة نظره حول عملية الاستفتاء أو المصادقة الشعبية على مبادئ ما سمّي بـ(الثورة البيضاء!) وذلك في ردّه على استفتاء جمع من المؤمنين، حيث سنرى كيف أن رأي الإمام القاطع وسوابقه الجهادية في ذلك العام وكذلك آراء باقي المراجع والعلماء التي كشفت نوعاً من الوحدة النسبيّة بين علماء الدين ، وسنرى كيف استطاعت كل هذه الآراء خلق مشاكل عديدة في طريق إجراء الاستفتاء فقد جاء جواب الإمام كالاتي:

بسم الله الرحمن الرحيم

لم أكن راغباً في أن يصل الموضوع إلى مرحلة إبداء رأينا مباشرة حول هذا الامر ولهذا فقد ذكّرت الشاه - ومن خلال السيد بهبودي - بالمصالح والمفاسد، وأدّيت بذلك واجبي، لكنه رفض ذلك، وأراني الآن مكلّفاً بالعمل وفقاً لواجبي الشرعي. ففي رأيي أن الاستفتاء الذي سمي بالمصادقة الشعبية تحاشياً لبعض الإشكالات؛ هو أمر مخالف لرأي علماء الدين والغالبية العظمى من الشعب فيما لو لم تستخدم أساليب الترغيب والترهيب. ولن أتطرق في هذا المجال المحدود إلى الجوانب الشرعية التي لا تعترف بأية قيمة للاستفتاء أو المصادقة الشعبية في مقابل الإسلام، ولا الى الإشكالات القانونية الرئيسية في هذه المصادقة، بل سأكتفي بالإشارة إلى بعض الإشكالات:

١- القوانين الإيرانية لم تنصّ على الاستفتاء ، ولم يحدث ذلك من قبل باستثناء مرّة واحدة، وقد أُعلن آنذاك ان ذلك يفتقد الشرعية ، بل إن الأذى لحق ببعض الاشخاص بسبب اشتراكهم فيه ممّا أدّى إلى حرمانهم من بعض الحقوق الاجتماعية، ولا ندري لماذا كان الاستفتاء عملاً غير قانوني آنذاك، وأصبح اليوم قانونياً.

٢- لاندري أي مسؤول له الحق في القيام بعملية الاستفتاء، فهذا أمر يجب أن يحدده الدستور.

٣- في البلدان التي يجيز قانونها الاستفتاء يجب أن تعطى فرصة كافية للشعب ليطّلع على المواد التي يجري الاستفتاء عليها، لدراستها ومناقشتها من خلال الصحف ووسائل الاعلام الأُخرى لتطرح آراء المؤيدين والمعارضين لها، لا أن يجري الاستفتاء بشكل مبهم وخلال أيام معدودة.

٤- الناخبون يجب أن يكونوا على قدر كافٍ من الاطلاع بحيث يدركون لأي شيءٍ يدلون بأصواتهم، وعلى هذا فلا أحد يملك الحق في الاشتراك في الاستفتاء على المواد الست ماعدا بعض أهالي المدن باعتبارهم يتمتّعون بقوة تشخيص كبيرة، وهؤلاء هم

معارضون لهذه المواد دون أي جدال.

٥ـ الإدلاء بالصوت يجب أن يتمّ في اجواء تسودها الحرية، ولا وجود فيها للضغط والترغيب والترهيب، وهذا الأمر غير موجود عملياً في إيران، فالمؤسسات الحكومية مارست ومازالت تمارس الإرهاب والمضايقة ضد غالبية الشعب وفي كلّ أرجاء البلاد.

وفي الاساس فإن الهدف من الاستفتاء؛ التعمية والتغطية على المخالفات القانونية التي يقوم بها المسؤولون والحيلولة دون متابعتها، وقد قام هؤلاء باستغفال حضرة الشاه وأظهروا له أنهم يقومون بهذا العمل من أجل النساء. فإن كان هؤلاء يريدون خدمة الشعب فلماذا لا يرجعون الى الاسلام وخبرائه ليطبقوا نظرياته وبرامجه، ويوفّروا الرفاهية لجميع الطبقات، ويجلبوا سعادة الدارين لهذا الشعب؟ لماذا يؤسسون الصندوق التعاوني؟ وهل في ذلك غير مصادرة حصيلة جهود المزارعين وأتعابهم؟ إن تأسيس هذا الصندوق سيقضي على البازار (السوق التجاري المركزي) وعلى جميع التجار والمزارعين. وستواجه جميع طبقات الشعب هذا المصير. فلو التزم الشعب الإيراني بأحكام الاسلام، وطالب الحكومات بتنفيذ النظام المالي الاسلامي بالاستعانة بعلماء الاسلام؛ لعاش حياة الرفاه والسعادة.

إن العلماء يستشعرون الخطر يداهم القرآن والدين، ويبدو أن هذا الاستفتاء الاجباري سيكون مقدمة للقضاء على المبادئ المتعلّقة بالدين، لقد أحسوا أن في قانون انتخابات مجالس الولايات خطراً على الإسلام والقرآن والبلاد، ويبدو أن الاعداء جاءوا بنفس مضمون ذلك القانون في شكل آخر، لينفِّذوه على أيدي مجموعة من الناس السذَّج المغفَّلين. إن واجب علماء الاسلام أن يحذّروا الشعب المسلم من أي خطر يواجه الإسلام والقرآن لئلاّ يكونوا مسؤولين أمام اللّه. أسأل اللّه تعالى أن يحفظ القرآن المجيد واستقلال البلاد).

روح اللّه الموسوي الخميني

٢ـ تظاهرات طهران في ١٩٦٣/١/٢٢م:

بيان آية اللّه الخميني(ره) القاضي بتحريم الاستفتاء؛ انتشر بسرعة في طهران وفي باقي المدن الإيرانية، فتحركت له الأمواج البشرية، وتعالت الصرخات والتنديدات بالاستفتاء المزيف المخالف للاسلام. (البازار) أقفل أبوابه، وجموع من الناس تحركت باتجاه منزل آية اللّه

الخونساري وطلبت منه الانضمام إلى التظاهرات الشعبية الإسلامية. كما تجمّعت السيول البشرية في شارع بوذرجمهري وتقاطع سيروس وسط طهران وكان في طليعة المتظاهرين جمع كبير من علماء الدين، واستمر المتظاهرون بـإطلاق شعاراتهم الاحتجاجية، أما آية اللّه البهباني فقد خرج لاستقبال المتظاهرين وفي مقدمتهم علماء الدين في تقاطع سيروس حيث تقاطر الناس على منزله وهناك خطب في الجماهير حجة الإسلام الفلسفي وأعلن اضراباً لمدة ثلاثة أيام احتجاجاً على الاستفتاء غير القانوني، كما قرئ بيان من قبل آية اللّه الخونساري، وآية اللّه البهباني، نصَّ على تحريم الاستفتاء، ودعا إلى تجمُّع شعبي كبير في مسجد السيد عزيز اللّه في (البازار) عصر ذلك اليوم.

وقد واجهت تظاهرات الجماهير عصر ذلك اليوم واجتماعهم في مسجد السيد عزيز اللّه مضايقات من قبل الشرطة والجيش، فكانت المنطقة الواقعة ما بين الجامعة والبازار ساحةً للصدامات والاشتباكات وقد تعرض آية اللّه الخونساري لهجوم واهانة من قبل أزلام النظام عندما كان في طريقه إلى المسجد، فأُجبر على العودة إلى البيت[٢]. كما لم يحضر آية اللّه البهباني إلى المسجد معتذراً بأن رئيس الشرطة قال له: اذا أردت الخروج إلى المسجد فعليك أن تعبر على جنازتي. أمـا المتظاهرون فقد تعرَّضوا لهجوم مرتزقة الشاه الذين قاموا بضرب الناس وإهانتهم، واعتقال أعداد كبيرة منهم لتهيئة الأجواء المناسبة لإجراء الاستفتاء.

٣ـ اجتماع العلماء في منزل آية اللّه الغروي والمقابلة الصحفية لعلم:

عصر يوم ١٩٦٣/١/٢٤ إجتمع علماء طهران في منزل آية اللّه الغروي لاتخاذ قرار جماعي ضد الاستفتاء، وبينما هم مشغولون بالبحث والمداولة، قامت قوات الأمن بمداهمة المنزل واعتقال من تمكنت من اعتقاله، وهكذا كشفت هذه الممارسات الوجه الحقيقي لـ(الثورة البيضاء). فقد قامت قوات الجيش في ذلك اليوم بمهاجمة جامعة طهران لقمع تظاهرات الطلبة المنددة بهذا الاستفتاء.

إن الشاه أراد القيام بـإصلاحات تظاهر بأنه يريد من خلالها مصلحة الشعب وتحقيق الرفاهية للعمال والفلاحين، لكنه واجه معارضة شديدة من قبل نفس هذا الشعب، والسبب واضح فالشعب لم يكن يرى في ادِّعاءات الشاه أية مصداقية، بل كان واضحاً لديه انه ينفّذ ما يرسمه له الأجانب، والشعب يرفض بشدة هذا التدخّل، فهو يحس بالخطر لأنه يعلم أن هذه الإصلاحات تخفي وراءها مؤامرة جديدة، وأن مبتكريها لا تهمُّهم مصالحه أبداً.

وقد اجرى رئيس الوزراء ـ أسد اللّه علم ـ مقابلة صحفية حاول من خلالها التقليل من أهمية

هذه المعارضة، والادّعاء بأنه يسيطر على الأوضاع. كما قال: (إن الحكومة ستقمع بشدة كلّ القوى المخربة!.. ولا بدّ أنكم سمعتم اليوم قيام بعض الاشخاص ببعض التحركات بالقرب من البازار، والحقيقة أنني لا أعلم جذور هذه التحركات ومصدرها).

٤ـ زيارة الشاه لقم في ٢٢ كانون الثاني ١٩٦٣م:

قرر الشاه القيام بنفسه بحسم الموقف مع العلماء وقم التي هي المركز الديني؛ فـإمّا أن يُوقِعَ بينهم ويشغلهم في مواجهات داخلية، ويدفع بعضهم إلى الانعزال والانزواء في دورهم، وإمّا أن يستخدم عنفاً أكثر لمنعهم من التعبير عن آرائهم. ولهذا قرر الذهاب إلى قم ليصوّر لباقي المدن أنه لقي استقبالاً حارّاً، وأنه لا صحة للتلاحم العلمائي في عملية المعارضة.

وهكذا، وعندما كان الناس يواصلون إضرابهم معلنين مقاطعة الاستفتاء، سارع رجال الأمن (الساواك) ومعهم القائمّقامية إلى إقامة أقواس النصر وتزيين الشوارع لاستقبال الشاه.

وفي ٢١ كانون الثاني أي قبل وصول الشاه إلى قم بيوم واحد، تظاهر أهالي قم وهتفوا بشعار: (نحن أتباع القرآن، لا نرضى بالاستفتاء)، ووزعوا بيانات العلماء وفتاواهم بخصوص تحريم الاستفتاء، وقاموا بمواجهة أزلام الشاه ومزّقوا صور الشاه، كما حطّموا مقرّ مفرزة للشرطة، ودمّروا قوس النصر الذي أُعِدّ لاستقبال الشاه، وهتفوا: (ليسقط الاستبداد فالاسلام منتصر). وفي المقابل هاجم عدد كبير من أفراد الجيش المدرسة الفيضية والعديد من المحال التجارية المغلقة، وأطلقوا من خلال مكبرات الصوت في أرجاء المدينة عبارة (يحيا الشاه) وكانوا يقولون: (من أراد أن لا يسلب متجره فليفتح بابه فوراً، وليعلّق عليه العلم الملكي)[٣]. وهكذا عملوا على فتح المحلات التجارية عنوة، وأعدُّوا المدينة لاستقبال الشاه، كما فرضوا رقابة شديدة على مداخل المدينة، ونشرت الصحف السائرة في ركاب النظام في نفس اليوم خبراً مفاده (أن مواجهة عنيفة حدثت بين المزارعين وعلماء الدين في قم، وأن علماء الدين طلبوا من الحكومة إعادة النظام والهدوء حيث بادرت الحكومة إلى اتخاذ الإجراءات اللاّزمة فوراً).

وتزامناً مع ذلك حضر قائمّقام قم اجتماعاً للعلماء وطلبة الحوزة، واقترح عليهم لقاء الشاه ومصارحته بموضوع إجراءات العنف التي اتخذتها الحكومة ضدهم، وطمأنهم إلى أن الشاه سيؤيّد العلماء. وكان المقصود من ذلك اطفاء طابع الجلال والهيبة على مراسم الاستقبال من خلال اشراك العلماء في استقبال الشاه، ولكن الإمام الخميني أجاب بأن الهجوم الوحشي لأزلام النظام على علماء طهران وأهاليها وتعاملهم السيّئ ضد أهالي قم والحوزة العلمية، وانتهاك حرمة

الحوزة المقدسة، كلّ هذه الممارسات لم تبقِ أي مجال للتفاهم والتفاوض مع الجهاز الحاكم، كما أنها أغلقت أي باب يؤدي إلى اللقاء بالشاه، وأصبح ذلك أمراً مستحيلاً الآ أن يقوم الشاه بإعلان مسؤولية السيد علم الكاملة عما جرى، وإقالته من منصبه، وإنهاء عملية الاعتقالات البوليسية، كخطوة عملية منه للتعويض عن الإهانة والاعتداء اللتين تعرضت لهما حرمة الحوزة المقدسة، وإذا ما حصل هذا، فسيكون الطريق مفتوحاً أمام لقاء مباشر مع الشاه [4].

وقد كان جواب الإمام من القوة بحيث لم يفسح مجالاً لطرح وجهة نظر أُخرى، بل إنّ باقي المراجع والعلماء من الدرجة الأُولى لم يكونوا يردّون على أي استفتاء او سؤال في هذا الخصوص قبل الاطلاع على رأي الامام. لكن ذلك لا يعني عدم وجود علماء لا يشاطرون الإمام الرأي، فقد كان بعضهم يرى أن موقف الامام لن يوصل إلى نتيجة طيبة لكن الموقع القيادي الذي احتله الإمام، سلب الباقين أية جرأة على الوقوف في وجهه أو طرح رأي معارض له.

المهم أنه قد تمت أخيراً تعبئة كل إمكانيات الدولة وأجهزتها من أجل الإعداد لاستقبال كبير للشاه في قم، كما قامت حافلات شركة (واحد) الكبيرة للنقل الداخلي، بنقل مجاميع كبيرة من المواطنين المرغمين من كل أطراف البلاد إلى قم الرافضة تماماً لهذه الزيارة، كما تمركزت القوات العسكرية في كل مكان، لكن أحداً من أهالي قم لم يغادر منزله في ذلك اليوم، ولم يشارك في الاستقبال، وقد شمل هذا الأمر حتى بعض المسؤولين التابعين للحكومة [5].

وما أن علم الشاه بعدم مجيء أيٍ من العلماء لاستقباله حتى ثارت ثائرته ولم يدخل الحرم. وفي خطابه الذي ألقاه قال: (اننا نلاحظ دائماً وجود مجموعة من الجهلاء، وتلك الفئة التي لم تتحرك عقولها بعدُ، تقوم بوضع العراقيل أمامنا، فعقول هؤلاء مازالت متحجِّرة وستبقى كذلك. إنَّ هذه الرجعية السوداء لا يمكن أن تفهم يوماً، فمنذ ألف عام لم تتطور عقولهم... لقدولّى عهد التطفل.... إن لائحة المواد الست، عالجت كل شيءٍ بما يناسبه، والقوانين التي وضعناها اليوم تعتبر في مستوى قوانين باقي الدول إن لم تكن أكثر منها تطوراً... ولكن من هم الذين يعارضون هذه القوانين؟ إنَّهم الرجعيون الذين لا يدركون شيئاً. إنهم يحملون النوايا السيئة، إن نوايا المخربين الحمر معروفة، وأنا أقلُ حقداً عليهم، إنهم يقولون علناً بأنّهم يريدون تسليم البلاد إلى الأجنبي، وهم صادقون في ذلك، لكن الرجعية السوداء هي التي أعنيها، هؤلاء هم أنفسهم الذين حرّضوا مجموعة صغيرة من التجار ليقوموا بتجمع مضحك لإثارة الضجيج في البازار، هؤلاء يتخذون من الحكومة المصرية قدوة لهم... عبد الناصر الذي يوجد لديه على الأقل خمسة عشر ألف سجين سياسي هو قدوتهم... لاحظوا جيداً إلى منطق هؤلاء السادة... إنهم أكثر خيانة من

حزب توده بمئة مرة) [٦].

هذا الخطاب، انقلب فيما بعد ضدّ الشاه نفسه، كما أن زيارته إلى قم التي تزامنت مع اقتراب موعد الانتخابات، لم تسفر عن أية نتيجة.

٥ـ إجراء الاستفتاء في ٢٦ كانون الثاني:

وأخيراً فقد أُجري الاستفتاء بالرغم من كل الاحتجاجات والاعتراضات والتظاهرات التي شملت مدن البلاد عامة والمقدّسة منها خاصة، فقد قال علماء الدين ما استطاعوا قوله للناس، والمساجد كانت مراكز إعلامية لمعارضي الاستفتاء الذين تم اعتقال العديد منهم، والمقاومة كانت عنيفة في بعض المناطق بحيث تحوَّلت إلى صدامات بين المتظاهرين وقوات الحكومة، أمّا الأبواق الإعلامية التابعة للسلطات الأمنية فقد سعت إلى ممارسة ضغوط شديدة على فئات مختلفة كالعمال والموظفين والعاملين في الشركات لدفعهم إلى الإدلاء بأصواتهم لصالح القوانين الجديدة.

ومع كلِّ ذلك فقد كانت مراكز الاقتراع خالية من الناس، لكن أجهزة إعلام النظام أعلنت بأن إقبال الناس على صناديق الاقتراع كان منقطع النظير، وأعلنت نتائج الاستفتاء على أنها خمسة ملايين وستمئة ألف صوتٍ مؤيدٍ مقابل أربعة آلاف ومئة وخمسين صوتاً معارضاً فقط، وبذلك فإن الإصلاحات المقترحة حازت على موافقة الشعب![٧].

وفور إعلان هذه النتائج بادر الرئيس الأميركي كندي إلى إرسال برقية تهنئة للشاه بهذا الانتصار جاء فيها (إنه لمن دواعي السرور أن نرى الغالبية العظمى من شعب إيران تمنح ثقتها وتأييدها لزعامة مقامكم العالي في نهجكم الذي يجسِّد إرادة هذا الشعب. ولاشك في أن هذا التأييد الشعبي المطلق سيكون سنداً قوياً للنهج القويم الذي اخترتموه، وسيزيد من عزمكم وأنتم تقودون بلدكم وتحققون الانتصار تلو الانتصار في عملية النضال من أجل تحسين أوضاع شعبكم).

أمّا السفير البريطاني فقد أبلغ أسد الله علم سرور ملكة بريطانيا وارتياحها لنتائج الاستفتاء، بينما اشاد راديو موسكو في براجه لنفس اليوم بهذه (الإصلاحات) واعتبر معارضيها من الرجعيين وعملاء الغرب! كما أشادت الصحف العالمية، بقسميها الشرقي والغربي بهذه (الاصلاحات) وتجاهلت تماماً موجة المعارضة والاحتجاج الداخلية[٨].

أمّا علماء الدين فانهم حينما واجهوا هذا الموقف من قبل الحكومة قرَّروا ــ باقتراح من الإمام

الخميني ـ الامتناع عن الذهاب الى المساجد، وإبقاءها مغلقة خلال شهر رمضان الذي بدأ بعد يوم من الاستفتاء، على أن يقوموا بتوضيح أسباب ذلك للعالم، وهكذا عاشت البلاد وضعاً غير عادي، وأغلقت المساجد أبوابها، وقاطع الخطباء المنابر، كما طلب من علماء النجف الأشرف الانضمام إلى هذه المقاطعة، لكن هذا الإضراب لم يستمر لأسباب عدة أهمها استخدام الحكومة لأسلوب التهديد والتطميع في طهران وباقي المدن، وهكذا فشل هذا الإجراء الجماعي الذي اتخذه علماء الدين. فقد عمل الشاه على استمالة بعضهم حيث ذهب في نفس الشهر إلى مسجد سبهسالار وتظاهر بالتحدث إلى طلبة العلوم الدينية، كما صعّد الشاه من جانب آخر حملاته الإعلامية ضد العلماء.

وفي المؤتمر الاقتصادي في (١٩٦٣/٢/٢٧م) كان الشاه يتكلّم وكأنّه محتم بالدستور، وكان كلامه موحياً بأن (إصلاحاته) لا تتنافى مع الدستور، وعلاوة على ذلك فقد بدأ بطرح مفهوم فصل الدين عن السياسة بينما قامت الصحف المرتبطة به بتحليل هذا المفهوم وتفسيره[٩].

لقد أراد الشاه أن يجعل علماء الاسلام كعلماء المسيحية، وقد حاول بشكل ضمني أن يرسّخ في أذهان العامّة بأن الغرب واميركا إنما حققوا التقدم لأنهم أخرجوا الدين من جميع شؤون الحياة، وأن على إيران أن تقوم بنفس الشيء، ولهذا فقد قال في خطابه الذي ألقاه في قاعدة «وحدتي» الجوية في دزفول، ردّاً على بيان علماء قم[١٠]: (إن ثورتنا الوطنية العظيمة تتقدم بسرعة دون إراقة دماء...)!!![١١]

اما الامام(ره) فانّه ألقى خطاباً في طلاب الحوزة العلمية قائلاً: (... **إستعدُّوا للموت.. للسجن والذهاب إلى الخدمة العسكرية... إستعدُّوا لتلقّي الأذى والإهانة... إستعدُّوا للمصائب التي ستواجهونها في سبيل الدفاع عن الإسلام والاستقلال... إستعدُّوا وآصمدوا «الذين قالوا ربُّنا اللّه ثمَّ استقاموا تتنزَّل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا»**). ولم يمضِ وقت طويل، حتى تحقَّق ما توقَّعه الإمام، إذ حدث الهجوم على المدرسة الفيضية وما تبع ذلك من حوادث.

القسم الثالث:

إعلان الحداد العام في عيد الربيع عام ١٩٦٣ والهجوم على الفيضية

١ـ عيد نوروز عام ١٩٦٣ وإعلان الحداد العام:

عيد نوروز عام ١٩٦٣م كان يختلف كثيراً عن أعياد الأعوام السابقة، إذ تشهد بداية كلِّ عام ـ طبقاً لعُرف إيراني قديم ـ تقاطر الناس على المناطق المقدسة للدعاء إلى الله تعالى بتحسين أحوالهم. ومدينة قم وهي من المدن المقدسة حيث تضم مرقد حضرة السيدة معصومة (فاطمة بنت الامام موسى بن جعفر) تشهد تقاطر الناس عليها للزيارة والدعاء. لكن تجمُّع الناس في قم ذلك العام كان بمثابة الاستمرار في المواجهة ضد نظام الشاه، وإعلان الدعم للمراجع، والحصول على التوجيهات والتعليمات منهم. ومع اقتراب عيد نوروز، أعدَّ الإمام الخميني كل مستلزمات توجيه ضربة قاضية لممارسات الشاه التي كان يعتبرها موجّهة من قبل أميركا والصهيونية. وفي عيد الفطر، ألقى الإمام الخميني أول خطاب له بعد الاستفتاء قال فيه:

(أيتُّها السادة المحترمون أينما كنتم، قفوا في وجه الأعمال المخالفة للشرع، لا تخافوا هذه الحراب الصدئة المتآكلة، فسرعان ما ستتحطم. إن الجهاز الحاكم لن يتمكن من الوقوف في وجه مطاليب شعب بهذه الحراب، بل سيهزم عاجلاً أم آجلاً... نحن لم نكن نرغب في وصول الأمر إلى هذا الحد. لماذا يبتعد ملك البلاد عن الشعب هكذا؟! لم نكن نرغب في أن تحدث كل هذه الفضائح والهزائم لقادة البلاد... فان منعوا عدداً من العلماء والخطباء عن الحديث من خلال إلقائهم في السجون، فإن بقية السادة العلماء سيتحدثون وينبّهون الشعب على الأمور، ترى هل يمكن قطع ألسن العلماء).

وبعد ذلك اقترح الامام (ره) على علماء قم تحويل عيد النوروز لهذا العام إلى حِداد عام، وهكذا انتشر هذا الموضوع في أرجاء البلاد من خلال النداءات والبيانات والرسائل التي بعث بها الامام الى أرجاء البلاد، فقد جاء في الرسائل التي بعث بها الى العلماء في باقي المدن مايلي:

١٦ شوال ١٣٨٢ هـ . ق

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرات العلماء الأعلام وحجج الاسلام دامت بركاتهم.

عظّم الله تعالى أُجوركم.

أنتم تعلمون بأن الجهاز الحاكم يبذل كلّ مساعيه من أجل هدم أحكام الاسلام الأساس، والقيام بممارسات تتنافى وتعاليم الاسلام، لهذا فإنني سأكون خلال عيد النوروز في حداد وتعزية لإمام العصر (عجل الله فرجه)، وسأقوم بتحذير الناس. لذا فالمرجو من حضرات السادة القيام بنفس هذا العمل لإطلاع الشعب المسلم على المصائب التي حلّت بالاسلام والمسلمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

روح الله الموسوي الخميني

وقد لقي اقتراح هذا العالم المجاهد الذي ظهر حديثاً على ساحة الجهاد ـ أي الامام ـ ترحيباً كبيراً من قبل الشعب، إذ كان اختباراً لمدى وحدة أبناء الشعب وتلاحمهم حيث كان الامر يتطلب تحويل الاحتفال بالعيد ـ الذي هو مظهر للبهجة والفرح منذ آلاف السنين ـ إلى عزاء وحداد، وتحويل بطاقات التهنئة إلى بطاقات تعزية ومواساة في المساجد والحسينيات والمنازل، واقامة العلماء مجالس العزاء بدلاً من مجالس الفرح والتهاني بالعيد. بينما يقوم الخطباء والوعاظ بلفْت أنظار الشعب إلى أن الحكومة القائمة آنذاك تشكّل خطراً على الاسلام، وهكذا غطى السواد معظم الجدران في الشوارع وأماكن الاجتماعات والمحافل العامة خاصة في مدينة قم، وعُلِّقت لافتات كُتب عليها: (لا عيد للمسلمين هذا العام) كما علّق الكثير من العلماء وطلبة العلوم الدينية قطعة قماش سوداء صغيرة على صدورهم تعبيراً عن الحزن والحداد، كما صدرت منشورات وبيانات جماعية وفردية من قبل علماء الدين في مختلف مدن البلاد.

ومع بدء العام الجديد كانت جموع الشعب تتقاطر على حرم السيّدة معصومة والصحن والمساجد المحيطة به، وبمجرّد إطفاء الأنوار برهة ـ وهو علامة انتهاء السنة وتحول الفصل ـ قام طلاب الحوزة بتوزيع كميات كبيرة من المنشورات السياسية ومن بينها، منشور (علماء الاسلام لاعيد لهم هذا العام) المعروف والذي تضمن عبارات شديدة ضد النظام الحاكم، فقد قال الامام

الخميني في هذا المنشور:

(إن الجهاز الحاكم قد اعتدى على أحكام الاسلام المقدسة وهو ينوي التطاول على أحكام القرآن الثابتة، فأعراض المسلمين معرضة اليوم للهتك، والهيئة الحاكمة المتجبرة تريد جلب الذل والعار للنساء العفيفات من خلال قراراتها وقوانينها المخالفة للشرع والدستور... إنها تريد سوق الفتاة الشابة ذات الثمانية عشر ربيعاً الى الخدمة العسكرية الاجبارية ومعسكرات الجنود، أي إن الحكم يريد سوق فتياتنا العفيفات إلى مراكز الفحشاء بقوة السلاح. إن الاجانب يستهدفون القرآن وعلماء الدين. وإن الأيدي القذرة لهؤلاء الأجانب تتعاون مع هذه الحكومات من أجل القضاء على القرآن وعلماء الدين، نحن نتعرض للهتك والسجن والاعدام خدمةً لمصالح وأهداف الاجانب من يهود أميركا وإسرائيل الذين يرون في الاسلام عقبة كبرى تعترض سبل تحقيق مصالحهم وأهدافهم المشؤومة، ولهذا فلا بدَّ من أن تزال هذه العقبة بأيدي الحكومات المستبدة. إن وجود هذا الجهاز الحاكم في السلطة مرهون بقدرته على إزالة هذه العقبة.

إنني أعلن هذا العيد عزاءً عاما لألفت فيه نظر المسلمين الى ما يحيق بالقرآن وبلد القرآن من مخاطر، وأُحذّر الجهاز الحاكم المتجبّر. إنني واللّه قلق من هذا الانقلاب الأسود. إن أجهزة الحكم تقوم - بسوء نية وسوء سلوك - بإعداد مقدمات هذا العمل، وإنني أرى أن الحل يكمن في إسقاط هذه الحكومة المستبدة بسبب مخالفتها لأحكام الاسلام وانتهاكها للدستور، لتحلَّ محلّها حكومة ملتزمة بأحكام الاسلام، وتعبّر عن طموحات الشعب الايراني وآماله. اللّهم إنّي قد أديت واجبي. أللّهم قد بلغت، ولئن بقيت على قيد الحياة، فسأؤدي واجبي القادم. اللّهم احفظ القرآن الكريم وأعراض المسلمين وشرفهم من شرِّ الأجانب.

(روح الله الموسوي الخميني)[١٢]

إن هذا البيان الذي صدر تزامناً مع الظروف التي سادت شهر آذار عام ١٩٦٣ كانت له دلالات عديدة، كما امتاز بدقّة طرح المسائل؛ بحيث أصبح منهاجاً للمرحلة القادمة من المواجهة؛

فأولاً: كان النظام قد عبّأ كل الطاقات الاعلامية لشن حملات واسعة بعد الاستفتاء في داخل البلاد وخارجها. حيث كان يُحكِم قبضته على جميع وسائل الإعلام، كما أن جهاز أمنه كان قد

عاود نشاطاته من جديد، إذ إن نفس موضوع صدور مثل هذا البيان من جانب الامام كان يعني تصميمه على مواصلة الجهاد مهما كانت نتائجه.

وثانياً: فان عبارات البيان تضمنت إشارة لموضوع القيادة، كما إنها حددت للامة واجبها الشرعي بكل وضوح وصراحة **(إنّي أُعلن هذا العيد عزاءً لجميع المسلمين)** ... **(إنّي أُحذِّر الجهاز الحاكم المتجبّر)** ... **(إنّي واللهِ قلق من هذا الانقلاب الأسود)**... **(إنّي أرى الحلَّ في ...)**... **(إنّي قد أدّيت واجبي...)** **(إن بقيت حياً فسأؤدي واجبي في المرحلة القادمة...)** فالذين لم يكونوا يدركون الأسس والمفاهيم الاسلامية لم يدركوا معنى هذه العبارات بدقّة، لم يكونوا يدركون بأن الذي أصدر هذا البيان إنّما يتحدث انطلاقاً من واجبه الشرعي والرسالي.

ثالثاً: مطالبة البيان باقتلاع جذور (الجهاز الحاكم) يعني أن المواجهة لا تقتصر على الحكومة فقط، بل أصبحت تستهدف النظام ككل، فالشاه قد تصدى شخصياً لإجراء الاستفتاء بتوجيه من اميركا ولم يضع الحكومة كواجهة له، كما إن خطاباته في كل أنحاء البلاد، وإطلاقه ألقاب الرجعية وأمثالها على معارضي الاستفتاء جعل عملية المعارضة تستهدف كيان النظام بأجمعه وليست الحكومة فقط. ولهذا نجد البيان يكرر عبارات مثل (الجهاز الحاكم) (الهيئة الحاكمة المتجبرة) (كيان الجهاز الحاكم) إشارة منه إلى توجيه الامة إلى مواجهة النظام ككل.

رابعاً: ان الإمام قد هاجم في بيانه ـ وبكل صراحة ـ الأجانب الذين يدعمون الحكومة ويدفعونها إلى العمل خلافاً للدين والحوزة بقوله: **(إنّنا نتعرض للهتك خدمة لمصالح يهود أميركا وإسرائيل... هذه العقبة يجب أن تزال بأيدي الأنظمة المستبدّة...)**.

خامساً: الملاحظ أن الإمام مزج في بيانه مفاهيم الدين والسياسة مع بعضها مزجاً تاماً، واعتبر تصدّيه للقيادة السياسية من أوليات واجبه الشرعي **(هذه الحكومة المستبدّة يجب إسقاطها بسبب انتهاكها للأحكام الإسلامية والدستور لتحل محلّها حكومة...)**.

هذا البيان اتصف بالثورية والصرامة بحيث أثار الرأي العام ضد الشاه ـ رغم كل الحملات الاعلامية التي قام بها النظام ـ مما اضطر الشاه ـ الذي وصل إلى ذروة غروره ـ إلى الدفاع عن نفسه ونفي ما جاء في البيان، فخلال زيارته لمشهد في ١٢ فروردين (١٩٦٣/٤/١م) تراجع في خطاب له ألقاه هناك عن مواقفه السابقة التي كان يكررها باستمرار، واعتبر ما جاء في البيان، كذباً محضاً وافتراءً وإشاعات مضحكة، وقال: إنَّ الفتيات يجب أن ينشغلن في أعمال المنزل وتربية الأبناء وواجبات الامومة... الخ.

•

٢ـ سبب الهجوم على المدرسة الفيضية[١٣]:

استطاع الشاه وحكومة علم أخيراً إجراء الاستفتاء الذي أرادته اميركا ، من خلال الاعتماد على قوة جهاز الأمن (الساواك)، وأصبح عليه الآن تهيئة أجواء مناسبة لبدء التنفيذ تحت مظلة المصادقة الشعبية على إصلاحاته، لكن الشعلة الجديدة التي توقّدت في قم المقدسة أضحت مشكلة كبرى سلبت الجهاز الحاكم الراحة، فأي مسألة من المسائل كانت كافية لأن تصبح ذريعة لتوقد نار الانتفاضة الجديدة، وتؤدي إلى صدور بيان جديد يلهب حماس الامة، ويقوّي روح المعارضة لديهم . هذه الاجراءات المدوية تكلّلت بأكبر مظهر للمعارضة عندما تحول عيد النوروز في ذلك العام إلى عزاء عمّ أرجاء البلاد.

لقد رأى الشاه نفسه أمام ظاهرة جديدة وقوة لم يعهدها من قبل، بحيث استطاعت تبديل سُنَّة تاريخية لهذا الشعب واتخذت منها حملة إعلامية موجهة ضد الشاه إذ سرعان ما توسعت هذه الظاهرة وانتشرت في كل أنحاء البلاد لتصبح مشكلة كبرى أمام النظام لا يمكن حلُّها بالمفاوضات والطرق السلمية، فهذه الشعلة كانت تتوقد أكثر فأكثر، والبيانات الصادرة تزداد لهجتها شدة كما زاد من تفاقم الأمر تزامن هذه الظاهرة مع عيد النوروز، حيث تتوافد عشرات الآلاف من الناس على قم المقدسة، وتشارك في حضور المجالس التي أُقيمت هناك.

وهكذا فقد فكّر النظام في القضاء على هذه الظاهرة من أساسها، فأعد العدة للهجوم على المدرسة الفيضية وما تبعها من حوادث في آذار ١٩٦٣، وذلك؛

أولاً: من أجل قمع علماء الدين وخاصة الشخصية الاولى من بينهم والذي برز على الساحة كشخصية مجاهدة ومعارضة.

ثانياً: التظاهر بأن هذا الهجوم تم تنفيذه من قبل أبناء الشعب وخاصة العمال والفلاحين منهم.

ثالثاً: إقناع الناس من خلال شنّ حملات إعلامية مكثفة بأن (أعداء التحضُّر والشعب ومعارضي الاستفتاء ـ كما يسمّيهم النظام ـ ليسوا في مأمن من الأخطار مهما كان الزي الذي يرتدونه).

٣ـ توافد مرتزقة الشاه على قم:

يقول مؤلف كتاب (بررسى وتحليلى أز نهضت امام خمينى):

(... في صباح اليوم الثاني من أيام السنة الايرانية ٢٢/ آذار/ ١٩٦٣م المصادف للخامس

والعشرين من شهر شوال عام ١٣٨٢هـ. ق، حيث ذكرى شهادة الإمام الصادق(ع)؛ تقاطرت على مدينة قم حافلات شركة (واحد) [١٤] حاملة أعداداً كبيرة من الركاب الذين لم يكن أحد يعرف هويتهم والهدف من مجيئهم، فقد تصوَّر الناس أن الحافلات والسيارات الاخرى العاملة على خط طهران ـ قم لم تكفِ لنقل جموع الناس المتوافدين على قم مما اضطر المسؤولين إلى الاستعانة بحافلات هذه الشركة، لكن الحقيقة هي أن ركّاب هذه الحافلات لم يكونوا غير أزلام الشاه وجلاوزته الذين جاءوا لإراقة الدماء الطاهرة للعلماء المجاهدين. بعد ذلك وصلت قم عشرات الشاحنات العسكرية حاملة أعداداً كبيرة من الجنود الحاملين للدروع والأسلحة الرشاشة الثقيلة، حيث قامت باستعراض في شوارع قم ثم عادت لتتمركز عند بوابات الحرم مقابل المدرسة الفيضية).

٤ـ محاولة الاخلال بمجلس الامام الخميني:

بعد أن تحول العيد إلى عزاء عام، أقام العلماء مجالس عزاء كبرى في بيوتهم. أمّا منزل الإمام فقد شهد احتشاد أكبر تجمع جماهيري اثر صدور بيان عنوانه (**علماء الدين لا عيد لهم هذا العام**) المشهور الذي أصدره، وعندما بدأت مراسم العزاء ـ وكان الحشد كبيراً ـ اعتلى أحد الخطباء المنبر، وشرع بالحديث عن جهاد الامام الصادق (ع) ضدّ الحكمين الاموي والعباسي، وربط البحث بأوضاع ايران والاعتداء الذي يقوم به الجهاز الحاكم على الاسلام، والحقوق العامة، وفجأة علا صوت أحدهم مصلِّياً على النبي وآله، ولم تكن هذه الصلاة في محلّها مما أثار شكوكاً حول نية هذا الشخص الذي قطع حديث الخطيب، فقام بعض الاشخاص بإبلاغ الإمام ـ الذي كان في احدى غرف المنزل ـ، بهذا الأمر، حيث جاء بنفسه إلى داخل المجلس، واستطاع الخطيب مواصلة البحث، وما ان بدأ بالتطرق لممارسات الحكومة حتى تكررت الصلاة على النبي في غير محلّها وأدت إلى قطع حديث الخطيب ثانية. مما حدا بالامام إلى أن يستدعي أحد طلبة العلوم الدينية (وهو الشيخ صادق الخلخالي) ويبلغه أوامره، حيث قام الطالب المذكور بإعلانها على الحشد الجماهيري بقوله: (.. إنَّ آية اللّه يقول: **إنِّي أُحذر الذين جاءوا الى هنا للإخلال بالمجلس وإيجاد الضجيج فيه بأنهم اذا كرَّروا هذه التصرُّفات المغرضة التي تؤدي إلى إرباك الوضع والإخلال بالمجلس لمنع وصول حديث السادة الخطباء إلى أسماع الناس، فسأتوجه فوراً إلى الصحن المطهّر والتي بجانب مرقد حضرة السيدة معصومة(ع) الخطاب اللازم على أسماع الجماهير**). وبذلك كفّ هؤلاء عن أعمالهم وعاد

الهدوء إلى المجلس.

٥ـ الهجوم على مجلس العزاء في المدرسة الفيضية:

عصر ٢٣ آذار عام ١٩٦٣م أقيم مجلس عزاء في المدرسة الفيضية حيث احتشدت الجماهير من الطبقات والفئات كافة بينما كان جلاوزة الأمن يحاصرون المنطقة... ألأوضاع كانت تبدو غير طبيعية... وجوه غريبة كانت تُرى لأول مرة في حرم المدرسة ومسجدها، وتحرُّك رجال الأمن كان يوحي بأنهم يبيِّتون أمراً ما.

اعتلى الخطيب المنبر وبدأ بالحديث عن الإمام الصادق(ع) وجهاده وقال: إن الحوزة العلمية في قم هي بمثابة جامعة الإمام الصادق، وإن عليها أن تقوم بواجبها في حماية أحكام الاسلام واستقلال البلاد وفجأة، رفع عدد من الحاضرين أصواتهم بالصلاة على محمد و آله دون أن تكون هناك مناسبة لذلك، مما تعذّر على الخطيب مواصلة حديثة فطلب إلى الناس عدم الصلاة في غير محلها، وحينذاك إحتج احد علماء الدين الحاضرين على من حوله ممن يرفعون أصواتهم بالصلاة على محمد(ص) في غير محلها، لكنه تعرض لضرب واعتداء أزلام النظام المتوزّعين في أماكن متعددة في المجلس. وقد سعى الخطيب إلى تهدئة الوضع عبر إلقائه بعض الطرائف. لكنه أدرك أن الوضع هو أخطر مما يتصور وأعقد، إذ إن عملية التشويش عل حديثه استمرت دون انقطاع، عندها صاح في الحاضرين بأعلى صوته (أيتُها الناس! أيتُها المسلمون! يا من قطعتم مئات الفراسخ من الطريق لتأتوا إلى هذه المدينة المقدسة! عندما تعودون إلى مدنكم ودياركم أبلغوا الجميع بأن السلطة لا تسمح لعلماء الدين بالحديث عن رئيس المذهب الجعفري...) لكن صيحات الصلاة على محمد(ص) تعالت بشكل كبير وأصبح متعذراً على الخطيب مواصلة حديثه، فتقدّم أحد أزلام النظام من المنبر وصاح: (إلى روح فقيدنا الشاه رضا الكبير...!) لكن أسلاك الميكرفون قطعت وصرخ جمع من الحاضرين في وجهه: إخرس!. وهكذا انقلب المجلس رأساً على عقب، فهرب بعض الحاضرين بينما كان بعضهم الآخر يصيح باعلى صوته لكن الغالبية أصيبت بالدهشة وهي ترى الهجوم والفرار.

وقد أدّى تهافت الجماهير على باب المدرسة للخروج منها إلى عرقلة عملية الفرار، ولم يمض وقت طويل حتى خلت المدرسة من الحاضرين إلاّ من طلبة العلوم الدينية وأزلام النظام الذين كانوا يتنكَّرون بملابس المزارعين لكن شعورهم كانت مصففة على النمط الغربي! وكان عددهم يقارب الألف شخص وهم يهتفون (يحيا الشاه) تزامناً مع هجومهم على الطلبة. أمّا طلبة المدرسة

الذين آثروا ضبط النفس حتى ذلك الحين فقد نهضوا للدفاع عن أنفسهم، وتحصّنوا في الطابق الثاني، وكانوا يقتلعون القضبان الحديدية من سياج الطابق الثاني ويرمونها ـ ومعها الطابوق ـ على رؤوس أزلام النظام. عند ذاك تغيّر الوضع إذ دخلت قوات الشرطة بلباسها الرسمي إلى ساحة المعركة لتلتحق ـ ومعها قوات الأمن التي كانت على أهبة الاستعداد خارج المدرسة ـ بجلاوزة الأمن المتنكّرين بلباس المزارعين في داخل المدرسة وليحوّلوا المدرسة الفيضية إلى ميدان قتال. إذ بدأ إطلاق الرصاص، ورمي بعدد من الطلاّب من اعلى سقف المدرسة الى الأرض.

وأمام المدرسة وقف آلاف الناس يشاهدون هذا الهجوم الوحشي، بينما قامت قوات النظام بتفريقهم بالغازات المسيلة للدموع وحراب البنادق خوفاً من هجومهم على قوات النظام التي توزعت على مجموعات تضم كل مجموعة (٥ ـ ٦) أشخاص، قامت بمهاجمة غرف الطلاّب وارتكبت جرائم قلّ نظيرها، وأخيراً قام أزلام النظام بـإحراق ملابس الطلاب واشياءهم وممتلكاتهم الشخصية وسط ساحة المدرسة. وعندما حلّ الظلام، انسحب أزلام السلطة وهم مسرورون بعدما تركوا وراءهم عدداً كبيراً من القتلى والجرحى، وفي اليوم التالي عاودوا الهجوم على المدرسة وجرحوا عدداً آخر من الطلاب.

وتزامناً مع هذه الحادثة، تعرضت (المدرسة الطالبية) في تبريز لهجوم أزلام النظام بسبب إلصاق منشور الإمام الخميني على حائطها، وقد أدّى استخدام المهاجمين للسكاكين والرصاص في الهجوم إلى وقوع إصابات كثيرة بين الطلاب، هذه الممارسات زادت شيئاً فشيئاً من سخط الرأي العام على النظام، كما زادت في نفس الوقت من عزم علماء الدين على مواصلة الجهاد وعزّزت من قاعدة الامام الخميني الجماهيرية ومركزيّته.

وبعد فاجعة الفيضيّة قال مجرم البلاط البهلوي (أسد اللّه علم) في مقابلة اجريت معه: (علماء الدين المعارضون للإصلاح الزراعي تشاجروا مع الفلاحين الذين توافدوا على قم للزيارة مما أدّى إلى مقتل أحد الفلاحين).

أما الصحف السائرة في ركاب النظام فقد تحدثت كلُّها عن تعرُّض علماء الدين لهجوم من قبل الفلاحين ومقتل أحد الفلاحين دون أن تذكر اسم هذا (الفلاح) ومن أيّة قرية هو.

٦ـ تأثير حادثة الفيضية في المجتمع:

لم يكن بالإمكان التعتيم على فاجعة الفيضية، فهي لم تقع في زنزانة معزولة كي يمكن إنكارها، بل وقعت أمام أنظار الآلاف من الزوار وأهالي مدينة قم، كما تناقلتها الألسن بسرعة

فائقة.

لم يكن بالإمكان تسويغ الهجوم على مدرسة دينية، ولهذا فإن الخبر انتشر بسرعة كبيرة ووصل إلى أعماق القرى، وتسبب في فضيحة كبيرة للحكومة التي كانت على وشك تنفيذ ما يسمى بالثورة البيضاء. فقد سيطر الخوف على الناس، وتصوَّروا أن عهد (رضا شاه) قد عاد مرة أخرى وأنه لا فائدة من مواصلة الجهاد، بعدها قارنوا حادثة الفيضية بحادثة الهجوم على مسجد (گوهرشاد) في عهد الدكتاتور رضا شاه. وهكذا قبع بعض علماء الدين في بيوتهم، كما سيطر القلق والاضطراب على مجموعة أُخرى منهم. وفي المدن أُشيع بأن حظر التجول فُرض على علماء الدين في قم وطهران. ورغم شدّة عنف حادثة الفيضية فإن النظام حاول استغلالها في إخماد أصوات علماء الدين وعزلهم لمدة طويلة [١٥].

٧ـ الامام يبدي رد فعل سريعاً حيال حادثة الفيضية:

عصر يوم ١٩٦٣/٣/٢٢م كان منزل الإمام الخميني مركزاً لتجمُّع أعداد كبيرة من العلماء المجاهدين والناس. فمنذ الوهلة الاولى لوقوع حادثة الفيضية، لعب الإمام دور القائد الجدير، فامتنع عن إغلاق باب منزله بالرغم من تردُّد إشاعات باحتمال هجوم أزلام النظام عليه، وبقي هو بين الجموع فكان يشدُّ من عزمهم ويشحذ هممهم، حتى أنه قرر التوجُّه إلى الفيضية. إذ كان يقول: (لأذهب وأنظر ماذا حلَّ بتلاميذنا) في الوقت الذي كان بعض الناس يظن أن علماء الدين قد هُزِموا ، كان الإمام يرى في ذلك نصراً لهم، وكان يقدِّم لأتباعه درساً عملياً في المقاومة والشجاعة، في تلك الساعات الملتهبة، خطب الإمام وقال:

(لا تتألموا، أبعدوا الخوف عنكم، فأنتم أتباع شخصيات عُرفت بالصبر والاستقامة في مواجهة المصائب، ومانراه اليوم من مصائب أقل بكثير مما رأى أُولئك. لقد واجه أئمّتنا وقدوتنا مصائب عظيمة كعاشوراء وليلة الحادي عشر من المحرم... ما الذي تخافونه اليوم؟ إن من يدّعي اتّباع الإمام علي(ع) والإمام الحسين(ع) لا يليق به التراجع والتخاذل أمام هذه الممارسات المخزية التي يمارسها النظام. لقد فضح النظام ـ بارتكابه هذه الجريمة ـ نفسه أكثر فاكثر .. لقد جعل أمر سقوطه حتمياً.. لقد انتصرنا نحن، كنا ندعو الله أن يكشف هذا النظامُ عن حقيقته ويفضح نفسه.. إن واجبنا هو إعداد أنفسنا لكلِّ هذه الحوادث لنتمكن من قطع أيدي خونة الاسلام).

(بررسى وتحليلى أز نهضت امام خمينى / ص ٣٥٨)

وقد تركت أحاديث الامام الخميني، والدروس العملية التي قدَّمها؛ آثارها على كلِّ الذين اتَّصل بهم أو أوصل إليهم صوته، كما أمر الإمام بنقل الجرحى إلى المستشفيات وتوفير كلِّ مستلزمات الراحة والعلاج لهم. وفي اليوم التالي شهد منزل الإمام تجمُّعاً علمائياً وجماهيرياً كبيراً حيث سعى هو لإطلاع الجمهور على جريمة أزلام الشاه وفضح ممارسات النظام. بعد ذلك كانت سيول الجماهير تتدفق على المدرسة الفيضية والمستشفيات لمشاهدة آثار الجريمة، ممّا كان له أكبر الأثر في إثارة مشاعر الناس وأحاسيسهم، وتأجيج غضبهم ضد الشاه، ولم تنفع كل جهود أزلام النظام في محو آثار الجريمة وغسل جدران المدرسة من الدماء، مما اضطرهم إلى محاصرة المدرسة ومنع غير علماء الدين من دخولها.

وحيال ذلك أصدر الإمام بيانه الشهير المعنون (**الولاء للشاه يعني النهب**) وأصدر فتواه التاريخية القائلة بأن: (**التقية حرام، وكشف الحقيقة واجب ولو بلغ ما بلغ**). فقد كان الكثير من طلاب الراحة يشيعون مصطلح التقية و(حرمة الإضرار بالنفس) لحضّ الناس على السكوت وغضِّ الطرف عما يحدث، لكن الامام بشجاعته المعهودة انتزع هذه الحربة من أيديهم عبر هذه الفتوى الجريئة التي سرعان ما انتشرت وترسخت في نفوس أبناء الشعب في شتى أرجاء البلاد، مما سدَّ الطريق أمام لعب العناصر المشبوهة، ووضع الامة وجهاً لوجه مع الحقائق بعد أن اعتبر من واجباتهم فضح وإشاعة وتوضيح خطر نظام الشاه على الاسلام واستقلال البلاد.

لقد كانت هذه الفتوى من أكثر الأمور تأثيراً على الأمة خاصة علماء الدين منهم، فقد بعثت فيهم حركة وحماساً قل نظيرهما، ورسخت في أذهانهم فكرة الرفض القاطع لأية مساومة ورضوخ وتراجع، فقد أعلن الامام بصراحة قائلا: (**مادام القلم في يدي فسأكشف للشعب كله الممارسات المنافية لمصالح البلاد**) وقد جاء في بيان الامام ما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّا لله وإنّا إليه راجعون..

حضرات العلماء الأعلام واصحاب السماحة.

نشكركم على برقية التعزية بالفاجعة العظيمة التي حلت بالإسلام والمسلمين. إن هجوم الكوماندوز وأزلام النظام المتنكِّرين بلباس الناس العادين - وبدعم من الشرطة - على مركز علماء الدين قد أعاد إلى الأذهان هجوم المغول. لقد هاجموا مركز الإمام الصادق ومركز أبنائه بشعار «يحيا الشاه» فرموا بالشباب ذوي الست عشرة او السبع عشرة عاماً من فوق السطح، ومزقوا الكتب والمصاحف.

إن الطلبة وعلماء الدين لا يأمنون على حياتهم اليوم في هذه المدينة الدينية، وأزلام النظام يهددون بمهاجمة باقي المدارس على غرار مهاجمة الفيضية. إن هؤلاء يعتدون على حرمة المقدسات تحت شعار الولاء للشاه، فالولاء للشاه يعني عندهم الهجوم والنهب، وانتهاك حرمة الاسلام، والاعتداء على حقوق المسلمين وعلى مراكز العلم والمعرفة.

إن الولاء للشاه يعني توجيه ضربة إلى القرآن والإسلام، والقضاء على معالم الدين.

ألولاء للشاه يعني القضاء على العلماء ومعالم الرسالة. إن أصول الاسلام ومبادئه معرضة للخطر، وان الخطر محدق بالقرآن والاسلام، وفي ظل هذا الوضع فإن التقية حرام، وكشف الحقائق واجب، ولو بلغ ما بلغ.

نحن نجد الآن شخصاً يتمتع بصلاحية القيادة والحكم لكي نشكو إليه، وإدارة البلاد تتم بشكل جنوني. إنّي وباسم الشعب أسأل السيد علم الذي يحتل منصب رئيس الوزراء: بأي مسوِّغ قانوني أمرتَ بمهاجمة البازار (السوق المركزي) والاعتداء على العلماء والطلاب قبل شهرين؟ بأي مسوِّغ قانوني قمتَ باعتقال العلماء وباقي فئات الشعب حيث مازالت أعداد كبيرة منهم في السجون؟ من الذي أجاز لك إنفاق أموال البلاد على إجراء الاستفتاء الذي يخص شخص الشاه وهو ـ ولله الحمد ـ من أغنى البشر!!؟ بأي مسوِّغ قانوني هاجمتَ البازار في قم، وأمرتَ بضرب طلبة العلوم الدينيّة واعتقالهم؟ بأي مسوِّغ قانوني أمرتَ رجال الكوماندوز والشرطة المتنكرين بلباس الناس العاديين بالهجوم على المدرسة الفيضية في يوم وفاة الإمام الصادق (عليه السلام) حيث ارتكبوا كل هذه الجرائم؟ إنني الآن أُعِدُّ صدري لتلقّي طعنات حراب أزلامك لكني لن أرضخ أبداً لمنطق القوة الذي تمارسه.

(روح الله الموسوي الخميني):

والخلاصة فإن حادثة الفيضية قد وضحت معالم شخصية القائد أكثر فأكثر، ورسمت بوضوح طريق المستقبل.

٨ـ الدعوة الى الهجرة وتهديد الشاه:

بعد انتشار أخبار هذه الحوادث والموقف الذي اتخذته الحكومة حيال علماء الدين والذي بلغ ذروته في فاجعة الفيضية، دعا آية الله السيد محسن الحكيم ـ وهو من مراجع الشيعة المقيمين في النجف ـ دعا علماء قم للهجرة إلى العراق، لكن الحكومة اطلعت على نص برقية الدعوة قبل

أن تصل الى العلماء حيث قامت بتدارسها لاتخاذ الموقف بشأنها، فكلّفت رؤساء الشرطة والأمن (الساواك) في قم - إضافة إلى قائمّقام المدينة - بإبلاغ رسالة من الشاه إلى الامام الخميني. لكن الامام رفض استقبالهم بعد أن علم بأنهم يحملون رسالة من الشاه، ولم يعبأ لتهديداتهم، ممّا حدا بهم للذهاب إلى أحد المراجع وإبلاغه بأن برقية آية اللّه الحكيم ستصلهم فإن قرروا الاستجابة لها فإن الحكومة على استعداد لتوفير كلّ تسهيلات الهجرة ومستلزماتها لهم، أما لو أرادوا اتخاذ البرقية ذريعة لافتعال ضجّة؛ فإن الحكومة ستحرِّض النساء والكوماندوز على مهاجمة منازل العلماء في كلّ مكان، وستقوم الحكومة بكذا وكذا.. إلخ، كما أكدوا بأن هذه الرسالة هي من الشاه وأنه جادٌّ في ما يقول.

وفي اليوم التالي وصلت برقية آية اللّه الحكيم الى من أُرسِلت اليهم لكن علماء قم رفضوا تلبية هذه الدعوة. وقام الامام بإرسال برقية الى النجف الاشرف موضحاً أسباب عدم الاستجابة كالآتي:

(١٧ ذي القعدة - ١٣٤٢/١/٢٣هـ.ش - ١٩٦٣/٤/١٢م .

النجف - حضرة آية اللّه الحكيم (دامت بركاته)

نشكركم على برقيتكم وتعازيكم بالفاجعة الكبيرة، نأمل أن يعمل علماء الاسلام ومراجع العصر كثَّر اللّه أمثالهم - وعبر وحدتهم - على صيانة استقلال البلاد، وقطع أيدي الاجانب، والدفاع عن حرمة الاسلام والقرآن الكريم، وان لا يدعوا يد الخيانة تمتد إلى أحكام الإسلام الثابتة. إنَّنا نعتقد بأن هجرة المراجع والعلماء الاعلام - أعلى اللّه كلمتهم - ستعرّض مركز التشيُّع الكبير إلى الانهيار وتجرُّه إلى أحضان الكفر والزندقة، وسيتعرض الاعزّاء إخوتنا في الإيمان إلى الاذى والعذاب الأليم.

إننا ندرك أن هذه الهجرة ستؤدّي إلى تغييرات وتطورات كبيرة تثير بالغ قلقنا. نحن الآن وسط هذه النار المحرقة، ونحن نصبر بالرغم من الأخطار المحدقة بنا دفاعاً عن حقوق الإسلام والمسلمين وحرمة القرآن واستقلال البلاد، وسنعمل على صيانة المراكز الدينية، وتهدئة الأوضاع قدر الإمكان، فيما لو لم يضطرنا النظام المتجبّر على اتخاذ ما لا نرغب فيه.

إنّي أمدُّ يد الإخلاص إلى جميع المسلمين خاصة العلماء الأعلام والمراجع العظام (أطال اللّه بقاءهم) واطلب إلى فئات المسلمين كافة العمل على حماية أحكام الإسلام واستقلال البلاد، وإنّي لعلى ثقة بأن وحدة كلمة المسلمين - سيّما العلماء - كفيلة بتفريق

صفوف الأجانب والمعارضين وتدميرهم، وإبعاد فكرة الاعتداء على الدول الإسلامية من أذهانهم، إننا سنواصل ـ وبعون الله ـ أداء واجبنا الإلهي، حتى ننال إحدى الحسنيين: إمّا قطع أيدي الخونة الممتدة إلى حرمة الإسلام والقرآن الكريم، وإمّا مجاورة الحق جل وعلا (إنّي لا أرى الموت إلاّ سعادة والحياة مع الظالمين إلاّ برما). إن النظام الجائر يلجأ اليوم إلى كلّ الوسائل والطرق الممكنة من أجل إطفاء نور الحق «وَاللّهُ مُتِمّ نُورِهِ وَلو كَرِهَ الكافِرُون...».

روح الله الموسوي الخميني

٩ـ اربعينية حادثة الفيضية:

حادثة الفيضية كان يجب ان لا تنسى، فقد أوجدت موجة من التحرك ونهضة كان يجب تغذيتها وتوسيعها. وفي ٢١ نيسان من ذلك العام، أصدر النظام قانوناً بسوق طلبة العلوم الدينية إلى الخدمة العسكرية في محاولة منه لإشغالهم عن القضايا السياسية، إلاّ أن يقظة القيادة الحكيمة للنهضة قد أحبطت هذه المحاولة، بل قامت باستغلال هذا الامر لصالح الانتفاضة، اذ نقل الطلبة الأفكار الثورية الاسلامية الى داخل معسكرات الجيش. وبعد مرور اربعين يوماً على قوع مجزرة الفيضية أقيمت في طهران وقم وباقي مدن البلاد مجالس تأبين حاشدة، عقب صدور بيان المراجع بهذا الشأن.

أمّا الإمام الخميني فقد شرح في بيانه بالتفصيل موضوع وقوف العلماء في وجه النظام الحاكم وقال:

(إنَّ ذنبنا هو الدفاع عن الإسلام واستقلال إيران... نحن بانتظار السجن والتعذيب والإعدام... إنَّهم يطردون مرضانا من المستشفيات، فلم نستطع خلال الأربعين يوماً الماضية الحصول على أرقام دقيقة عن عدد قتلانا وجرحانا والذين تعرضوا للنهب، مشكلتنا أَننا كلَّما اتجهنا إلى مسؤولي جهة حكومية، قالوا لنا: (إنّ ما حدث كان بأمرِ من معالي الشاه). كلُّهم يقولون هذا ابتداءً برئيس الوزراء وانتهاءً بمدير الشرطة وقائمّقام قم، كلهم يؤكدون أن الشاه هو الذي أمر بالهجوم على الفيضية، وهو الذي أمر بمهاجمة الجامعة وقتل الطلاب.. فإن لم يكن ذلك صحيحاً، واذا كان ما حدث انتهاكاً للقانون، وأنهم ينسبون هذه الممارسات اللاإنسانية إلى الشاه، فلماذا لا يدافع الشاه عن نفسه لكي يعرف الشعب عندها واجبه تجاه الحكومة؟ إنَّ هذه الحكومة تريد القضاء

على الاسلام، ومادامت هذه الحكومة الغاصبة تسيطر على البلاد، فلن يرى المسلمون الراحة أبدا...).

وقد دفع استمرار عقد مجالس التأبين الحكومة إلى التحرك لمواجهة الأمر، فقام جلاوزة النظام بمحاصرة مسجد (أرك) في طهران حيث كان يُعقد مجلس تأبين من قبل آية الله الحكيم، ومنعوا الناس من دخول المسجد، فما كان من الجماهير الغاضبة إلاّ أن هاجمت أفراد الشرطة وحدث اشتباك عنيف أدّى إلى سقوط عدد من الجرحى، بعدها قامت قوات النظام بمنع إقامة مجلس تأبين آخر في إحدى المدن لكن كل ذلك لم يفتَّ في عضد قائد النهضة، فبعد مضي اربعين يوماً على فاجعة الفيضية نرى الإمام الخميني يلقي خطاباً مهماً بمناسبة بدء الموسم الدراسي للحوزة، يفضح فيه خلفيات ما يسمى بـ(الثورة البيضاء) ويعدد أضرار ممارسات الشاه ومفاسدها، ويؤكد بأن مشاريعه هي مشاريع استعمارية أميركية وصهيونية.

لقد أراد الإمام بصرخاته المدوية (**الويل للنجف الساكتة، ألويل لقم الساكتة**) أن يستنهض باقي العلماء، ليسلكوا نفس السبيل الذي سلكه هو، وان يحطّموا القيود ويزيلوا السدود الموضوعة أمامهم، ويتقدّموا إلى الأمام، فقد كان الإمام الخميني يعارض بشدة كلّ حالات التقاعس والضعف والسكوت والعجز وإتلاف الوقت دون جدوى، ولو كان قد وقف إلى جانب الإمام جمع من العلماء في تلك المرحلة لما استطاع النظام البهلوي الاستمرار في الحكم بعد مجزرة (٥ حزيران) في طهران.

وعلى أي حال، فقد استغلّ الإمام فاجعة الفيضية في مهاجمة أزلام الشاه وفضحهم، وكان لحذاقة الإمام واهتمامه بالقضايا بشكل شامل أكبر الأثر في ترسيخ شخصيته القيادية وتعاظمها في أوساط الأمة، إذ كان اسم الإمام وتوقيعه يضفي على البيانات أهمية وقيمة خاصتين، كما أن الشعارات التي كان يطرحها، كانت تنتشر بسرعة كبيرة. أمّا الشاه فقد قرر اللُّجوء إلى أسلوبه السابق المتمثل بفتح ملفّات اتهام، في محاولة منه لمواجهة الإمام، ولجأ إلى أسلوب الاعتقال والاتهام والإدانة والمعاقبة[١٦]، وهي محاولة من الشاه لإلهاء الإمام وإشغاله بالإجراءات القانونية والمحاكمات.

هوامش الفصل الثاني

(١) الطريف ان كل اللوائح الست التي طرحت على الشعب للاستفتاء بـ(نعم) أو (لا) كانت عبارة عن مجموعة واحدة لا تتجزأ. فالذي يعارض إصلاح قانون الانتخابات عليه أن يخالف جميع اللوائح الأُخرى وهكذا.

(٢) بعد هذه الحوادث ـ امتنع آية الله الخونساري عن حضور أي تجمُّع سياسي وبهذا فقد حقق معه النظام هدفه في ترهيب العلماء وإرعابهم.

(٣) عندما بلغ الامامَ الخمينيَّ نبأُ الهجوم على الفيضية والعلماء يقال انه سُر بذلك، وكرَّر عبارة (الحمد لله، فلقد فضح النظام نفسه وكشف عن حقيقته، وهذا ما كنت أتمنّاه). (بررسى وتحليلى أز نهضت امام خيني / ص ٢٥١).

(٤) انظر (بررسى وتحليلى أز نهضت امام خينى / ص ٢٥٤).

(٥) مثل سادن وخدم روضة السيدة معصومة حيث استجابوا هم أيضا لقرار المقاطعة، واستعدوا لتحمُّل التبعات المترتبة على ذلك من فصل ونفي وغيرهما.

(٦) صحيفتا اطلاعات وكيهان بتاريخ ١٩٦٣/١/٢٤م.

(٧) الصحف الصادرة عصر يوم ١٩٦٣/١/٢٧م.

(٨) إذاعة طهران ادَّعت أن علماء كربلاء شاركوا في الاستفتاء بشكل جماعي لكن هؤلاء العلماء نفوا ذلك نفياً قاطعاً وقالوا (إن هذه تهمة أُلصقت بهم).

(٩) صحيفة اطلاعات تكتبت في مقال لها يوم ١٩٦٣/٣/٥ تقول:

(... الدين أمر منفصل عن السياسة. فالسياسة حديث اليوم والدين حديث الأزل. ألسياسة تقول اليوم شيئاً، وغداً تقول شيئاً آخر، أمّا ما يقوله الدين فلا يتغير بمرور الأيام. إنَّ السياسة مظاهر وممارسات تتغيّر بتغيُّر الزمان، أمّا مظاهر الدين وممارساته فهي ثابتة لا تتغير؛ لان الدين هو الحدود والإطار، والسياسة محاطة، فانتم ترون اليوم كيف وصل الغربيون والاميركيون إلى أعلى قمم التمدن والتحضر، وفي مجال العلم والمعرفة نراهم وصلوا إلى مرحلة الوصول إلى القمر، لكن الدين ظلَّ أكبر سند روحي ومعنوي لهم، حيث ظلت الكنيسة من أكثر الأماكن قدسية واحتراماً لديهم).

(١٠) ألبيان كتبه الامام الخميني ووقع أسفله تسعة من علماء قم، حيث شرح بالتفصيل الممارسات المخالفة للدستور التي قامت بها حكومة «عَلَم»، كما حدَّد البيان واجب العلماء، واستند إلى ست ممارسات اعتبر الحكومة على أثرها غير شرعية.

(١١) قال الشاه (... منذ حوالي أسبوعين، وأنا ارى وأسمع تصرفات هؤلاء الذين هم أشبه بالديدان الطفيلية، إنهم يغوصون في فضلاتهم، إنهم يعتقدون أن الوقت قد حان للغوص في فضلاتهم ثانية.

إنَّ هذه العناصر الساقطة! والرجعيين المؤيدين لهم، ان لم يستيقظوا من نومهم، فستنزل على رؤوسهم يد العدالة كالصاعقة مهما كان الزي الذي يرتدونه، وبذلك ستنتهي حياتهم المليئة بالخزي والعار).

(من كتاب (سخنان شاهنشاه) «حديث الشاه» / ص ٢٨)

(١٢) تزامنت ذكرى شهادة الإمام جعفر الصادق(ع) مع أيام عيد النوروز، ولذا فإن معظم البيانات والمنشورات كانت قد أعلنت الحداد العام بسبب المناسبتين معاً. فقد جاء في بيان جمع من علماء طهران:

(بمناسبة تزامن أيام النوروز مع ذكرى شهادة رئيس المذهب الإمام جعفر الصادق(ع) والحوادث المؤلمة التي واجهت الاسلام والمسلمين فإن جماعة العلماء تعلن الحداد ولن يكون لها عيد هذا العام).

(١٣) «الفيضية» هي مركز تدريس العلوم الدينية في مدينة قم المقدسة.

(المترجم)

(١٤) شركة (واحد) هي الشركة الوحيدة لحافلات نقل الركاب داخل مدن إيران.

(المترجم)

(١٥) صحيفة «اطلاعات» كتبت في عددها الصادر بتاريخ ١٣٤٢/١/٦هـ.ش (١٩٦٣/٣/٢٦م) تقول: «... خلال صدامات في قم وتبريز قُتل ثلاثة أشخاص، وجرح عدد آخر. وتقول التقارير الواصلة من تبريز إن طلاب العلوم الدينيّة أصدروا في اليوم الاول من عيد نوروز، منشورات ضد النساء وحقّهن في الانتخابات، وألصقوها على الجدران في الشوارع والمعابر، وقد أثار ذلك استياء النساء والمثقفين، حيث خرجت في اليوم التالي مظاهرات احتجاجية حاول المشاركون فيها تمزيق هذه المنشورات الملصقة على الجدران ممّا أدى إلى حدوث صدام بين المتظاهرين وجمع من علماء الدين، وقد توسّعت هذه الصدامات ممّا اضطر قوات الشرطة إلى التدخل وإطلاق الرصاص في الهواء لتفريق الطرفين. ويقول هذا التقرير إن اثنين من المارة قد قُتلا وجُرح عدد آخر، كما جُرح في هذه الحوادث أربعة من رجال الشرطة وهم يرقدون الآن في المستشفى، كما تقول التقارير الواردة من قم إن اشتباكات وقعت في اليوم الثاني من فروردين (٢٢ آذار) في المدرسة الفيضية ومركز الحوزة العلمية قتل على أثرها شخص واحد كما جُرح عدة اشخاص، وطبقاً للمعلومات الواصلة فإن الاشتباك بدأ عندما كان علماء الدين يقيمون مجلس عزاء في المدرسة الفيضية بمناسبة ذكرى وفاة الإمام الصادق(ع) وقد حضر هذا المجلس جمع كبير من الطلاب وزوار مرقد السيدة معصومة ومسافري العيد القادمين إلى قم وبينما كان الحاج السيد الأنصاري وهو أحد الوعّاظ يتحدّث على المنبر رفع عدد من الحاضرين أصواتهم بالصلاة على محمد بشكل متواصل وهكذا ارتبك الوضع، وفي الأثناء بدأ رمي الحجارة حيث توفّي إثر ذلك أحد الفلاحين المشاركين في هذا المجلس نتيجة اصابته بالحجارة.

(١٦) في ذلك الوقت التي شخص ادعى أنه ممثل (جمال عبد الناصر) بالإمام وأبلغه رسالة عبد الناصر واستعداده لتقديم أي نوع من المساعدة، لكن الامام ردَّ بأنّه ليس بحاجة إلى أيّ دعم خارجي، وبعد اعتقال الامام عُرف أن ذلك الشخص كان مبعوثاً من قبل النظام لافتعال تهمة ضده، وقد باءت هذه المحاولة بالفشل أيضا.

(راجع الصفحات ٤٢٤ و ٤٢٥ من كتاب بررسي وتحليلي أز نهضت امام خميني) تحت عنوان (دبلوماسي مصري أم جاسوس ايراني) بالفارسية.

الفصل الثالث

احداث محرم ١٣٨٣هـ
ومقدمات انتفاضة ٥ حزيران الدامية

١ـ بدء شهر محرم الدامي (عام ١٣٨٣هـ . ق):

شهر محرم يذكِّر كلَّ عام بثورة الامام الحسين بن علي (ع). فالحسين هو دائماً الشعلة الوهاجة لكلِّ النهضات والثورات الإسلامية، والشيعة يحيون ـ منذ قرون ـ ذكرى الحسين (ع) ويعتبرون دمه الطاهر مصدر حياة لوجود شجرة الحرية والعدالة واستمرارها. إن المسلم الشيعي أينما وُجِد، يعتبر الأيّام العشرة الاولى من شهر محرم أيام عزاء وحزن ويسمي اليوم العاشر منها (عاشوراء الحسين) يدفعه فيها ارتباطه الروحي بالحسين(ع) إلى التفكُّر والتأمُّل ملياً في ثورة الدم والشهادة، ويتناقل فقرات من صرخة الحسين التي تتناقلها الأجيال، وكم مِن الناس مَن عاش لحظات مع ذكرى الحسين(ع) دفعته فيما بعد الى نبذ الذل والخنوع، وانتهاج سبيل التضحية من أجل العقيدة. وهكذا فقد كان لشهر محرم ذلك العام معنى خاص، بعد أن فشلت الحكومة في تعطيل الحوزة العلمية خلاله[1].

فقد كان ثبات الحوزة العلمية في ساحة الجهاد والمعارضة يعني وجود بصمات الحسين في هذه النهضة الكبرى، ولهذا كان على النظام الحاكم اتخاذ تدابير استثنائية ليمرَّ شهر محرم بسلام. فقد تضمَّن البيان الذي أصدرته الشرطة العامة عبارات تكشف عن مدى قلق الحكومة. حيث جاء في البيان الذي نشرته الصحف الصادرة يوم ٥ خرداد (١٩٦٣/٥/٢٦م) مايلي:

(ستتمُّ إقامة مراسم العزاء المشروعة والمنطبقة مع موازين الإسلام المقدَّسة مع مراعاة النظام الكامل، أمّا التظاهرات والأعمال التي نهى عنها الشرع المقدَّس أيضاً، فهي ممنوعة منعاً باتاً، وقد صدرت الأوامر لرجال الشرطة بالتصدِّي لها. ونحن نأمل أن يحافظ عموم الشيعة وأهالي العاصمة المحترمون على النظام والهدوء ويحافظوا على شعائرهم الدينية ويقيموا مراسم العزاء بكل هدوء ونظام، ولو أراد بعض الاشخاص ـ لا سمح الله ـ استغلال المراسم الدينية لأغراض شخصية فسيعاقَبون عقاباً صارماً).

لكن ذلك لم يثنِ قائد النهضة الذي راح يعدُّ كلّ مستلزمات الأمر ليعيد لمحرم صورته الحقيقية، ولهذا فقد وجّه الإمام الخميني (ره) رسالة إلى الوعّاظ والخطباء وطلبة العلم جاء فيها:

(.. إن الحكم المتجبّر ينوي أخذ تعهُّد من المبلّغين وأصحاب مجالس العزاء بعدم التحدُّث عن المظالم، وأن يتركوا الحكم يفعل ما يريد. إنّني أرى من الضروري هنا التذكير بأنه ـ فضلاً عن أن هذه التعهدات ليست لها أية قيمة قانونية ولا تترتب على مخالفتها أية آثار سلبية ـ فإنّ الذين يأخذون هذه التعهُّدات هم مدانون وتجب ملاحقتهم... عجيب أمر هؤلاء الذين لا يخجلون، إنهم يدَّعون أن كلّ الشعب معهم ومع ذلك فهم يقومون ببث الرعب وممارسة القمع في أرجاء البلاد. فإن كان ادعاء هؤلاء صحيحاً، فليتركوا الشعب حرّاً خلال هذه الأيام لنرى عندها حجم الدعم الشعبي الذي يتمتعون به، وليرى العالم حقيقة الملايين الستة التي صادقت على الإصلاحات، وبغير هذا فإنّ إشاعة الأكاذيب لتشجيع الرأي العام على العمل خلافاً لمصالح الإسلام والبلاد؛ إنّما هي جريمة تجب ملاحقة مرتكبيها.

على حضرات المبلّغين، أن لا يخافوا من عدة أيام من السجن والأذى «ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلَون إن كنتم مؤمنين». على السادة أن يعلموا أن الخطر المحدق بالإسلام اليوم ليس أقلّ من خطر بني أُمية، حذِّروا الناس من خطر إسرائيل وأذنابها، أعلِنوا احتجاجكم على إرسال الحكومة الخائنة لعدة آلاف من أعداء الاسلام والشعب والوطن، إلى لندن للمشاركة في المحافل والمراسم المعادية للاسلام والوطن، فالسكوت في هذه الأيام هو بمثابة تأييد لحكم الجبابرة، ودعمٍ لأعداء الاسلام.. خافوا سخط الله تعالى، فلو تلقّى الإسلام ضربة بسبب سكوتكم، فستكونون مسؤولين أمام الله والأُمة الاسلامية... لا تجعلوا للخوف من أساليب وممارسات الشرطة وأجهزة القمع إلى قلوبكم طريقاً...).

وهنا نلاحظ كيف أن الامام يؤدي واجبه، إذ لم يترك ممارسة مهام القيادة لحظة واحدة، بل كان يراقب الأوضاع ويدرسها بدقة متناهية ليقوم بوضع ما يتوصل إليه من نتائج تحت تصرف المجاهدين. في الوقت الذي منعت فيه الحكومة الوعّاظ والخطباء من التدخُّل في الشؤون السياسية؛ نرى الإمام يشجّعهم على فضح النظام وكشف حقيقته، وهكذا كان الخطباء الذين يلتزمون بوصايا الإمام وينفّذون تعاليمه يتمتّعون بسمعة أفضل، ولهم في المجالس مستمعون أكثر.

وفي العشرة الأُولى من محرم ذلك العام، نرى أن الخطباء لم يكتفوا بلعن يزيد الأموي، بل

راحوا يكرّرون الأشعار الثورية ويذكّرون بقتلى حادثة الفيضية الذين اندفعوا لنصرة نهج الحسين(ع)، كما كانوا يذكّرون الامّة الإسلامية بخطر إسرائيل ويؤكّدون أن الخطر المحدق بالإسلام من جانب الأنظمة العميلة، ليس أقلّ من خطر بني أمية على الإسلام[٢].

٢ـ مظاهرات العاشر من محرم ١٣٨٣ هـ . ق :

كل الدلائل كانت تشير إلى أن مسيرات وتظاهرات عاشوراء ستكون ضخمة جداً، فالخطباء والوعاظ تحدّثوا خلال الأيام العشرة من المحرم بما يجب أن يقال، أما الصحف الحكومية ـ ومعها الإذاعة ـ فقد سعت إلى تهدئة الأجواء، والتخفيف من حدة التوتر. فكانت تصوّر الأوضاع وكأنها عادية جداً، وتركّز في أحاديثها، على نتائج الاستفتاء وثورة الشاه البيضاء وثمارها المستقبلية، وتبشّر الفلاّحين والعمّال وباقي الطبقات الشعبية بحياة الرفاهية. واذا كانت وسائل الاعلام هذه تتطرق من بعيد إلى موضوع الدين وعلمائه فإنها تقصر الحديث على ما تسميه بالرجعية والأخطار والموانع التي تضعها في طريق ما يسمّى بالثورة البيضاء[٣].

وفي العاشر من المحرم، نزلت إلى شوارع طهران عشرات الآلاف من مختلف فئات الشعب من الذين كانوا يتّبعون نهج الإمام الخميني، وهم يحملون صور الامام ويهتفون (يا خميني، فليحفظك اللّه، يا خميني، الشعب كله معك). وقد كان مقرّراً أن يتم التجمُّع في مدرسة أبي الفتح الواقعة في ساحة الملك (ميدان شاه) إلاّ أنَّ الشرطة قامت بمحاصرة المدرسة منذ الصباح الباكر، لكنها فقدت سيطرتها على الأوضاع ولم تستطع مواصلة الحصار بعد ما تأجج الغضب الجماهيري وتصاعدت شعارات المشاركين في مراسم العزاء مندّدة بالحكومة. فسيطرت الجموع الغاضبة على المدرسة وأطرافها وواصلت مسيرتها بإطلاق الشعارات المدوية[٤]، وبعد أن اجتاز المتظاهرون تقاطع (أمين حضور) و(سرجشمه) وصلوا ساحة (بهارستان) حيث نصبوا صورة الإمام في الساحة ثم اتجهوا إلى ساحة (فردوسي) وهناك أعلنوا تنديدهم بما يسمّى بالثورة البيضاء من خلال الشعارات المدوّية والخطب الحماسية، ومن هناك اتجهوا إلى جامعة طهران حيث وصل حماس المتظاهرين ذروته وهم يهتفون (يا خميني يا محطّم الأصنام فليحفظك اللّه) وفي طريق العودة وبدون تخطيط مسبق، تعالت هتافات (ألموت لهذا الدكتاتور) ويقصدون به الشاه، ورغم محاولات المسؤولين عن التظاهرة تغيير الهتاف، والحدَّ من تفاقم الوضع أكثر؛ فإنَّ المتظاهرين ظلّوا يهتفون بهذا الشعار الذي كان تلخيصاً لمعنى التظاهرة والهدف منها.

وقد انتهت التظاهرة في الساعة الثالثة من بعد الظهر بعودة المتظاهرين الى (البازار)، كما

خرجت تظاهرات أُخرى نظَّمها طلاب جامعة طهران دعماً لقيادة الامام الخميني حيث هتفوا بشعار (الخميني منتصر)، فقد بدأت هذه التظاهرات من مسجد (الهداية) مروراً بشارع (إسلامبول) وانتهت في ساحة الملك حيث التحق المتظاهرون بمجلس عزاء كان يقام في مدرسة الحاج (ابو الفتح).

٣ـ تظاهرات الحادي عشر من المحرم:

مراسم عزاء محرم المصحوبة بـإعلان مرجعية الإمام الخميني السياسية الدينية هزت طهران، وجعلت من الموقع الذي تبوّأه الإمام لدى الشعب الموضوع الأول الذي يحظى بالاهتمام البالغ. فحتى ذلك اليوم كان المثقفون العلمانيون يتصورون أن تحركات الامام هي دينية صرفة، لكن الاحتجاجات الجماهيرية الحاشدة، وشعارات عاشوراء، جعلتهم يوقنون بأن كلامه أكثر تأثيراً من كل الشعارات، وأن تأثيره هذا هو تأثير سياسي وديني ؛ لذلك قررت المجموعات السياسية والجبهات الموجودة آنذاك القيام بتحرك واسع واستغلال هذه الاجتماعات الشعبية لإثبات وجود زعمائها وإخراجهم من العزلة التي يعيشونها.

في صباح الحادي عشر من المحرم تجمعت حشود جماهير طهران في مسجد الشاه (مسجد الامام الخميني حالياً) في البازار، وبعد فترة قصيرة بدأت الحشود تهتف بشعار الأمس، وخرجت من المسجد إلى شارع (ناصر خسرو) ثم ميدان توبخانه (ميدان الامام الخميني حاليا) ثم دخلت شارع فردوسي حيث بدأت الخطابات الحماسية تتوالى هناك، وواصلت المظاهرات سيرها حتى وصلت إلى جامعة طهران، فقابلها طلبة الجامعة بتعطيل الدراسة والالتحاق بصفوف المتظاهرين ممّا أدّى إلى تصاعد حالة الغليان لدى الجماهير الغاضبة.

وفي ذلك اليوم، كان الجو حارّاً جدّا، والهتافات كلها تدور حول قيادة الامام الخميني، وبين الحين والآخر كانت الجماهير تهتف (ستستمر النهضة حتى موت الدكتاتورين). وهنا حاول مؤيدو الدكتور مصدق وغيرهم ـ ولاسباب معيّنة ـ استغلال هذا الظرف للاشادة بمصدق ورفع اسمه [٥] فأطلق جمع من أنصاره هتافاً يتضمن اسمه وأصرّوا على حمل المتظاهرين على ترديده وهو (الخميني زعيم شيعي ومصدق زعيم وطني) المهم ان التظاهرة استمرت حسب المسير الذي سارت فيه في اليوم السابق ومقابل قصر المرمر هتف المتظاهرون: (الموت لهذا الدكتاتور).

وفي نفس اليوم ووفقاً لما ورد في خبر نشرته صحيفتا (إطلاعات وكيهان) قُتِل أحد أفراد الشرطة إثر اشتباك وقع بين قوات الشرطة والناس الذين كانوا يقرأون بياناً لآية اللّه الخميني

أُلصق على الجدار بعد ما قامت الشرطة بتمزيقه[٦].

٤ـ حوادث قم في يوم عاشوراء:

مدينة (قم) هي مركز الحوزة العلمية، ومع الأخذ بنظر الاعتبار ما أسلفناه من خصوصيات هذه المدينة، فقد كان يجب أن تشهد اجتماعات ومسيرات حاشدة في محرم، وهذا ما حدث فعلاً. فقائد النهضة كان مقرُّه هناك، كما أنه قرر في ذلك العام أن يقوم في كل ليلة بالمشاركة في مجالس عزاء إحدى مناطق المدينة، كما أنَّ الخطباء كانوا يتحدثون عن الأوضاع السياسية للبلاد ويُبلغونَ الناس رأي الإمام فيها، وهكذا كان الامام يحظى باستقبال كبير في كل مجلس عزاء يزوره، كما كانوا يضعون المصابيح ويذبحون الأضاحي على طول الطريق الذي يسلكه الإمام باتجاه أحد المجالس كل ليلة. هذا الوضع أثار قلق السلطة وخوفها؛ ذلك أن فَضْحها كان يتم من قِبل شخص له منزلته الخاصة في قلوب الناس. ولهذا فقد حاول كبار مسؤولي الحكومة الاجتماع بخطباء المنابر والتحدث إليهم في محاولة لثنيهم عن التشهير بالحكومة أو على الأقل التحدث ضمن حدود معيَّنة، لكن كل هذه المحاولات باءت بالفشل، فالإمام الخميني اجتمع بكبار علماء قم وبحث معهم سبل إيصال النهضة إلى ذروتها في شهر محرم، فاقترح أن يذهب العلماء إلى المدرسة الفيضية يوم العاشر من المحرم ليخطبوا في جموع الناس التي تتوافد على قم من كل حدب وصوب. وقد حظي هذا الاقتراح بموافقة العلماء.

أمّا الخطباء فقد راحوا يشيعون ذلك في مدن البلاد باعتباره خبراً طازجاً. وهكذا بدأت امواج الناس تتدفق على قم التي شهدت زحاماً لم يسبق له مثيل، بينما راحت أجهزة الأمن تُعِدُّ العُدة لمواجهة الموقف، فقامت أولاً ببث إشاعات تفيد بأن الشاه أمر الجيش بمهاجمة قم يوم العاشر من المحرم كما فعل في مسجد گوهر شاد. كما ذهب وعاظ البلاط إلى قم واجتمعوا بالعلماء في محاولة لثنيهم عن تنفيذ قرارهم حيث نجحوا في إقناع الجميع ما عدا الامام الخميني الذي أعلن أنه يرى من واجبه كشف الحقائق لعامة الناس ولتفعل السلطة ماتشاء. وقد اعلنها الامام صريحة قاطعة:

(لقد اتخذت قراري النهائي، ولن تستطيع الاشاعات والتهديدات التي يمارسها النظام ثني عن تنفيذ قراري).

ولما لم يستطع النظام ثني الإمام عن قراره ـ بالطرق غير المباشرة ـ قرَّر سلوك الطرق المباشرة، في صبيحة العاشر من المحرم وعندما كان منزل الامام مكتظاً بحشود الناس للمشاركة في مجلس

العزاء، جاء رئيس جهاز الأمن (الساواك) الى هناك وقال للامام (جئت من قبل معالي الشاه لابلغك بأنه لو خطبت اليوم في الفيضية فسيهاجم رجال الكوماندوز المدرسة ويفعلون ما يفعلون). لكن الإمام ردّ على الفور: (ونحن سنصدر الأوامر لرجالنا الكوماندوز ليقوموا بتأديب رجال معالي الشاه).

لكن هذه المواجهة الكلامية لم تكن المحاولة الاخيرة من قبل الحكومة، فقد واصلت جهودها ومحاولاتها بشتى الطرق حتى الساعة الرابعة عصراً.

٥ـ الخطاب الذي جعل من صاحبه محطّم الاصنام:

عصر يوم العاشر من المحرم، الذي يجدد ذكرى استشهاد الامام الحسين(ع) تخيّم على المجتمع الاسلامي في إيران أجواء خاصة لا يمكن وصفها. ولم تسنح الفرصة لعلماء الاجتماع في بلادنا لدراسة الحالة النفسية لأبناء هذا المجتمع وتحليلها في هذا الوقت. فلو درسوا هذه الظاهرة بإمعان لاكتشفوا أنَّ حالة التضحية والفداء التي يمرُّ بها هؤلاء يوم العاشر من المحرم تفوق في حجمها وتأججها أيَّ وقت آخر، والكلام الذي يفوح بعبق الجهاد والثورة، والمعتمد على قيم وعقيدة إلهية سيترك تأثيراً يفوق تأثيره في الأوقات العادية بمئات المرّات. فالحشود الهائلة التي تجمعت في عاشوراء ذلك العام في قم لم يسبق لها مثيل في السنوات السابقة، إذ كان هناك شوق عام لسماع خطاب الإمام، وكان لفشل محاولات النظام ثني الإمام عن إلقاء خطابه، وكذلك تخلّي باقي العلماء عن إلقاء الخطب، وإصرار الإمام على إلقاء كلمته بالرغم من كل الإجراءات التي اتخذتها السلطة؛ كل ذلك كان له أكبر الأثر في إكساب خطاب الإمام أهمية كبرى. وبالنظر لما تركه هذا الخطاب من آثار كبيرة على الساحة الإيرانية فقد آثرنا نشر نصه الكامل:[7]

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم

نحن الآن في عصر عاشوراء، وعندما كنت أتأمل حوادث يوم عاشوراء؛ خطر ببالي هذا السؤال: إذا كان يزيد يعادي الحسين فقط، فلماذا قام أزلامه بتلك الممارسات الوحشية المنافية للاصول الانسانية بحق النساء والأطفال الأبرياء؟ ترى ماذا كان ذنب هؤلاء؟ ما الذي فعله طفل الامام الحسين (عليه السلام) الرضيع؟ (بكاء الحاضرين)

أنا اعتقد أن أُولئك كانوا يحاربون ويعادون أساس الموضوع، فبنو أُميّة وحكومة يزيد، كانوا يعادون آل النبي(ص)، وبني هاشم، وكانوا يريدون القضاء على هذه

الشجرة الطيبة. وهنا يطرح هذا السؤال نفسه وهو إذا كانت حكومة الجبابرة في إيران تعادي العلماء والمراجع فما شأنها بالقرآن والمدرسة الفيضية؟ ما شأنها بطلاّب العلوم الدينية؟ ما الذي فعله الشاب ذو الثمانية عشر ربيعاً للشاه؟[8] (بكاء الحاضرين) ما الذي فعله للحكومة؟ ما الذي فعله لهؤلاء الجبابرة؟ (الحاضرون يبكون بشدة). الجواب هو أن هؤلاء يعادون أساس الاسلام والعلماء، ويريدون القضاء على هذا الأساس.

هؤلاء لا يريدون لصغير أو كبير منّا أن يبقى، إسرائيل لا تريد بقاء علماء للاسلام في هذا البلد، إسرائيل لا تريد بقاء عالِم في هذا البلد. لقد شنّت إسرائيل هجوماً على الفيضية بواسطة عملائها هنا، هاجمتنا، ولازالت تهاجمكم يا أبناء الشعب، إنها تريد السيطرة على اقتصادنا، تريد القضاء على زراعتكم وتجارتكم، تريد نهب الثروات، ولذلك فهي تسعى ـ بواسطة عملائها ـ إلى القضاء على كل من يقف سدّاً منيعاً في وجهها، والمدرسة الفيضية وباقي مراكز العلم هي سدود في وجه إسرائيل ويجب أن تدمَّر! وعلماء الدين هم أيضا سدٌّ يجب أن يحطَّم! وطلاّب العلوم الدينية قد يصبحون في المستقبل عائقاً في وجه إسرائيل، لذلك يجب أن يقتلوا! ويقذف بهم من السطوح! ويجب تحطيم رؤوسهم لتصل إسرائيل إلى مآربها! ولأجل ذلك فإن الحكومة الإيرانية تقوم بإهانتنا خدمةً منها لمصالح إسرائيل ومخططاتها.

لقد شاهدتم ـ يا أبناء قم المحترمين ـ كيف أن السلطة أجرت ذلك الاستفتاء ـ المفضوح ـ بالسلاح والتهديد، ذلك الاستفتاء الذي هو ضد مصالح الشعب الإيراني. في شوارع وأزقة قم التي هي مركز علماء الدين، وبجوار مرقد السيدة معصومة(ع) أنزلوا إلى الشوارع حفنة من الأوباش الأراذل ليقولوا للناس إن زمن التطفُّل قد انتهى، فهل إن طلاّب العلوم الدينية الذين يقضون زهرة شبابهم وسنوات عمرهم في هذه الحجرات ويتقاضون رواتب شهرية تتراوح بين (٤٠ ـ ١٠٠) تومان فقط أهؤلاء هم الطفيليون؟ أهؤلاء هم المعتاشون بجهود غيرهم؟ أليس الذين ينهبون ألف مليون تومان مرة واحدة هم الطفيليون والمعتاشون؟! أنحن نعتاش على الآخرين والمرحوم الشيخ عبد الكريم[9] فارق الحياة وترك ديناً مقداره (٦٠٠) ألف تومان هي مجموع راتب الحوزات؛ أهو يعتاش على الآخرين؟ أليس الذين يجمعون الثروات في بنوك العالم من تعب الفقراء وكدِّهم، ويبنون القصور ومع ذلك لا يريدون ترك هذا الشعب وشأنه، بل يواصلون السعي لنهب ثروات البلاد واقتسامها مع إسرائيل، أليس هؤلاء معتاشين

على جهود الآخرين؟ على العالم أن يحكم في هذا الأمر. على الشعب أن يعلن من هو الطفيلي الذي يعتاش على جهود الآخرين وعملهم؟ أنا أنصحك أيُّها الشاه، يا حضرة الشاه أنا أنصحك بأن تكفَّ عن هذه الممارسات، أنا لا أرغب في أن يأتي يوم يشاء فيه أسيادك أن تزول فيفرح الناس بذلك، أنا لا أريد أن تلقى نفس مصير ابيك.

أنتم يا أبناء الشعب الايراني تتذكرون، والذين تبلغ أعمارهم الأربعين أو حتى الثلاثين عاماً يتذكَّرون أن قوات ثلاث دول قد شنَّت هجوماً على إيران خلال الحرب العالمية. فقد دخلت القوات الروسية والبريطانية والأميركية إلى إيران وسيطرت على مقدرات البلاد، وتعرضت أموال الناس للنهب، وأعراضهم للهتك، ومع كل ذلك فقد كان الناس فرحين لأنهم تخلَّصوا من رضا بهلوي. أنا لا أريد أن تلقى أنت نفس هذا المصير. لا أريد أن تصبح مثل أبيك. إسمع نصائحنا. إسمع كلام علماء الدين. خذ بنصائح علماء الإسلام فهؤلاء يريدون تحقيق مصلحة البلاد. لا تستمع لنصائح إسرائيل فإسرائيل لا تنفعك.

أيُّها المسكين لقد تجاوزتَ الخامسة والأربعين من العمر. فكِّر قليلاً وتدبَّر فيما حولك. فكِّر في عواقب الامور. إعتبر بمصير أبيك. فلو صحَّ ما يقال من أنك تعادي الإسلام وعلماء الدين فإنّك على خطأ كبير، وإن كانوا يكتبون لك لتقرأ فتأمّل فيما تقرأه. لماذا لا تعي ما تقول؟ هل إن العلماء نجسون؟ فلو كانوا كذلك فلماذا يقبِّل الناس أيديهم؟ هل أنا حيوان نجس؟! (بكاء الناس) آمل أن لا تكون قد قصدت ذلك وإلاّ فإنَّ موقفنا منك سيكون أشد، وحسابك سيكون أشد أيضاً. فلن تستطيع البقاء بعد هذا، ألشعب لن يدعك تواصل هذا النهج، هل إن العلماء هم رجعيون؟ وأنت الرجعي الأسود قمت بثورة بيضاء؟ أية ثورة بيضاء هذه؟ لماذا تريد استغفال الناس إلى هذه الدرجة؟ لماذا تقوم بقمع الناس وتهديدهم.

لقد أخبروني اليوم بأن عدداً من وعاظ طهران وخطبائها قد استُدعُوا إلى منظمة الأمن وطُلب إليهم عدم التطرق في خطبهم إلى ثلاثة مواضيع:

أولا: أن لا يذكروا الشاه بسوء.

ثانيا: أن لا يهاجموا إسرائيل.

وثالثا: أن لا يكرّروا عبارة: إن الاسلام في خطر.

وما عدا ذلك فإنَّهم أحرارٌ فيما يريدون قوله. إن جميع مشاكلنا ومصائبنا تكمن في

هذه النقاط الثلاث. فلو تركناها فلن يبقى بيننا أيُّ خلاف.

عندما نقول إن الاسلام في خطر، أليست هذه حقيقة؟ أوليس الاسلام في خطر؟ وعندما لا نقول إن الشاه كذا وكذا فهل إنه ليس كذلك؟ وعندما لا نقول إن إسرائيل خطر على الإسلام والمسلمين فهل إنها ليست كذلك؟

ثم ماهي العلاقة بين الشاه وإسرائيل لكي يطلبوا منا عدم مهاجمتها؟ هل إن منظمة الأمن تَعتبر الشاه إسرائيلياً؟ أم إنها تريد القول إن الشاه يهودي؟!

أيُّها الشاه! قد يريد هؤلاء الادعاء بأنك يهودي لأُفتيَ أنا بكفرك، ثم يقومون بإخراجك من البلاد! إنك غافل عن أن هؤلاء الذين يحوطونك الآن، سيتركونك وحيداً لو تغيّر الوضع. إنَّهم ليسوا اصحابك بل أصحاب الدولار، هؤلاء لا دين لهم ولا وفاء. إنَّهم يُلقون بمسؤولية كل ما يحدث على عاتقك. أيُّها المسكين! ذلك الصعلوك الذي لا أُريد ذكر اسمه الآن، بل سأترك ذلك لحين إصداري أمراً بقطع أُذنه (تصاعد حماس الناس) هذا الصعلوك جاء إلى المدرسة الفيضية وأطلق صفيراً ليجتمع حوله رجال الكوماندوز، فأصدر لهم أمراً بالهجوم على الفيضية، إهجموا.. دمّروا كل شيء ... إنهبوا كل الحجرات. وعندما تسأله عن سبب ارتكابه هذه الجرائم يجيبك بالقول: إنّها أوامر الشاه. نعم فالأوامر الملكية تقضي بتدمير المدرسة الفيضية وقتل من فيها!

إن هناك الكثير من الحقائق التي يجب أن تقال، وهي أكثر مما تتصورون، فبلادنا وإسلامنا معرّضان للخطر. إن ما يحدث الآن يدعو إلى الأسى والأسف على وضع إيران؛ هذا البلد الذي يتعرّض للتدمير، وعلى وضع الجهاز الحاكم، وعلى وضع زعماء البلد. نسأل الله تعالى اصلاح الأُمور).

هذا الخطاب البسيط في عباراته والذي فهمه الجميع واستوعبوه، قد استطاع من خلال الكلام الموجّه الى الشاه، ان يكسر شوكته وهيبته. وبذلك فقد أدّى الإمام رسالته التاريخية. إذ وقف يواجه الشاه بشكل مباشر من خلال هجومه العنيف عليه بالرغم من أنه عُرف بهذا الموقف من قبل أيضاً.

وهكذا فقد اتخذت المواجهة أبعاداً أوسع، وبدأت قوة إسلامية ثورية مستقلة عن أي تأثير أجنبي تتبلور أكثر فأكثر، كما أنَّ حاجز الخوف الشعبي من الشاه والحكومة قد تلاشى إلى حدٍّ ما. فقد كان الشاه في نظر الناس بمثابة صنم كبير لا يملكون إلاّ الخضوع أمامه، فجاءت عبارت (روح الله) في الفيضية لتنزله من هذا الصرح الوهمي، ولتُدخل الشجاعة في قلوب أبناء الأُمة

للنهوض والعمل بواجبهم الشرعي عملاً بفتوى الإمام القائلة بتحريم التقية.

أمّا النظام وعلى رأسه الشاه، فقد رأى نفسه ـ بعد خطاب الامام في الفيضية ـ أمام مفترق طريقين، إذ أدرك ان هذه الشخصية الدينية القوية والعاملة في أوساط الأُمة تشكّل خطراً كبيراً يهدِّد أساس النظام الملكي، ولا جدوى من أساليب الترغيب والترهيب لثني الإمام عن مواصلة الطريق الذي اختاره، ولهذا فقد أصبحت الحكومة أمام خيارين: إمّا التسليم أمام غضبة الشعب، وإمّا ترسيخ الاعتماد على الامبريالية وارتكاب المزيد من الجرائم لتحافظ على نفسها من السقوط ولو مؤقتاً. وانتهى الأمر بأن اختارت الحكومة الطريق الثاني فكان أن أصدرت أمراً باعتقال الامام.

٦ـ اعتقال الامام الخميني:

استطاع الإمام الخميني خلال تحركاته الجهادية التي لم تتجاوز العام الواحد، أن ينفخ في الحوزة العلمية روحاً جديدة ظهرت معالمها على شكل وحدة متينة بين علماء الدين لم يسبق لها مثيل، فقد أعلن أنَّ التقية حرام، وفتح أمامهم طريق الجهاد، ولم يكلَّ أو يتعب بالرغم من كل الظروف والضغوط التي واجهها. فعباراته كانت تزداد قوة وحزماً، وفي كل مرحلة، كان يتخذ موقفاً أقوى، ويقوم بكشف حقيقة النظام. فقد كان مشروع مجالس الولايات، هو الخطوة الأُولى، وهزيمة الحكومة في هذه المرحلة فتحت الطريق أمام المراحل التالية حيث جاءت المرحلة الثانية من هذا الجهاد بـإعلان الشاه المبادئ العامة للاستفتاء الوطني. وقد استغرقت هذه المرحلة فترة طويلة ، إذ شهدت الحداد العام في شهر آذار ١٩٦٣ وحادثة الفيضية واربعينيتها، واستمرت الحوادث حتى جاء محرم، شهر الدم والشهادة، فكان فرصة مناسبة جدّاً لإيصال نداءات العلماء ـ وفي مقدّمتهم الإمام الخميني ـ إلى أقصى مناطق البلاد.

الصحف كانت خاضعة لإشراف الحكومة تماماً، فقد خصصت أغلب صفحاتها للحديث عن (الثورة المقدسة)! للشاه. والإذاعة وباقي وسائل الاعلام كانت تهاجم المعارضين وتصفهم بالرجعيين والإقطاعيين وعملاء الأجانب، لكن كلّ هذه الحملة الإعلامية ظلت عاجزة أمام إعصار الرأي العام الذي نتج عن خطاب الإمام الخميني.

المظاهرات الواسعة في اليومين العاشر والحادي عشر من المحرم في طهران، والخطاب الناري للإمام في عصر اليوم العاشر من المحرم في مسجد مدرسة الفيضية، كل هذه أدّت إلى شن هجوم واسع على علماء الدين، فقد شنت أجهزة الأمن حملة اعتقالات واسعة، وألقت بأعداد كبيرة من

أنصار الامام الخميني في السجون.

وفي منتصف ليلة الخامس عشر من خرداد (٥ حزيران) إنطلقت عدة شاحنات تحمل أعداداً كبيرة من الجنود ورجال الأمن متجهة الى قم لاعتقال الامام الخميني. المظليون وقوات الحرس الملكي قاموا بمحاصرة بيت الإمام واعتقلوه وانسحبوا بسرعة[١٠]، ولم ينتبه أهالي المحلة إلى الأمر إلاّ صرخات ابن الإمام[١١]، حيث خرج الناس من بيوتهم ولكن بعد فوات الأوان، إذ إن السيارة التي أقلّت الامام كانت قد ابتعدت عن قم. فأزلام النظام أرادوا إيصال الإمام إلى طهران في أسرع وقت. وهكذا أبقوا الامام في نادي الضباط في طهران حتى الصباح ومساء اليوم التالي، نقلوه إلى سجن (القصر) وبعد (١٩) يوماً نقل الى زنزانة في معسكر (عشرت آباد).

وفي الفصول القادمة، سنتابع تفاصيل الحوادث السياسية في البلاد خلال الحقبة التي سبقت انتصار الثورة الاسلامية عام ١٩٧٩.

هوامش الفصل الثالث

(١) كتبت مجلة (أُميد إيران) تقول: من المقرر أن يُعلَن عن انتخاب آية الله الحكيم لمقام مرجعية الشيعة في العالم، فبعد وفاة آية الله البروجردي بدأت الأوساط الحوزوية في إيران تتحدّث عن مرجعيته، كما أن الحكومة الإيرانية قد أبدت رغبتها بهذا الأمر. فبعد وفاة البروجردي، أرسل السيد وزير البلاط وباقي الوزراء برقيات تعزية إلى سماحة آية الله الحكم فقط دون غيره من العلماء، كما أنه ـ أي الحكيم ـ بعث برسالة إلى إخوته العلماء، دعاهم فيها إلى الهجرة إلى النجف لتقوية موقفه. كما أن بعض السادة يبدون رغبة في نقل الحوزة العلمية من قم إلى العراق (مجلة «خواندنيها» بتاريخ ١٩٦٣/٤/١٤م العدد ١٩١٩ نقلا عن مجلة «أُميد إيران»).

(٢) نظام الشاه كان يعتبر هذا الحديث مخالفاً لطبيعة مراسم العزاء الحسيني، بل كان يعتبر عمليات كشف الحقائق وتوضيحها أمراً مخالفاً للإسلام الذي تريده الحكومة، ولهذا قام بدعوة الخطباء إلى مقر المخابرات (الساواك) وطلب اليهم الالتزام في خطبهم بالنقاط الثلاث التالية على الأقل:

١ـ عدم مهاجمة الشاه.

٢ـ عدم التطرق لموضوع إسرائيل.

٣ـ عدم تكرار عبارة: إن الإسلام في خطر.

لكننا نرى أن جميع المواضيع التي أمر الإمام بالحديث عنها تدور محاورها حول هذه النقاط الثلاث. وقد قال الإمام خلال حديثه بمناسبة عاشوراء: «إن جميع مصائبنا وخلافاتنا مع النظام تكمن في هذه المواضيع الثلاثة التي لولاها لما كان لنا خلاف مع النظام».

(٣) في اجتماع لمنتسبي شركة (واحد) لحافلات نقل الركاب في (١٩٦٣/٥/٢٤) ، ادّعى الشاه أنه رأى الامام المهدي صاحب الزمان (عج) عندما كان طفلاً؟ وأن المشيئة الإلهية أرادت أن تتمّ الإصلاحات على يده هو، كما آدّعى أنَّ إجراءاته مطابقة لإحكام الشرع الاسلامي المقدس، وقال: إن أعداء هذا البلد، وأعداء هذا الشعب وأعداء الشيعة لم يكفّوا عن إنفاق الأموال من أجل شراء أشخاص عديمي العقيدة والإيمان ليقوموا بتحريكهم وتحريضهم ضد هذا الشعب، هؤلاء الأشخاص مهما كان زيُّهم، هم أعداء هذا البلد وهذا الشعب، وتصرفاتهم ستضر بالدين وبالمذهب الشيعي المقدس.

وفي كرمان وبتاريخ ١٩٦٣/٥/٢٧م كرّر هذا الكلام نفسه.

(٤) الشعارات كانت كالتالي: (ياخيني يا محطّم الأصنام، إن الشعب معك، وسيذهب عدوّك مصاص الدماء) و(ياخيني، فليحفظك الله، وليمت عدوك مصاص الدماء).

(٥) كان الدكتور مصدق آنذاك على قيد الحياة وكان يعيش في منطقة أحمد آباد، وقد مارس صمتاً مطبقاً حيال نهضة الخميني وجهاده المتواصل، شأنه شأن الكثير من السياسيين آنذاك. أمّا أتباعه فكانوا يضعون العقبات في طريق جهاد علماء الدين، من خلال إطلاق شعار: (نعم للاصلاحات، لا للدكتاتورية). وكانوا يعارضون النهضة الإسلامية لأسباب عديدة.

إن إطلاق هتاف (مصدِّق منتصر) من قبل مجموعة من أنصارهم في تظاهرات اليوم الحادي عشر من المحرم، كان عملاً مدروساً بدقّة، استهدف فصل التقدم الحاصل في الجهاد الإسلامي للأمة عن هويته الإسلامية، وإلاّ فما هي علاقة الامام الخميني بمصدق في تلك الظروف. فبيانات الامام، وخطب الوعّاظ والخطباء الدينيين، وفاجعة الفيضية، ووحدة علماء الدين، وصلابة الامام ومتابعته للأمور كلها عززت نهج النهضة الاسلامي، ومنحتها الجرأة والإقدام اللاّزمين حتى وصل الأمر إلى خروج تظاهرات حاشدة هزت أركان النظام.

إن زجَّ هتاف (مصدّق منتصر) بين هتافات المتظاهرين كان دليلاً للمطّلعين والمتعمقين في الشؤون السياسية، على وجود انحرافات وأخطار تهدّد مسيرة النهضة، وقد يكون الخطاب التاريخي الذي ألقاه الإمام عصر العاشر من المحرم أي قبل يوم من هذه التظاهرات هو الذي دفع بهؤلاء إلى محاولة زج هذا الهتاف في تظاهرات اليوم التالي.

(٦) صحيفة اطلاعات ـ الثلاثاء ٤ حزيران ١٩٦٣م ـ العدد ١١١٠٦.

(٧) خطاب الامام في ذلك اليوم كان تاريخياً ومصيرياً ولولا الدعم الأجنبي الشامل للنظام، ولو أدرك الجيش أهداف الإمام بالضبط، ولو حظيت انتفاضة ٥ حزيران بقليل من التوجيه والتنظيم؛ لكان سقوط النظام الملكي آنذاك أمراً حتمياً. ويبدو أن الشخصيات والحركات والأحزاب التي كانت تعتبر نفسها في مستوى الامام، لم تكن تدرك سياسة الإمام ومدى تأثير شخصيته في أوساط الأمة. فكلمات الإمام وأحاديثه كانت مبسّطة بحيث يفهمها عامّة الناس، إلاّ انها كانت مع ذلك فوق مستوى الأحزاب والمجموعات السياسية. في التاريخ المعاصر، رأينا الكثير من الشخصيات والأحزاب والمجموعات السياسية تطرح الشعارات الخادعة، وتبذل مساعيها لكسب الطاقات الجماهيرية إلاّ أنها غالباً ما تفشل، وإن نجحت فذلك يعود لدور القيادة الإسلامية وتأثيرها.

(٨) المقصود هو طالب العلم الشاب الذي استشهد في الهجوم الوحشي على الفيضية.

(٩) المقصود هو الشيخ عبد الكريم الحائري مؤسس الحوزة العلمية في قم.

(١٠) عملية اعتقال الامام شرحها كتاب (بررسي وتحليلي از نهضت امام خميني) كالآتي:

«العشرات من الكوماندوز والمظلّيين المسلّحين قاموا بمهاجمة بيت القائد الكبير من السطح والباب؛ وبسرعة خاطفة انتشروا في كل مكان من البيت؛ في السطح وساحة الدار والغرف، لكنهم لم يعثروا على الإمام، وهنا تضاعف ما في قلوبهم من رعب وخوف، فقد تصوروا أن القائد يختفي في ملجأ حصين يخضع لحراسة مشددة من قبل أنصاره! بعد ذلك، بعد ان يئسوا من العثور على الإمام، إنهالوا بالضرب على عدد من الذين يشرفون على إدارة مجالس الإمام والذين يبيتون في بيت الامام، انهالوا عليهم بالضرب طالبين منهم إرشادهم إلى محل اختفاء الامام، وفي نفس الوقت كانوا يسعون لعدم إحداث ضجيج يلفت الأسماع مما قد يؤدي إلى إيقاظ الجيران وفشل الخطة. وقد قاوم هؤلاء الأبرياء وتحمّلوا شتى صنوف العذاب.

أمّا الامام الخميني فقد اعتاد منذ بداية شهر محرم على المبيت في بيت ابنه السيد مصطفى الواقع مقابل بيته بسبب تخصيص بيته لإقامة مجالس العزاء. وفي تلك الليلة، كان الامام قد نهض لتوه لصلاة الليل فسمع أصواتاً غير عادية فعرف أن أزلام الشاه قد هاجموا بيته، فأيقظ ابنه السيد مصطفى بهدوء قائلاً له: (إنهض يا مصطفى يبدو أنهم جاءوا). بعدها فتح باب الدار وانطلق صوته الهادر يدوي في الزقاق: (أنا روح الله. لماذا تضربون هؤلاء؟ أيُّ سلوك وحشي هذا الذي تتّبعونه مع الشعب؟).. وبخوف وحذر حاصر أزلام النظام، القائد الكبير وأركبوه في سيارة «فلوكس فاغن» سوداء كانت معدة لهذا الغرض، ودفعوها الى الشارع لئلاّ يُحدث تشغيل محركها صوتاً. ثمّ ركب معه عدد من الضباط والمسؤولين واتجهت السيارة الى طهران.

(١١) هو السيد مصطفى الخميني، الابن الاكبر للامام، كان يرى ما يحدث من فوق السطح، فلم يتمالك نفسه، بل أراد رمي نفسه إلى داخل الزقاق ليحول دون اعتقال الامام قدر الامكان، لكن القائد الكبير تنبّه إلى نيّة ابنه، فمنعه من داخل السيارة، كما شهر أحد الأزلام سلاحه في وجهه محذّراً إيّاه من الإقدام على أية حركة، وقد امتثل السيد مصطفى لنهي والده، لكنه صرخ بأعلى صوته: «أيّها الناس لقد اعتقلوا الخميني».

(بررسي وتحليلي أز نهضت إمام خميني / ص ٤٧٢).

الفصل الرابع

انتفاضة ١٥ خرداد (٥ حزيران ١٩٦٣) ونتائجها

كانت انتفاضة ١٥ خرداد ـ ٥ حزيران انعطافة مهمة في تاريخ ايران المعاصر. فقد جسَّدت التلاحم المعنوي والشعور الديني الراسخ لدى أبناء الشعب الايراني، وجَسَّدَت نهضة شعب يريد القضاء على الظلم والجور. لقد كانت هذه الانتفاضة تجسيداً لتاريخ الشيعة وجهادهم، ومقياساً لحجم التضحية ونكران الذات لُاناس يتحركون باتجاه أهداف إلهية.

ولم تندلع انتفاضة ٥ حزيران إثر تخطيط وتنظيم مسبقين[1] ولكنها ـ مع ذلك ـ استطاعت ان تهزَّ أركان النظام الملكي مما دفعه الى مواجهتها بكل ما أُوتي من قوة. وقد استمرت هذه المواجهة بأساليب مختلفة حتى سقوط النظام.

لقد تحدثنا في الفصول السابقة عن بدء النهضة الاسلامية بشكلها وخصوصياتها الجديدة، وتعرفنا على دور القيادة ومحور التحرك في هذه النهضة، كما رأينا كيف انتقلت القيادة من حالة المعارضة المرنة الى مرحلة الهجوم في عامي ٦٢ و ١٩٦٣م وأدركنا الوضع الذي كان يعيشهُ الشاه آنذاك، والسبب في لجوئه الى (ثورته البيضاء)! وطبيعة الدعم الذي كان يتلقّاه ـ داخلياً وخارجياً ـ كما قمنا بتقويم الوضع على جبهة قم وكيف وصلت حالة الجهاد إلى ذروتها في محرم عام ١٣٨٣ هـ. ق اذ تكللت بالمظاهرات الصاخبة ـ التي تحدثنا عنها في الفصل الماضي ـ والتي وصلت أوج شدتها، اثر الخطاب التاريخي للامام الخميني في عصر اليوم العاشر من المحرم حيث انه أزاح الستار عن حقيقة الأوضاع، وفضح الشاه، وأظهر للملأ ضعف الملَكية وخورها، واعطى للأمة بارقة أمل جديد.

كما ان المظاهرات الواسعة التي خرجت في اليوم الحادي عشر من المحرم قد أعطت لعملية النضال ضد الشاه صبغة إسلامية كاملة، وجعلت الشاه وحكمه الملكي هدفاً مباشراً لهذا الجهاد. وقد كانت هذه الأوضاع تسير باتجاه معاكس لما استهدفته ما تسمى بـ(الثورة البيضاء). فالمشروع الاميركي كان يستهدف تهدئة الأوضاع وتطويع المنطقة للسلطة الغربية على المدى البعيد، لكن الحوادث التي شهدتها البلاد، كانت تشير إلى أن الوضع يسير على

العكس تماماً مما يريده الاميركان، ولهذا كان على النظام ان يطلع على الناس بلعبة جديدة من شأنها تغيير الوضع الموجود، وقد تصوَّر أن العنف هو الطريق الوحيد لتحقيق هذا الغرض، وهكذا كان. في منتصف ليلة الرابع عشر من شهر خرداد (٤ حزيران) تم اعتقال الامام الخميني الذي كان يمثل بؤرة الثورة الاسلامية المشتعلة. ونواصل الآن متابعة باقي الحوادث.

١ـ انتشار خبر اعتقال الإمام:

انتشر خبر اعتقال الامام بسرعة فائقة في أرجاء ايران كلها، ويبدو أن كثيراً من مسؤولي النظام تصوروا أن الطريق للقضاء على الثورة، هو اعتقال رموزها وقادتها ، لكن الذي حدث كان معاكساً لذلك في قم، وقبل شروق شمس اليوم التالي (١٥ خرداد ـ ٥ حزيران) تجمعت أعداد كبيرة من الأهالي في منزل الامام ثم اتجهت مع نجله إلى صحن مرقد السيدة معصومة. وقد حاول الشرطة تفريق الناس باطلاق التهديدات عبْر مكبرات الصوت. لكنهم تركوا الناس لشأنهم بعد أن عجزوا عن ذلك حيث حدث تجمُّع حاشد في الصحن، وبعد فترة وجيزة التحق بهم جمع كبير من العلماء الذين كانوا قد تجمَّعوا في بيت آية الله الگلبايگاني، بعد أن أصدروا بياناً بهذه المناسبة، وانطلقت من حناجر الجموع المحتشدة في الصحن هتافات (**إمّا الخميني وإمّا الموت**) مؤكدين أنَّ اعتقال الإمام يعني معارضة النظام الحاكم للدين. أمّا نساء قم فقد التحقن بالنهضة وشاركن بشكل فعّال في هذا الحشد الجماهيري[٢].

وبعد أن استمعت الجماهير إلى بيان العلماء، بدأت مسيرتها خارجةً من الصحن الشريف، وما أن ابتعدت عن الصحن قليلاً حتى تصدَّت لها القوات الحكومية باطلاق النار عليها، من الرشاشات المنصوبة على الدبابات فراح المتظاهرون يقاومون الدبابات عبر رشقها بالحجارة وقِطع الخشب والحديد، وأحرقوا إحدى ناقلات الجنود وهرب سائق إحدى الدبابات بينما راحت الجماهير تواصل مسيرتها.

وفي الوقت نفسه، كانت الطائرات العسكرية تحلّق في سماء مدينة قم في مناورة لتقصّي الأخبار ومراقبة الأوضاع. حناجر المتظاهرين كانت تهتف بحياة الخميني مطالبةً باطلاق سراحه . اما قوات الشرطة والأمن فقد حاصرت المتظاهرين وبدأت باطلاق النار عليهم، حيث كتب شاهد عيان راقب المشهد من مخبأ في أحد الازقة ما يلي:

(كنت أرى من النافذة الزقاق وجانباً من مفترق الطرق وقد امتلا بجثث الشهداء والجرحى. فقد عددت في زقاق «نمازي» وحده (٣٢) شخصاً بين شهيد وجريح... صرخات الجرحى

وأنّاتهم كانت تشقُّ عنان السماء... دماء الجرحى والشهداء شكّلت بركة حمراء في ذلك الزقاق وفي المفترق رأيت بعينيَّ الدماء وقد تحوّلت الى ساقية جارية وبعد ساعة توقّف إطلاق الرصاص وعمَّ السكوت أرجاء المدينة التي لم يعد يُسمع فيها إلاّ صوت أقدام الجنود وأنين الجرحى... كانوا يلقون بأجساد الجرحى في الشاحنات، حيث رأيت شاحنة مليئة بالمصابين وهي تتجه الى مكان ما. بعدها وصلت سيارات الإطفاء لتقوم بغسل الشوارع والأزقة وتنظيفها من الدماء).

(انظر كتاب: بررسى وتحليلى أز نهضت امام خميني / ص ٤٠٨).

وبعد المذبحة، عاد الناس للتجمع في الصحن الشريف وهم في حالة غليان عظيم، ولم يكن أحد ويجرؤ على أن يطلب منهم العودة إلى بيوتهم، لكن السيد مصطفى الخميني فعل ذلك. ألمهم أن مقاومة أهالي قم قد استمرت في ذلك اليوم الدامي حتى الساعة الخامسة عصراً، وبعدها خيّم على المدينة صمت رهيب.

وفي طهران خرج كسبة البازار وباعة الحبوب في تظاهرات صاخبة غاضبة. ولقد تدفقت على طهران جموع من فلاحي «ورامين» و«كن» و«جاران» وباقي القرى المحيطة بطهران. وهكذا وقف الناس في وجه الشاه، وأنزلوا اسمه من إحدى الساحات العامة وأحد المساجد ووضعوا مكانه اسم الامام فاصبحت الساحة: (ساحة الامام الخميني) وصار المسجد يعرف بـ(مسجد الامام الخميني) بدلاً من ساحة الشاه ومسجد الشاه، وبدأ هتاف: (الموت للشاه) ينتشر شيئاً فشيئاً. فقد كان الناس يسعون للقيام بخطوة بتّاءة على طريق الإطاحة بالنظام. فقد هاجمت جموع من المتظاهرين مقر الإذاعة بهدف الاستيلاء عليه. لكن رصاص الرشاشات حال بينهم وبين ما يريدون، ومجموعة أُخرى هاجمت مخازن اسلحة الجيش، ومجموعات أُخرى هاجمت الدوائر الحكومية ومراكز الشرطة، كما أشعلت النار في عدد من شاحنات الجيش.

ولمواجهة هذا الموقف، أصدر الشاه أوامره بقمع الانتفاضة الشعبية العارمة. فامتلأت الشوارع المؤدية الى قصر الشاه بالجنود. المتظاهرون بدأوا يتعرّضون لوابل من رصاص القوات الحكومية. فلاّحو ورامين تعرضوا للتصفية من قبل رجال السلطة في منطقة جسر باقر آباد جنوبي طهران، الاجواء امتلأت بالغبار والدخان. لكن التحرك الشعبي لم يكن يتمتع بالتنظيم والإعداد المسبَقَين فالغضب الشعبي كان يستهدف النظام الذي لم يستطع الحصول على نتيجة ايجابية آنية بالرغم من استخدامه العنف والقمع الوحشي.

بعد ذلك لجأ الشاه الى استشارة القادة العسكريين ورجال السلطة المطيعين له، فعيّن الجنرال نصيري حاكماً عسكرياً لطهران، واستمرت موجة القمع الوحشي وإطلاق الرصاص

العشوائي على الناس وإشاعة جوٍّ من الرعب والخوف بينهم. اما النظام الحاكم فقد قرر إصدار الاوامر بـإطلاق الرصاص وقتل الناس مهما كان عددهم ، من أجل إعادة الهدوء الى البلاد. وهكذا نزلت الدبابات والمدافع الرشاشة والخفيفة الى الشوارع والساحات وبدأت بقمع الجماهير الغاضبة وسفك دمائها. فلم يكن جنود الشاه يطلقون رصاصة واحدة إلاّ وتصيب أحد الناس بعد أن تلقَّوا التعليمات بذلك . ومع كلّ هذا الوضع خرجت صحيفة (اطلاعات) الحكومية على الناس لتكتب لهم «هاجمت مجموعة مؤلفة من مئتي شخص الجنود في محلة «گلوبندك» بالحجارة ولم يكن الجنود والشرطة قد تلقَّوا أمراً بـإطلاق الرصاص ، بل اكتفوا بـإطلاق عيارات نارية في الهواء. لكنهم تعرضوا للحصار من ثلاث جهات: الاولى جهة گلوبندك والثانية من (سبز ميدان) والثالثة من زقاق مقابل وزارة الداخلية، ونتيجة لهذه الاشتباكات جرح ضابط وعدد من رجال الشرطة. مجموعة أُخرى من المتظاهرين شنت هجوماً من الجنوب، إذ دخلت متنزَّه المدينة (پارك شهر) واتجهت نحو قاعة الالعاب الرياضية. وفي هذه الاثناء قام عدد من الأفراد بصب البنزين والنفط واشعال النار في الصالة.

وفي حوالي الساعه الحادية عشرة هاجمت مجموعة مؤلّفة من ١٠٠٠ ـ ١٥٠٠ شخص قصر العدلية، وفي فترة قصيرة، قامت بـإحراق قاعة الأضابير والملفّات المحفوظة. المهاجمون الذين كانوا يرتدون القمصان السود ويحملون الهراوات قاموا بتحطيم أبواب وزارة الداخلية وشبابيكها ثم اتجهوا إلى دائرة الإعلام والنشر لكن مقاومة الشرطة لهم أجبرتهم على التراجع، فقاموا بتحطيم جميع الهواتف العامة وأكشاك بيع تذاكر الحافلات العامة التي كانت في طريقهم).

وفي الوقت نفسه شهدت مدن اخرى تظاهرات شعبية كشيراز التي تعتبر من كبريات المدن التي شاركت في انتفاضة ٥ حزيران. ولم يعرف بالضبط عدد القتلى في أنحاء البلاد في ذلك اليوم. وكالات الأنباء قدّمت أرقاماً متباينة تراوحت بين (٤) و(١٥) ألف شهيد. كما كان لحجم التظاهرات وتوجيه الهتافات ضد الشاه مباشرة والمطالبة بسقوطه أثره الكبير على إرباك النظام الذي أيقن أن بامكان القوة الدينية الإطاحة به.

وفي نهاية ذلك اليوم الدامي، قال مدير جهاز الامن الشاهنشاهي المدعو (باك روان) إن عدداً محدوداً جداً من علماء الدين وبمساعدة ومؤازرة من عناصر غبية جداً، أرادوا ـ وخلافاً لرغبة عامة الشعب ـ استغلال نفوذهم المعنوي لدى الناس للوقوف في وجه الخطوات التحررية التي يريد جلالة الشاهنشاه القيام بها، ليرضوا بذلك أهواءهم ونفوسهم المريضة. ولما كان الشاه يشرف شخصيا على ضمان الاستقرار ويعمل على تحقيق استقلال البلاد ووحدتها، فقد وجّه هؤلاء

الأشخاص هجومهم نحو جلالته، وقد تصورت في البداية أنني سأستطيع القضاء على ممارسات هذه الحفنة الخونة بالصبر والمسامحة، فهؤلاء يعلمون بأنَّ السيدين الخميني والقمي قد اعتُقلا مع عدد آخر، وبالرغم من تمتعهما بمنزلة مرموقة جداً في أوساط العلماء، إلاّ أنهما تآزرا مع كل العناصر الرجعية ووصل الامر بهما الى حد الاتصال بعناصر أجنبية مستهدفين جرَّ البلاد الى بلاء عظيم) (الصحف الصادرة عصر يوم ١٥ خرداد/ ٥ حزيران، كما نقلها كتاب الحركة الاسلامية بقيادة الامام الخميني/ ص ٥٨).

٢ـ آثار انتفاضة ٥ حزيران وانعكاساتها:

انتفاضة (١٥) خرداد/ ٥ حزيران كانت ذات آثار وانعكاسات واسعة جداً، فبالرغم من أنها لم تؤدِ في حينها إلى تغيير حكومة (أسد الله علم) إلاّ أنّها هزّت أركان عرش الشاه وحكومته، لأن حكومة (علم) كانت في الواقع حكومة الشاه نفسه.

وفي البداية حاولت الحكومة التعتيم على الانتفاضة وتجاهلها، ومن ثم تشويه سمعة هذه النهضة الشعبية والسعي لإلصاق تهمة العمالة بها، ليكون ذلك مسوِغاً للنظام لاستخدام القسوة والعنف ضد الذين اعتقلهم. فقد رأينا أن صحيفة (اطلاعات) التابعة آنذاك لدائرة أمن النظام كتبت تقول: (في يوم ١٥ خرداد (٥ حزيران) هاجمت مجموعة مؤلّفة من مئتي شخص، مقر الجنود في محلة «گلوبندك» بالحجارة.. وقد جُرح إثر هذه الهجوم ضابط واحد وعدد من الحراس.. وفي حوالي الساعة الحادية عشرة دخلت مجموعة مؤلفة من (ألف الى الف وخمسمئة شخص) الباب الغربي لقصر العدلية... ومنذ الساعة الثانية بعد الظهر خيّم على شوارع طهران سكوت مرعب، بينما كانت رائحة الدخان تشم في مناطق التظاهرات. وإثر هذه الحوادث وتدخُّل قوات الشرطة والأمن قُتل عدد مجهول من المتظاهرين).

وبعد يومين من الفاجعة ـ أي في السابع من حزيران ـ قال الشاه (للأسف، يجب أن أُخبركم بهوية من افتعلوا حوادث ١٥ خرداد (٥ حزيران). فقد اعترف الكثير من الجرحى والمعتقلين بأنهم حصلوا على مبلغ (٢٥) ريالاً لكل فرد مقابل الخروج الى الشوارع والهتاف بحياة فلان وفلان)!!.

وفي كتاب «انقلاب سفيد» (الثورة البيضاء) يكتب الشاه رأيه بهذه الحوادث كما يلي:

(هذه الحوادث تمت بتحريض أعوان الرجعية من قبل شخصٍ يتظاهر بالدين... وقد كان مؤكّداً أنَّ لهذا الشخص علائق مشبوهة بالاجانب(!!) وقد رأينا كيف ان إذاعات حزب توده

المحظور ـ أي الحزب الذي لا يعترف أساساً بوجود الله ـ لقّبته بـ« آية الله» ورفعت منزلته إلى منزلة العرش كما يقال، هذا بالرغم من أن هذا الشخص يجري تحريكه من جهات أُخرى أحياناً... إن فتنة (١٥) خرداد كانت نموذجاً بارزاً للتحالف غير المقدّس بين الجناحين الأسود والأحمر التخريبي، والذي تمّ بدعم مالي من الملاكين المشمولين بقانون الإصلاح الزراعي...)![٣]

اذن، فالشاه يعتبر تحرُّك الخميني الاسلامي تحرُّكاً رجعياً بالرغم من أنّه وجّه ضربات عديدة الى كيان الامبريالية الاميركية والصهيونية. ويصف هذا التحرك بأنه عقبة في طريق الإجراءات الثورية التي بدأها، ويخلص الى هذه النتيجة وهي ؛ أنَّ عليه أن يقمع هذا التحرُّك بأيّ شكل، ليحول دون ظهور نظائر له، حيث أعدَّ (أسد الله علم) عقوبة الإعدام لهذا الغرض عندما أعلن ذلك في مقابلة صحفية لم يجرِ نشرها داخل البلاد. ولو كان قد حدث ذلك لأثار حماس الجماهير الغاضبة وثورتها، ولما ظلَّ بمقدور الحكومة البقاء في سدّة الحكم. فقد قال في هذه المقابلة :

(إنَّ خمسة عشر شخصاً من كبار الشخصيات الدينية كانوا ضالعين في الاضطرابات المعادية للحكومة في مختلف المدن هذا الاسبوع سيحالون إلى المحاكم العسكرية التي قد تحكم عليهم بالاعدام).

وأضاف علم:

(نتيجة لإطلاق الرصاص من قبل رجال الشرطة، قُتِل حوالي عشرين شخصاً، وان بعض رؤوس الفتنة قد اختفوا لكننا ألقينا القبض عليهم).

٣ـ محاولات النظام اخفاء الحقيقة:

رأينا كيف أنَّ انتفاضة ٥ حزيران كانت أشبه بحالة غليان شعبي استهدف توجيه ضربة قاصمة للحكم الملكي. وبالرغم من أنها لم تسفر عن نتيجة إيجابية حاسمة، إلاّ أنّها خلّفت آثاراً عديدة دفعت أعوان النظام إلى استغلال وسائل الاعلام وجميع الأجهزة المتاحة لإلصاق مختلف التهم بهذه الانتفاضة وسلبها صبغتها الدينية الإسلامية، واتّهامها بالعمالة والارتباط بجهات أجنبية. وهذا ما كان يلاحظ على الخطوات الحكومية على عدة صُعُد، حيث عملت السلطة على خداع الرأي العام، وإعطاء الانتفاضة صبغة مادية بدلاً من صبغتها المعنوية الاصيلة، وقامت بقلب الحقائق كلّها، فقد كان النظام يدَّعي أنَّ المتظاهرين قاموا بشن هجومهم على الحكومة بسبب حصول كل منهم على (٢٥) ريالاً فقط!!

هذا الادّعاء أطلقهُ الشاه وصار الباقون يردِدونه لكن ذلك لم يكن كافياً، بل كان على الحكومة تحديد مصدر هذه الأموال. وهكذا بدأت أبواق النظام تتحدث عن قضية تسلُّم مسلم شيعي للمال من مسلم غير شيعي. وكان الهدف من ذلك؛ الادعاء بأن هذه الأموال مصدرها جمال عبد الناصر وأنه أرسلها إلى ايران لإثارة القلاقل وقلب نظام الحكم. وبدأ أزلام النظام يعدون الناس بكشف الحقائق قريباً . بعدها قدّموا للناس ما أسموه بالمستمسك والدليل فقد كتبت صحف يوم ١٦/حزيران/١٩٦٣ تقول:

(بتاريخ الحادي عشر من خرداد (١ حزيران) وصل مطار مهر آباد في طهران شخص يدعى «عبد القيس جوجو» قادماً من لبنان. وقد أثار شكوك رجال الگمرك فقاموا باستجوابه ووجدوا معه مبلغاً يعادل مليون تومان، وقد أثبت التحقيق فيما بعد أنه جاء لإيصال هذا المبلغ من جمال عبد الناصر الى أشخاص محدَّدين في ايران. وسيتمُ قريباً الكشف عن تفاصيل هذا الموضوع).

بعد ذلك، أصدرت سفارة ايران في بغداد بياناً ذكرت فيه اسم هذا الشخص المزعوم وادعت أنه «محمد توفيق القياسي» زاعمةً أنه كان مكلّفاً بتسليم هذه الأموال إلى أشخاص معينين في إيران، وان هذه الأموال أُرسلت من عبد الناصر الى بيروت ومن هناك قام بنقلها الى أنحاء مختلفة) [4].

لقد كان عبد القيس (جوجو) شخصاً وهمياً اختلقته مخيّلة النظام، ولمّا لم يحصل النظام على النتيجة المطلوبة من ذلك، آثر الصمت حيالها والتجأ إلى مهاجمة الاقطاعيين في ايران واتهامهم بالتعاون مع الشيوعيين لإثارة «الفتن» بينما الواقع هو أن حزب توده الشيوعي والقوة الكبرى التي ينتمي اليها ـ أي روسيا ـ لم يكونا يؤيدان هذا التحرك الاسلامي بل اعتبراه عقبة في الطريق. في مساء يوم (٦ حزيران) حملت روسيا بشدة على النهضة الاسلامية ونهجت الصحافة الروسية هذا النهج نفسه حتى وصل بها الأمر إلى توجيه شتّى الاتهامات إلى الامام الخميني.

وقبل ذلك بيوم ، أي مساء ذلك اليوم الدامي، قالت إذاعة موسكو في تحليل لها:

(تظاهرت اليوم في طهران وقم ومشهد عناصر رجعية ايرانية تعارض الاصلاحات في هذا البلد، وخاصة خطوات الاصلاح الزراعي ، وترى في إعطاء حقوق المرأة أمراً يتعارض مع اهوائها.

وقد قام عدد من معارضي الاصلاحات بإشعال فتيل الاضطرابات بهدف معارضة الحكومة والوقوف في وجه هذه الاصلاحات التي تم التخطيط لها من قبل الحكومة او هي توشك على

تنفيذها. قادة ومحركو هذه الاضطرابات هم بعض الزعماء الدينيين والعناصر الرجعية، حيث قاموا بإشعال النيران في البازار (المركز التجاري) وهاجموا عدّة محلات تجاريّة ونهبوا محتوياتها. كما دمّروا السيارات وحافلات النقل العامة وهاجموا عدّة دوائر حكومية).

أمّا صحيفة «ازفيستيا» الناطقة باسم الحكومة الروسية فقد كتبت في ٧ حزيران تقول:

(شهدت مدن طهران ومشهد وقم اضطرابات وقلاقل بتحريك من رجال الدين المسلمين الرجعيين، بهدف معارضة الإصلاح الزراعي الذي تنوي الحكومة تطبيقه، وقد استغل الفوضويون أيام الحداد والعزاء التقليدية فحرّضوا عدداً من الشبّان المتعصّبين المتخلّفين على مهاجمة عدد من المحالّ التجارية والسيارات وتدميرها).

أمّا مجلة «العصر الجديد» الروسية فقد كتبت تقول:

(... قام الخميني وحاشيته بتحريك المؤمنين ضد الحكومة مستغلّين قرار تساوي حقوق النساء والرجال، ونتيجة للحملة الاعلامية التي شنها هؤلاء، نزل الى الشوراع جمع من الذين أعماهم التعصُّب فأثاروا الاضطرابات والقلاقل (انظر: بررسى وتحليلي أز نهضت امام خميني / ص ٥١٤ ــ ٥١٥).

٤ـ موقف الاوساط السياسية والاعلامية والدينية العالمية:

عكست الصحف الاجنبية التي يتسم كلٌّ منها بنهج معيّن انتفاضة ٥ حزيران بأشكال مختلفة فصحيفة «ديفلت» كتبت في العدد ١٢٩:

(قتل في طهران مئات الأشخاص، فيما أعلنت حكومة علم حالة الطوارئ.. الجيش نزل إلى الشوارع بدباباته ورشاشاته وجنوده لمواجهة مؤيدي الخميني زعيم المسلمين الذي يحتجُّ على إصلاحات الشاه... شوارع طهران مليئة بمخلّفات الدمار، وقصر الشاه يخضع لحراسة مشدَّدة).

أمّا اللوموند الفرنسية فقد كتبت تقول:

(اندلعت في قم وشيراز مظاهرات عنيفة حيث قام المتظاهرون ــ وكما حدث في طهران ــ بتدمير المحالِ التجارية، وإحراق عدد من الأبنية ودور السينما والسيارات التي كان بعضها يعود للشرطة..).

وفي مصر كتبت صحيفة الأهرام في ٦ حزيران ــ أي بعد الانتفاضة بيوم واحد ــ مايلي:

(بالامس كانت طهران تشتعل بنار الغضب الشعبي... اذ شهدت أعنف مظاهرات ضد

الشاه... هذه التظاهرات بدأت عقب اعتقال (الخميني) الزعيم الديني وأنصاره، وقد هتف المتظاهرون بشعار «الموت للشاه» وهاجموا مؤسسة الإذاعة ودائرة النشر وحاولوا احتلالها. كما رجموا سيارات الجيش بالحجارة... واثر ذلك قامت قوات الشرطة بمهاجمة المظاهرات بالغازات المسيلة للدموع وبالرصاص، حيث قتل في الساعات الاولى للحادث المئات من المتظاهرين...).

لقد تناولت أكثر صحف العالم آنذاك حوادث انتفاضة ٥ حزيران بعناوين بارزة، وقامت بتحليلها. وفي النجف والكاظمية وكربلاء؛ أرسلت الحوزات العلمية برقيات إلى رؤساء البلدان الاسلامية والمنظمات الدولية أدانوا فيها هذه المذبحة. أمّا الحوزات العلمية في الداخل فقد واصلت متابعة القضية بتضامن واتحاد. كلّ ذلك كان يجري بينما الصحافة ووسائل الاعلام الحكومية الايرانية لا تعكس أيتاً من حقائق هذه الانتفاضة ووقائعها[٥]، فلم تنشر حول هذه المذبحة سوى عدة سطور وعدد من البلاغات التي أصدرتها الحكومة العسكرية وعدة جمل وتصريحات صحفية (للشاه) و(علم) و(باك روان) رئيس دائرة الامن فمن كان يجهل حقيقة الحوادث لم يك يدري لماذا أُعلنت حالة الطوارئ وجرى تشكيل الحكومة العسكرية وماهو سبب الهجمات التي يشنها الثلاثة السالفو الذكر في تصريحاتهم الصحفية.

٥ـ موقف العلماء بعد انتفاضة ٥ حزيران :

انتفاضة ٥ حزيران كانت انتفاضة دينية عامة ضد النظام دعماً للعلماء. هذا التحرك الثوري كان إسلامياً خالصاً لم تشارك فيه أية مجموعة غير دينية. المشاعر الدينية كانت هي الدافع لهذا التحرك الذي لم يجرِ تنظيمه والتخطيط له من قبل، ولهذا لم تستطع هذه الانتفاضة الإطاحة بالنظام، لكنها كانت درساً لباقي الحركات والمجموعات. فبعض الناس كان يتصوّر أنَّ تحرُّك معارض للنظام لا بدَّ له من الاعتماد على جهة أجنبية تدعمه وتمهد له الطريق، لكن انتفاضة ٥ حزيران اثبتت أنَّ إيران تملك ـ ذاتياً ـ أكبر قوة محرّكة ودافعة يمكنها العمل بشكل مستقل عن الخارج، فهذا التحرك حدث في وقت كانت الجارة الشمالية لإيران (أي القوة الكبرى روسيا) قد بدأت لتوّها بتحسين علائقها مع نظام الشاه بعد أن ظلّت هذه العلائق متوترة لمدة طويلة، فكانت تعلن تأييدها لما يسمّى بـ«الإصلاحات الشاهنشاهية» و(ثورة الشاه البيضاء)! وكانت تتّهم معارضي هذه «الاصلاحات» ـ وخاصة المجاهدين المسلمين والعلماء ـ بالرجعية وواصلت هذا الموقف حيال انتفاضة ٥ حزيران، وقد تبعها ـ وكالعادة ـ مؤيدوها داخل إيران

ممّا يدل على أنهم لم يكن لهم أيُّ دور في هذه الانتفاضة، بل إنهم وقفوا ضدّها منذ الساعات الاولى.

أمّا الحكومة وحماتها الغربيّون الذين جعلوا من الشاه منفذاً لسياساتهم، فقد كانوا هم الهدف المباشر للانتفاضة الشعبية، وعلى هذا فإنَّ انتفاضة ٥ حزيران ١٩٦٣ تمثل تجسيداً ومظهراً للاستقلال الحقيقي الذي ظلت المدرسة الشيعية تنشده لقرون طويلة، والذي لم يتحقق من قبل بسبب حصول الانحرافات[٦] فانتفاضة ٥ حزيران أثبتت إمكانية الوصول الى ذلك مما جعل منه هدفاً حقيقياً للجهاد المستقبلي.

وبالرغم من أن انتفاضة ٥ حزيران كانت ردَّ فعل عفوياً على اعتقال الإمام، إلاّ أنها لم تسفر عن إطلاق سراحه بشكل سريع، لهذا فقد استمر توجيه برقيات التنديد ورسائل الاحتجاج من مختلف أرجاء البلاد، بعدها اجتمع العلماء المهاجرون الى طهران بكبار علماء طهران وتشاوروا حول الامر، ولما كانت الامّة تبدي اهتماماً كبيراً بموضوع اعتقال الامام فقد قرّر هؤلاء العلماء السعي بشتى الوسائل للاطمئنان على وضع الامام وسلامته، وتداولوا في مسألة السعي للقائه في السجن.

وهكذا فقد اجتمع مع الشاه السيد روح الله كمالوَند ـ وهو من علماء خرّم آباد ـ ممثلاً عن باقي العلماء، ونقل له قلقهم على مصير الامام، حيث وافق الشاه على قيام أحد علماء طهران (نيابة عن الباقين) بزيارة الامام الخميني. فقام آية الله الخونساري بذلك، ونقل إلى الأُمة خبر سلامة الامام.

أمّا النظام الحاكم الذي كان متخوفاً من تكرار انتفاضة ٥ حزيران، فقد حاول تشتيت كلمة العلماء وعدم تلبية أيٍ من مطاليبهم، وأمّا الاضراب العام الذي عمّ أسواق البلاد فقد أنتهى بعد الاطمئنان على سلامة العلماء المعتقلين، كما تبع ذلك إطلاق سراح عدد من العلماء في العشرين من تموز عام (١٩٦٣)، وانتشرت أخبارٌ تفيد بأنَّ الامام سيُنفى من ايران مما دعا العلماء للتحرك مرّة أُخرى.

فقد أصدر آية الله السيد محمد هادي الميلاني بياناً هاجم فيه النظام بشدة، وجاء في البيان:

بسم الله الرحمن الرحيم

أيّها الشعب الإيراني المظلوم.

بعد اعتقال حضرة حجة الاسلام والمسلمين آية الله الخميني (دامت بركاته) وبقية آيات الله والشخصيات الدينية والوطنية، والجريمة المروّعة التي وقعت في ١٢ محرم (٥ حزيران) وقتل بعض

الناس المظلومين الذين ثاروا في وجه الظلم، واعتقال آخرين ونهب أموالهم، فقد تقاطرت على طهران جموع كبيرة من الشخصيات العلمائية رفيعة المستوى من أجل الدفاع عن مصالح الحكم الاسلامية والاجتماعية يا أبناء الشعب الايراني، وكذلك للإعلان عن تعاضدهم وتضامنهم معكم ومع المعتقلين. أمّا الظالمون الممسكون بزمام الحكم فقد لجأوا إلى إقامة مظاهرات صورية نفاقية وتنصّلوا عن أداء واجباتهم الأولية حيال العلماء، من أجل التخلص من تبعات الغضب الشعبي العارم ونتائجه وهم اليوم يمارسون سياسة تضييع الوقت في المفاوضات، ويعملون على إضعاف معنويات أبناء الامة من خلال ارتكاب جرائم أُخرى، حيث يواصلون اعتقال الاشخاص بشكل غير قانوني، ويمارسون ضدّهم شتى أنواع التعذيب الوحشي، ليضيفوا بذلك صفحة سوداء أُخرى إلى سجل جرائمهم الأسود.

وكل يوم تراجعني عوائل عديدة اعتُقل معيلها الوحيد من قبل الحكم البوليسي ويزورني آباء وأُمهات يذرفون الدموع ويقولون لي: إنَّ الظالمين يمارسون التعذيب البشع بحق أفلاذ أكبادنا... وهم لا يدعوننا نعلم شيئاً عن مصيرهم... قسماً بالله لَلْموتُ بشرف أفضل من الحياة في ظل هذه الظروف. فالحكومة الفردية تستعد اليوم لنفي آية الله الخميني وآية الله القمي وآية الله المحلاّتي... وهي تهدد وتطلب من العلماء العظام ـ الذين جاءوا إلى طهران ـ مُغادرتها فوراً وإلاّ فإنهم سيواجَهون بعنف وحزم مرة أُخرى.

وعلى أيّ حال، فإنَّ توسيع نطاق الجرائم من قبل الممسكين بزمام الأُمور حالياً يجعل من المسلّم به أنَّ المجرمين يخشون من حركة الأُمة الاسلامية. وفي ظل نفي العلماء العظام واعتقال أهل الحق وتعذيبهم، يريدون القيام بتعيينات (لاعضاء البرلمان) على غرار التعيينات التي جرت خلال الدورتين التاسعة عشرة والعشرين من البرلمان ليواصلوا بذلك ظلمهم لفترة أُخرى، وانني وباسم الشعب الإيراني اعلن للمجرمين ما يلي:

١ـ إن الشعب الايراني لن يرضى بنفي شخصيات كآية الله الخميني وباقي العلماء الكبار، ولن يسمح بحصول مثل هذا الاعتداء.

٢ـ إن الشعب الإيراني لن يطيق استمرار عمليات الاعتقال والتعذيب لرجال صالحين ويطالب بوضع حدٍ لهذه الجرائم.

٣ـ إن الشعب الإيراني سيقاوم مهازل الانتخابات المزوّرة والتعيينات الاعتباطية، ولن يسمح للآخرين بسلب حقِّه الذي حُرم منه لسنوات طوال.

إنّي أُحذّر الظالمين في هذا البلد من أن دموع الأُمهات الثكالى والأطفال اليتامى، والسجناء

الأبرياء ستطيح بقصورهم، وإن لم يجد المظلوم نصيراً له ، فالله نصيره.

إنني أدعو جميع المسلمين والشرفاء في العالم إلى دعم الشعب الإيراني المظلوم ، و آمل أن تشملنا رعاية الامام المهدي صاحب العصر والزمان، وأن ينجلي هذا الليل المظلم).

طهرن ـ ١٣٤٢/٥/٢ (المصادف ١٩٦٣/٧/٢٤) .

محمد هادي الحسيني الميلاني

كما أصدر علماء آخرون بيانات مشابهة في هذا الخصوص.

٦ـ من سجن «القصر» الى الداوودية والقيطرية:

إنَّ التهديد والوعيد الذي مارسه النظام زاد من صلابة الشعب والعلماء وثباتهم، إذ تصاعدت موجة الدعم والتأييد للخميني المعتقل، وجعلت منه ـ دون شك ـ المرجع الذي لا معارض له. وفي ذلك الوقت كان النظام يستعدُّ لإجراء انتخابات الدورة الحادية والعشرين للبرلمان، والصحافة مشغولة كلُّها بالتطبيل والتزمير لبرلمان يضمُّ نساءً (متحررات)! ورجالاً (أحراراً)! وكان النظام يريد إجراء هذه الانتخابات بدون قلاقل، لتشكيل المجلس وإنهاء مرحلة الحكم بدون برلمان . لكن اعتقال العلماء وجهادهم ضدّه كان من شأنه أن يشكّل عقبةً في طريق تنفيذ هذا الهدف فكان يتوجب على النظام إزالة هذه العقبة، والخروج من الطريق المسدود الذي وصل إليه.

وفي الوقت نفسه فإن عدم اعتقال الامام الخميني كان يشكل خطراً كبيراً و آنياً ، فلو كان قد أُطلق سراحه في تلك الفترة لشهدت ايران تصاعد حملة التظاهرات والتجمعات الجماهيرية وعمليات التنديد وفضح النظام، وهو ما يخشاه النظام بشدة ، لهذا فقد ارتأى النظام الحاكم أن يطلق ـ ظاهرياً ـ سراح قائد التحرك الجهادي لكنه يُبقي عليه في محاصرته عملياً ويمنع الناس من زيارته ليوقف نشاطاته ضدَّ الشاه.

وهنا نصل الى حوادث يوم الجمعة الثاني عشر من ربيع الاول عام (١٣٨٣) حيث كلَّف النظام، المدعو باك روان (رئيس جهاز المخابرات) بذلك فالتقى الأخير الامام في معسكر عِشرَت آباد، ومن هناك أعلن إطلاق سراحه، وحين ابلاغه بـإطلاق سراحه ، قال باك روان للامام :

(سيطلق سراحكم الآن، ويجب أن أُعلمكم بأنَّ السياسة تعني الحيلة والخديعة وتعني الكذب والتحريف. والخلاصة ؛ إنها سيئة جداً وأنتم بعيدون عن ذلك تماماً. فالعالم المرجع يجب أن لا يلوّثَ نفسه بهذه القضايا من خلال التدخُّل في السياسة) .

أما الامام فقد ردّ عليه بالقول: (نحن لم ولن نمارس السياسة التي تمارسونها أنتم).

وقال مؤلف كتاب «بررسي وتحليلي أز نهضت امام خميني» إن رئيس جهاز الأمن (الساواك) قال للامام في هذا اللقاء: (لقد أجريت تحقيقات كثيرة لكنني لم أعثر على أي دليل أو مستمسك يثبت ارتباط المرجع الديني الكبير (يعني الامام) بالخارج حتى أنني أرسلت لكم شخصاً عربياً لأتأكّد من ذلك، لكنني لم أُلاحظ أيّ دليل يثبت لي هذا الأمر . وقد اتضح لي أن المرجع الديني الكبير (أي الامام) لم يكن لديه أيُّ اتصال بالخارج خلال مقاوماته العديدة) واستطرد (وهذا ما يجب أن يكون عليه المرجع الدينى الكبير . . فقد تأكّد الشاهنشاه أنَّ المرجع الديني إنَّما يطرح في هذه المواجهة وجهة النظر الدينية ولم يقم بذلك بدفع من الأجانب، كما إنه (أي الإمام) لايعارض الملكية ـ من حيث الأساس ـ لكنه (أي الشاه) يقول إنّكم في خطابكم يوم عاشوراء قد هاجمتموه شخصياً وهو الرجل الأول في البلاد، فماذا يكون ردّ فعلي تجاهه غير هذا؟! ثم وجّهتم الإهانة إلى العائلة المالكة، ويجب أن تعترفوا بأنَّ ذلك الخطاب كان عنيفاً جداً ولم يسبق له مثيل في دول العالم، لا الاستبدادية منها ولا الملكية أو الديمقراطية أو الجمهورية. فلم يسبق أن يقوم شخص بمهاجمة رئيس الدولة بهذه اللهجة الشديدة).

اما الإمام فقد ردّ عليه بالقول:

(قد أكون استخدمت لهجة عنيفة في ذلك الخطاب، لكنني استهدفت من ذلك تقديم النَّصيحة. وكنت أرى من اللازم تقديم النصيحة للشاه بذلك الشكل، وعليكم أنتم أيضاً أن تنصحوه).

وفي ذلك اليوم تمّ نقل الامام الى بيت تابع لجهاز أمن الشاه (الساواك) في محلة الداوودية بطهران. وقد كان الطريق الى هذا البيت خاضعاً لمراقبة مشدَّدة من قبل قوات الأمن والشرطة. وبعد مضي أقل من ساعة على وصول الإمام تدفّقت سيول شعبية عارمة باتجاه محلة الداوودية وآزدحمت شوارعها بالمواطنين بشكل لم يسبق له مثيل.

اما العلماء المهاجرون الموجودون في طهران فقد زاروا الامام ومعهم علماء طهران ونقلوا له تفاصيل انتفاضة (٥) حزيران، الامر الذي هزَّ أعماق الامام وصرخ أمام جموع الزوّار **(ما الذي أستطيع عمله حيال هذه المشاعر الجيّاشة)** ثم آنتحب باكياً، ولم يكن أحد قد رآه يبكي بهذا الشكل من قبل، فأخبار مذبحة ٥ حزيران قد آلمته وأصابته في الصميم[٧].

أمّا الحكومة فلم يكن يروق لها أن ترى تدفق جموع الناس على مقر اقامة الإمام وتعبيرهم عن مشاعرهم الجيّاشة تجاهه، فقرر الساواك فجأةً محاصرة البيت ومنع أيّ احد من زيارة الامام، كما

نشر في الصحف البيان التالي:

(وفقاً لما أعلنته أجهزة الأمن فانه وبعد أن حصل اتفاق بين الجهات الأمنية والسادة؛ الخميني والقمي والمحلاتي على عدم تدخّل هؤلاء السادة في الشؤون السياسية، وبعد أن حصلت الثقة الكاملة بأنَّ هؤلاء السادة لن يقدموا على ما من شأنه الإضرار بالأمن ومصلحة البلاد، لذا فقد تَمَّ نقلهم إلى منازل خاصَّة).

وقد أرادت الحكومة من خلال هذا البيان الإشارة إلى أنَّ إقامة الإمام في الداوودية لا تعني جواز إقامة التجمُّعات السياسية والشعبية، بل إنَّ هذه الخطوة ليست إلا عطفاً من قبل الحكومة على هؤلاء العلماء بعد الاتفاق الذي جرى معهم و«التعهد» المزعوم الذي قدَّموه والذي يقوم على عدم التدخُّل في الشؤون السياسيَّة.

وفور صدور هذا البيان، ظهرت ردود فعل عديدة من جانب العلماء، فقد قام آية اللّه المرعشي النجفي بدراسة عبارات البيان الحكومي والردِ على كل فقرة منه وتحليلها ، كما شنَّ هجوماً عنيفاً على النظام وآعتبر اسلوب مخاطبة النظام لآيات اللّه مخالفاً للأخلاق ، كما اعتبر البيان عديم القيمة بشكل مطلق لعدم احتوائه على اسم الجهة التي أصدرته، وناقش مغزى عبارات الإعلان، وآعتبر عدم التدخل في السياسة أمراً مخزياً ومضحكاً، وهو أمر مخالف لمبدأ حرية الانسان ومن المستحيل العمل به لانه مخالف لمبدأ : (**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيتهِ**) اما تأكيد البيان على أن «السادة لن يُقدِموا على ما من شأنه الإضرار بالامن ومصلحة البلاد» فهو أكبر مهزلة مضحكة في هذا البيان. وأضاف آية اللّه المرعشي:

(يبدو أنَ الحكومة تعتبر السادة العلماء أشراراً وجَهَلة وهم في عداد المجرمين أصحاب السوابق حتى تقوم الشرطة بأخذ تعهدات منهم بعدم الإضرار بالناس بينما الجميع يعلم بأنه ليس هناك من هو اكثر من العلماء الشيعة حرصاً على المصالح الاجتماعية والأخلاقية ، فكل فضيحة حدثت لحد الآن، إنما كانت بسبب عدم كفاءة المسؤولين الخونة عديمي الإيمان) .

وقد جنت الحكومة من مواصلة التضييق على الإمام الثمار التي أرادتها ، فقد هدأت غضبة الجماهير بعد إعلان خبر إطلاق سراح الإمام متصوِرة أنه رجَّح السكوت حاليًا لمصلحةٍ ما ، و آثر الإنزواءعن الناس، الأمر الذي أتاح للحكومة فرصة مناسبة لتنفيذ ما تريد خلال عشرة أشهرٍ. كما واصل النظام احتجاز الإمام وعزله عن الناس، لكنه كان يوحي للامة بأنّ الإمام يتمتَّع بكامل الحريَّة بالرغم من أن بعض البيانات والمنشورات قد فضحت هذا الأمر[٨] إلاّ أنها لم تكن بالمستوى الذي يمكّنها من إحباط مؤامرة الحكومة، ومواصلة الجهاد والمعارضة كما في السابق،

خاصة بعدما أجبر النظام العلماء المهاجرين على العودة إلى مدنهم بعدما تنصّل من الوعود التي قدّمها لهم بخصوص إطلاق سراح الإمام. وفي هذه المرحلة افتقدت الساحة قيادة الإمام، وهذا ما كان ملموساً بوضوح آنذاك. وبتعبير آخر؛ إنه وبالرغم من وجود علماء يؤمنون بضرورة مواصلة الجهاد، فإن فترة احتجاز الإمام وعزله عن الامّة لم تشهد تلاحم علماء الدين وتطابق آرائهم وتجانس وجهات نظرهم، ولهذا لم تشهد الساحة مقاومة ومعارضة عنيفتين، فكان من السهل على الحكومة السيطرة عليهم وإخماد تحرُّكاتهم.

وفي هذا الصدد، ظهرت وجهات نظر مختلفة، فبعض يعتقد انه بعد اعتقال الامام، وخصوصاً أثناء فترة احتجازه في البيت التابع للساواك لم يكتفِ العلماء الكبار بعدم مواصلة الكفاح بالدرجة السابقة بل إنهم أخذوا يخففون من المعارضة والاحتجاج شيئاً فشيئاً واعتبروهما عديمَي الجدوى وعادوا إلى الوضع الذي كانوا عليه قبل بدء عملية الجهاد ضد الحكومة. وقد ذهب بعضهم إلى اكثر من ذلك عندما اعتبر أن المعارضة قد عرّضت وجود الحوزة للخطر، إذ يتوجّب توجيه الاهتمام لدعم الحوزة وتقويتها أولاً، ثم تحديد طبيعة التحرُّك، كما اعتقدوا أنَّ إيجاد التوتر في الاجواء ليس في مصلحة الاسلام والبلاد! هذه الأفكار شهدت رواجاً خلال الأشهر العشر التي كان فيها الامام محتجزاً في طهران، اذ تُعتبر مرحلة تباطؤ، وانعطافاً في مسيرة النهضة. كما كشفت هذه الظاهرة دور القيادة وأهميتها في تحشيد طاقات الامة المبعثرة ومدِّها بسبل التحرك والثورة.

٧ـ الاضراب الشعبي وأوامر الحكم العسكري:

تصوَّر النظام الحاكم أنَّ الخسائر الفادحة لانتفاضة الخامس من حزيران لم تبقِ أحداً يفكِّر بالاحتجاج والمعارضة والإضراب مما يتيح لأركان النظام ـ ومن بينها الحكم العسكري ـ ضمان استقرار الاوضاع لصالح سلطات الاستبداد. فبعد مرور سبعة ايام على الانتفاضة جرى توزيع بيانات ومنشورات تخلِّد ذكرى شهداء (٥) حزيران، لكن سلطات الحكم العسكري لمدينة طهران أصدرت بياناً هددت فيه الجماهير وتوعدتها واعلنت أن شبكة تجسُّس وخيانة قد تم كشفها وجرى اعتقال عدد من الأشخاص في هذا الخصوص.

فقد جاء في البيان السابع لسلطات الحكم العسكري:

(.. الهدوء والأمن يخيّمان على العاصمة بشكل كامل، ولأن عدداً من العناصر المفسدة التي يئست من تنفيذ خططها القذرة والمشؤومة قامت خلال الـ(١٢) ساعة الأخيرة بنشر الإشاعات

والاكاذيب، مستهدفةً إرباك الأمن والتشويش على الرأي العام لتواصل مضايقة الاهالي وجلب الأذى لهم، فإن إدارة الحاكم العسكري تؤكد مايلي: (في حالة قيام فرد أو مجموعة بعمل يخالف القرارات وقوانين الحكومة العسكرية، ويخل بالنظام والأمن ؛ فسيجري اعتقالهم وإحالتهم إلى محكمة عسكرية..) .

وورد في البيان الثامن ما يلي:

(... كشفت قوات الشرطة والأمن هوية المشاركين في هذه المؤامرة الخيانية، حيث قامت باعتقال معظمهم خلال الأيّام الماضية، إضافة إلى ذلك، فقد استطاعت قوات الأمن خلال الأربع والعشرين ساعةً الماضية كشف شبكات تجسُّس وبؤر تآمر وخيانة إضافةً الى وثائق ومستمسكات مهمّة .. وقد تمَّ اعتقال عدَّة اشخاص وتسليمهم إلى المحكمة العسكرية..).

وقد استهدف النظام من هذه البلاغات والبيانات المتتابعة الوقوف في وجه إرادة الامة، ومنع حدوث الاضراب العام الذي كان على وشك الحدوث. لكن كلّ هذه المحاولات ذهبت سدىً وأُضيف إضراب يوم (١١) حزيران (٢١ خرداد) إلى إضراب البازار الذي ظلَّ مغلقاً من (٥) حزيران إلى (١٧) منه ، وهكذا شهدت طهران إضراباً شاملاً وخلت شوارع العاصمة من المارة تماماً. لكن الصحافة المسائية الصادرة عصر ذلك اليوم كتبت تقول: (إن الوضع في طهران كان هادئاً جداً، والهدوء يعمُّ كلَّ مكان)! في محاولة منها للتقليل من حجم الإضراب الشامل وأهميّته.

٨ـ التنظيمات الدينية السياسية بعد انتفاضة (٥) حزيران:

عرفنا فيما مضى أن انتفاضة ٥ حزيران لم يجرِ تنظيمها والتخطيط المسبق لها من قبل المجموعات والفئات ، لكن مواجهة النظام العنيفة للناس، دفعت أصحاب الأفكار المتشابهة إلى التقارب فيما بينهم أكثر فأكثر، ممّا أدّى إلى اكتساب عمل المعارضة صفة تنظيمية مدروسة. في طهران والعديد من المدن الُاخرى بدأت تُعقَد جلسات وآجتماعات مؤلَّفة من عدَّة أشخاص يتناقلون فيما بينهم الاخبار، ويوزّعون المنشورات ، أو يقومون بادارة اجتماعات اوسع وأكثر عمومية وتنظيماً. هذه المجموعات الصغيرة كانت مهنيّة أحياناً، كأن يكون كلُّ أعضائها من الطلبة الجامعيين المسلمين، او تجّار السوق (البازار) أو علماء الدين وطلاّبه ، وهكذا. وفي أحيان أُخرى، كانت تتألّف من فئات مختلفة تجمعهم المحلّة التي يسكنونها ، كما كانت بعض المجموعات تتخذ لها إسماً معيّناً تذيّل به المنشورات والبيانات التي تصدرها. وكمثال على ذلك؛

وقد بذل جهاز أمن الشاه (الساواك) ومعه الشرطة، جهوداً كبيرة لكشف أعضاء هذه المجموعات، حيث آستطاعوا ـ أحياناً ـ التعرُّف على بعضهم وآعتقالهم، لكنَّ سريَّة عمل أفراد المجموعات واكتسابهم الصفة الدينية ودعم الأُمة لهم جعل من الصعب على الاجهزة الأمنية العثور عليهم[11]. وكلّما اعتُقل أحد افراد المجموعات أو عدد منهم بادر الباقون الى إعادة تشكيل مجموعات جديدة. ولم يكن الشكل التنظيمي لهذه المجموعات يجعل اعتقال أحدهم مؤدياً حتماً إلى تعريض الآخرين للخطر، وفي بعض الحالات، كانت عمليات الاعتقال تؤدي إلى إضرابات وقلاقل مما يدفع بالحكومة إلى استخدام صلاحيات الحكم العسكري (باعتبار إعلان الطوارئ).

وبشكل عام، فان المجموعات الدينية كانت اكثر نجاحاً في عملها خلال تلك الفترة، ولم يكن من السهل على النظام قمع هذه المجموعات التي مثَّلت عقبة كبيرة في طريقه، فلم يكن من الهيّن على النظام منع إقامة مجلس عزاء أو جلسة لقراءة القرآن وتفسيره، بل إن ذلك بحاجة الى توفير أرضية وظروفٍ مناسبة.

وبعد ذلك تطور عمل المجموعات الصغيرة إلى العمل المسلَّح بعدما قررت مواجهة القمع الذي يمارسه النظام بأساليب عنيفة تتناسب معه. وسنرى فيما بعد كيف ظهرت من بين هذه المجموعات مجموعات أُخرى نفّذت عدّة عمليات مسلّحة.

هوامش الفصل الرابع

(١) يرى بعض الاشخاص أنَّ انتفاضة ٥ حزيران (١٥ خرداد) كانت هزيمة للإسلاميين، ويقولون إنها تمت بدون تخطيط وتنظيم مسبقين، كما يسميها بعض آخر بالتحرك الأعمى، لكن الحقيقة هي أن التاريخ سجّل في هذا اليوم صفحة نيّرة، فهذا اليوم حمل معه الكثير من التجارب والعبر، ولولاه لما أمكن تقويم حجم القوة الدينية في عمليات الجهاد والمواجهة التي تلت ذلك اليوم. فالذين شاركوا في الانتفاضة أصبحوا حَمَلَة نداء الثورة الاسلامية.

(٢) في هذا اليوم التاريخي، خرجت نساء قم اللّواتي تعلّمنَ الجهاد والثورة في مدرسة الخميني إلى الشوارع وهن يرتدين العباءة ويحملن السكاكين والفؤوس والقضبان الحديد وهن يهتفن باسم الامام الخميني وسطّرنَ في ذلك اليوم ملحمة بطولية تاريخية. وقد هزَّ التحاق النساء بصفوف الرجال، المتظاهرين من أعماقهم وزاد من حماسهم وأجّج من حماسهم وسخطهم على النظام. وهكذا خرجت الجماهير الغاضبة من الصحن الشريف كالبركان المتفجر، وبدأت تظاهراتها في شوارع المدينة لتعلن سخطها على النظام الذي أعتقل إمامها، ولتجبر الشاه على إطلاق سراحه.

وقد نزلت إلى ساحة المعارضة في تلك الايام، جموع غفيرة من الناس الذين لم يكونوا يتدخلون في السياسة، إلاّ أنَّ قانون مساواة النساء بالرجال، وإطلاق العنان لهنّ قد دفعهم الى النزول الى ساحة المعارضة.

(٣) كتاب «إنقلاب سفيد» أي (الثورة البيضاء) ص ٤٥ و ٤٦.

(٤) بيان السفارة الايرانية في بغداد تحت عنوان (حقائق حول سبب الحوادث الأخيرة).

(٥) في الفترة التي تم فيها اعتقال الامام كانت هناك نشرة سرية اسمها «فرياد» (أي الصرخة) تتداولها الأيدي بشكل سري، لأنها كانت تشنُّ هجوماً مباشراً على الشاه. هذه النشرة كانت تنشر مواضيع تحمل عناوين من قبيل «عربدة الثمالة الشاهنشاهية» و«الشاه وعلم أُصيبا بالجنون» كما كانت تكشف جرائم الجهاز الحاكم وتبشّر بقرب سقوط الشاه، وقد طبعت في أحد أعدادها قصيدة مطلعها.

أيُّـهـا الخمـيـنـي يـا آيـة اللّـه ــــ انت بحق مرجعنا والمطالب بدمائنا

قسماً بعلـيٍ وبدماء شهدائه ــــ أيتها الشاه سنجعلك ذليلاً يوماً ما

(٦) انتفاضة (٥) حزيران ١٩٦٣ يمكن مقارنتها بانتفاضة ١٩٥٢/٧/٢١ من حيث المشاركة الجماهيرية فيها والدافع الديني والدعم الاجنبي فالأخيرة كانت غير دينية، وكانت تتمتع بدعم أجنبي ثم إنّها فقدت محتواها الاسلامي بعد انتصارها واكتست رداءً وطنياً حتى أنتهى بها الامر إلى السقوط، أمّا أنتفاضة (٥) حزيران، فعلى الرغم من أنّها لم تنتصر في حينها، إلاّ أنها أصبحت منطلقاً جيداً لرصّ الصفوف وإعداد العُدَّة، وتنامي الحركات والتجمُّعات الدينية، والتعرف أكثر فأكثر على مبادئ الاسلام الحقّة، وتحديد نقاط الانطلاق، وظلت محصورة في نطاق الدين حتى آتت ثمارها بعد فترة ولو كانت طويلة.

(٧) أشار الامام إلى هذا الموضوع في عدة خطابات مؤكداً «لم أكن أعلم بحوادث ٥ حزيران إلاّ بعد أن نقلت من السجن الى الحجز وبدأت الأخبار تصلني، ويعلم اللّه وحدهُ أنَّ حوادث ٥ حزيران قد أصابتني في الصميم وآلمتني كثيراً، وما دام هذا الشعب حيّاً، فإنّه سيظل حزيناً لمصيبة ٥ حزيران ... ان واقعة ٥ حزيران تؤلمنا وتؤلم كل مسلم غيور».

(٨) جماعة العلماء في ايران، اعلنت في بيانها يوم ٢٢ آب ١٩٦٣ مقاطعة الانتخابات الصورية للدورة الحادية والعشرين لمجلس النواب. فقد قالت في بيانها:

«لقد أطلقوا سراح آية اللّه الخميني (مد ظله) ليوم واحد فقط من أجل أن يخدِّروا الناس ويهدّئوا الأوضاع، إلاّ أنّهم نقلوه إلى الحجز الذي هو في الحقيقة سجن آخر».

أمّا حزب الكادحين فقد أصدر بياناً بتوقيع الدكتور بقائي يقع في (٣٢) صفحة تحت عنوان «دفاعاً عن آية اللّه الخميني» وفي الصفحة الأخيرة من هذا المنشور جاء ما يلي:

«هذا الكراس كان قد أُعِدَّ قبل نقل آية اللّه العظمى الخميني والآيات العظام السيد القمي والسيد المحلاتي. لكن وبسبب المضايقات ونهب العديد من المواضيع المطبوعة من قبل رجال الشرطة والأمن، فقد تأخرت طباعته حوالي شهر، وبعد إطلاق سراح الآيات العظام أردنا تضمينه تهنئة وتبريكاً للمسلمين بهذه المناسبة، ولكن ـ وللأسف ـ فإنَّ إطلاق سراحهم لم يكن إلاّ ليوم واحد، فالحكومة لم تتحمل تقاطر أبناء الأُمة على محل اقامة الإمام، فقامت بحجز الآيات العظام في منازلهم وهم اليوم يعيشون في سجن جديد».

أمّا كسبة طهران وتجارها فقد أصدروا بياناً أكَّدوا فيه أن الامام الخميني نُقل إلى سجن آخر بذريعة إطلاق سراحه. وأمّا لجنة الطلبة الجامعيين التابعة لنهضة الحرية فقد كتبت في بيانها الذي أصدرته بتاريخ ١٧ آب:

«أيُّها الشعب الايراني الشريف، منذ شهرين وسماحة مرجع الشيعة محتجز في سجن عِشرت آباد، واليوم، وحيث تمَّ نقله إلى بيت خاص ليوضع تحت الرقابة من قبل جهاز الأمن، فإنَّه محروم هناك من أبسط حقوقه».

(٩) في (٧ تشرين الاول ١٩٦٣) قامت اجهزة أمن الشاه (الساواك) بإرسال العلماء المهاجرين ـ يرافقهم عدد من رجال الأمن ـ الى قم ومشهد، وبذلك فقد أنهت الموضوع شكلياً.

(١٠) هذا هو الاسم الذي كان يطلق على المجموعة آنذاك، أمّا أعضاء المجموعة فيذكر كتاب «بررسي وتحليلي أز نهضت إمام خميني» أنّهم كانوا ٥٠٠ شخص.

(١١) في ٤ / كانون الاول/ ١٩٦٣م اعتقل النظام مجموعةً من علماء الدين في تبريز بتهمة تدبير واقامة هذه التجمعات والمجالس، ونَقَلهم إلى طهران، بينما خيّم على تبريز إضراب عام، مما اضطر النظام إلى اعلان حالة الطوارئ في هذه المدينة.

وفي تلك الفترة كان بعض زعماء «حركة الحرية» التي كانت إحدى التجمعات السياسية آنذاك، يقبعون في السجن ومنهم المهندس مهدي بازرگان وكانت النهضة تُصدر بين الحين والحين بيانات ومنشورات تدعم علماء الدين وذلك يعود بشكل رئيسي إلى أن نظامها الداخلي نصّ على أن يكون نهج هذه الحركة إسلامياً. فعموماً كانت الحركة ذات صبغة دينية. وفي الوقت نفسه كان النظام الداخلي ينصُّ على أن هذه الحركة تتَّبع نهج (مصدّق) وتعمل من أجل تحقيق أهدافه، ولهذا كانت تعاني من التناقض في ممارساتها العملية.

وبعد اعتقال جمع من علماء تبريز أصدرت الحركة بياناً تحت عنوان «مفجّروا الحركة الدستورية ثاروا في وجه الاستعمار» أعادت فيه الى الاذهان الحركة الدستورية وأثنت على تحرك أبطال تبريز، إذ جاء في البيان:

«يوم السبت (١٩٦٣/١٢/٧) يدخل اضراب آذربايجان ـ قلعة الدين والأُمة ـ يومه الرابع. وهذا يتزامن مع الاضراب الذي تقوم به جامعة طهران (حصن الاحرار) وقم المقدسة (قاعدة علماء الدين) كما خرجت تظاهرات صاخبة في الجامعة الرضوية في مشهد، وفي باقي المدن الأُخرى... وقد قام جلاّدو الدكتاتور بأعتقال اكثر من ثلاثين من علماء الدين الأجلاّء. وفي يوم السبت (١٩٦٣/١٢/٧)، حصل الهجوم الجنكيزي الوحشي بالدبابات والرصاص على المضربين في تبريز. وفي طهران اعتُقل أكثر من ٥٠ من الطلاّب الجامعيين. ومازال سماحة آية اللّه العظمى السيد محمد علي القاضي، وعدد من العلماء الاجلاء سجناء. ان الدكتور محمد مصدق قدوة النهضة الوطنية الايرانية وسماحة آية اللّه العظمى الخميني قدوة الشيعة، وزعماء حركة الحرية في ايران، كانوا جميعاً في السجن، بعد أن حرمهم النظام من تقديم خدماتهم للدين والشعب.

لقد كانت حركة الحرية ترى أنّها مصدَّقيّة النهج، ولذلك وجدت نفسها مضطرة لتقديم اسم مصدق على اسم قائد النهضة

الاسلامية، بينما هو لم يكن حينذاك في السجن ولم يكن يشترك في النهضة الاسلامية، وهو - أساساً - لا يمكن أن ينسجم ونهج النهضة الاسلامي الذي سارت عليه، بل انه كان يواجه اعتراضات حول سبب سكوته حيال حوادث ٥ حزيران ١٩٦٣ وقد استغلّ بقائي، زعيم حزب الكادحين هذا السكوت الذي التزمه مصدق، وتصرفات الانتهازيين من مؤيدي مصدق فكتب في أحد منشورات حزبه:

«انه (يعني مصدق) الذي يصدر بياناً في تأبين المرحوم شمشيري وأنتم (مؤيدوه) تقومون بطبع البيان وتوزيع آلاف النسخ منه، وهو الذي يصدر منشوراً بخط يدو للثناء على خسرو قشقائي، ثم تقوم صحيفة «باختر امروز» التابعة للجبهة الوطنية الايرانية في اوربا بطبع صورته، وهو الذي ينشر رسالة خطّية موجّهة إلى الطلبة الجامعيين وغيرهم ويوزّع عدداً كبيراً منها؛ كيف لا ينبس ببنت شفة حيال مقتل مئات الأشخاص».

أمّا مصدق فقد ظلّ غير عابئ بهذه الانتقادات والاعتراضات، لكن أتباعه لم يكونوا يمانعون في زج ثمار دماء حوادث ٥ حزيران في صحيفة أعمال مصدّق بكلّ مهارة! وما البيان الذي ذُكر سالفاً إلاّ دليلٌ على ذلك.

الفصل الخامس

الدورة الحادية والعشرون للبرلمان
وسقوط الحكومة بالاحتجاج الشعبي

لقد حُلَّ البرلمان في دورته العشرين ـ كما علمنا من قبل ـ وذلك في بداية عام ١٣٤٠ هـ. ش (١٩٦١م)، لكي لا يكون عقبةً في طريق ما يُسمَّى بالخطوات الثورية التي أراد أميني القيام بها، ولكي يكون بإمكان حكومته القيام بخطوات الاصلاح الزراعي لتصبَّ في مصلحة أميركا.

بعد حل المجلس، تولّت الحكومة مهمة السلطة التشريعية، وأطلقت على القوانين التي تسنُّها، اسم: (اللوائح القانونية المصادَق عليها).

وفي عام ١٣٤١ هـ. ش (١٩٦٢) تمت إقالة أميني وأصبح زمام الأُمور بالكامل بيد الشاه نفسه إلاّ أنه وضع (أسد الله علم) ليكون واجهة للحكومة باعتباره رئيساً للوزراء. وقد استعرضنا بالتفصيل الحوادث والانتفاضات التي جرت في هذه المرحلة.

وفي اعقاب ما سُمِّي بـ«الثورة البيضاء»! كان لا بدَّ من إيجاد سلطة تشريعية مناسبة من شأنها ترسيخ أركان النظام التي اهتزت بانتفاضة ١٥/خرداد/ ١٣٤٢ (٥ حزيران/ ١٩٦٣) ونتائجها وماتبعها من حوادث. ، كما كان الشاه بحاجة إلى دليل يُثبت من خلاله أن الاستفتاء الذي جرى في (٦ بهمن ١٣٤١ هـ. ش/ ٢٦ كانون الثاني ١٩٦٣م) قد أدّى الى ترسيخ الديمقراطية في البلاد، وأن المجلس الجديد المؤلّف من النساء المتحررات والرجال «الاحرار»! هو الدليل، على ذلك، وهو الذي سيتولى مواصلة تحقيق أهداف الشاه، وأن «الرجعيين» المعارضين سينتهي دورهم! وكان على حكومة علم ـ التي تفتقد لأي قيمة ـ أن تؤدي آخر واجباتها في هذه المرحلة، وأن تضع نهاية لمرحلة أنتقاد البرلمان التي زادت على السنتين، ولذلك فانها بادرت إلى القيام بذلك.

١ـ تغيير طريقة الانتخابات:

كان يجب أن تتم الانتخابات التي تلت إعلان ما يسمى بـ«الثورة البيضاء» بشكل ثوري أيضاً! وان تكون مختلفة عن انتخابات الدورات السابقة للبرلمان وهذا ما حدث بالفعل، حيث

وُضعت لها مراحل معينة فتم اولاً توزيع البطاقات الإنتخابية في موعد معين وكان على الجميع ملء هذه البطاقات والتوجُه إلى صناديق الاقتراع في يوم آخر، أي إن عملية تزوير الانتخابات تمت بطريقة جديدة. وقد سبق ذلك شنُّ حملة إعلامية واسعة لتسويغ هذا التغيير الذي حصل في نمط الانتخابات وشرحه، ولتجاهل المعارضين وتوجيه ضربة معنوية لهم. وقد عُقد لهذا الغرض ملتقى النساء المتحررات والرجال الأحرار.

وقد أُنيطت بأمين العاصمة مهمة توفير مستلزمات هذا الامر، وتَولِّي عملية إخراج الملتقى ـ وهو أشبه بمسرحية ـ الذي طُرحت فيه قوائم المرشّحين للانتخابات. وكانت مكافأة أمين العاصمة هي ترشيح زوجته لتمثيل أهالي إحدى المدن النائية وانتهى الامر بتنصيبها كنائبة عن تلك المدينة.

وقبل آفتتاح الملتقى، قام النظام الحاكم بـإعداد قائمة بأسماء المرشحين بموجب رأي الشاه، بحيث يشكلون تركيبة شاملة لشرائح المجتمع، وجرى التطبيل بان الوضع قد تغير، وأن الإقطاعيين لا يتمتَّعون بأيّ مقعد في البرلمان الجديد. ولهذا تم نشر قائمة جرى فيها تعيين حصة كل شريحة من أهالي طهران، فللأساتذة الجامعات مقعدان، وللمعلمين مقعدان، ولحركة الترقي ثلاثة مقاعد، ولحزب الشعب مقعدان، وللعمال مقعدان، وللكسبة والتجار مقعد واحد، وللنساء مقعدان، وللكتاب والمؤلفين مقعد واحد.

إنّ مسرحيّة عقد ملتقى النساء المتحررات والرجال الأحرار كانت أكثر الخطوات الحكومية ـ بعد الثورة البيضاء! ـ إثارةً للسخرية، فقد حضره حوالي ألف شخص من أنحاء البلاد، النساء المتحررات جئن بألبسة وأزياء متنوعة وفقاً لآخر موديلات الأزياء والتسريحات والماكياج، ليكون ذلك «بارقة أمل» للمجتمع بانتقاله إلى مرحلة التحضُّر والتمدُّن، كما حضر بعضهن بملابس محلية. وآنعقد الملتقى منذ الخامس وحتى العاشر من شهريور (٢٧ أيلول ـ ١ تشرين الاول ١٩٦٣م) في قاعة رياضية، حيث جرى إعداد جدول أعمال هذا الملتقى مسبقاً، إلاّ أنَّ ماتمَّ كان مجرَّد آستعراض مسرحي ليس إلاّ إذ قام المشاركون بوضع باقات الزهور على قبر والد الشاه وأرسلوا برقية شكر الى الشاه على قيامه بـ(الثورة البيضاء) وآنطلقت مظاهرات نسوية تحررية في الشوارع نظَّمتها منظمة المرأة الايرانية، وفي اليوم الأخير للملتقى اجتمع المشاركون في باحة كلية الضباط ليلتقوا الشاه ويستأذنوه بـإنهاء أعمال ملتقاهم.

٢ـ الاحتجاج على الانتخابات:

الأجواء التي سادت قبيل الانتخابات، وملتقى النساء المتحررات والرجال الأحرار وما صاحبه من برقيات وطرح قوائم تتضمن أسماء المرشحين كل هذا أوضح النهج الذي تسير فيه عملية الانتخابات. ومع الأخذ بنظر الاعتبار عمليات الفضح وكشف الحقائق حول ممارسات الحكومة والتي تمت قبل عام من الانتخابات، فقد كانت الأُمة مستعدة للوقوف في وجه هذه المهزلة. ولو كان الامام طليقاً لما كان بالامكان القيام بعقد مثل هذا الملتقى وهذه الممارسات المنحطة.

لقد أصدر المراجع والعلماء وباقي طبقات الأمة بيانات ندَّدوا فيها بالانتخابات، كما نظموا تظاهرات وعقدوا اجتماعات احتجاجية عديدة، فآية اللّه المرعشي النجفي أصدر بياناً في (١٢) جمادى الأُولى ١٣٨٣ بدأه بالقول: «اللّهم انصر الاسلام، اللّهم انصر القرآن، اللّهم انصر حماة الدين» واضاف «إنّ حكومة الجبابرة التي تنتهك القانون دوماً، تواصل ممارساتها الظالمة، وتتخذ من تجاهل قوانين الاسلام والحرية والانسانية شعاراً لها. إنّني هنا أرى من الضروري إعلان تنديدي بهذه الأعمال غير الانسانية التي أدَّت إلى ماجرى من أحداث مفضوحة وانتخابات هزيلة، وأُطالب الشعب الإيراني الشريف بإعلان الإضراب العام ابتداءً من صباح يوم ١٣ مهر (٥ تشرين الاول) وحتى ظهر اليوم نفسه»

(شهاب الدين المرعشي النجفي).

أما نقابة الحرفيين والتجار في طهران فقد أصدرت بياناً أعلنت فيه دعمها لمواقف المراجع والعلماء، واحتجاجها على استمرار اعتقال الامام الخميني، والحصار المفروض على آية اللّه الميلاني، واجراء الانتخابات الصورية في أجواء من الكبت والقمع والحكم العسكري، كما أعلنت يوم (١٣) مهر ٥ تشرين الاول إضراباً عاماً تغلق فيه جميع المحلات التجارية أبوابها. كما صدر بيان مماثل من قبل جمعية المسلم الحر دعا الأمة إلى النهضة والثورة على النظام.

وفي هذه الاثناء، كان نزول الدكتور أميني وأنصاره الى الساحة أمراً طريفاً. إذ يبدو أن الشاه ورجال بلاطه قد تنصَّلوا من الوعود التي أعطوها للأميركان، أو أنهم لم يستطيعوا استقطاب الرأي العام، ولم تعطِ أساليب الدعاية والتطبيل لـ(الثورة البيضاء!) ثمارها، فقد كانت أميركا بانتظار عودة الهدوء إلى الساحة بعد الإصلاحات الستة التي أعلنها الشاه، إلاّ أنّها أتت بنتائج عكسية تمثلت بإعصار (١٥) خرداد/ ٥ حزيران وما تبعه من تزلزُلٍ لأركان النظام ممّا دفع بأميني للنزول إلى الساحة مرة أُخرى، مستفيداً من دعم شعبي نسبي (قياساً الى علم) حصل عليه خلال فترة رئاسته للوزراء ولهذا فقد أصدر بياناً يعلن فيه معارضته

للانتخابات، وبرامج حكومة (علم) وينـدِّد بالحوادث التي شهدتها البلاد، وآستعد لخوض المنافسة مع (علم) إلاّ أنه لم يحصل على الفرصة المناسبة هذه المرة، إذ أحيلت قضيته إلى القضاء من أجل إبعاده وأنصاره عن الساحة لكن القضاء وبدلاً من أن يكون جهازاً مستقلاً، أصبح منذ عهد الحركة الدستورية أداة للقمع، فالسلطة التنفيذية صار بـإمكانها قمع كل حركة معارضة بسهولة بافتعال التهم وتجميع المستمسكات واختلاق الملفّات، وقد جاء الدور للدكتور أميني هذه المرة. حيث وقع هو نفسه في هذه الشراك حيث قدَّمت الحكومة شكوى ضده وتم تحريك عشرات القضايا ضدّه من قبيل الاستغلال والاختلاس ، حيث آستدعي الى ديوان القضاء عدة مرات، ولأنَّ الدستور ينصُّ على آتِّباع طرق وسبل خاصة في عملية آعتقال الوزراء ومطاردتهم ، فقد أوجدت الحكومة طريقة جديدة للتخلص من تلك الطرق الملتوية إذ أسست لجنة باسم «هيئة المعتمدين».

٣ـ اجراء انتخابات الدورة الحادية والعشرين:

كان البرلمان الحادي والعشرون اول مجلس يتم تشكيله بعدما يسمى بـ(الثورة البيضاء) وبعد مضي عامين ونصف من غياب الحياة البرلمانية، حيث جرت الانتخابات على اساس اشتراك النساء فيها كما كانت اللعبة تستوجب أيضاً انتخاب عدد من النساء لعضوية المجلس.

هذا المجلس كان يتحمل مسؤولية المصادقة على اللوائح اللازمة لما يسمى بـ(الثورة البيضاء)، وكذلك المصادقة على القوانين التي سنَّتها الحكومة في فترة غياب المجلس ، وعلى هذا كان من البديهي أن يحظى كل أعضاء المجلس بتأييد الحكومة والجهاز الامني (الساواك) . فقبل اسبوعين من الانتخابات، وبعد انتهاء أعمال الملتقى الذي أسلفنا الحديث عنه صدرت قائمة تضم أسماء (١٩٣) مرشحاً، حيث آعتبرت القائمة النهائية للمرشحين ماعدا مرشحي الاقليات الدينية إلاّ أنَّ آحتجاج شرذمة عُرفت بخدمة النظام لفترة طويلة على ادراج أسمائهم فيها أدَّى تدريجياً إلى خلخلتها .

أمّا انتخابات مجلس الشيوخ فقد كانت معالمها أوضح من البرلمان لان اعضاءه لا يجري ترشيحهم إلاّ بعد حصولهم على موافقة مباشر من الشاه، إذ كان يتم تعيين (٣٠) عضواً من أعضاء المجلس، من قبل الشاه مباشرة أمّا الثلاثون الباقون فيجري انتخابهم بعدما يصدر الشاه أمراً ملكياً بذلك، وهكذا نجد أن كل أعضاء المجلس ينتخبون بأمر من الشاه وبموافقته.

وخلال هذه الفترة التي نحن بصدد الحديث عنها، قرر النظام إجراء انتخابات مجلسي النواب

والشيوخ في يوم واحد ، وحدَّد لذلك يوم ٢٠ أيلول ١٩٦٣.

وخلافاً للقانون، فقد ظلت حالة الطوارئ المعلنة منذ ٥ حزيران سارية المفعول، واكتفت الحكومة بمنح «تسهيلات» لنشر الدعايات الانتخابية، والسماح بعقد الاجتماعات الخاصة بالانتخابات والدعاية لها. ولم يبقَ امام الحكومة غير أمر واحد هو عدد المواطنين الذين سيشاركون في عملية الاقتراع، إذ إنها كانت قد توقعت ـ واستناداً إلى الدعايات الواسعة التي بثتها بكل وسائلها الدعائية قبل الانتخابَات ـ بأن أربعة ملايين شخص سيتوجهون إلى صناديق الاقتراع في ذلك اليوم المحدَّد.

٤ـ استقالة علم وبدء الدورة الحادية والعشرين للمجلس:

وعلى هذا الاساس ، قام أسد اللّه علم بتقديم استقالة حكومته بعد آفتتاح مجلسي النواب والشيوخ، وذلك في (٦ تشرين الأول ١٩٦٣م) وحلَّ محلَّه منصور، الذي تأخر عن تسلّم منصبه الجديد بسبب عدم استعداد حزبه الذي أُسِّس حديثاً باسم (حزب ايران العصرية)، حيث تأخَّر تسلُّم الوزارة الجديدة لمهامّها حتى (آذار ١٩٦٤م).

فأسد اللّه علم لم يستطع الاستمرار في الحكم بسبب ما آقترفه من جرائم ، وكان عليه أن يعلن ـ وكالعادة ـ تحمُّله مسؤولية ماحدث، ويبرّئ ساحة الشاه منها، ويظهره بمظهر الانسان الطاهر. وهكذا كان لابدَّ من مجيء حكومة جديدة لتتولّى إصلاح الأُمور وخداع الشعب بأساليب جديدة.

أما أميني ، الذي برز اسمه مرة أُخرى من خلال الانتخابات وكان ينوي تولِّي الأُمور مرة أُخرى ، فقد واجهه النظام بالتهديد والمحاكمة، وبذلك فقد خرج من الساحة لهذا وقع الاختيار على منصور الذي ظهر على المسرح لتوّه معتمداً على الدعم الأجنبي وحاملاً لواء «التقدُّمية»، حيث كان له نصيب في الانتخابات فاحتل هو وعدد من رفاقه عدة مقاعد في المجلس ليقوم بتشكيل حكومة حزبية ، بعدما قام بتأسيس الحزب بُعَيد تأسيس المجلس[1]، حيث عمل على جعله شاملاً يضم فئات وطبقات واسعة، وسعى لأن ينتهي من تأسيسه وإعلان وجوده قبل تولّيه رئاسة الوزراء لئلا يقال بأن الحكومة هي التي اسست الحزب.

وخلال الأشهر الستة الممتدّة بين تشرين الاول ١٩٦٣ ونيسان ١٩٦٤ كان الحديث يدور بكثرة حول تغيير حكومة علم والمجيء بمنصور ، اذ لم يعد بمقدور (أسد اللّه علم) البقاء في الحكم، ولكن منصور لم يكن قد أعدَّ العُدَّة الكاملة لتسلُّم زمام الحكم ، ولهذا لم تنته عملية التسليم والتسلُّم بين

علم ومنصور إلاّ في اواسط آذار ١٩٦٤ وكان الهدف من ذلك هو أن يقوم منصور خلال هذه الفترة بـإعادة بناء الجسور والمصالحة مـع علماء الدين وإلقاء تبعة كل الممارسات السابقة على عاتق حكومة علم والإبقاء على الشاه بعيداً عمّا يجري.

وبعد تشكيل مجلس النواب قدم (علم) جميع القوانين ـ التي سنّتها حكومته خلال غياب المجلس ـ الى المجلس الجديد دفعة واحدة، وقد قام المجلس بالمصادقة عليها جملة وتفصيلاً في عملية تصويت ومصادقة لم يسبق لها مثيل.

وفي ١٩٦٤/١٠/٢٢م بدأت محاكمة زعماء حركة نهضة الحرية وعلى رأسهم آية اللّه الطالقاني والمهندس بازرگان. وبالرغم من ان اعتقال زعماء هذه الحركة لاعلاقة له بحوادث ٥/حزيران/ ١٩٦٣ إلاّ أنَّ محاكمتهم في تلك الفترة التي كانت ما تزال تشهد بقايا أجواء تلك الانتفاضة الشعبية وتفاعلاتها وانقياد الجماهير للامام الخميني اكسبتهم الكثير من الشهرة في مجال النضال السياسي الديني ، بالرغم من أنهم كانوا أقرب إلى الجبهة الوطنية من غيرها وكانوا يؤكدون سيرهم على نهج مصدّق.

المحاكمة كانت علنية حيث استطاع حضورها الكثير من طلاّب الجامعات والحوزة في قم، وكسبة البازار ، فكانت تلك فرصة مواتية لحركة نهضة الحرية لتقوم بنشر أفكارها والعمل ـ إلى حدٍّ ما ـ على كشف ماهية النظام.

٥ـ اطلاق سراح الامام عام ١٩٦٤:

لقد سعى الشاه وحكومته إلى ثني علماء الدين عن مواصلة جهادهم ، وإفهامهم بأن التدخل في السياسة أمرٌ لا يليق بهم[٢]، وأن يلفت أنظارهم إلى أنَّ التدخُّل في السياسة لاينتج عنه غير السجن والنفي والمشاكل والقتل والدماء، وأن عالم الدين المحترم هو الذي لا يتدخل في شؤون الحكومة. وكان النظام يتصور أن واقعة ٥ حزيران وما تبعها من حوادث، واحتجاز الإمام ، كانت كافية لإقناع علماء الدين بذلك ، وبدأ النظام يعمل على كسب رضا الإمام والتقرُّب إليه لتتمتَّع الحكومة بدعم علماء الدين أيضاً، وتغيير الحكومة كان من شأنه توفير الفرصة المناسبة لهذا الامر. ذلك ان خطة النظام الحاكم كانت تقضي دائماً بصيانة الشاه من كل تعرض او مهاجمة كلامية، وتنزيهه من كلِ خطأ، وإلقاء مسؤولية كل ما يحدث على عاتق الحكومة، ثم اللُّجوء إلى تغيير رئيس الوزراء لإعادة الهدوء والاستقرار إلى الشعب.

وكان على حكومة منصور الجديدة ان تمارس نفس هذه اللعبة ، وتتظاهر بأنـّها تدافع عن

علماء الدين وتؤيدهم، وكانت توحي دائماً بأنَّ الشاه أقالَ علم لعدم ارتياحه لممارسات حكومته.
وقد تم تكليف الدكتور صدر (إبن صدر الأشراف المعروف، والوزير في حكومة منصور) بالتقاء الامام أثناء فترة احتجازه في محلة قيطرية بطهران، وتمهيد الطريق للمصالحة معه، والإيحاء له بشرعية الحكومة الجديدة، وإلقاء مسؤولية جميع الجرائم والتقصيرات على عاتق الحكومة السابقة، وإبلاغه بعطف الشاه وشفقته! ومقابل هذه الأساليب الخادعة كان جواب الامام له:

(نحن لم يكن لنا عداء مع تلك الحكومة، كما أننا لم نعقد اتفاقية أُخوَّةٍ مع هذه الحكومة. نحن نراقب أعمالكم وممارساتكم، فإن كررتم ممارسات الحكومة السابقة وتصرفاتها فسنقف في وجهكم ونعارضكم كما عارضنا الحكومة السابقة التي ستظل صفحتها سوداء الى الأبد. وإن رضختم لأحكام الاسلام فسنكون إخوةً ولن يكون بيننا أيُّ خلاف).

وقد تصوّر حسن علي منصور أنَّ وزير داخليته قد نجح في الوصول الى الهدف المرسوم من خلال لقائه بالإمام ولهذا فقد خطا خطوة أُخرى، وجعل من نفسه واسطة رحمة بين الشاه وعلماء الدين حيث قال:

(... نحن نعتقد بأن الشعب والحكومة في إيران إنما هما شعب مسلم وحكومة مسلمة فالدين الاسلامي هو من أكثر الأديان انتشاراً وتقدُّميَّة في العالم، ومنزلة علماء الدين تحظى عندنا باحترام وتقدير كبيرين، وانني مكلّف بـإبلاغ علماء الدين نداء الرحمة الشاهنشاهي)[٣].

وقد كان النهج الذي سلكه منصور مدروساً بدقة، وكان التصوُّر السائد هو أن القوة الدينية هي الوحيدة القادرة على إيجاد أخطار تهدِّد الحكومة من خلال تعبئة قطاعات شعبية كبيرة، ولو استطاع أحد ـ وبأيِ ثمن كان ـ إخماد صوت المعارضة الدينية وجرِها الى الصمت، فلن يكون هناك أمام الحكومة خطر يهددها، كما أدركوا أن الخمينيّ يمثّل الثقل الاكبر للقوة الدينية، وأن الآخرين سيسلكون طريقه ويقتدون به، سواء شاء النظام ام أبى. ولهذا فقد كرّس النظام جلَّ مساعيه من أجل كسب رضا الامام. وفي السادس من نيسان عام ١٩٦٤ أعلن وزير الداخلية إطلاق سراح الإمام بشكل كامل، حيث تمَّ في الساعة العاشرة من مساء ٧ نيسان ١٩٦٤ نقل الإمام إلى قم المقدسة بسيارة (شفروليت) تسير معها عدة سيارات لحمايتها، حيث اوصلوه بالقرب من منزلِه. وبعد يومين زار وزير الداخلية الامام وأمر بتبليط الزقاق المؤدي الى بيته وإضاءته، موحياً بذلك أن «العطف!» الشاهنشاهي مستمر ودون انقطاع.

وفي قم، تحولت عودة الامام إلى فرحة شعبية عامة، فأُقيمت الاحتفالات، وعمّت الأفراح وأصبحت المدرسة الفيضية مركزاً مشحوناً بالمشاعر الجياشة وبدأت جموع الجماهير تتقاطر على قم لزيارة الامام.

٦ـ استغلال النظام اطلاق سراح الامام:

لقد خطا النظام خطوة باتجاه المصالحة مع الامام، وقد أراد من خلال إطلاق سراحه كسب تعاطف علماء الدين وودّهم، ولما لم يحصل على نتيجة ايجابيّة من لقاءات وزير الداخلية وباقي المسؤولين، فقد شرع ـ وكعادته ـ بممارسة الافتراءات والاكاذيب، حيث صيغ المقال الافتتاحي لصحيفة اطلاعات [4] صياغة توحي بأن الامام الخميني قد غيّر نهجه وأُسلوبه وأيّد مبادئ الثورة البيضاء!، وأُزيلت كل الخلافات معه، وأنّ العلماء هم الان يدعمون الحكومة بشكل كامل. وقد تصوَّر مسؤولو النظام بأن هذه الايحاءات ستؤدي إلى احراج الامام وجعله يواجه الامر الواقع. لكنه ـ أي الامام ـ بادر إلى نفي ما جاء في افتتاحية صحيفة اطلاعات جملة وتفصيلاً. كما قام، خلال الخطاب الذي ألقاه في ١٠ نيسان ١٩٦٤ بكشف جملة مواضيع وطالب مسؤولي الصحيفة بالكشف عن دوافع نشر هذا المقال ومصدره، وعندما اتضح أنّ جهاز الامن (الساواك) يقف وراء هذه المقالة، ضاعف الإمام إصراره على الوقوف في وجهها حتى أن الحكومة أرسلت من يمثلها إلى قم ليقدم تعهدات بعدم توجيه مثل هذه الاتهامات لعلماء الدين.

في الخطاب الذي ألقاه في جمع من طلبة الجامعات الذين جاءوا لزيارته، قال الامام: «**علينا تحديد الهدف الاساس فهدفنا هو الاسلام وآستقلال البلاد وطرد عملاء إسرائيل، والاتحاد مع الدول الاسلامية، فاقتصاد البلاد الآن هو بيد إسرائيل وعملاء اسرائيل يديرون آقتصاد إيران، إذ إن معظم معامل البلاد ومصانعها تدار من قبل عملاء اسرائيل، كمصانع التلفزيون، ومعامل أرج، ومعمل البيبسي كولا وغيرها، علينا رصّ الصفوف، فهؤلاء عملاء للاستعمار، وعلينا آقتلاع جذور الاستعمار من البلاد، إعملوا على رفع راية الاسلام في الجامعات، بلّغوا مفاهيم الاسلام، إبنوا المساجد وصلُّوا جماعة، تظاهروا بإقامة الصلاة، عليكم بالوحدة الدينية، فان كنتم ترغبون باستقلال ايران فعليكم بالوحدة الدينية.**

ولما رأى النظام أنه لا يتمكن من تحمُّل هذه الفضيحة، وبعدما توالت الضغوط عليه من قبل الدول الاسلامية وغيرها، وأحسّ النظام بغضب الدول الاسلامية عليه، وبعد

أن ساءت الاوضاع وتدهورت في الداخل وفي الخارج، جاءوا بي ليلاً ليوصلوني الى هنا سالماً كما يقولون. فبعد كل هذه الفضائح رأوا أنهم خسروا الجميع، خاصة وأن أيام الحج ومحرم مقبلة ولا أحد يعلم ماذا سيحدث في مراسم الحج وفي شهر محرم.. بعد كل هذا أطلقوا سراحي إلاّ أنّهم لجأوا إلى نفث السموم، متصورين أنهم يستطيعون من خلال الصحافة، تشويه سمعتنا امام الناس.

لقد شاهدتُ صحيفة اطلاعات ليوم (١٩٦٤/٤/٧) هذه الصحيفة القذرة كتبت في مقالها الافتتاحي وتحت عنوان «الاتحاد المقدس» بان التفاهم قد حصل بين النظام وعلماء الدين، حيث أكّد هؤلاء العلماء تأييدهم لثورة الشاه والشعب البيضاء! ترى أية ثورة هذهِ؟ وأيُّ شعب هذا؟ فهذه التي يسمونها بـ(الثورة) لاعلاقة لها بعلماء الدين وبالشعب أبداً.

أنتم أيتُها السادة الجامعيون أبلغوا الجميع بأنَّ علماء الدين ليسوا مؤيدين لهذه «الثورة»، فنحن لا نملك وسيلة إعلامية، فقد سلبونا كل شيء؛ فالتلفزيون بيد ذلك الزنيم والإذاعة هي ايضاً بيد الحكومة، والصحافة قذرة... ان علماء الدين لا علاقة لهم بوسائل الفساد هذه، فان لم تبادر صحيفة اطلاعات الى تصحيح الموضوع، فستواجه رد فعل عنيف، فالخميني لن يتفاهم معهم حتى لو ارادوا شنقه.

وفي يوم (٣ / آب/١٩٦٣) وعندما نقلوني من السجن إلى الحجز في محلة قيطرية، كتبوا أن علماء الدين لن يتدخلوا في السياسة بعد الآن، إن الاسلام كلّه سياسة. إنهم يقدّمون للناس صورة مشوّهة عن الاسلام فأنا لست من أُولئك المعمّمين الذين يكتفون بالجلوس هنا والتسبيح، أنا لست كالبابا الذي يكتفي بأداء المراسيم الدينية يوم الأحد فقط. يجب إنقاذ البلاد مما تعانيه من المشاكل، فالاجانب لا يريدون إعمار هذا البلد.

...عندما كنت في السجن، سمعت بأن شدة البرد في همدان بلغت ٣٣ درجة تحت الصفر، ثم سمعت بأنَّ ألفي شخص قد ماتوا من شدة البرد. لقد كنت مغلول اليد آنذاك، فما الذي كان بإمكاني فعله. في ظل هذه الاوضاع، يقومون باستيراد الزهور من هولندا ليستقبلوا بها سادتهم وينفقون أموال الشعب الفقير ليستأجروا طائرة بمبلغ (٣٠٠) ألف تومان لنقل الزهور من هولندا إلى إيران. بالأمس كانت هنا عوائل شهداء (١٥) خرداد (٥ حزيران) هذه المذبحة أشد قساوة ووحشية مما تفعله الجيوش بالشعوب

الأجنبية فمادام الشعب حياً، فسيظل حزيناً لمصيبة (١٥) خرداد (٥ حزيران)».

الموقف الجديد للإمام مقابل النظام، والذي تمثل بخطابه سالف الذكر، وبيان الحوزة العلمية في قم، والرد على افتتاحية صحيفة «اطلاعات» كلها لم تُبق، شكّا في أنَّ قضيّة التفاهم والمصالحة بين النظام وعلماء الدين إنما هي وهم وخيال ليس إلاّ، وان الخلاف مستمر بين الطرفين.

أما جهاز الامن (الساواك)، فقد راح يبحث عن الذين أصدروا بيان (١٠ نيسان ١٩٦٤) باسم الحوزة العلمية لمعاقبتهم، ويقول مؤلف كتاب (بررسي وتحليلي از نهضت امام خميني) إن علماء الطراز الاول في قم أبدوا جهلهم بأي معلومات عن البيان وكاتبه وناشره. اما الامام الخميني فقد ربط ذلك بالكشف عن كاتب المقال الافتتاحي لصحيفة «اطلاعات».

٧ـ استمرار المواجهة في عام ١٩٦٤:

بعد اطلاق سراح ، الإمام وعودته الى قم، كان يَعتبر نفسه صاحب حقٍ في ابداء رأيه في الشؤون السياسية والاجتماعية للبلاد أكثر مما مضى، فالتقيّة لم يكن لها مفهوم لديه، وكان يتعامل مع الامور بمنطقية وصراحة كاملتين، ولا يتوانى عن فضح الحكومة خاصة فيما يتعلّق بعلاقتها مع اسرائيل، حيث كان يسعى لتوعية الناس على ذلك، وكان يردُّ على ٱدّعاءات الشاه على كل الصُعُد وفي كل مكان، وبالرغم من أنه لم تكن لديه وسائل اعلام من اذاعة وصحف وغيرها الآ أن اليأس لم يكن يعرف الى قلبه طريقاً، بل كان يواصل نشر أفكاره عن طريق الطلاب الشبانِ في الحوزة العلمية ويحصل على النتائج المطلوبة وكان يستثمر كل فرصة ليؤكد موقفه فيها قائلاً:

«نحن لسنا عَبَدة كل ما هو قديم، وانما النظام يقول عنا هكذا نحن نقول: اعملوا طبقاً للقانون، نحن نقول: نريد حكومة تحافظ على استقلال البلاد، نحن نقول: إنَّ السجون مليئة بالأبرياء نحن لا نعارض التحضر والتطور بل نعارض مظاهر الاستعمار، نحن لسنا ضد تقدُّم النساء ، لكننا نعارض الفحشاء والمنكرات، فالشعب المسلم شعب حيٌّ وهو الآن يستعيد حياته الواقعية. إن الامة الاسلامية أُمة واعية ولن تعود إلى الخمول، فلو عدلت أنا عن طريقي فالشعب المسلم لن يفعل ذلك، لا تخطئوا التصوُّر، فحتى لو ساومكم الخميني وسايركم فالامة المسلمة لن تُساوم، انهم يريدون تأسيس جامعة (اسلامية)

ليوحوا بأنهم على وفاق مع الاسلام. كلّا، هذه الجامعة هي كالقرآن الذي رُفع على الرماح في وجه الامام علي(ع) لقد انتصر معاوية على الامام علي برفع القرآن على الرماح. أنحن نسمح لكم باقامة هذه الجامعة؟! اننا سنحكم بفسق من يدخل هذه الجامعة وفجوره، وسيسقط من أعين الناس تُرى هل يمكن أن يصبح الإسلام والعلماء والشعب تحت إشراف وزارة الثقافة؟! لتخسأ هذه الوزارة التي تفكِّر بالتدخّل في أُمور الدين والإسلام، أنحن نسمح بوقوع ذلك؟!».

ومع حلول شهر محرم الحرام، وذكرى مذبحة (٥) حزيران، عبّأ النظام كلّ قواه للسيطرة على الأوضاع في جميع أرجاء البلاد، فمنع الكثير من الخطباء من صعود المنابر، واستدعى الآخرين الى مديرية الأمن لإجبارهم على اعطاء التعهدات بعدم مهاجمة النظام الحاكم، ووجّه لهم التهديدات، ولكن ومع كلِّ هذا، فقد كانت الحقائق تقال من على المنابر، وأُعتقل على اثر ذلك العديد من الخطباء.

وفي ذكرى الفاجعة الأليمة، صدر بيان يدعو إلى الحداد العام بهذه المناسبة، وهو موقّع من قبل الإمام الخميني وجمع من علماء الطراز الأول هذه بعض المقتطفات منه: .

«عام يمر على موت أعزاء الشعب المفجع... إن واقعة (١٥) خرداد ـ (٥) حزيران ـ جلبت عاراً كبيراً للنظام الحاكم. لقد دخلت تلك الواقعة في صفحات التاريخ ... إن من واجب علماء الاسلام ان يدافعوا عن الأحكام الاسلامية الثابتة، وان يساندوا استقلال الدول الاسلامية وأن يعلنوا عن سخطهم على كل المظالم التي حدثت وتحدث وأن يعلنوا البراءة من اسرائيل واذنابها ومن اعداء القرآن المجيد والاسلام والبلاد. فهل يعدُّ كل هذا جريمة قاموا بها، أو ذنباً أذنبوه؟ وهل هو رجعية بغيضة ؟

إنهم يسمُّون التبليغ الديني وفضح انتهاكاتهم للقانون رجعية، لا ندري ما الذي يربط هؤلاء بإسرائيل لكي يدافعوا عنها بهذا الشكل؟ هل إن ايران محميّة إسرائيلية؟ إنّهم يتصوَّرون أن الأُمّةَ غافلة. إننا مستعدون للدفاع عن الإسلام فالإسلام هو منهجنا . عليكم بالوحدة الإسلاميّة... نحن نحسُّ بالخجل تجاه واقعة (١٥) خرداد (٥ حزيران) وان الأُمّة الاسلامية لا تنسى هذه المصيبة، نحن نعلنها حداداً وطنياً عاماً...».

ومما جاء في البيان ايضاً:

«نحن نعتبر السكوت وترك النصح، جريمة وذنباً كبيراً».

وقد لقي هذا البيان إقبالاً وتأييداً شعبياً كبيراً، حيث خرج الناس في ذكرى عاشوراء في

تظاهرات عارمة تحوّلت في طهران الى صدامات مع جلاوزة الشرطة والأمن ممّا أدى الى اعتقال عدد من المتظاهرين.

ومنذ ذلك الحين، أخذ الإمام الخميني يفكّر بتنظيم العمل، وكانت الخطوة الأُولى هي عقد اجتماعات مساء كلِّ يوم سبت لعلماء الطراز الأوّل في قم، كما طلب (ره) من علماء المدن الأُخرى والحوزة العلميّة في النجف القيام بذلك، من اجل تحريك المجتمع من خلال خطة منظمة كما قام الامام بعدة خطوات بنّاءة في سبيل القضاء على الخلافات التي عملت الأجهزة الأمنية على تعميقها بشدة بين الشرائح الدينية.

وعندما طُرح موضوع تغيير مراسم اليمين في الجيش من القَسم بالقرآن إلى القَسَم بأي كتاب سماوي لإدخال غير المؤمنين بالقرآن إلى الجيش؛ ثار الإمام في وجه هذا التغيير واعتبره خيانة كبرى يرتكبها الشاه، مما أثار مخاوف النظام ودفع به إلى الاسراع بتلافي الموقف. فأرسل موفداً عنه إلى الامام لينفي وجود مثل هذا الامر. وفي المقابل اقترح الامام أن يقوم النظام بنفي ذلك رسمياً عن طريق الاذاعة وهذا ما فعله عدد من قادة الجيش في مقابلة بثتها الاذاعة فيما بعد.

وعند بداية الفصل الدراسي للحوزة العلمية في ٢ جمادى الاولى ١٣٨٤هـ. ق الموافق ١٩٦٤/٩/٤م كانت قوى الامن تحاصر مدينة قم ومع ذلك واصل الإمام احتجاجه على مواقف الحكومة وممارساتها وخاصة التغلغل الاسرائيلي في البلاد، وطالب الحكومة بإيجاد إذاعة خاصة بعلماء الدين ليقوموا من خلالها بنشر أفكارهم والقضاء على الخلافات الطائفية بين الشيعة والسنة، والتي هي من فعل الاستعمار، ومواصلة العمل من أجل استقلال البلدان الاسلامية وتحررها.

واستمراراً لجهاده، أصدر الامام بياناً حول جريمة القتل. التي ارتكبها معاون مدير جهاز الامن (الساواك) في كرمان والتي برّأت أجهزة الشاه إثرها ساحة القاتل المجرم وابقته بعيداً عن العقاب وحاولت اعتقال عالم مجاهد وقف في وجه النظام، حيث حث الامام أهالي كرمان على الوقوف في وجه الحكومة ودعم علماء الدين.

هوامش الفصل الخامس

(١) المهندس عبد الله رياضي تم ترشيحه ممثلاً عن مدينة طهران، وقبل الانتخابات جرى إعداده ليتولى رئاسة المجلس، وكان يبدو في الظاهر أنه ليس عضواً في الحزب، إلاّ أنه كان يفوز في الانتخابات باستمرار، كما أنه تولّى رئاسة المجلس إبتداءً من الدورة الحادية والعشرين حتى الدورة الرابعة والعشرين ولمدة (١٥) عاماً. وخلال الدورة الرابعة والعشرين وعندما تجاوز عمره السن القانونية المحددة لأعضاء المجلس، لم يترك الرئاسة لشدة ولعه بالمنصب، وقد ظل متمسكاً بكرسيه ومنصبه حتى عندما أرادوا تغيير الوجوه خلال الانتخابات السنوية الثالثة لرئيس المجلس، وكأنه كان يتصور أن منصب رئاسة المجلس أصبح ملكاً له، كما انه لم يكن يعير اهتماماً لامواج الثورة العارمة التي تجتاح البلاد. وبعد انتصار الثورة الإسلامية كان من أوائل الذين شملهم حكم الاعدام.

(٢) خلال الفترة التي كان فيها الامام محتجزاً في محلّة قيطرية بطهران قام «پاك روان» رئيس جهاز أمن الشاه (الساواك) بزيارته عدّة مرات وتحدث مع سماحته بهذا الشأن، إذ كان مكلّفاً بتمهيد الطريق للقاء الشاه بالامام الخميني لتتمّ بذلك المساومة بينهما وتحلّ المشكلة!! وليواصل النظام نهجه دون إزعاج وتنغيص من قبل علماء الدين. لكن الإمام ردّ على إلحاح (پاك روان) واصراره على عقد هذا اللقاء بقوله:

«هذا الإلحاح الذي تبديه الحكومة لترتيب لقاء بيني وبين الشاه لا يستهدف حلّ المشاكل وإصلاح الأُمور، بل إنّ الحكومة أدركت جيداً أن الشاه قد سقط من أعين المجتمع، حتى أنه لو مدّ إصبعه في البحر لنجّسه كلّه، ولهذا يراد من وراء إجباري على اللّقاء معه تلويث سمعتي واسقاطي من أعين المجتمع أنا أيضاً»

(من كتاب: بررسى وتحليلى أز نهضت امام خمينى / ص ٦٣٨)

(٣) صحيفة إطلاعات الصادرة بتاريخ ١٦/فروردين / ١٣٤٣ (٥ / نيسان/ ١٩٦٤).

(٤) يوم (١٨/فروردين/ ١٣٤٣هـ.ش / ٧ / نيسان / ١٩٦٤م) نشرت صحيفة «اطلاعات» افتتاحية مطوّلة حول ما يسمى بـ(الثورة البيضاء) جاء في جانب منها:

«ولحسن الحظ فإننا نشهد اليوم أن علماء الدين ومعهم كلّ الشعب يعملون من اجل تطبيق مراحل ثورة الشاه والشعب»!

وهذا يعني ان التعهد المزعوم بعدم التدخل في السياسة ـ الذي ادعت الحكومة صدوره من علماء الدين ـ قد تحول إلى تعهُّد بدعم الحكومة!

(٥) مساء يوم الجمعة ١ نيسان ١٩٦٤م وفي احتفال أُقيم في قم بمناسبة إطلاق سراح الإمام، قرئ بيان جاء في جانب منه:

«نطالب بتطبيق القوانين الاسلامية بشكل كامل، وإحياء السنن الدينية المهملة، وتطبيق الدستور بمعناه الحقيقي خاصة المادة الثانية من الملحق المكمل للدستور، وإلغاء كلّ القوانين واللوائح المخالفة للدين، وحل مجلسي الشيوخ والنواب غير القانونيين وقطع أيدي الاستعمار وأذناب الصهيونية عن البلاد، ومكافحة الظلم والفساد...».

وكان معنى ذلك؛ المطالبة بزوال النظام برمّته.

الفصل السادس

منح الحصانة للاميركان ونفي الامام الخميني

١ـ نظرة عامة:

عام ١٩٦٤م قامت الحكومة ـ الغارقة في العمالة للأجانب بشكل كامل ـ بطرح قانون الحصانة القضائية من جديد والمصادقة عليه ودون أية مراعاة لمشاعر الشعب حيث قدّمت الحكومة لائحة بهذا الشأن واستحصلت موافقة مجلس النواب عليها. ويقضي القانون بإعفاء المستشارين العسكريين والفنيين الاميركيين وعوائلهم وخَدَمهم من شمول القانون الايراني، كما يقضي بجعلهم في عداد الدبلوماسيين والعاملين في السفارات الاجنبية في طهران المشمولين بمفاد معاهدة فينا القاضية بمنح الحصانة القضائية للدبلوماسيين العاملين في سفارات دولهم في البلدان الأُخرى.

هذا الاجراء تمَّ في وقت لم تكن فيه حتى الدول الافريقية نصف المستعمرة او التي في طريقها إلى الاستقلال ترضخ لمثل هذا القانون، ولهذا فقد أثار تصرف الحكومة الايرانية تعجُّب الكثيرين. فقد كان لاميركا اربعون ألف خبير، وهؤلاء يجب أن يتمتعوا بالحرية والطمأنينة والرفاه من جميع النواحي، بموجب هذا القانون، وأن يصانوا حتى من قوانين الدولة التي يقيمون فيها وينعدم احتمال تعرضهم للعقوبات، حتى في حالة انتهاك القوانين الجزائية وارتكاب الجرائم بشكل علني!!

قانون الحصانة الجديد[1] تعود جذوره الى مرحلة حكم أسد الله علم، وفي ظل حكومة حسن علي منصور تم وضع اللمسات الاخيرة عليه، وقُدّمت مسوّدته الى المجلس لتحصل على مصادقة النواب.

ولقد حاول هذان العميلان (علم ومنصور) إبقاء الموضوع محاطاً بحالة من الابهام والتشويش للحيلولة دون اطلاع الشعب عليه ريثما يتسنى اطلاق اسم آخر عليه في المرحلة التالية. ولهذا لم تنشر الصحف خلال عامي ٦٣ و ١٩٦٤ أيَّ شيءٍ يتعلق بهذا الموضوع، كما أنه لم ينعكس في محاضر مناقشات مجلس النواب. تُرى لماذا يُظهر أزلام النظام الضعف والخنوع والرضوخ امام القوة

الاجنبية المتسلطة على المنطقة، في حين يقفون من أبناء شعبهم موقفاً متشدّداً؟ ما الذي جعلهم أذلاّء خانعين إلى هذا الحد؟ لاشك انهم يدركون مدى قبح العمل الذي ارتكبوه، ولهذا كانوا يوحون الى أنفسهم بأن ما فعلوه ليس عقد معاهدة منح حصانة قضائية للأجانب، كما حاولوا تجاهل صرخات الاحتجاج الشعبية وعملوا على إخماد أية معارضة لهذا الامر.

وبالرغم من ان المجلس الوطني (مجلس النواب) كان مطيعاً للجهاز الحاكم، وجميع أعضائه قدتم تعيينهم اثناء مؤتمر النساء المتحررات والرجال الأحرار، الذي عُقد قبل الانتخابات، إلاّ أن المصادقة على لائحة قانون الحصانة القضائية للأجانب، تمت بـ(٧٤) صوتاً مؤيداً مقابل (٦٣) صوتاً معارضاً، وهذا يكشف عن مدى قبح هذا العمل الذي أقدم عليه منصور. فقوانين كل بلد ـ وخاصة الجزائية منها ـ يجب ان تطبّق بشكل حازم داخل حدود ذلك البلد من أجل ان يكون وجود النظام والقانون ملموساً لدى الناس، فتحديد عمل المحاكم وصلاحياتها يوجّه ضربة الى صميم السيادة الوطنية ويشكل انتهاكاً صريحاً لاستقلال الشعب وحريته.

٢ـ ربط قانون الحصانة بمعاهدة فينا:

لجأت الحكومة الايرانية، وبسبب خوفها من الغضب الشعبي، إلى عملية خداع جديدة، إذ جعلت من معاهدة فينا الشاملة المتّفَق عليها بالاجماع حصناً لها. في ٥ تشرين الأول ١٩٦٣م أصدرت حكومة (علم) قانوناً يقضي بـإضافة ملحق إلى معاهدة فينا خلال تقديمها إلى مجلس النواب، هذا الملحق ينصُّ على منح موظفي الهيئات الاستشارية الأمريكية في إيران جميع الامتيازات والحصانات المتعلّقة بالموظفين الاداريين والفنيين الوارد ذكرهم في معاهدة فينا. هذا الملحق هو بحدّ ذاته يمثّل تقنين منح الحصانة القضائية للاميركان الذي تخشى الحكومة الاعلان عنه بصراحة.

وفي اجتماع يوم ١٥ حزيران ١٩٦٤ الذي عقده مجلس الشيوخ تمت المصادقة على معاهدة فينا دون أن يطرح ملحقها لمناقشته، وهذا يستدعي التساؤل حول سبب فصل الملحق عن المعاهدة أثناء طرحها في مجلس الشيوخ. ولأن المجلسين كانا معطّلين فقد طلبت الحكومة عقد اجتماع طارئ، فلماذا لم يطرح الملحق في نفس ذلك الاجتماع الذي عقده مجلس الشيوخ وصادق فيه على المعاهدة بل طُرح في اجتماع طارئ بعد منتصف الليل وأُخِذت موافقة مجلس الشيوخ عليه؟

يبدو أن النظام لم يكن يثق حتى باعضاء مجلس الشيوخ بالرغم من عمالتهم وطاعتهم العمياء للنظام، لذلك لم يكن يريد إطلاعهم على تفاصيل هذه الحصانة القضائية. في اجتماع المجلس، قام

رئيسه بقراءة الرسالة الموجّهة إلى المجلس، وفيما يخصُّ الملحق المتعلق بالمصادقة على مذكرتين وقِّعتا بين وزارة خارجية النظام وسفارة اميركا بطهران[٢] قام عباس مسعودي ـ الصحفي الموالي للنظام الشاهنشاهي والمتحدث باسم لجنة الشؤون الخارجية في المجلس ـ بتقديم تقرير يتضمن رأي اللجنة إلى المجلس. وفي الجلسة نفسها ، طلب رئيس الوزراء من النواب الاسراع بالمصادقة على الملحق لأنه أمر «عادي ولا يحتاج الى مناقشة» وهو موضوع مستعجل على حد تعبيره، فصادقت الاكثرية الساحقة على كونه مستعجلاً ويستدعي ايلاءه الاولوية وبهذا الشكل فقد وُضع الموضوع في عداد اللوائح الفورية بعد الساعة الثانية عشرة.

٣ـ الحصانة والإمتيازات الممنوحة:

لم يجر في المذكّرات والرسائل المتبادلة تحديد طبيعة الحصانات والامتيازات التي منحت للرعايا الامريكان، وفي المجلسين التشريعيين (النواب والشيوخ) طُرح الموضوع بشكل مبهم وجرت المصادقة عليه وأُنيطت تفصيلاته بالرجوع الى معاهدة فينا.

وعند التدقيق في مواد معاهدة فينا والمذكرات والرسائل المتبادلة ينكشف بوضوح مدى دقة تفاصيل الحصانات الممنوحة لمن تشملهم.

ومن خلال الامتيازات التي تم منحها للجالية الاميركية في ايران، ومع الاخذ بنظر الاعتبار كون بعض المستشارين الاميركين هم أعضاء في المخابرات المركزية الاميركية ، سنعرف كيف كانت ايران مسرحاً لنشاطات اميركا وتحركاتها على الصعيد السياسي والاقتصادي والعسكري والتجسسي لسنوات طويلة.

لقد بدأ الامر اولاً على شكل منح الحصانة للمستشارين العسكريين الاميركين في إيران، وفي آخر مذكرة للسفارة الاميركية وجهتها الى وزارة الخارجية، ورد تفسير عجيب للحصانة ، وقد قامت السفارة المذكورة بفرضهِ على الحكومة الايرانية. كما طرح الامر بهذا الشكل أيضاً على مجلس النواب وتمت المصادقة عليه. فقد ورد في مذكرة السفارة الأميركية:

«ان السفارة الاميركية ترى ان الهيئات الاستشارية العسكرية للولايات المتحدة في ايران شمل جميع الموظفين العسكريين والعاملين غير العسكريين المستخدمين في وزارة الدفاع ، إضافة الى أفراد عوائلهم الساكنين في ايران».

إذن ، وبناءً على هذا التفسير فإنّ كلّ من تريد أميركا جلبه إلى ايران سواء كان مستشاراً أم غير مستشار سيتمتع بهذه الامتيازات والحصانة القضائية الممنوحة له، حتى لو كان مدنياً.

والآن لنلاحظ أنواع الحصانات الممنوحة لهؤلاء:

* إنّهم مصانون من التوقيف. فلا يحقُّ لأحد اعتقالهم مهما كانت الأسباب.

* تجب معاملتهم بلطف لئلا تُمَسّ حريتهم وكرامتهم. ولهذا كان النظام قد خصّص عدداً كبيراً من قوات الشرطة للمحافظة على الاميركان وحراستهم، فكانوا يحرسون منازلهم مثلما يحرسون السفارة! كما كانت مستمسكاتهم وممتلكاتهم وأموالهم تتمتع بحراسة خاصة.

* وهم مصانون من إجراءات الدعاوى المدنية، كما يتم وقف جميع الدعاوى والأحكام الصادرة بحقهم.

* ولم يكونوا يدفعون الضرائب خاصة في عمليات التصدير والاستيراد، فهؤلاء يقومون بإدخال البضائع إلى ايران عدّة مرات في السنة دون أن يدفعوا رسوم الجمارك. إضافة الى أنهم يستوردون السلع الممنوعة دون أية معارضة من أحد، كالمشروبات الكحولية والسجائر الأميركية وعشرات الأنواع من السلع التي أدّت الى مفاسد كبيرة في البلاد.

لقد فاقت الامتيازات التي مُنحت للاميركان في إطار قانون الحصانة ما نصّت عليه معاهدة «تركمن چاى» التي عُقِدت سابقاً مع الروس. فحكومة منصور كانت تدافع عن قانون الحصانة وتدّعي أن حكومة علم كانت قد صادقت عليه قبل ستة أشهر.

أمّا علم فقد ادعى أن حكومته ـ بالرغم من مصادقتها على القانون ـ لم تكن موافقة عليه والدليل على ذلك أنّها لم تقدّمه الى مجلس النواب للمصادقة عليه بعد تشكيله، كما قدّمت اللوائح الستمئة التي كانت قد سنّتها في فترة غياب المجلس كي يصادق عليها المجلس دفعةً واحدة.

أحد النواب الذين أفرزتهم (الثورة البيضاء) ومؤتمر (النساء المتحررات والرجال الأحرار)! قال في أحد اجتماعات مجلس النواب: (إنه لخطرٌ كبيرٌ، وستقومون بتكرار حادثة «السقّاخانه» ـ لا سمح الله ـ فعندما، أرى ابني تدهسه سيارة يقودها أميركي، ولا أجد مرجعاً قضائياً ألجأ إليه، فماذا سأفعل؟ سأقوم بقتل الاميركي، وهكذا فإن هذا القانون لن يكون في صالح الأميركان... اتركوا هذا الامر ولا تقدموا عليه).

والطريف أن هذا النائب المعارض إنما عارض الأمر حفاظاً على المصالح الاميركية.

وفي مجلس النواب تمت المصادقة على هذا القانون في ظروف خاصة وغير عادية مطلقاً، حيث كانت المصادقة بأكثرية قليلة. ووفقاً للنظام الداخلي للمجلس، فإن الجلسة اذا استمرت(٤) ساعات يعلن انتهاؤها، لكن الجلسة في ذلك اليوم ظلت معقودة بالرغم من مضي (٤) ساعات على انعقادها، بهدف إتمام المناقشة، واستغرقت المناقشات ضعف عدد الساعات التي تستغرقها

اجتماعات المجلس، وكلما اقترح النواب انهاء الجلسة أصرت هيئة رئاسة المجلس على استمرار انعقادها ، بل لم يُسمح للنواب حتى بتناول طعام الغداء، مما دعا أحد النواب إلى تشبيه هذه الظاهرة «بالاستشارة المقرونة بالتعذيب». وهكذا لم تتم مناقشة اللائحة بالشكل المطلوب، وصودق عليها بأغلبية قليلة. كما لم يقدِّم ممثل الحكومة الجواب المقنع عن الاعتراضات المطروحة أمّا ممثل وزارة الخارجية فقد اكتفى بالدفاع عن اللائحة بقوله:

«ارسلت سفارة اميركا في طهران المذكرة المرقمة ٤٢٣ والمؤرخة في شهر آذار ١٩٦٢ طالبةً فيها منح العسكريين الأميركيين في إيران جميع الامتيازات والحصانات الممنوحة لاعضاء البعثات والممثليات الدبلوماسية التي تنصُّ عليها معاهدة فينا. وقد استمرت المحادثات والمراسلات بيننا وبين السفارة فترة طويلة حتى جرت المصادقة على ذلك في مجلس الوزراء بتاريخ ٥ / تشرين الأول/ ١٩٦٣م ، بعدها تم تقديم مسودة (لائحة) القانون التي أُعدت بهذا الشأن إلى مجلس الشيوخ بتاريخ (١٥/ كانون الثاني/١٩٦٤م) وفي ٢٥/حزيران/١٩٦٤م تمت المصادقة عليها في مجلس الشيوخ ثم أُرسلت إلى مجلس الشورى الوطني ليقوم السادة بأداء واجبهم حيالها»!

وبالطبع فإنّ المجلس أدّى «واجبه»، فهذه المجالس إنما أُسست لتقوم بانجاز مثل هذه المهام والمصادقة على مثل هذا النوع من القوانين.

وقد كان الامام هو العالم الديني والمعارض القوي الوحيد حيث سنرى فيما بعد كيف وقف في وجه هذا القانون، وفضح خيانة النظام في هذا المجال.

٤ـ مقاومة الامام ومواجهته لقانون الحصانة:

لقد وقف الامام في وجه قانون الحصانة القضائية للاميركان ، مما أوصل هذا الامر إلى ذروته، ووضع الشاه في طريق مسدود.

ونظراً للاهمية التاريخية لخطاب الإمام في ٢٦/ تشرين الاول/١٩٦٤م سنورد النص الكامل له، حيث هاجم فيه ـ وبعنف ـ الشاه واسرائيل واميركا، وفضح ممارسات الحكومة وخطط أسيادها، وشرح تفاصيل وأبعاد قانون الحصانة القضائية للأميركان ، باسلوب تفهمه كل فئات الشعب، وهكذا شكَّل هذا الخطاب ـ الذي ألقاه الامام في تجمع جماهيري حاشد ـ تهديداً جدّياً للنظام أوصله إلى حافة السقوط فقد قال الامام:

بسم الله الرحمن الرحيم

إنا لله وإنّا إليه راجعون (بكاء الجماهير).

إنني عاجز عن التعبير عمّا أُحسُّهُ من أَلَم يعتصر قلبي، وقلّما يطرق الكرى عينيَّ منذ أن سمعت بأخبار ما حدث في إيران مؤخراً (بكاء الجماهير). أنا متألم، وقلبي يعتصره الألم حتى أنني بدأت أعدّ الايام لانتهاء عمري وحلول أجلي (الجمهور يجهش بالبكاء) ايران لا عيد لها بعد اليوم. لقد جعلوها في عزاء دائم، وراحوا هم يرقصون... لقد باعونا؛ باعوا استقلالنا وراحوا هم يحتفلون وينشرون معالم الزينة والفرح. لقد سحقونا بأقدامهم، ولو كنت مكانهم لمنعت كلّ هذه الاحتفالات ومعالم الزينة، ولأمرت برفع أعلام سود فوق البيوت والأسواق. لقد داسوا على كرامتنا وعزتنا، لقد قضي على عظمة ايران (بكاء الحاضرين) لقد داسوا بأقدامهم عظمة الجيش الإيراني.

لقد قدموا قانوناً إلى المجلس ألحقونا بموجبه -أولاً- بمعاهدة فيننا، ومنحوا الحصانة القضائية -ثانياً- لجميع المستشارين العسكريين الأميركيين ومعهم عوائلهم وموظفيهم الفنيين والاداريين وخدمهم وكل من يتعلق بهم، فهم مصانون من العقاب مهما ارتكبوا من جرائم في إيران، فلو أراد خادم أو طبّاخ أميركي قتْل مرجع تقليدكم او سحقه في وسط السوق فلا يحق للشرطة الإيرانية منعه، ولا يحق للمحاكم الايرانية محاكمته عند قيامه بجريمته! فلفُّ القضية يجب أن يرسَل الى أميركا وهناك يتخذ أسيادهم القرار بهذا الشأن.

لقد صادقت الحكومة السابقة على هذا المشروع دون أن يعلم أحد بالأمر، والحكومة الحالية قدّمته الى مجلس الشيوخ وتمت المصادقة عليه بعملية «قيام وقعود» دون أن يعلم أحد بالأمر أيضاً، وقبل أيام أرسلوا اللآئحة الى مجلس الشورى وجرت المداولات بشأنها وتحدث بعض المعارضين، إلاّ أنهم مرّروا الموضوع بكل وقاحة، فالحكومة دافعت عن هذا العار. لقد اعتبروا الشعب الايراني أقذر من الكلب الاميركي!، فلو دهس مواطن ايراني كلباً أميركياً بسيارته فسيحال إلى المحكمة، حتى لو كان هذا الشخص هو الشاه نفسه، أمّا لو قام طباخ أميركي بدهسِ الشاه أو أكبر مسؤول في البلاد فلا يحق لأحد التعرُّض له، لماذا؟ لأنهم أرادوا قرضاً من أميركا، فطلبت منهم منح هذه الحصانة لأتباعها مقابل ذلك.

وبعد ايام من المصادقة على القانون، طلبت الحكومة قرضاً من اميركا مقداره (٢٠٠) مليون دولار تحصل عليه ايران على مدى (٥) سنوات من أجل تأمين النفقات العسكرية للبلاد، على أن يسدد لأميركا خلال (١٠) سنوات بزيادة ربوية على القرض قدرها (١٠٠)

مليون دولار (٨٠٠ مليون تومان). ومع ذلك فقد باعت حكومةُ ايران البلادَ من أجل هذا المبلغ ... باعت استقلالها ، وجعلت من ايران مستعمرة لأميركا، وأظهرت الشعب الايراني المسلم اكثر تخلفاً من الوحوش!

ما الذي نفعله حيال هذه المصيبة؟! ما الذي يفعله علماء الدين حيال هذه المصيبة؟! لأية دولة نشكو أمرنا؟! فباقي الدول تظن أنَّ الشعب الايراني هو الذي أوصل نفسه إلى هذا الحضيض، إنهم يجهلون أن حكومة ايران هي التي فعلت ذلك ، والمجلس هو الذي فعل ذلك. هذا المجلس الذي هو في وادٍ آخر غير وادي الشعب. إنه المجلس الذي قام عبر أسنة الحراب. فما علاقة هذا المجلس بالشعب؟ فالشعب الايراني لم يدلِ بصوته لصالح هؤلاء النواب، والكثير من علماء الطراز الأول والمراجع حرَّموا الاشتراك في الانتخابات، والشعب أطاع علماءه في ذلك لكن الحراب هي التي جاءت بهؤلاء وأجلستهم على كراسي المجلس. في أحد الكتب المدرسية التي طبعت هذا العام، يلقَّن الطلبة فِرية مفادها أن قطع دابر علماء الدين والحد من نفوذهم سيؤدي إلى تحقيق رفاهية الشعب وضمان منافعه.. هل يكمن تحقيق مصالح الشعب في محو علماء الدين وتدميرهم؟!

لقد أدرك هؤلاء جيداً أنه اذا كان لعلماء الدين نفوذ في البلاد فلن يَدَعوا البلد يخضع للانجليز يوماً وللاميركان يوماً آخر، ولن يدعوا إسرائيل تهيمن على اقتصاد ايران او تباع البضاعة الاسرائيلية في إيران بكل حرية وحتى دون ان تفرض عليها ضريبة جمركية.

واذا كان للعلماء نفوذ في البلاد فلن يدعوا هؤلاء يفرضون هذا القرض الكبير على الشعب الايراني.

واذا كان لهم نفوذ فلن يدعوا هذه الفوضى تعم بيت المال، ولن يدعوا الحكومة تعمل ما يحلو لها حتى لو كان ضد مصالح الشعب تماماً.

واذا كان للعلماء نفوذ فلن يدعوا المجلس يصبح منحطاً إلى هذا الحد، ولن يدعوا النّواب يُعيّنون بالحراب، لتحدث ـ فيما بعد ـ هذه الفضائح المخزية.

واذا كان للعلماء نفوذ فلن يدعوا شاباً وشابة يمارسان رياضة المصارعة كما حدث في شيراز.

واذا كان لهم نفوذ ، فلن يدعوا البنات العفيفات في المدارس في متناول أيدي

الشبان، لن يسمحوا بإرسال النساء إلى مدارس البنين والرجال إلى مدارس البنات ليحدث كل هذا الفساد.

واذا كان لعلماء الدين نفوذ فلن يسمحوا بفرض هؤلاء النواب على الشعب ويتحكمون في مصير البلاد.

واذا كان لهم نفوذ فلن يدعوا عميلاً أميركياً يرتكب كلّ هذه الاعمال، بل سيرمونه خارج البلاد.

إن نفوذ علماء الدين يضر بمصالحكم انتم أيتُها الخونة وليس بمصالح الشعب لقد وجدتم أنه مع وجود نفوذ لعلماء الدين فلن تستطيعوا ارتكاب أي حماقة ولذلك قررتم محو نفوذهم ومكافحته. هل ظننتم أن باستطاعتكم دق اسفين الفرقة بين صفوف العلماء عبر افتعال الحوادث؟ انكم لا تستطيعون ذلك، وستظلون تحلمون به حتى يدرككم الموت، فعلماء الدين متكاتفون ينسجمون مع بعضهم بعضاً.

إنَّني أُعظِم جميع علماء الدين، وأُقبِّل أيديهم واذا كنت قد قبَّلت يد المرجع سابقاً، فإنَّني أُقبِّل اليوم يد الكاسب أيضاً (بكاء وابراز الحاضرين لعواطفهم ومشاعرهم) احذروا ايها السادة. احذر يا جيش إيران. احذروا ايُّها السياسيون. احذروا ايها التجار. إحذروا يا علماء الاسلام ويا أيها المراجع. إحذروا أيتُها الفضلاء، أيتُها الطلاب، أيتُها الحوزة العلمية في النجف وقم ومشهد وطهران وشيراز، إحذروا جميعاً، فها هو الخطر قادم والاستار تخفي أشياء كثيرة لقد قالوا في المجلس: (لا تدعوا الأستار تكشف) يبدو أنهم يبيّتون لنا شيئاً، فما الذي سيحدث أسوأ مما حدث؟ وهل هناك أسوأ من الذلّ والتبعية؟ ماذا ينفع الشعب هذا الدَّين؟ وماذا سيجر عليه من المصائب؟ لماذا يدفع الشعب ١٠٠ مليون دولار (٨٠٠ مليون تومان) كفائدة للقرض الى اميركا؟ بماذا يفكر هؤلاء؟ ماذا ينفعكم المستشارون والعسكريون الاميركيون؟! اذا كانت ايران مستعمرة أميركية فلماذا كل هذه العربدة والضجيج؟ ولماذا كل هذه الادعاءات عن الترقي والتطور؟ اذا كان هؤلاء المستشارون خدماً لكم فلماذا يُرفعون أعلى من الاسياد؟ ولماذا يُرفعون إلى درجةٍ أعلى من الشاه؟ فان كانوا خدماً عاملوهم كباقي الخدم. وان كانوا موظفين فليُعامَلُوا مثلما تعامل بقية الشعوب موظفيها، وان كانت بلادنا محتلة من قبل أميركا فاعلنوا ذلك، وأخرجونا نحنُ منها.

ما الذي يريدون أن يفعلوه بنا؟ ما الذي تقوله لنا هذه الحكومة؟ ما الذي فعله بنا

هذا المجلس؟ هذا المجلس ليس قانونياً، إنه مجرم، إنه محرَّم طبقاً لفتاوى مراجع التقليد وأحكامهم، إنه المجلس الذي يرفع عقيرته متحدثاً عن الاستقلال والثورة ويقول نحن ثمرة الثورة البيضاء! أنا لا ادري اين هذه الثورة البيضاء التي يثيرون حولها كل هذا التهريج؟ يعلم الله أني أعلم ولكن قلبي يعتصر ألماً، أعلم بما تعانيه القرى والمدن النائية، وأعلم بما تعانيه قم المتخلّفة، وأعلم بجوع الناس والوضع الزراعي المأساوي.

أوجدوا حلاّ لمشاكل البلاد والشعب. لا تكدسوا القروض بعد القروض، لا تكونوا خدماً الى هذا الحد. انتم تأخذون الدولارات وتنفقونها على شؤونكم، ونحن نصبح بدلها خدماً للاميركان. ولو دهستنا سيارة اميركي فلا يستطيع أحد ان ينبس ببنت شفة امام الأميركيين.

أيها السادة الذين تطالبون بالسكوت وعدم التحرك، هل إن علينا أن نسكت حيال هذا الأمر ايضاً؟!

هل نلتزم الصمت هنا ايضاً ولا نتحرك؟! انهم يبيعوننا ونحن نظل ساكتين؟! يبيعون استقلالنا ونظل ساكتين؟!

والله، إن الساكت سيكون مأثوماً، من لا يصرخ سيرتكب ذنباً كبيراً (هتافات الحاضرين تعبيراً عن مشاعر التأييد)

يا زعماء الاسلام، انقذوا الاسلام.

يا علماء النجف انقذوا الاسلام.

يا علماء قم انقذوا الاسلام.

لقد انتهى الاسلام (بكاء الحاضرين).

ايتها الشعوب المسلمة! يا قادة الشعوب الاسلامية! يا رؤساء البلدان الاسلامية، يا سلاطين الشعوب الاسلامية.. انقذونا.. يا شاه ايران، انقذ نفسك!

أيجب ان نُداسَ باقدام الاميركان لاننا ضعفاء ولا نملك الدولار؟ ان اميركا أسوأ من انجلترا، وانجلترا اسوأ من اميركا، وروسيا اسوأ من الاثنتين معاً، وكل منهم أسوأ من الآخر، وكل منهم أقذر من الآخر، لكننا اليوم ابتلينا بأميركا، فليعلم الرئيس الاميركي انه من اكثر المغضوب عليهم عند شعبنا، فهو الذي ارتكب هذه الجرائم بحق الامة الاسلامية. إن القرآن خصمه اليوم. وشعبنا ـ اليوم ـ خصمٌ للرئيس الاميركي.

لتعلم اميركا ان أمرها قد افتضح في ايران مساكين هؤلاء النوّاب! فقد صرخوا ان

اطلبوا لاصدقائنا (الاميركان) بان لا يفرضوا علينا اكثر من هذا ، وان لا يبيعونا ، وان لا يجعلوا من ايران مستعمرة لهم، ولكن من الذي استمع لما قالوه؟

انهم لم يعلنوا فحوى المادة ٣٢ من معاهدة فينا، انا لا ادري ماهو مضمون هذه المادة. ولست انا وحدي لا أعلم بذلك بل حتى رئيس المجلس لا يعرف فحواها ، والنواب ايضاً لا يعرفون ماذا تتضمن ، لكنهم مع كل هذا صادقوا على المعاهدة، بالرغم من أن بعضهم قال انه لا يعرف فحوى المادة ٣٢ وقد يكون هؤلاء لم يوقّعوا على المعاهدة لكن الآخرين وقّعوا، وهم أسوأ ممن لم يوقِّعوا... إنهم حفنة من الجهلة...

شخصياتنا السياسية واصحاب المناصب الرفيعة يتعرضون للفصل، الواحد تلو الآخر. في بلادنا اليوم، لاحول لرجال السياسة الوطنيين ولا قوة. ضباط الجيش يجب ان يعرفوا بأنهم سيتعرضون للفصل الواحد تلو الآخر، فهل بقيت للجيش كرامة مادام الطبّاخ والفراش الاميركي مفضلاً على الجنرال الايراني؟ لو كنت عسكرياً لاستقلت من الخدمة، لو كنت نائباً في المجلس لاستقلت، فانا لا أقبل هذا العار.

الطبّاخ الأميركي والميكانيكي الاميركي والموظف الاداري أو الفني الاميركي وعوائلهم، كل هؤلاء يجب ان يتمتعوا بالحصانة!!! اما علماء الاسلام ووعاظه وخَدَمتُه ، فيجب ان يعيشوا في السجون والمنافي!! فأنصار الاسلام يُسجنون في «بندر عباس» بتهمة كونهم علماء دين او أنصار علماء الدين.

انهم يلقنون طلاب المدارس في كتاب التاريخ بان رفاهية هذا الشعب تكمن في القضاء على نفوذ علماء الدين ، أي ان رفاهية هذا الشعب تكمن في قطع يد رسول الله!! فعلماء الدين لم يأتوا بشيء منهم بل إنّ كلّ ما عندهم، انما هو من رسول الله، وقطع يدهم يعني قطع يد رسول الله عن هذا الشعب. وهؤلاء يريدون تحقيق هذا الهدف لتظل اسرائيل تعمل ما تريد في هذا البلد وهي مطمئنة ودون منغّصات، ولتظل اميركا تمارس في هذا البلد ما يحلو لها.

إن جميع مشاكلنا ومصائبنا اليوم ، هي من اميركا واسرائيل، واسرائيل هي أيضاً من اميركا، هؤلاء النواب هم من أميركا ايضاً، هؤلاء الوزراء هم من اميركا أيضاً، كلهم عميل لأميركا، فلو لم يكونوا كذلك، فلماذا يقفون بوجهها ويعترضون على ممارساتها.

انا الآن في حالة غليان وتوتُّر، وذاكرتي لا تسعفني، في إحدى دورات مجلس النواب

حيث كان المرحوم السيد حسن المدرس عضواً فيه وجّهت روسيا تحذيراً الى ايران بان تقبل القضية الفلانية التي لا أتذكرها الآن، وإلا فانها ستقوم بالهجوم عن طريق قزوين ثم التوجه إلى طهران لاحتلالها وعند ذاك مارست الحكومة ضغوطاً على المجلس ليصادق على ذلك المشروع.

يقول احد المؤرخين الأميركيين (وقف خلف الميكروفون شخص يتوكأ على عصاه - ويقصد المرحوم المدرس - وصرخ: مادمنا سنموت جميعاً فلماذا نوقّع على وثيقة فنائنا بأنفسنا؟) وهكذا اكتسب باقي النواب الجرأة ورفضوا المشروع الروسي، ولم تستطع روسيا ارتكاب أية حماقة.

هذا هو عالم الدين، فعالم ضعيف البنية استطاع ان يرفض اقتراح روسيا ويرد على تحذيرها الذي وجهته. واليوم لو كان لدينا عالم واحد في المجلس، لما كان قد سُمح بتمرير هذا الموضوع لاجل هذا يريدون محاربة نفوذ علماء الدين لكي يتمكنوا من الوصول الى أهدافهم.

هناك الكثير من المواضيع والمفاسد في هذا البلد، لكن وضعي الصحي لا يساعدني على التطرق إلى ذلك، وانتم مكلّفون بإيصال ما تسمعونه الى اصدقائكم.

على العلماء توعية الامة، وعلى الامة ان ترفع صوتها، وتحتج على المجلس والحكومة على ما عملاه.

على الشعب ان يسأل المجلس والحكومة: لماذا بعتمانا؟! فانت أيها النائب لا تمثلنا أبداً، وإن كنت تمثّلنا فقد خنت الامانة، ولهذا فقد سقطت نيابتك عنّا إنها خيانة بحق البلاد.

الهي، لقد خانوا الوطن، الهي هذه الحكومة خانت الوطن، خانت الاسلام خانت القرآن، واعضاء المجلسين الذين وافقوا على ذلك، هم أيضاً ارتكبوا الخيانة، أعضاء مجلس الشيوخ، هؤلاء العجزة، خانوا أيضاً. وأعضاء مجلس النواب الذين صادقوا على ممارسات الحكومة هم أيضاً وارتكبوا الخيانة بحق البلاد، فهؤلاء ليسوا نوّاباً للشعب، ليعلم العالَم بأن هؤلاء لا يمثّلون شعب ايران وان كانوا نواباً حقاً، فانني أصدرت الامر بفصلهم. إنهم مفصولون من مناصبهم كنواب للشعب، ولا قيمة قانونية لكلّ القوانين التي صادقوا عليها، ووفقاً للقانون ووفقاً للمادة الثانية من الملحق المكمل للدستور؛ ما دام المجتهدون لا يشرفون على أعمال المجلس، فلا اعتبار ولا شرعية للقوانين التي يصادق عليها. فمن المجتهد الذي أشرف على عمل المجلس منذ الحركه الدستورية ولحد الان؟ لو

كان في هذا المجلس خمسة مجتهدين، او حتى عالم دين واحد على الأقل، لضرب هؤلاء على أفواههم ولما سمح بالمصادقة على هذا القانون.

إنني احتج على اولئك النواب الذين تظاهروا بمعارضة القانون بأنهم لو كانوا معارضين للقانون حقاً، فلماذا التزموا الصمت؟ لماذا لم تنهضوا وتنزلوا ذلك الصعلوك من خلف الميكروفون؟ فهل المعارضة هي ان تقولوا بانكم تعارضون، ثم تعودوا للجلوس في أماكنكم ثم تظهروا لهم كل ذلك التملق؟ عليكم ان تثيروا ضجة، وان تنزلوا وسط قاعة المجلس وتقفوا بوجه ما يجري وتخرجوا هذه اللائحة من المجلس، فالاعتراض والجلوس لا يمكنه ان يغير شيئاً، فهل رأيتم كيف ان معارضتكم لم تفعل شيئاً؟

إننا لا نعترف بشرعية هذه القانون، ولا نعترف بشرعية هذا المجلس، فهؤلاء خونة للبلاد.

اللّهم أصلح شؤون المسلمين، اللهم مُنَّ على الدين الاسلامي المقدس بالعظمة، اللهم أهلِك من يخون هذا البلد، وأهلك من يخون الاسلام والقرآن، والسلام عليكم ورحمة الله».

٥ـ رد حسن علي منصور:

على الرغم من أن جميع وسائل الاعلام بما فيها الاذاعة والتلفزيون والصحف كانت خاضعة للحكومة والمخابرات الملكية، إلاّ أنَّ خطاب الامام تداولته الألسن وانتشر في كل أنحاء ايران بسرعة فائقة، كما انتشر بيانه في أنحاء البلاد بطرق خاصة، مما ادى الى فضح الشاه والحكومة والمجلس بشكل لا نظير له. ولم يتمكن النظام ـ بما يملك من قوة مادية ووسائل اعلام ـ من إبطال مفعول كلمات الامام، مما اضطر رئيس الوزراء منصور الى تقديم مسوِّغات واهية لقانون الحصانة القضائية، في احدى جلسات مجلس الشيوخ، وقد كتبت صحيفة اطلاعات شبه الرسمية في يوم ١٠ تشرين الثاني ١٩٦٤م ما يلي:

«قال السيد رئيس الوزراء في خطاب له في جلسة مجلس الشيوخ: (إنني آسف جداً لما تردَّد خلال الأيام الأخيرة من أمور تبعث على الأسف الشديد، فالشيوخ (الأعيان) المحترمون يتذكرون اللائحة التي طُرحت عليهم حول منح الحصانة السياسية لبعضِ المستشارين الاميركيين، وهذا أمرٌ لا يخص هذا البلد وحدهُ، بل إن له سابقة تاريخية في عدد من الدول المجاورة

وقد سمعت بعض التحريضات والاستفزازات في هذا الشأن، والتي هي أقل من شأن هذا الشعب والبلد، ولأن هذه المسائل قد طرحت، فإنّني أرى من الضروري الإشارة إلى خلفيات هذا الموضوع وتاريخه).

واضافت الصحيفة: وقد قدم السيد رئيس الوزراء توضيحات تفصيلية حول لائحة الحصانة الممنوحة للمستشارين العسكريين الاميركيين التي صادق عليها مجلس الشورى الوطني قبل عدة أيام، وفي الختام قال رئيس الوزراء: (ولما كان متوقعاً أن تتحرك بعض العناصر من الطابور الخامس، والذين عرف الناس بعضهم، للتأثير على أذهان الناس، فقد رأيت من الضروري توضيح هذا الأمر. اما الإشاعات فهي محصورة في مجموعة محددة، والشعب الايراني قد قضى على جيوب الاضطرابات أمّا الحكومة فانها لن تمس حقوق الشعب الايراني من خلال إعطاء الحصانة السياسية لعدد من المستشارين العسكريين. فهذا الامر موجود في عدد من الدول الكبيرة والصغيرة من أجل تقوية بنيتها الدفاعية).

واستطردت الصحيفة: وأضاف السيد رئيس الوزراء: (عند الضرورة فلن يقف الجيش الايراني وحده، بل ومعه الشعب والحكومة والجلسان، للتصدي لأعداء البلاد المحليين والأجانب فالشعب الايراني يقف صفاً واحداً خلف حكومته المخلصة»!.

٦ـ نفي الامام الى تركيا:

لم يكن من الممكن الحفاظ على حكم الشاه مع بقاء الإمام في ايران، فكلمات الامام كانت بمثابة ضربات موجعة لأركان النظام المتهرئة، ولم تطق الحكومة والشاه استمرار هذا الوضع، كما لم يكن بالامكان اسكات صوت الامام بشتى الوسائل والطرق، فقد قطع الامام طريقاً طويلاً خلال عامين فقط واكتسب تجارب كثيرة، واحتل منزلة مرموقة في المجتمع الايراني قلّما كان يتمتع بها احد غيره، كما انه خرج سالماً من امتحان كبير.

فقد اجتاز المرحلة التي يمكن فيها للنظام رفع دعوى ضده وتقديمه الى المحاكمة أو إخافته من خلال التهديد بإعدامه. إضافة إلى أن السلطة كانت عاجزة عن إبعاد أبناء الأمة وفصلهم عنه، لأن تعلُّقهم وشغفهم به كان يقوي الأواصر فيما بينهم ويدفعهم الى التضحية بالغالي والنفيس، كما أصبحت إجراءات السلطة بإغلاق الأسواق وسحب إجازات العمل من الكسبة، وفصل الموظفين من الدوائر وما شابهها، لا تثير إلاّ السخرية وعدم الاكتراث بين أتباع الامام وعشّاقه، فقد عملت هذه الاجراءات كلّها على زيادة التفاف أبناء الأُمة حول الامام أكثر فأكثر.

كما ان الهجوم على الناس وارتكاب المذابح بحقهم لم يعطيا النتائج التي كان يتوخاها النظام ليلجأ الى تكرار التجربة مرة أُخرى من خلال افتعال مذبحة أُخرى نظيرة لما حدث في (١٥) خرداد وهكذا فلم يرق للحكومة ان ترى الامام يشكّل جبهة قوية متراصة من علماء الدين من خلال اتصالاته بهم في أنحاء البلاد، وكلامه النافذ لدى الجميع.

لقد امتاز الخطاب التاريخي للامام ببساطته وحزمه وقوته في الوقت نفسه. فقد وصف ـ بالاسم وبصراحة ـ رؤوس النظام بالخونة للبلاد، مما أفقد الحكومة والشاه والمجلس أيَّ مسوّغ للبقاء، كما ان بيانه بهذا الشأن والذي جرى توزيعهُ بسرعة يهدّد بقاء الحكومة.

اما موجة السخط والاحتجاج الشعبيين فقد جعلت عرش الشاه وتاجه في مهب الريح العاصفة، فالشعب قد تنبه الى أنه اذا كان كلام الامام صحيحاً فما الذي سيقوله النظام الحاكم وأجهزته ومؤسساته المنفِّذة لما يسمى بـ(الثورة البيضاء) إذن؟! وما هو مسوّغ بقائها في الحكم مادامت تعمل لصالح الأجانب كما هو الحال في سن قانون الحصانة القضائية؟!

ومنذ ١٠/٢٦/ وحتى ١٩٦٤/١١/٤ قام النظام بدراسة الموقف واتخاذ القرار بنفي الامام الى تركيا، وهو إجراء يدل بوضوح على أن النظام لم يعد يطيق سماع الحقيقة، كما انه ليس مستعداً للتخلي عن خدمة أميركا، ولا عن التاج والعرش، ولهذا فلا بدَّ من إزالة كلّ عقبة وعامل يؤدي إلى زعزعة أركان النظام.

وبابعاد الامام الى تركيا كان لسان حال النظام يقول: إنه ليس باستطاعة أية قوة أو قانون، الوقوف في وجهي لانني أملك القوة العسكرية، وأنا الممسك بمقاليد الحكم، وعليّ اللجوء الى كل السبل لمواصلة الحكم والهيمنة على الأمور. وأخيراً فقد أكّد قرار النفي أن النظام لا يعير أية أهمية لرأي الأُمة، ولا يرى لها أيّ حقّ في التدخل والاحتجاج، كما لا يرى لعلماء الدين هذا الحق.

عملية النفي تمت ـ كما يرويها كتاب «بررسي وتحليلي أز نهضت امام خميني» ـ كالآتي:

«مساء يوم (١٢ آبان ١٣٤٣/ ٣ تشرين الثاني ١٩٦٤م) حاصر المئات من قوات المغاوير والمظليين منزل القائد الكبير في قم، حيث اقتحموا الدار من السطح وانهالوا على الاشخاص الموجودين فيها بالضرب والاهانة. وكان الإمام في إحدى الغرف الداخلية مشغولاً بالصلاة والدعاء، وما أن عرف ـ من خلال الضجيج ـ أن أقدام جلاوزة السلطة قد وطأت داره حتى ارتدى ملابسه دون اي ارتباك، وهمَّ بالخروج من الغرفة الى الجزء الامامي للبيت. كان الباب الذي يفصل بين جزأي الدار مقفلاً وكان قد وضع المفتاح في مكان ما لكنه افتقده في تلك

اللحظة. وعندما علم الأزلام أن الامام موجود في الجزء الداخلي من البيت انهالوا على الباب المقفل بالرفس والضرب لفتحه عنوةً فناداهم الامام من الداخل: (لاحاجة لهذه الوحشية، سأفتح الباب بنفسي) إلاّ أن أزلام الشاه لم يعبأُوا بقوله وواصلوا ركل الباب حتى كسروه.

أما الامام الخميني فقد يئس من العثور على المفتاح وخرج من باب آخر يؤدي الى الزقاق، وعند الخروج أودع «ختم توقيعه» الخاص عند زوجته وقال لها «استودعك الله».

وفور خروجه الى الزقاق سارع أزلام النظام الى محاصرته وأركبوه بسرعة في سيارة أُعدت عند باب الدار فانطلقت السيارة بسرعة فائقه خارجة من الزقاق[3].

لقد قطعت السيارة التي أقلّت القائد الكبير، المسافة الواقعة بين قم وطهران ـ وهي ١٤٠ كم ـ بمدة أقل من ٩٠ دقيقة واتجهت فور وصولها طهران إلى مطار مهر آباد الدولي. وعند وصولها المطار، اتصل العقيد مولوي ـ الذي كان قد وصل قبل الامام ـ بجهة معينة بواسطة اللاسلكي وأخبرهم بأن المهمة قد تمت لحد الآن بالشكل المطلوب وسيتم إنجاز الباقي على أفضل وجه، وكان أُسلوب كلامه وتكراره لكلمة «قربان» أي «سيّدي» يدلآن على ان المخاطَب (بفتح الطاء) هو الشاه شخصياً. وقبل شروق شمس الثالث عشر من شهر آبان ١٣٤٣ (٤/تشرين الثاني/١٩٦٤) أُبعد القائد الكبير ـ الذي كان قلبه ينبض بهموم المحرومين والمستضعفين وآلامهم، والذي أرّقته معاناة الشعب ومشاكله ـ لا لذنب إلاّ لأنه يدافع عن استقلال وطنه وشعبه المسلم.

وقبل أن تدور محركات الطائرة استعداداً للتحليق جاء أحد مسؤولي المخابرات بجواز سفر الإمام وسلّمه إيّاه قائلاً: (ستذهب الآن إلى تركيا، وستتبعك عائلتك بأسرع وقت) ثمَّ جلس إلى جانبه العقيد أفضلي الذي رافقه إلى منفاه..».

وبعد نفي الامام أصدر جهاز أمن الشاه (الساواك) بياناً مقتضباً أذاعته الاذاعة ونشرته الصحف دون تعليق جاء فيه:

(وفقاً للمعلومات المؤكدة والأدلّة الكافية، فقد ثبت أن اسلوب السيد الخميني والتحريضات التي يقوم بها، هي ضد مصالح الشعب وضد أمن البلاد واستقلالها ووحدة اراضيها ولذا فقد تَم نفيه من ايران بتاريخ ١٣ آبان ١٣٤٣ ... الساواك».

٧ـ أصداء نفي الامام:

كانت ردة الفعل الشعبية على نفي الامام واسعة وعنيفة جداً لكنها لم تكن بقوة انتفاضة ٥

حزيران ، في تلك الانتفاضة كان هناك خوف عام من ان يستخدم النظام أساليبه الوحشية ويقضي على الإمام، كأن يحكم عليه بالاعدام أو أن يقتله بالتعذيب ، لذلك فقد كان الهجوم الشعبي على مراكز النظام والقيام بالتظاهرات عنيفاً جداً، اضافة الى ذلك فان الحكومة وقوى الامن لم تكن تتوقع أن تحدث انتفاضة ١٥ خرداد/ ٥حزيران بذلك العنف وبتلك الأمواج البشرية العارمة التي حدثت بها. اما فيما يخص نفي الامام فقد تم اعداد كلّ شيء وفق حسابات دقيقة ومدروسة مسبقاً واتُخذت كل الاحتياطات وتمت السيطرة على كل أرجاء البلاد، وكانوا يقمعون أي تحرك مشبوه بمجرد بدئه ، أما حواريو الامام فقد تمت محاصرتهم، كما اعتُقل ابنهُ السيد مصطفى [٤].

وعندما استيقظ أهالي قم صباح ذلك اليوم، فوجئوا بالمدينة وهي محاصرة وشوارعها مملوءة بأفراد الجيش وقوى الأمن التي لم تكن تسمح لأحد بالخروج من منزلِهِ، كما تمت محاصرة صحن مرقد السيدة معصومة، ومنازل علماء الدين البارزين بشكل كامل. ومع هذا فان الامر لم يمر بهدوء.

في طهران والعديد من المدن الُاخرى ، تم إغلاق الاسواق ، وانطلقت تظاهرات عديدة، كما ساد أجواء الحوزات العلمية القلق والسخط الشديدان، فتعطلت دروس الحوزات ، وعُطلت صلوات الجماعة بين (١٥) و(٣٠) يوماً في قم ومشهد وطهران وباقي المدن، احتجاجاً على نفي الامام . وتدفقت البرقيات والبيانات والرسائل على تركيا وسفارتها في طهران، والكثير منها كان موجهاً الى الرئيس التركي والحكومة التركية . كما أُرسلت برقيات عديدة الى المسؤولين القضائيين ومسؤولي الحكومة داخل البلاد.

اما الحكومة فقد وافقت على ارسال ممثل عن علماء الدين لزيارة الامام في تركا في محاولة لإخماد جذوة الحماس والمشاعر الجياشة لافراد [٥] الشعب واطلقت سراح الابن الاكبر للإمام ، ووافقت على مغادرته البلاد [٦].

٨ـ مقاومة المجاهدين في قم:

المقصود بالمجاهدين هنا هم جميع الذين واصلوا طريق الامام بعد نفيه، بكل صلابة وثبات، وخاصة من فئة طلاب الحوزة العلمية في قم وفضلائها ومدرسيها . فقد مرَّ هؤلاء بعدة مراحل وسلكوا سبلاً عديدة من أجل مواصلة المواجهة مع أزلام النظام ، وكانوا يعتقدون أن استمرار المقاومة والجهاد هو العنصر الاساس في تحقيق النصر [٧].

فقد واصلوا اصدار نشرتين سريتين هما «بعثت» وبعدها «انتقام» بالرغم من كل المصاعب والمشاكل التي كانت تعترض سبيلهم كما كانوا يصدرون المنشورات وينشرون الاخبار، وفي المجالس والمحافل العامة، عملوا على طرح قضية نفي الامام على رأس باقي الامور. وكانوا يتناولون هذا الموضوع بالبحث والدراسة، كما كانوا يكثرون من طرح موضوع أيّ واحد من علماء الدين يتعرض للاعتقال على الرغم من محاولات النظام التعتيم عليه، وكانوا ـ اضافة الى ذلك ـ يطرحون باستمرار موضوع ممارسة التعذيب في السجون، ويردّون على التهم والافتراءات التي تنشرها الصحف الحكومية.

وبشكل عام، فانهم كانوا يضخِّمون ويشجعون كل موضوع يحمل جانباً احتجاجياً ضد النظام، وقد جعل هؤلاء المجاهدون حياتهم وقفاً للتحرك السياسي على الطريق الذي رسمه لهم الإمام[٨]. فقد كانوا يتنقلون بين المدن لإيصال نداء الامام، واقامة مراسم دعاء التوسل، وتناقل كلمات الامام الخميني وعباراته، وكانوا يقومون بكل ذلك بالرغم من ضعف امكاناتهم المادية واجواء الكبت التي سادت آنذاك. وكانوا يعتبرون ذلك واجباً حتمياً عليهم، اضافة الى انهم كانوا يقدمون على أعمال لا يمكن حتى لأجهزة الدعاية والإعلام الحكومية القيام بمثلها. فقد كانوا يتحركون بشوق ولهفة بينما كان النظام الذي يتمتع بالامكانيات المالية والاعلامية، يزداد بُعداً عن الشعب يوماً بعد يوم. وفي ذلك درس وعبرة يُبرزان دور الايمان في القدرة على كسب المنزلة بين أفراد الشعب، وتوجيههم الوجهة المطلوبة.

لقد واصل طلاب الحوزة في قم نشاطاتهم وتحركاتهم بين الناس وكسب مكانة مرموقة بالرغم من التفاوت فيما بينهم من حيث السن ودرجة التحصيل العلمي وعدم التنسيق والتنظيم في العمل.

٩ـ تغيير منفى الامام:

أحست أجهزة أمن الشاه (الساواك) ـ نتيجة لغضب الجماهير العارم ـ بخطر حدوث حركة انتقامية ضد النظام بالرغم من كل اجراءات الهيمنة التي كانت تفرضها على أرجاء البلاد، ولهذا فقد بدأت تفكر في إنهاء أمر نفي الامام، دون السماح له بالعودة الى البلاد. وكان التصور العام هو أن تغيُّر ظروف معيشة الإمام وتبديل مكان إقامته سيؤديان الى تهدئة الرأي العام في ايران.

كما ان تركيا ـ ونتيجة للاحتجاجات التي واجهتها ـ لم تكن مستعدة لأن تصبح مكاناً لنفي

أحد أو سجنه لئلا يثير ذلك التحرُّريين ضدها. ولهذا قرر النظام، فتح الحوار مع حكومة العراق بهذا الشأن لكسب رضاها حول قبول الامام في أراضيها بشرط عدم إجراء استقبال رسمي له، وعدم ابراز ذلك في وسائل الاعلام.

وفي المقابل اشترطت الحكومة العراقية ان لا تأخذ اقامة الامام في العراق صفة النفي، وان لا تتدخل ايران في مصير الامام أو في تعيين مدة وجوده وحريته في العراق.

وفي السابع من جمادى الثانية عام ١٣٨٥هـ. ق وصل الإمام الى الحوزة العلمية في النجف ومعه ابنه المجاهد السيد مصطفى. هذا الخبر شاع في ايران فأدّى الى شيوع حالة عامة من الارتياح والفرح. أما الذين عرفوا معنى هذا التغيير فقد اعتبروا إقامة الامام في النجف استمراراً لعملية النفي وطالبوا بعودته الى ايران.

وفي قم، واصل طلبة الحوزة العلمية وأساتذتها مساعيهم من اجل الابقاء على شعلة الثورة متقدة وهّاجة، واعتبروا نقل الامام الى النجف وسيلة يهدف النظام من خلالها إلى إخماد جذوة الثورة، فارسلت الحوزة رسالة الى (عباس هويدا) رئيس الوزراء في ذلك الحين، جاء فيها:

«... السيد هويدا!

لا تتصور أن نقل آية اللّه العظمى الخميني من تركيا الى العراق سيخمد المشاعر والاحاسيس المتأججة لهذا الشعب. إن استمرار نفي آية اللّه الخميني، مهما ـ كانت طبيعة المنفى ومكانه ـ لَهُوَ سبب تأجّج سخط عامة الشعب وغضبه.

السيد هويدا! إنّ كل ما تعتبرونه محترماً لديكم، كالضمير والدين والدستور والاعلان العالمي لحقوق الانسان، كلها تعارض هذا النوع من الحكم الذي تمارسونه. كونوا على ثقة من أن الحكومات التي تقوم على الظلم والاستعباد لابدّ وأن تزول».

١٠- احتجاج المحافل الدولية على نفي الامام:

لقد أدّت رسائل الاحتجاج الشعبية إلى المحافل والاوساط الدولية الى تحرك منظمة حقوق الانسان، فطلبت من الأمين العام للامم المتحدة العمل على إنهاء نفي الامام[١] حيث جاء في رسالة اللجنة الى الأمين العام مايلي:

«عزيزنا الأمين العام!

نود إلفات نظركم إلى الأعمال التي قامت بها الأمم المتحدة حيال مصادرة حقوق الانسان التي بدرت من الحكومة الايرانية مؤخراً فبناءً على التقارير التي نشرت حول هذه الحقائق في صحف

نيويورك تايمز، وتايمز لندن، واللوموند الفرنسية الصادرة بتاريخ ٥ تشرين الثاني، إضافة الى التقارير التي وصلتنا من مصادر أُخرى، يبدو أن الحكومة الايرانية ـ وبحجة الحفاظ على الامن ـ تقوم بنفي القادة الدينيين من ايران وبتوجيه من قوى الامن الداخلي وخاصة (منظمة أمن الشاه: الساواك) انهم يعارضون ممارسات الحكومة المخالفة للحقوق الوارد ذكرها في الدستور الرسمي للبلاد.

كما أن قادةً دينيين آخرين يتعرضون للسجن بدون محاكمة إضافة إلى احتجاز اكثر القادة الآخرين ـ أو كلهم ـ في منازلهم، ولكن أسوأ هذه الممارسات هي نفي آية الله الخميني زعيم المذهب الشيعي الاسلامي الذي يتبعه (٩٥٪) من الشعب الايراني، الى تركيا فبتاريخ (٤/تشرين الثاني) تمَّ نفي آية الله الخميني من قبل قوات، الأمن إلى تركيا، وهو الآن تحت المراقبة في أزمير. وهذا بحدِّ ذاته يعتبر أنتهاكاً صَريحاً للمادة (١٤) من الدستور الرسمي لايران والتي تنص على أنه «لايمكن نفي أي إيراني أو إجباره على ترك محل اقامته أو اجباره على الاقامة في مكان معين إلاّ في الحالات التي نص عليها القانون».

لقد تم هذا الامر بدون اجتياز المراحل القانونية والقضائية، ودون الاستناد إلى أي قانون. و آية الله الخميني كان تحت المراقبة في قم منذ عام ١٩٦٢ حيث يتهمه النظام بـإثارة القلاقل والاضطرابات، احتجاجاً على مصادرة حقوق الشعب الايراني. وفي ذلك الحين كانت حالة الطوارئ معلنةً في إيران، ثم أُلغيت بعد ذلك ومن الصعب تصور عملية تقييد قائد وتحديده بهذا الشكل.

زعيم دينيّ يُنفى إلى تركيا دون أية محاكمة، ودون ان تكون لتركيا أية علاقة بالامر. ان هذا الأمر ليعطي القضية أهمية خاصة، ونحن نطالب الامانة العامة بمتابعة الموضوع من خلال حكومتي البلدين، والعمل وفقاً لمقررات الامم المتحدة وقوانينها.

التوقيع	الرئيس الفخري
الرئيس جين پايانغ	روجر بالدوين
	نيسان ١٩٦٥

هوامش الفصل السادس

(١) قانون الحصانة القديم تعرض للإلغاء في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، بأشكال وطرق مختلفة.

فقد طرح رئيس الوزراء العثماني عام ١٨٥٦م موضوع إلغاء هذا القانون، وفي عام ١٩١٤م طلب من الدول الأوروبية وقف العمل به وقام بإلغائه من جانب واحد. اما الولايات المتحدة الاميركية فقد اعتبرت بقاء القانون من جانب واحد أمراً لا فائدة فيه.

وفي عام ١٩١٩ تخلّت الدول الأوروبية عن تطبيق هذا القانون في تركيا، وفي عام ١٩٢٣م تخلصت تركيا من هذه الاتفاقية من خلال اتفاقية لوزان، اما اليابان فقد اعلنت وفي عام ١٨٩٩م إلغاء قانون الحصانة، والغته اليونان في عام ١٩١٤م، والمغرب في عام ١٩٢٠م، وتايلند عام ١٩٢٧م، والعراق عام ١٩٣١م، وأثيوبيا عام ١٩٣٦م، ومصر عام ١٩٣٧م، والصين عام ١٩٢٦م، ولكن بشكل مشروط، ثم قامت الصين بإلغائه تماماً في عام ١٩٤٩م. أما حكومتا إنجلترا وأميركا فقد ظلتا تعملان بهذا القانون حتى عام ١٩٤٩م. وبعد هذا التاريخ يتمتع الأجانب بمزايا هذا القانون بشكل رسمي إلاّ في البحرين ومسقط.

(٢) كان التقرير يشير الى أن لائحة الحكومة المتعلقة بتمتُّع المستشارين العسكريين الاميركيين بالحصانات الواردة في الاتفاقية، قد تمت المصادقة عليها في لجنتي الدفاع والخارجية للمجلس.

(٣) الحارس الذي كان يقف أمام مستشفى فاطمي قرب منزل الامام يقول: (لقد جيء بالامام من بيته عبر الأزقة إلى الشارع العام بواسطة سيارة «فولكس واكن» وفي الشارع أنزلوه ليُركبوه سيارة «شفروليت» معدّة مسبقاً، وهي السيارة التي نقلته إلى طهران وعندما نزل الامام من سيارة الـ«فولكس واكن» تجمع حوله اكثر من أربعمئة من أفراد قوات المغاوير والمظليّين، وهنا ارتسمت على شفتي الامام ابتسامة ذات مغزى وقال لمسؤول تلك المجموعة: «لم تكن هناك حاجة لكل هذه القوات»).

(بررسي وتحليلي أز نهضت امام خميني / ص ٧٤١)

(٤) بدأ نجل الامام الخميني (السيد مصطفى) منذ صباح ١٣ آبان الباكر تحركاً واسعاً بالذهاب الى منازل المراجع، وفي منزل آية الله المرعشي النجفي تعرّض لهجوم أزلام النظام الذين دخلوا البيت من السطح والأبواب فاعتقلوه وأرسلوه في اليوم نفسه إلى سجن قزل قلعة. وقد احتج آية الله المرعشي النجفي على هذه العملية التي قام بشرح تفاصيلها يوم ٢٣ رجب كالاتي:

«.. لقد هاجموا بيتي واعتقلوا نجل الخميني، كانوا يحملون الجامعة الحديد، لكنهم لم يكبلوا يديه بها لانه لم يقاوم، بل ذهب معهم. لقد دخلوا بأسلحتهم الى منزلي، ترى هل كنت أنا في حالة حرب؟ هل كان السيد مصطفى في حرب معهم؟! لقد اعتقلوا اباه وجاء ليتحدث معي، فهل يستدعي هذا أن يعتقلوه هكذا؟»».

(٥) في النصف من شعبان عام ١٣٨٤، توجه السيد فضل الله صهر آية الله الخونساري إلى اسلامبول للاطمئنان على صحة السيد الامام. وفي اليوم التالي، جاءوا بالامام من منفاه في «بورسا» الى اسلامبول وتم اللقاء في أحد الفنادق بحضور ممثلي الساواك

وعندما علم الامام باعتقال نجله، سُرَّ بذلك وقال:

«للسجن تأثير كبير عليه من أجل صقله وإعداده للمستقبل».

وهكذا استطلعت الامة وعلماء الدين أخبار القائد وهدأ روعها.

(بررسي وتحليلي از نهضت امام خميني / الصفحة ٧٦٣).

(٦) على هذا الاساس، تم وبعد شهرين من الاعتقال، إطلاق سراح السيد مصطفى الخميني في ٢٩ كانون الأول كتعبير عن

حسن نية النظام، ولكي يقوم بتفقد وضع والده خلال زيارة يقوم بها له في تركيا وعلى هذا الاساس فقد ابلغوه ـ وهو في السجن ـ بأنه يستطيع الذهاب إلى تركيا إذا أراد، كما قاموا باعداد بطاقة الطائرة، وأصدروا له جواز سفر، وبعد إطلاق سراحه، عاد الى قم حيث لقي استقبالاً حافلاً، فبادر إلى استشارة علماء الدين، ووصل الى هذه النتيجة وهي أنَّ عليه أن لا يسافر، مادام ذلك يتم بطلب من النظام، حيث بذلت مديرية الامن والمسؤولون الحكوميون مساعي حثيثة من أجل دفعه إلى تغيير قراره، وعندما لم يُجدِ ذلك نفعاً، قاموا بمهاجمة منزله بعد أربعة أيام من إطلاق سراحه ثم أخرجوه من إيران إلى تركيا بالقوة.

(٧) كانت الخطوة الأُولى التي أقدم عليها هؤلاء المجاهدون هي اصدار البيان المفصل للحوزة العلمية في قم بعد نفي الإمام بـ(١٨) يوماً حيث شنَّ البيان هجوماً عنيفاً على النظام، ومما جاء فيه:

«... إنَّ مصيبنا الكبرى تكون في اليوم الذي تتعرض فيه اهداف الامام السامية للنسيان، ويظل الحديث يدور فقط حول إطلاق سراحه.. إن الجهاز البوليسي والتجسسي للحكومة قد أوجد حالة كبت قاتل، وفق خطة شيطانية، وبالاعتماد على أسيادهما المستعمرين، فبعد نفي الامام الخميني، قامت الشرطة ـ مصاصة الدماء ـ باعتقال نجله، بغضاً لأبيه، ثم اعتقلوا جمعاً من طلبة العلوم الدينية ومدرسي الحوزة دون أيّة تهمة أو سبب، كما قامت بعض الصحف العميلة بنشر الافتراءات الوقحة لأجهزة الامن، على مراجع الشيعة العظام. فقد اتهمتهم بالرجعية وعبادة القديم وتأييد الإقطاعيين ... ان ذلك لن يمر بسلام على الذين يمنحون الحصانة للمستشارين الاميركان الكفرة.

لقد حدد آية اللّه الخميني في بيانه الأخير واجب جميع الفئات من مسؤولين وعسكريين وعلماء وفضلاء وحتى الطلاب، فقد حدد واجب كلٍّ منهم وعمله وقال بكل صراحة: «إن السكوت على هذه الممارسات الحكومية التي تضيّع الاسلام، انما هو من الكبائر».

(٨) خلال هذه المساعي والمناسبات والاجتماعات العامة، كان يجري طرح وصايا الامام الخميني وارشاداته، فكان ذكر اسمه يقترن بالتجليل والاحترام من قبل الحاضرين، أمّا ازلام النظام فكانوا يبدون ردَّ فعل سيئ أزاء ذلك حتى وصل الامر في فترة معينة الى منع ذكر اسمه او تداول كتبه وحتى رسالته الفقهية.

فقد كان السجن والتعذيب ينتظر مَن يفعل ذلك. وقد ادى هذا الوضع الى زيادة تعلُّق الاشخاص الواعين بشخصية الامام، حتى وصل الامر الى ختام كل صلاة جماعة او مجلس عزاء، بالدعاء له والصلاة على محمد وآله بمجرد ذكر اسمه، وقد تصاعدت تدريجياً هذه الصلوات التي أصبحت دليلاً على ذكر اسمه، وكانت تعتبر تحدياً وجرأة كبيرين. فقد كان الخطيب يذكر اسم آية اللّه العظمى الخميني فيصلي الحاضرون على النبي وآله ثلاث مرات وكان ذلك دليلاً على حب الحاضرين للامام الخميني، وكذلك بمثابة تعبير عن سخطهم وعدائهم وتحديهم للنظام الذي منع ذكر اسمه. هذه الصلوات أصبحت أمراً عادياً وبقيت الفتيل الذي يؤجج روح الثورة في الجماهير.

(٩) صحيفة «ايران الحرة» / العدد ٣١ / السنة الثالثة / مايس ١٩٦٦م.

الفصل السابع

بدء الكفاح المسلّح
ومقتل حسن علي منصور

١ ـ نظرة عامة:

نتحدث في هذا الفصل عن مرحلة يعتبر الشاه فيها نفسه موفقاً في نهجه في ظل الرعاية الأميركية. فعبر الحملات الاعلامية الواسعة، ادعى انه قام بالثورة البيضاء، وانه أطاح بنظام الاقطاع وحرر الفلاحين في أنحاء البلاد، وأشرك العمال في ملكية المصانع، وانهى ظاهرة الاستغلال الى الابد، كما ادّعى أن الاصلاح الزراعي يسير على ما يرام، وان الاقطاعيين والملاكين الكبار قد قضي عليهم تماماً، وان تعديل قانون الانتخابات قد قضى على كل أشكال الحرمان والقيود، وجعل الشعب كله حراً في انتخاب ممثليه.

واخيراً فان الشاه كان فرحاً مسروراً لانه قضى على «تحركات الرجعيين» حيث بلغ ذلك ذروته في ١٥ خرداد / ٥ حزيران عندما استخدم قواته العسكرية ضد الشعب. كما انه نفى المسبّب والمحرّك الأول لهذه التحركات. وهو الآن على ابواب عصره الذهبي، فزمام الامور بيده تماماً، وهو الوحيد الذي يسيّر السياسة الخارجية. كما انه تخلص من منافسيه من أمثال أميني، وعلى الشعب الآن أن يعرف قيمته، فهو المنقذ لايران اليوم، وان الله اصطفاه ليوصل هذا الشعب الى السعادة بالقوة والاجبار!!

اما وسائل الاعلام كالاذاعة والتلفزيون والصحف فقد راحت تتبارى في التسبيح بحمد الشاه والاشادة بعقله النير ونبوغه. اما الشاه فكان يطيع ـ علنياً ـ الاوامر الصادرة له من الامبريالية الأميركية. والحكومة تعتبر نفسها موفقةً في اداء مهامها. فمنصور على رأس الحكومة وهو المنفّذ والمطبّق لمبادئ الثورة! وكانت المصادقة على قانون منح الحصانات للمستشارين الاميركين هي الخطوة الاولى التي قطعها على طريق ترسيخ أركان حكومته. كما قام منصور بتاسيس حزبه (حزب ايران الجديدة) بمساعدة اصدقائه الذين اتجهوا الى الغرب لتوّهم، وبعد بحوث ودراسات عديدة.

فقد كان هذا الحزب الشكل المحسّن لنقابة التقدميين. وهؤلاء التقدميون هم أنفسهم ابناء الحكام الظالمين الخاضعين للاجانب في عهد الحركة الدستورية، وهم انفسهم الذين قدموا العهود والمواثيق بالانصياع التام لاسيادهم قبل عودتهم الى البلاد. وهم الذين لا يعرفون أي شيء عن ايران وشعبها. انهم المفتونون بالغرب وحضارته، فهم يعتبرونه قدوتهم في كل شيء، ويعدُّون المكوث في ايران عذاباً لهم ولعوائلهم لكنهم «يضحون»! ويبقون هنا، فيتولّون المناصب الحكومية من أجل النهب والسرقة وزيادة أرصدتهم في الخارج. اضافة الى ذلك فقد ضم «حزب ايران الجديدة» في عضويته اكثرية نواب مجلسي النواب والشيوخ وبناء على هذا فقد أصبح مهيمناً على البرلمان والحكومة معاً، وكما يدل على ذلك اسم الحزب، فقد عمل هؤلاء على تطبيق ديمقراطية جديدة في البلاد!

اما جهاز أمن الشاه (الساواك) فقد مارس بعد مرحلة من الارباك، ضغوطاً واجراءات أكثر شدةً، من أجل السيطرة على الاوضاع، وبنفي الامام، أراد ان يثبت بأن له القدرة على القيام بأي شيء، وان المقاومة مقابل الحكومة غير مجدية أبداً، حتى لو قام بها الشخص الاول في الحوزة والرجل البارز بين علماء الدين، أو مرجع الشيعة. فالسكوت الذي قوبل به إبعاد الامام، وعدم احتجاج أحد على ذلك سيدفع الجميع الى التسليم أمام قدرة الحاكم المتجبر وقوته.

اما بالنسبة للشعب، فقد كان يدرك أن ذلك مجرّد إعلام فارغ، لأنه يدرك حقيقة الامور، ويدرك جيداً ماهية النظام كما أن نداءات الإمام لازالت أصداؤها تتردد في آذان الناس، ولهذا فلا معنى للسكوت، بل كانوا يرون أن من واجبهم افتعال أية حادثة من أجل إلقاء الرعب في قلوب أزلام النظام، وان يثبتوا للخونة أن الشعب موجود وواعٍ، والمهم أن يقوموا بأي رد فعل انتقاماً لنفي الامام عن البلاد، ورداً على اعطاء الحصانة القضائية للمستشارين الاميركان، والتي صودق على قانونها حديثاً.

وهكذا جاءت عملية قتل حسن علي منصور[1] لتحمل هذه الرسالة الى النظام، وقد تكون عملية قتل منصور من الدروس التي استفادها الشعب من تجارب الماضي، وخاصة من عملية قتل «رزم آرا» التي أوصلت النهضة الوطنية الى نتائج باهرة، وأدت بالزمرة الحاكمة الى السقوط في عام ١٩٤١م. ولهذا فقد خطر هذا السؤال في الاذهان وهو: ما الذي يجب عمله كآخر علاج، حيال حكومة لاتلتزم بأي دستور اوقانون، وتبيح لنفسها استخدام العنف للرد على أية عملية احتجاج او انتقاد؟ وما الذي يجب على الشعب عمله حيال هذه الخيانة للاسلام والشعب؟

وهكذا جاء الجواب عملياً، فمع اطلالة «الثورة البيضاء»، وبينما كانت الاحتفالات الواسعة تقام، وخاصة الليلية منها والتي أثلجت صدور النساء المتحررات والرجال الاحرار في البرلمان، تم اغتيال منصور، الذي كان محور الممارسات المعادية للشعب، وكان ذلك تحذيراً للنظام، حيث تبعهُ تصاعد العمليات المسلحة، ومقابل ذلك تصاعد عنف أجهزة الأمن ضد الشعب.

٢ـ لمحة تاريخية عن تشكيل الهيئات المؤتلفة:

قلنا فيما مضى إن الامام الخميني كان يحاول جعل النهضة الاسلامية شاملة لأنحاء البلاد كلها، ولهذا فقد بعث برسائل الى علماء المدن أطلعهم فيها على القضايا الجارية، ثم عمل على تقوية الاتصالات والتضامن بين العلماء، لنشر أخبار الحوادث بأقصى سرعة، وخلال الفترة الواقعة بين سجن الامام ونفيه الى الخارج، عمل على تقوية المجموعات الصغيرة التي كانت بمثابة حلقات الوصل، والمؤلّفة من الطلبة الجامعيين والتجّار وباقي الفئات[٢].

كما جرى تشكيل هيئات مؤتلفة بعلم الامام وموافقته، فقد اثبتت تجربة انتفاضة ٥ حزيران أن النهضة بحاجة الى التنظيم، والحصول على الاخبار وردود الافعال بسرعة أمر يحتاج الى شبكة اتصالات، وتوزيع منشورات بأقصى سرعة في أنحاء البلاد، وهذا من شأنه تفويت الفرصة على الحكومة في الكثير من الاعمال التي تريد القيام بها. المهم فإن فضح الحكومة وخططها وإرشاد الناس وهدايتهم، لا يمكن إلاّ من خلال مجموعات مؤمنة مخلصة ومضحية.

وقد كانت هذهِ المجموعات على اتصال بالامام، لكن كلاً منها لم يكن على علم بما تقوم به المجموعة الاخرى. فقد كانت كل واحدة منها ترسل الى قم من يوصل الاخبار ويتسلم التعليمات ثم يعود الى طهران، وكان الامام يتولى شخصياً مد هذه المجموعات بالتعليمات والارشادات.

هذه المجموعات أدركت، وفي وقت واحد، ضرورة إيجاد التنظيم، وطلبت في ذلك المشورة من الامام، فقام بجمعهم معاً وتعارفوا، وأكّد ثقته بالجميع، ثم أعلن عن تشكيل المجموعات او الهيئات المؤتلفة. وكان نظام هذه المجموعات يختلف تماماً عن الاسلوب التنظيمي الشائع عند بقية الاحزاب والتنظيمات السياسية، كما لا يقوم عملها على أي اساس علمي جهادي، باستثناء العلائق والروابط الاسلامية، هذه المجموعات تأسست بموافقة الامام وبدأت تعقد اجتماعات سرية، وقامت في البداية، بتقسيم تنظيمها الى قسمين:

الاول: اللجنة المركزية المؤلفة من ١٢ شخصاً،

والثاني: المجلس العلمائي الذي يضم في عضويته جمعاً من علماء الدين[٣].

وبعد نفي الامام الى تركيا فكرت الهيئات المؤتلفة بالخروج من المرحلة الفكرية والتعليمية والتحول إلى منظمة سياسية عسكرية تعمل ضد النظام. وهكذا فقد اضيفت الى القسمين السابقين قسم ثالث هو الجناح العسكري. وأصبح عمل اللجنة المركزية هو دراسة الاوضاع ورفع تقرير الى المجلس العلمائي كما كان هذا المجلس يستعين باللجنة المركزية [4].

أما الامام فقد أكّد ضرورة استقطاب الشباب الى الثقافة الاسلامية، وايجاد عقبة في طريق محاولات النظام لجر الشباب الى الفساد والانحطاط ، لكي يعرف الناس الاسلام الحقيقي. ولهذا عملت الهيئات المؤتلفة على عقد اجتماعات في طهران لتعليم الاصول الإسلامية، وكان على لجنة علماء الدين إعداد منهج تعليمي لهذه الاجتماعات وطبع كراسات لهذا الغرض.

وبعد توسُّع أعمال جمعية الهيئات المؤتلفة قامت بتأسيس «جمعية اعداد المبلِّغين» التي كانت تقوم بتعليم المنتسبين في حلقات تضم كلٌّ منها ١٠ أشخاص. كما كانت الهيئات المؤتلفة تأخذ على عاتقها إيصال تعليمات الامام ونداءاته بأقصى سرعة، وهذا ما ظلَّ قائماً حتى النهاية.

٣ـ قتل منصور على يد بخارائي:

تولّى منصور رئاسة الوزراء لمدة تقل عن سنة كما قام بتأسيس «حزب ايران الجديدة» على اساس التقدمية التي جاء بها، وبمساعدةٍ ومؤازرة من أعوانه المبهورين بالغرب، الذين أصبحوا فيما بعد دُمئ تربّت على يد الامبريالية، وادّعوا انهم يريدون تنمية الاقتصاد في ايران، فقام بوضع الخطة التنموية المبرمجة بشكل جديد. وكانت اولى خطواته المصادقة على قانون منح الحصانة القضائية للاميركان ورفع سعر البنزين ، كما قام بنفي الامام من أجل توفير أجواء أكثر استقراراً وهدوءاً لتنفيذ مآربه.

وفي (كانون الثاني ١٩٦٥) عندما كان منصور قد وصل ذروة كبريائه وغروره، تلقى طلقات من مسدس محمد بخارائي، عندما كان يهم بدخول مبنى البرلمان ، حيث اصدرت الحكومة بعد ساعات بياناً كما يلي:

«في الساعة العاشرة من صباح اليوم، وعندما كان حضرة السيد منصور رئيس الوزراء يهمُّ بالنزول من سيارته عند الباب الرئيس لمجلس الشورى الوطني فقد تعرض لعملية اغتيال من قبل شاب تشير المستمسكات التي وجدت في جيبه أن اسمه محمد بخارائي. وقد القي القبض على الجاني، كما نُقل السيد رئيس الوزراء الى مستشفى بارس حيث يؤكد الاطباء المعالجون أن حالته مُرضِية و...».

وظلت البلاغات الطبية تصدر تباعاً، وكلها تشير الى تحسُّن صحة رئيس الوزراء، ولكن الحكومة أعلنت أخيراً، وفاة منصور وذلك بعد الانتهاء من احتفالات الذكرى الاولى لـ«الثورة البيضاء».

وكان آية الله الميلاني قد أصدر فتوى بقتل منصور، ونفَّذها الجناح التنفيذي للهيئات المؤتلفة.

٤ـ تغيّر اساليب الجهاد:

الشاه وحكومته وجهاز الامن (الساواك) كانوا يحسبون لاعمال المعارضة حسابها على أنها عبارة عن اضرابات وتظاهرات ومحاضرات وتجمعات عامة ومنشورات وبرقيات استنكار. وكانوا يستخدمون ما اوتوا من قوة لقمع هذه المظاهر، كما كان الاعلام يعمل جاهداً للتعتيم على نشاطات المعارضة وطمسها. اما بعد نفي الامام الى تركيا، فقد واجه النظام ظروفاً جديدة لم يكن يواجهها منذ القضاء على حركة (فدائيان اسلام) ١٩٥٥م، خاصة وان التحرك العسكري الجديد كان يتمتع بدعم شعبي واسع، وفي هذا مصيبة كبرى للنظام، فاغتيال منصور اوائل عام ١٩٦٥ على يد الجناح العسكري للهيئات المؤتلفة، والهجوم المسلح على الشاه في قصر المرمر بعد شهرين من مقتل منصور، وتأسيس حزب الشعوب الاسلامية «حزب ملل اسلامی» بهدف تصعيد الكفاح المسلح. وانكشاف أمر هذا الحزب بعد عدة اشهر، كلُّها أُمور لم يكن النظام يتوقعها بعد قيام ما يسمى بالثورة البيضاء.

ففي البداية، قررت مجموعة من الهيئات المؤتلفة ـ التي كانت تأخذ على عاتقها مهام الجناح العسكري ـ إنهاء أمر الشاه الى الأبد، وأعدّت ما يلزم لذلك، وحاولت تنفيذ ذلك (٣) أو (٤) مرات وفكر اعضاء هذه الهيئات مع أنفسهم انه بعد مضي ٦٠ يوماً على نفي الامام يبدو أن اليأس بدأ يسيطر على الناس، لانه لم يحدث شيء استثنائي خلال هذه الستين يوماً.

وفي أحد اجتماعات هذه المجموعات، تقرَّر القيام بعمليات اغتيالات بدءاً بمسؤولي الدرجة الثانية، حيث تم تحديد أسماء ١١ مسؤولاً وكان رئيس الوزراء حسن علي منصور على رأس القائمة.

وعن علاقة اغتيال منصور بنفي الامام، قال بخاراني في المحكمة: «إن اعتقال مجموعة أشخاص او اعدامهم او نفيهم او تعذيبهم لا يحل أية مشكلة. انتم تريدون مكافحة المعلول، بينما الاسلام علّمنا ان نواجه العلّة ونكافحها، ونحن نهضنا لمواجهة العلّة. عليكم أن تعثروا على علّة قتل منصور. إن العلّة هي نفي آية الله العظمى الخميني، إن قتلتموني فهناك من أمثالي الكثيرون، وكونوا على

ثقة بانكم لن يقرّ لكم قرار مادام الامام منفياً في الخارج».

ثم سأل رئيس المحكمة المجاهد بخارائي: لماذا قتلتم منصور؟ هل تتصورون انه السبب الاصلي في نفي الامام؟ فأجاب: «كلا، فالسبب الاساس هو الشاه نفسه، وقد حاولنا اغتياله ثلاث مرات وقد كتبنا على اسلحتنا: إن أول شخص يجب ان يقتل هو الشاه، لكننا لم ننجح في ذلك، ولم نجد من بعد الشاه إنساناً أقذر وأرذل من منصور، الذي ساهم في نفي الامام، ثمّ قام بتسويغ هذا النفي.

وعندما سأله رئيس المحكمة: (كنتم قد قررتم أن تكون الطلقة الاولى في بطنه والثانية في رأسه، فلِمَ ضُربت حنجرته بالطلقة الثانية بدلاً من رأسه؟ فاجاب بخارائي: «لقد أصبت بطنه في الطلقة الاولى، ثم تبادر الى ذهني أن الحنجرة التي وجّهت الاهانة الى آية الله العظمى الخميني يجب أن تتمزّق، ولهذا فقد جعلت الطلقة الثالثة ـ بدل الثانية ـ في رأسه».

وعندما سأله رئيس المحكمة: (بأي فتوى قمت بقتل منصور) أجاب بخارائي: «خطاب الامام يوم ٤ آبان (٢٦ تشرين الأول) كان بمثابة فتوى ملزمة لجميع أفراد الامة. فقد أصبح من الواجب على كلّ إنسان مسلم مؤمن عاقل أن يذيق هؤلاء الخونة جزاءهم العادل».

وفي النهاية، حكمت المحكمة على بخارائي وثلاثة من إخوته المجاهدين بالإعدام.

٥ـ حزب الشعوب الاسلامية «ملل اسلامي»:

في ظروف بلغ فيها الكبت ذروته، أعلنت أجهزة أمن الشاه عن كشف شبكة كانت تنوي إيجاد حركة مسلّحة، وكان الاعلان عن كشف مجموعة شباب ينوون العمل على إسقاط النظام يُعدّ ـ بحد ذاته ـ ضربةً موجعةً للنظام الذي تصور أنه قد سدّ الطريق أمام اية نهضة شعبية بعد إعلانه «الثورة البيضاء»!

وحزب «ملل اسلامي» ـ وكما يدل عليه اسمه ـ حركة اسلامية مسلّحة، وقد عمل نظام الشاه من أجل التعتيم على وجود هذا الحزب بعد كشفه، وظلّ الأمر دون إعلان رسمي مدة ثلاثة أشهر بعد اعتقال اعضائه، لكن الناس تنبهوا الى أن جبال (شميران) وشاه آباد الواقعة في شمال طهران محاصرة من قبل قوات الأمن والجيش، كما ان بعض الطرق مغلقة، وتقف في بعضها الآخر دوريات للتفتيش.

محاكمة أعضاء هذا الحزب تمت بشكل علني في محكمة عسكرية بطهران حيث قال المدعي العام العسكري في لائحة الاتهام خلال احدى جلسات المحكمة:

«منذ مدة لفت نظر الأجهزة الأمنية تحركات مشبوهة لمجموعة من الشباب، وفي ٣/تشرين اول/١٩٦٤م تم اعتقال شاب مشكوك فيه حيث وجدت في حقيبته مجموعة منشورات، وبعد التحقيق معه، قام بارشاد قوات الأمن الى مقر اللجنة المركزية للحزب، فتم اعتقال بعض الاعضاء وهرب جمع آخر منهم الى جبال شمال طهران (شميران). بعدها تم كشف مخبأ واعتُقل ٦٩ شخصاً فيه، أُطلق فيما بعد سراح ٦٤ من بينهم. والوثائق التي عُثر عليها تشير الى ان هذا الحزب سري جداً. كما أن الهدف الأصلي الذي يسعى اليه قادة الحزب، هو إقامة حكومة إسلامية. وكانوا ينوون دفع الناس الى العمل المسلح ولذلك فقد طلبوا المساعدة من دولة اخرى. اعضاء هذا التنظيم يعتقدون أن الاستيلاء على الاسلحة من الحكومة أمرٌ مشروع وجائز. معدل أعمار أعضاء هذا الحزب عشرون عاماً، وأغلبهم من الطلاب، وخريجي الجامعات والمعاهد، وينتمون الى عوائل دينية معروفة...».

وكان زعيم هذا الحزب (الذي اعطى لنفسه لقباً كبيراً) يفتقد الى مؤهلات القيادة، فقد بدأ نشاطه عام ١٩٦١ بتجميع عدد قليل جداً من الشباب ذوي الافكار المتقاربة. وبعد انتفاضة ٥ حزيران نشطت هذه المجموعة وبدأت تكسب إليها الشباب حيث كانت أعمار الاعضاء أقل من العشرين عاماً، وأغلبهم يفتقد التجربة في النشاطات السياسية. ويتمثل هدف الحزب في العودة الى الاسلام والقرآن، وتضامن الشعوب الاسلامية عن طريق الثورة.

٦ـ عملية قصر المرمر في ١٠ نيسان ١٩٦٥:

في الساعة التاسعة من صباح يوم ١٠/نيسان/١٩٦٥م وقعت حادثة في قصر المرمر وهو أحد قصور الشاه. فقد كان الجندي المكلّف رضا شمس آبادي الذي يقف (وفقاً لخطّة مسبقة) في مكان توقُّف سيارة الشاه عند قدومه، كان مستعداً لإطلاق النار على الشاه، لكن الذي حدث هو أن الشاه لم يترجّل من السيارة عبر الباب المواجه لشمس آبادي مما اضطر الأخير إلى الالتفاف حول السيارة، وذلك ما اتاح للشاه الابتعاد عن شمس آبادي والاسراع بدخول مبنى القصر، وبالرغم من ذلك، تبعه شمس آبادي الى الداخل وصوب بندقيته اليه واطلق الرصاص باتجاهه الا أنه لم يستطع قتله لان اثنين من افراد حرس الشاه الخاص أصاباه بنيران سلاحيهما، فأُصيب شمس آبادي في هذه العملية.

وهكذا، فقد اهتزّ الشاه مرةً اخرى هلعاً من أصوات الرشاشات التي لعلع رصاصها داخل قصره، بعدما تصور أن قمع مجموعة بخارائي قد أنهى أعمال العنف، مما سيتيح له مواصلة حياته

وحكمه دون منغصات.

هذه العملية جسدت درجة التذمُّر الشعبي وشدة الكبت الذي كانت تعانيه الامة، والذي كان يمكن ان يتفجر في أية لحظة. لذلك فقد سعت الحكومة الى الحيلولة دون انتشار خبر هذا الحادث، لكنه لم يكن بالامر الذي يمكن التعتيم عليه او إنكاره. فالحادث وقع في قصر المرمر وسط المدينة، وأصوات العيارات النارية اثارت انتباه جموع كبيرة من الناس المارين في الشوارع المحيطة بالقصر، وسرعان ما انتشر الخبر كالبرق، وبدأ الناس يتحدثون عن اغتيال الشاه، مما دفع النظام الى القيام بالتمويه على العملية.

فنشرت الصحف خبراً جاءها من مديرية الامن قالت فيه: «حدث شجار بين عدد من الجنود في قصر المرمر وتطور الامر الى إطلاق النار مما أدى الى مقتل عدد من الجنود...».

وفي اليوم التالي ظهر خبر آخر، لتعديل كذبة اليوم السابق جاء فيه:

«عندما كان معالي الشاه يهم بدخول مكتبه في قصر المرمر، قام جندي يبدو أنه أصيب بجنون آني باطلاق النار، مما أدى الى مقتل اثنين من الحراس واثنين من فلاحي القصر، كما قُتل الجندي نفسه أيضاً».

وفي الشهر التالي، أُعلن أن مجموعة مؤلّفة من ستة أشخاص هي التي دفعت رضا شمس آبادي الى إطلاق النار، كما اعتُقل شخصان آخران لعلاقتهما بهذه العملية. وهكذا بدأت محاكمة مجموعة مؤلَّفة من ١٤ شخصاً في شهر تشرين اول ١٩٦٥. وبعد شهر من المحاكمات، حُكم على شخصين بالاعدام وعلى ثالث بالسجن المؤبد وعلى تسعة آخرين بالسجن من ٦ـ٨ سنوات. كما أُطلق سراح الشخصين الباقيين. أما المحكومان بالاعدام فقد تم تخفيف الحكم بحقهما لعلم السلطات أنهما لا علاقة لهما بالحادث.

إن ما قام به شمس آبادي، ومع الأخذ بنظر الاعتبار وضعه العائلي وسوابقه، يكشف الى حد بعيد مدى تحمس المشاعر الدينية للناس للاعلان عن رفضهم واحتجاجهم على النظام، فالبرغم من ان شمس آبادي لم يكن عضواً في تنظيم اسلامي، إلاّ أن ما قام به يستحق التأمُّل، باعتباره تصرُّفاً أقدم عليه شخص ملتزم دينياً. وقد يكون قتل منصور هو الذي دفعه للتفكير بقتل الشاه، خاصة اذا عرفنا أنه لم يكن له أية علاقة بالمجموعة اليسارية التي كانت تخضع للمحاكمة آنذاك.

كما كانت هناك مجموعة صغيرة أُخرى رفعت شعار «الاشتراكية الاسلامية» وأطلق اعضاؤها على أنفسهم اسم (الاشتراكيون العابدون لله) وذيلت اسمها بعبارة (الجبهة الوطنية لتحرير ايران) واختصارها (جاما). هذه المجموعة كانت لها ميول للعمل المسلّح، وفي منشور

اصدرته، تحدثت عن الكفاح المسلّح حتى أنها نشرت موضوعاً حول كيفية صناعة المتفجرات، والحقيقة إن هذه المجموعة كانت تدعو الى العمل المسلح بطريقة سلمية. وقد اعتقل اعضاؤها أواخر ١٩٦٥ وحُكم عليهم بأحكام خفيفة نسبياً.

كما كانت هناك حركات معارضة واسلامية بالخصوص في تلك الفترة، ولأنها لم تتعرض للاعتقالات والمحاكمات، وبعضها كان يعمل تحت واجهات غير سياسية، فقد أحجمنا عن التطرق اليها هنا. لكننا شهدنا حركةَ احتجاج اخرى عام ١٩٦٥ اتخذت صبغة انتفاضة عشائرية، انتهت بإعدام سبعة من شيوخ عشائر الجنوب.

وفي السنوات التالية، ظهرت حركات مناهضة اخرى. حيث اعتُقِل عدد من اعضائها، كما قُتل بعضهم خلال اشتباكات في الشوارع، اضافة الى إعدام أعداد منهم بعدما أدانتهم المحاكم العسكرية بالمعارضة المسلّحة للنظام.

وفي السجون ومراكز أجهزة الامن، مورست أبشع صور التعذيب بحق المعتقلين. في هذه المرحلة، اتخذت عملية المعارضة شكلين: المعارضة والعمليات الفردية، والمعارضة الجماعية. ومن حيث الاسلوب يلاحظ اسلوبان:

الاول: الاسلوب العلني السياسي.

والثاني: الاسلوب السري المسلح.

اما من الناحية الفكرية، فيمكن تقسيم المعارضين الى قسمين:

الاول: المعارضون الاسلاميون.

والثاني: المعارضون ذوو الأفكار والمعتقدات المادية.

وقد تصدى للجهاد في هذه الفترة شباب أغلبهم ساهم بشكل من الأشكال في المعارضة منذ عام ١٩٦٠ ـ ١٩٦٤م، كما ان بعضاً منهم له سابقة أطول في الجهاد، فقد انتمى الى الاحزاب والجمعيات الاسلامية للطلاب اعضاء كثيرون. وكان الشباب يرون أن النظام لا يعبأ بمصالح الشعب، وهو نظام عميل للأجانب بالكامل ويفتقد الشرعية، ويسنّ قوانين مخالفة لمصالح الشعب ويطبّقها بالحراب والقوة، نظام وضع موارد الشعب تحت تصرف الكارتلات والشركات العالمية الناهبة، بينما يعيش اكثر أبناء الشعب الايراني غارقين في الفقر والجهل والبطالة والمرض في أغلب مناطق البلاد فيما لا يفكر جلاوزة السلطة إلاّ بمواصلة حكمهم والحفاظ على مناصبهم ويستخدمون الإعلام الكاذب الخادع. والصحافة والاذاعة والتلفزيون كلها في خدمة الحاكم، ولا وجود للحرية، والعدالة مفقودة، والتميز قائم على قدم وساق.

الشباب الذين كانوا يدركون هذه الاوضاع بل يلمسونها عن قرب ودرسوا واطلعوا على كفاح الشعوب الطويل ضد القوى الحاكمة، وصلوا الى هذه النتيجة وهي وجوب القيام بالتحرك المسلح.

فقد كان ثبات شعب فيتنام مقابل الاحتلال الاميركي، والكفاح الطويل للشعب الجزائري من أجل نيل الاستقلال، والثورة الشعبية في كوبا والاطاحة بنظام باتيستا الاميركي، كلها كانت نقاطاً مضيئة تلهب حماس هؤلاء الشباب، خاصة وأن هناك جوانب إيجابية اخرى تتمتع بها ايران كالقوة الدينية ومسألة الجهاد والشهادة والمرجعية القائدة ودورها في تحريك الامة.

وبعد انتفاضة (٥) حزيران بفترة قصيرة، فكر بعض هؤلاء الشباب أن بإمكانهم استغلال الارضية الدينية المتوفرة لدى الامة، حيث تشكلت ـ كما أشرنا سابقاً ـ مجموعات عديدة كانت تتأهب لخوض الكفاح المسلّح أو هي بدأت فيه بالفعل، حتى ان عدد المجموعات المسلّحة التي سقطت في شراك الساواك بلغ عشرين منظمة مسلّحة الى ما قبل عام ١٩٧١م.

وفيما يلي سنتعرف على مجموعتين أو منظمتين هما مجاهدو الشعب (مجاهدين خلق) وفدائيو الشعب (فدائيان خلق) اللتان كانتا تدرسان الوضع القائم من منطلقين فكريين مختلفين، وسنرى كيف أن أجهزة أمن الشاه استطاعت القبض على أنشط شباب هاتين المجموعتين قبل ان يقوموا بأي عمل ضد النظام، ومارست بحقهم التعذيب، وقضت عليهم.

وفي الاعوام (١٩٧١ ـ ١٩٧٥) استطاع من تبقى من هاتين المجموعتين الدخول في اشتباكات مسلّحة مع النظام، وقد كان اسلوب عمل هاتين المجموعتين متبايناً، كما كان متضاداً في بعض الاحيان، الامر الذي جعلهما عاجزتين عن توجيه ضربة قاضية للنظام.

وطبيعي اننا نتطرق هنا الى التاريخ السياسي لاحزاب واجهت النظام الحاكم، وعلى هذا فاننا سنقوم بدراسة النقاط الايجابية ونقاط الضعف وطريقة التنظيم والاهداف والانحرافات والعديد من المسائل الاخرى من وجهة نظرنا الخاصة، كما أن أياً من هذه الاحزاب والمنظمات لا يمكن مقارنتها بالنهضة الإسلامية للإمام الخميني لأن هذه النهضة قد استندت الى مدرسة التشيع ونمت معتمدة على المرجعية، وشكلت سيلاً جارفاً أطاح ـ فيما بعد ـ بالنظام الملكي وأعوانه، وأصبحت هذه النهضة خصماً للقوى العظمى وقدمت الاسلام كقوة منقذة لا تعتمد على الشرق او الغرب، وبهذا فقد ألقت هذه النهضة بظلالها على باقي التنظيمات والحركات وانقذتها فهي نهضة تمتد جذورها الى ما قبل ١٤٠٠ عام وهي قائمة على أساس التعاليم الاسلامية والمصلحة العامة.

وطبيعي ان تبلور النهضة الاسلامية في عصرنا الحاضر، وبتوجيه وقيادة من قائد وامام اسلامي توفّرت فيه الشروط المطلوبة قد حدَّد وبين الواجب الانساني والاسلامي لكلِّ انسان، لذا يتوجب على الجميع عدم الدخول في خطوط انحرافية، او اقامة روابط وصلات معها.

والامر واضح ولا يحتاج الى تفصيل اكثر، فالحزب حتى ولو كان يستند الى ايديولوجية دينية فانه يحتاج إلى تشكيلات واساليب تنظيمية وعمليات استكشاف للاشخاص وتسجيلهم في عضوية الحزب، ولا يثمر عمله خلال عدة سنوات سوى عن جذب أقل من مائة شخص، اما في خط الامام والمرجعية الشيعية فكان صدور نداء واحد يكفي لجمع ملايين الملتزمين، وهم على استعداد للتضحية بأرواحهم وأموالهم عند الضرورة، دون أن ينتظر أحدٌ منهم أجراً على ذلك، ودون الحاجة الى تسجيل اسمه مسبقاً او التعرُّف عليه والسؤال عنه. وهذه إحدى خصوصيات الشعب الايراني التي لا تؤخذ بنظر الاعتبار عادة.

٧ـ منظمة مجاهدي الشعب (مجاهدين خلق):

مؤسسو هذه المنظمة[٦] كانوا يعتقدون أن الكفاح يجب أن يكون منظَماً، ويجري فيه تحديد الهدف وتدريب أفراد الكادر على تحمل مسؤولياتهم، وان يكون للتنظيم صورة واضحة عن طبيعة فئات الشعب والقوى المناضلة فيه، وان تتم عملية كسب الافراد بدقة متناهية، وان تبدأ العملية بالأفراد الاقرب الى التنظيم.

وخلال الاعوام من ١٩٦٥ ـ ١٩٦٧م بدأوا عمليات بناء التنظيم والتثقيف الايديولوجي السياسي، وكانوا يدّعون أن المنظمة توصَّلت الى فهم جديد للآية **«والَّذينَ جَاهدوا فينا لَنَهدينَّهم سُبُلنا»**[٧].

وكانت الخطوة الاولى لهذا التنظيم؛ دراسة الانتفاضات والنهضات السابقة، والقيام بالتدريب العسكري للافراد، خلال المرحلة النظرية. وفي اوائل ١٩٧٠م بلغ عدد أعضاء المنظمة حوالي (٥٠) عضواً[٨] يمرون بثلاثة مراحل، هي الفكرية والسياسية والعسكرية، ولأجل الحصول على تدريبات عسكرية، فقد كانوا يرسلون الأعضاء الى معسكرات التدريب الفلسطينية فرادى او على شكل مجموعات مؤلّفة من (٢ ـ ٦) أشخاص.

وبعد واقعة سياهكل واعتقال جمع من أعضاء منظمة (فدائي خلق) التي سيأتي الحديث عنها، وإدراك منظمة (مجاهدين خلق) عدم جدوى الريف للعمل السري، بدأ أعضاؤها يفكرون بالقيام بالعمليات العسكرية داخل المدن، وقد حاولوا إقران هذه العمليات باحتفالات

الذكرى الـ٢٥٠٠ للتتويج. ومن أجل الحصول على الاسلحة، اتصلوا بشخص كان يعمل في الساواك وهكذا كُشف أمرهم، وفي ايلول ١٩٧١م تم إلقاء القبض على الكادر المركزي في أحد الاوكار، دون ان تطلق رصاصة واحدة. اما الذين نجوا من الاعتقال فقد واصلوا بناء التنظيم.

وفي اوائل ١٩٧٥، حدثت خلافات فكرية داخل التنظيم وجرت تغييرات مهمة انتهت بتغير اسلوب النضال كلياً.

٨ـ منظمة فدائيي الشعب (فدائي خلق):

في شهر آذار ١٩٧١ اعلنت هذه المنظمة وجودها وسمع الناس بهذا الاسم لأول مرة. وقد نتجت هذه المنظمة عن اتحاد مجموعتين من الميليشيات كانت تشكل الافكار الماركسية ـ اللينينية الايديولوجية الرئيسية لها، ومن خلال أدبيات الحركة التي نشرت فيما بعد، ادعوا أنهم لا يقبلون بالقيادة العالمية لروسيا، ويعلنون رفضهم للسياسة الروسية بعد ستالين، كما كان لبعضهم ميول الى الصين، لكنهم كانوا يدعون أن المنظمة مستقلة عن العالم الشيوعي.

وفي كانون الثاني عام ١٩٦٨ اعتقل جزني وسوركي دون ان يصدر من الحركة اي رد فعل حيال النظام، وفي ذلك العام والاعوام التي تلته، تم كشف بعض أعضائها واعتقالهم، حيث حُكم عليهم بالسجن لمدد مختلفة. اما المتبقون منهم فقد أعادوا التنظيم وشكّلوا مجموعات الجبال والمدن والامداد والاتصالات، والمجموعات الفنية والعلمية، واتجهوا إلى القرى والغابات تحت ستار البحوث العلمية، واتحدوا مع مجموعة احمد زادة، وقاموا بارسال المجموعة الاولى الى غابات الشمال ليزيدوا من تدريباتهم ودراستهم للمنطقة، وكذلك لتأمين طرق توفير المواد الغذائية لهم، لكن المجموعة وقعت في شراك الحكومة في بداية الامر، بسبب عدم تمركزهم في مكان آمن.

كما ان الاتصال بالمدينة كان يتم بصعوبة ولهذا فقد شكّ أهل المنطقة بأمرهم وتصوروا أنهم من السرّاق فاعتقلوا مسؤول الاتصال بين القرية والمدينة. وهكذا أصبحت المجموعة معرضة لهجوم بسبب احتمال كشف أمرهم من قبل صاحبهم المعتقل، فهاجموا مخفر شرطة سياهكل واستولوا على الاسلحة الموجودة فيه، وتراجعوا داخل الغابة، فقام أزلام النظام بمحاصرة الغابة واحراق المناطق المشتبه باختبائهم فيها، وبعدة اشتباكات استطاعوا القبض على جميع أعضاء المجموعة وإعدامهم. وبهذه التجربة الفاشلة تخلّت المنظمة عن مشروع حرب العصابات انطلاقاً من الريف.

وبعد حادثة سياهكل، أصبح الأمر أكثر صعوبة بالنسبة الى الذين كشف (الساواك) أمرهم، لانه قام بطبع صورهم وأعلن عن منح جوائز لمن يقبض عليهم، أما هؤلاء فقد كانوا يعيشون في أوكار سرية ويموّهون على أمرهم بوضع نساء وبنات معهم في هذه البيوت.

٩ـ المجموعات المسلحة الاخرى:

شهدت تلك الفترة نشاطات مسلّحة لمجموعات اخرى غير التي تطرقنا اليها، حيث ظل بعض هذه المجموعات غير معروف. ويعتبر السيد (علي اندرزگو)[٩] من بين الافراد الذين كانوا يعملون بدون تنظيم سياسي بل كان يقوم بالتنسيق بين المجاميع الجهادية، كما كان نشيطاً في مجال ايصال السلاح وغير ذلك من النشاطات الجهادية. والسيد (علي اندرزگو) طالب علم في الحوزة، خاض الجهاد السري مدة (١٦) عاماً، لكنه قُتل برصاص أزلام النظام قبيل انتصار الثورة الاسلامية، ثمّ تعرّض الأشخاص العشرون الذين كانوا يرتبطون به للاعتقال، حيث وُجدت بحوزتهم منشورات وتعليمات من الإمام الخميني.

وفي الفصول القادمة سنتطرق الى النشاطات الجهادية الاخرى التي حدثت بعد عام ١٩٧١، سواء المسلّحة منها او غير المسلّحة.

١

هوامش الفصل السابع

(١) حسن علي منصور هو ثالث رئيس وزراء يُقتل في عهد الحركه الدستورية بسبب خيانته للبلاد، فقد قُتل قبله الميرزا علي أصغر خان أتابك في السنة الثانية للحركة الدستورية (المشروطة) كما قُتل ايضاً علي رزم آرا برصاص أحد أفراد الامة.

(٢) من الفئات التي لها سوابق جهادية وسياسية، وتحرِّكها القوة الدينية الاسلامية؛ فئة لم تدرس في المدارس الحكومية لكنها تكنّ الاحترام الفائق والتقدير لعلماء الدين وخاصة المجاهدين منهم، وأفراد هذه الفئة مستعدون للتضحية بمختلف الصور. بعد وفاة آية الله الكاشاني، التفّ هؤلاء حول الإمام الخميني، وأفراد النواة الاساسية للهيئات المؤتلفة هم من أبناء هذه الفئة، واسلوب عملهم قريب من اسلوب (فدائيان اسلام) بزعامة نواب صفوي ومن أبرز أفراد هذه الفئة: الشهيد مهدي عراقي، وعسكر أولادي وغيرهما، حيث سجنوا لفترات طويلة وجسدوا باستقامتهم خلال فترة السجن ولاءهم واتباعهم لخط المرجعية وسياسة الامام الخميني.

(٣) من علماء الدين الأعضاء في هذه الهيئات: الاستاذ الشهيد المطهري، والدكتور البهشتي والانواري والمولائي وغيرهم.

(٤) الامام الخميني كان على رأس جمعية الهيئات المؤتلفة وكان يعطي الرأي النهائي في المشاكل والامور التي يواجهونها، ويأتي بعده بالدرجة الثانية المرحوم آية الله الميلاني حيث كان يدعمها هو الآخر.

(٥) صحيفة جمهوري اسلامي / العدد ١٢٩/ الاثنين ٤ آبان ١٣٥٨ (٥ تشرين الثاني ١٩٧٩).

(٦) محمد حنيف نجاد، وسعيد محسن، وعلي اصغر بديع زادكان، هم طلبة جامعيون لم يقتنعوا باسلوب عمل الجبهة الوطنية، وحركة الحرية، فلجأوا الى تأسيس منظمة مسلّحة هي مجاهدو الشعب.

(٧) كتاب «شرح تأسيس وتاريخچه سازمان مجاهدين خلق ايران از سال ١٣٤٤ تا سال ١٣٥٠» ص ٢٩ (فارسي).

(٨) كتاب «تحليلي بر سازمان مجاهدين خلق ايران» ص ٣٦ (فارسي).

(٩) مجلة «عروة الوثق» العدد ٧٩ ـ ٩ مرداد ١٣٥٩ (٣١ تموز ١٩٨٠) كتبت عن الحياة السرية للشهيد (أندرزگو) منذ مقتل منصور والحكم عليه غيابياً بالاعدام، حيث كان عضواً في الهيئات المؤتلفة، وكان بحوزته ٢٣ جنسية وجواز سفر بأسماء مستعارة، حيث اتعب الساواك لفترة طويلة، وقد سافر الى العراق والسعودية ولبنان وافغانستان مرات عديدة، وفي ايران كان يتنقل من مدينة الى اخرى للاتصالات الجهادية او إيصال بيانات الامام.

الفصل الثامن

حكومة هويدا وانتشار الفساد

١ـ نظرة عامة على وضع النظام في عهد هويدا:

في ١٩٦٥/١/٢٦م كُلّف أمير عباس هويدا بتشكيل الحكومة. فقد كان وزيراً للمالية في حكومة منصور، ومن اصدقائه المقربين جداً ، حيث كانا معاً عام ١٩٦٠ عندما قام منصور بتشكيل رابطة التقدميين. وفي انتخابات مجلس النواب في دورته الحادية والعشرين، حيث كان مقرراً أن يفوز التقدميون باغلبية المقاعد، لم يكن هويدا يرغب في ان يصبح نائباً في المجلس بل فضّل الاحتفاظ بمنصبه كمدير لشركة النفط بعيداً عن الانظار، لكنه وبعد تشكيل المجلس واختيار منصور لرئاسة الوزراء صارت وزارة المالية من نصيب هويدا. وهويدا لم يكن ايراني الهوى، شأنه في ذلك شأن الكثير من نظرائه في النهج والاسلوب، ولم يكن يعرف الشعب الايراني جيداً، ولا يعرف التكوينة الداخلية لفئات هذا الشعب وطبقاته، بل عاش في الخارج منذ طفولته وعرف ايران من خلال الكتب الفرنسية، لذلك اختار وزارة الخارجية وشركة النفط للعمل فيهما، كي يكون على صلة بالأجانب. كما ان هذين المنصبين كانا يدرّان عليه أموالاً طائلة، اضافة الى زياراته المتكررة الى الدول الاخرى، كان هويدا ينشد مجتمعاً تعمّه الحرية الجنسية المطلقة، ويحب أن يقضي ساعات طويلة في الجلوس بين النساء؛ يضحك ويلعب ويلهو معهن وهن نصف عاريات. اما الدين وضبط النفس والتقوى والحجاب والاخلاق عموماً فكان يعتبرها قيماً قديمة بالية تتعب روح الانسان وتسوق المجتمع الى الانحطاط. وكان يحب ارتداء الملابس الانيقة وواضعاً وردة خاصة على صدره، ويهوى العيش بكل حرية بعيداً عن كل أشكال القيود والالتزام الاجتماعي وحتى الديني والعائلي ، واذا سنحت له الفرصة فانه يقضي بعض الوقت في المطالعة. كان هويدا يحب أن يكون منفّذاً فقط؛ يتسلّم المشاريع والخطط من الآخرين ويقوم هو بتنفيذها. ويمكن القول إن هويدا لم يقرأ الدستور الايراني ولو لمرة واحدة، لانه لم يكن بحاجة اليه ابداً.

وقبل تسلُّمه منصب رئيس الوزراء، لم يَرَ مدن البلاد المحرومة ابداً، بل انه لم يكن يعرف حتى طهران جيداً. علاقاته كانت مقتصرة على سكان القصور في طهران وشمال البلاد وفلوريدا ونيس وباريس من ذوي الأموال الطائلة المستحصلة من كدح أبناء هذا الشعب الفقير، الذين يعتبرون السفر الى اوربا واميركا كزيارة بيت أحد الاصدقاء في طهران، وكان يعتقد ان قدر الشعب هو الذلة والخضوع، ولم يكن يروق له ان يطالب هؤلاء بحياة أفضل، او الحصول على حقوقهم الانسانية.

ولم يكن هويدا يرغب بالزواج ابداً، اذ يَعتبر ذلك التزاماً وقيداً لا معنى له. وبالرغم من أنه رضخ للزواج خلال تولّيه منصب رئاسة الوزراء، إلا ان هذا الزواج فشل بعد عامين أو ثلاثة. فهو يريد لنفسه حرية اكثر. اما عضويته في الجمعية الماسونية فتعكس الاتجاه الذي اختاره لنفسه مسبقاً وتوضح الهدف الذي كان يروم تحقيقهُ. وبشأن علاقة انتخابه لرئاسة الوزراء بعضويته في التنظيم الماسوني فيجب ان تجيب عنها الوثائق والمستمسكات التي تُذكر فيما بعد (لان أغلب رؤساء الوزراء كانوا اعضاء في هذه الجمعية).

وعلى أية حال فاننا لا يمكن ان نعتبر أعضاء هذه الجمعية ايرانيين لأنهم يؤدون ـ عند انتمائهم لها ـ اليمين بأن يخدموا الأجنبي، فكيف يمكنهم خدمة ايران!؟

وبموت منصور، احتلّ هويدا مكانه وابقى على الوزراء جميعاً، ولم يكن أحد يتصور أن حكومته ستستمر اكثر من ثلاثة أشهر، إلاّ أن ما حدث كان العكس تماماً. اذ استمر بالحكم مدة ١٣ عاماً قام خلالها باجراء تغييرات وزارية أربعة وعشرين مرة، اذ لم يبق منهم خلال هذه الاعوام إلاّ (آموزگار) الذي حلّ مكانه فيما بعد. مدة حكمه تزامنت مع الدورات ٢١ و٢٢ و٢٣ و٢٤ للمجلس، باستثناء السنة الاولى من الدورة (٢١) والسنتين الأخيرتين من الدورة (٢٤).

وفي عهد حكم هويدا، جرت انتخابات ثلاث دورات للمجلس بينما لم يشعر الشعب بإجراء انتخابات أبداً، كما لم يشعر انه يتمتّع بحق انتخابات ممثليه. وقد واصل هويدا زعامة حزب ايران الجديدة، الذي أسّسه صديقه منصور، مدة عشر سنوات، أي حتى عام ١٩٧٤، حيث كان رئيساً للمجلس التنفيذي للحزب. وبعد ذلك، تولى ـ وبأمر من الشاه ـ منصب الامين العام لحزب «رستاخيز» أي البعث، وبدأ يدافع عن هذا الحزب المعادي لمصالح الشعب، وظل كذلك مدة عامين[1].

ولم يَرَ هويدا من تلك المجالس التشريعية غير الطاعة العمياء، فلم يشهد المجلس أي اعتراض إلاّ في عام ١٩٧٠م اي في نهاية الدورة (٢٢) للمجلس، عندما قدم أحد نواب (الاقلية) ـ كما يسمونها ـ

استيضاحاً حول قضية البحرين، وحتى هذه المسألة كانت تحيطها علامات الاستفهام.

وقد رأس المجلسين (النواب والشيوخ) خلال عهد هويدا شخصان ظلاّ حتى النهاية هما (رياضي) و(شريف امامي)، حيث توليا هذين المنصبين قبل توليه هو لمنصب رئاسة الوزراء، وجرت العادة على اعادة انتخابهما كل عام لنفس المنصبين، وفي نهاية حكمه، كانا ايضاً في هذين المنصبين.

لقد سعى هويدا دائماً الى التظاهر امام عدسات الصحفيين والتلفزيون بمظهر رئيس الوزراء المستقل الساعي الى جعل ايران بمستوى باقي الدول، وأنه ليس بالرجل الذي ينفّذ ما يملي عليه الاخرون. كان يحب إظهار نفسه وكأنه خادم لدى الشاه، ويُظهر الشاه وكأنه القائد الملهم والمدبّر الذي يجب أن تُطاع أوامره دون أية مناقشة او اعتراض. كما صرّح مرات عديدة بانه ينفّذ أوامر المسؤول الاعلى في البلاد، الذي يصنع لهذا البلد تاريخه ويسير به نحو التمدن والرقي.

وفي بداية حكمه، كان هويدا عاجزاً عن الخطابة، بل كان يقرأ ما يُكتب له، لكنه تعلّم شيئاً فشيئاً أن يرتّب عدة جمل ويلقيها، فليس المهم ماذا يقول، بل المهم ان يتحدث ويطلق الهراء ما استطاع.

كان يتحدث دائماً عن مستوى الانسان الايراني ويتساءل: اين وصل الايراني وماذا قدّم وما الذي سيقدمه في المستقبل؟ لكنه كان موقناً في قرارة نفسه أن التقدم والتكنولوجيا والعلم والفن هي في الغرب فقط، وهي حكرٌ عليه، والغرب هو الذي يهب لايران كلّ هذا التقدم والعلم، ولهذا فانه يعتقد بضرورة فتح ابواب ايران على مصراعيها امام ما يقرر الغرب إرساله إليها من بضائع، وزيادة كمية النفط المصدر الى أقصى حد ممكن، وكان يخشى أمراً واحداً وهو ان تقوم الشركات الاحتكارية بتقليل كمية النفط المستخرج.

وبالرغم من انه كان يعتبر نفسه متخصصاً في شؤون النفط والاقتصاد عامة، إلاّ أن البلاد شهدت في عهده انحطاطاً وتراجعاً كبيراً على الصعيد الاقتصادي. لكنه لم يكن ـ خلال محاكمته في محكمة الثورة ـ يتحمل المسؤولية كلها، بل يعتبر نفسه فرداً واحداً من نظام حاكم. اذ قال (لست وحدي المسؤول، بل كل رجال الحكم والدولة من نواب ووزراء وقضاة هم المسؤولون) وكان يركّز في حديثه على رئيس ديوان القضاء الاعلى، اذ كانت طبيعة النظام تقتضي ذلك، لكنه نسي بانه وحكومته، كانوا يتجاهلون كل اشكال التحذير، اذ كان يعتبر نفسه على رأس الامور كلها، وهو المتولي للقيام بما يعجز عنه الآخرون.

لقد قدمت حكومة هويدا (١٣) ميزانية ذات ارقام كبيرة وخيالية الى المجلس طيلة حكمه، وقام

بـإنجاز بعض المشاريع العمرانية في الظاهر، وفي عـهده ـ ووفقاً للإحصاءات التي يقدمـها ـ ازدادت أعداد طلاب المدارس والجامعات بعدة ملايين، كما بنيت السدود، واشترت ايران الطائرات، وشُقَّت الطرق، وانشِئَت المطارات، وتوسعت شبكات الاتصالات الهاتفية والتلغرافية ومنشآت الاذاعة والتلفزيون، حيث بدأت تغطي معظم أرجاء البلاد.

كما صودق في عهده على قوانين جديدة للاصلاح الزراعي.

وقام بـإدخال ما يسمى بـ(جيش العلم) الى القرى و أوصل عدده الى عشرات الآلاف، كما قام بتشكيل جيوش الصحة والعمران والاسكان، وبيت الانصاف وحتى جيش الدين، وقدم أرقاماً خيالية على جميع هذه الصُعُد وعلى صعيد ازدياد أعداد الجامعات والمعاهد العالية والمدارس الابتدائية والمتوسطة. والسؤال الذي يطرح هنا هو: ألم تتم كل هذه الانجازات على يد حكومة هويدا، واساساً أليست كل هذه من ثمار نظام الشاه؟

حول هذا الموضوع نرى من الضرورة الاشارة الى عدة نقاط دون ان ننكر هذه الارقام والاحصاءات أو نؤيدها، إذ يعلم الجميع كيف كانت أجهزة اعلام الشاه لا تتورع عن تضخيم الانجازات وادعاء الاعمال وتقديم الاحصاءات المخالفة للواقع:

أـ الحرية: الامر الذي يحظى بالاهمية لدى الشعب هو الحرية، كحرية الفكر وحرية تنمية القابليات وحرية اظهار العقيدة والرأي، وحرية التطبيق الكامل والصحيح للقوانين. وحتى لو صحَّ ما طبلت له أجهزة إعلام هويدا من إنجازات في عهده، فانها تبقى لا تساوي شيئاً مقابل سلب الحريات الذي حدث في عهده، فلم يكن هويدا يعلم عدد القابعين في السجون ولا عدد الذين يتلقون صنوف العذاب أو كيف يجري التعذيب في السجون، اذ كان يدعي انه لا يحيط علماً بذلك إلا عن طريق الصحف الأجنبية.

وهنا تكمن النقطة المهمة، فقد كان رئيساً للوزراء، ومساعدُهُ يرأس مديرية الامن العامة (الساواك) ومع ذلك لم يكن يعلم او لم يكن يريد أن يعلم اولم يكن يرى من الضروري أن يعلم كيف تتمُّ معاملة المواطنين الاحرار؟ فهل يمكن ان يصل الانسان الى هذا المستوى من الحقارة بحيث يشغل منصباً معيناً ويعمل بأمره أشخاص يرتكبون جرائم بشعة وهو ساكت حيالها؟! بينما لم يكن عمله السكوت وانما كان عميلاً للأجانب، وكان يصدر الاوامر المباشرة بتنفيذ عدد من الجرائم، وكان يفخر بذلك.

فالانتخابات التي حدثت في عهده كانت عملية تضييع كامل وصريح لحقوق الشعب، وكان يعلم بذلك جيداً ويصر على مواصلتها وتنفيذها بحذافيرها. كان يعلم أن النواب الذين

شقوا طريقهم إلى المجلس لا يمثلون الشعب أبداً، وسلب الحريات شمل حتى هؤلاء، وان سلب حرية ٣٥ مليون إنسان يُعدُّ عملاً لا يمكن قياسهُ باي إنجاز يدعي النظام أنه قام به، وحتى لوصح قيامه به فهو لا يساوي شيئاً مقابل سلبه حرية الشعب بأسره، لكن هويدا كان صادقاً في انه لم يكن وحده المرتكب لكل هذه الجرائم، بل إن معه شركاء ايضاً، يتوجب كشف أسمائهم على الاقل.

ب ـ الاستقلال: كل شعب بحاجة ماسة الى الاستقلال، أي انه يمتلك حقه في تقرير كامل مصيره دون أية تدخُّلات وضغوط أجنبية وان لا تهيمن عليه أية قوة من الخارج، وان يكون مستقلاً من النواحي السياسية والاقتصادية والثقافية، والحفاظ على هذا الاستقلال يجب ان يتصدر قائمة اهتمامات الحكومة.

ان حكومة هويدا مضطرة للاعتراف بأنها لم تقتصر في تحقيق استقلال البلاد فحسب، بل إنها تجاهلت ذلك عمداً وراحت تواصل العمالة الكاملة للأجنبي، فواصلت عضوية ايران في حلف السنتو ، وجعلت من ايران اكبر مستورد للأسلحة الاميركية، ولم تنفِّذ من المشاريع العمرانية إلاّ ما يلائم مصالح الخبراء الأجانب، واقترضت وأقرضت حسب تعليمات هؤلاء الخبراء، وحولت البلاد الى سوق استهلاكية للبضاعة الغربية ، ودمرت الزراعة في البلاد، وفرّطت بالبحرين، ووضعت نفط البلاد تحت تصرف الدول الصناعية لسنوات طويلة، وباعت الغاز بأسعار زهيدة الى الاتحاد السوفيتي ، واقامت العلائق مع بعض الدول بأمر من هؤلاء الخبراء، ومئات الممارسات الخيانية الاخرى التي تجعل من الخدمات التي يدّعي هويدا تقديمها للشعب شيئاً لا يستحق الذكر، بالرغم من ان الشعب يعتبر هذه الخدمات ايضاً، ممارسات خيانية بحقه.

ج ـ اشاعة الفساد: من أوضح معالم حكومة هويدا؛ إشاعة الفساد على أوسع نطاق. فقد عمدت حكومته الى إشاعة الفساد حتى أصبح أمراً طبيعياً في المجتمع والذي لا ينساق اليه يظل «متخلفاً» و«رجعياً» حسب تعبير هؤلاء. وفي أواخر العهد الملكي لم يكن الفساد يعرف حدوداً له في ايران ، ولم تكن الحكومة تخطو خطوة واحدة فيها خير البلاد ومصلحتها.

لقد شاع الفساد في عهد هذه الحكومة بشكل لا نظير له ، بحيث صار على الناس جميعاً من فرّاش الدائرة وحتى الوزير، ومن ربّة البيت وحتى الطالبة الجامعية ومن الخطيب والعالم الديني وحتى الكاسب، صار على هؤلاء جميعاً ان ينغمسوا في هذا الفساد ويتظاهروا به ليواصلوا مواكبة القافلة. فقد جُنّدت كل الطاقات من اجل طمس الحق وتضييعهِ، والقضاء على القيم والعدالة، وإشاعة الكذب والنفاق والرشوة التي أصبحت من معالم التحضُّر والتقدمية.

وفي هذا الوسط، كان الضابط المتدين يظل معزولاً عن المجتمع الذي يعيش فيه، والموظف المتدين الملتزم معرضاً للسخرية، والقاضي الصالح والمتقي مجبوراً على التظاهر بعدم التقوى لينجو من سخرية الآخرين واستهزائهم، والطبيب الرحيم الذي يداوي مجاناً يسمّى رجعياً وأُمياً.

وهكذا أصبح الكذب والخداع والرياء معياراً لتقييم كل شيء وكل شخص، وجميع الافراد الصالحين والمخلصين كانوا يصطدمون بهذا الواقع في اول خطوة في التعامل مع الحكومة، فيقعون في هذه الشراك، وشيئاً فشيئاً ينسجمون مع هذه الاجواء، ويتحولون الى أساتذة في هذا المجال.

وفي عهد هويدا، ازدادت مراكز القمار والخمور والملاهي الليلية والمراقص، وتصاعدت احصاءات المدمنين على الخمور والمخدرات، وشاعت الرشاوى في داخل البلاد وخارجها، وارتفعت نسبة الجرائم والجنح، وازداد استيراد السلع الاستهلاكية الكمالية وبيع النفط باكبر كمية ممكنه. لقد كان النظام يسوق الشعب باتجاه السقوط الاخلاقي، والزراعة باتجاه الفناء الكامل، ويتجه بالصناعة لتصبح صناعة تجميع فقط تعتمد على الخارج بشكل كامل وكان لحكومة هويدا التي دامت ١٣ عاماً دوراً رئيساً واساسياً في كل هذه الامور وما كان يقوم به النظام من مشاريع عمرانية وبناء سدود وايصال كهرباء وبناء مطارات وشق طريق، انما كان يصب في أهدافه الإفسادية التي اسلفنا الحديث عنها، والتي ادت الى زيادة الهيمنة الغربية على ايران حتى اصبح قطع التبعية للغرب يبدو وكأنه امر مستحيل في ظل كل الظروف.

٢ـ الشاه بلا منافس:

ينص دستور الحركةالدستورية (المشروطة) على أن الشاه غير مسؤول، بل يتبوأ اعلى منصب في البلاد، ويتولى بعض الأعمال، لكن الحقيقة العملية هي ان الشاه كان كالطاعون الخطير الذي ابتليت به الامة، والذي اخذ يتحكم بمصيرها. والفترة التي نريد التحدث عنها، كان الشاه قد مضى على حكمه خلالها ٢٣ عاماً، لم تفلح فيها جميع محاولات الشعب لاستعادة حقوقه المغتصبة.

اما الشاه فكان يواصل تنفيذ السياسات المرسومة له مباشرة من قبل الاجانب، فقد تعلّم انه يتوجب عليه استخدام الحزم والشدة ما استطاع، وأن يطلق الاكاذيب والافتراءات مهما امكنه ذلك، وأن يتظاهر بأن قدرته وجبروته هما اللتان تحفظان ايران وان مصالح البلاد تتجلى في بقائه على رأس السلطة، وأن يزيد من حجم أرصدته في البنوك الخارجية، ويعمل ما بوسعه للاحتفاظ بعرشهِ، ويواجه كل صوت يعلو منادياً بالحرية والاستقلال، بالسجن والنفي والتعذيب والقتل،

وكان يتصور انه هو المبلّغ للدين ـ بموجب الدستور ـ وعليه ان يكون مخادعاً محتالاً ليخدع الآخرين في هذا المجال[٣].

وبالرغم من ان الشاه كان يعلم أنه القائد العام للقوات المسلحة، وان تحت إمرته قوى الجيش والشرطة والدرك، إلاّ أنه كان يحسُّ بضرورة تشكيل جيش او قوات مقتدرة خاصة به تتلق تدريبات خاصة. ولهذا بادر الى توسيع وتقوية قوات الحرس الملكي، وقد عمد الشاه الى هذا بسبب عدم ثقته التامة بالقوات المسلحة السالفة الذكر بسبب كونها من أبناء الشعب وبين فترة وأُخرى كانت تمثل مصدر خطر عليه.

لقد تعلّم الشاه أن المجلس التشريعي يجب ان يكون تابعاً له تماماً وأن يصادق على القوانين التي يريدها هو والتي تصب في مصالحه الخاصة بالذات، وان يكون القضاة خاضعين له تماماً، كما قام بتأسيس جهاز قضائي واسع في الجيش يتبع تسلسل الدرجات العسكرية وليس مستقلاً.

كان يريد تطوير قابليات العائلة المالكة وتنمية قدراتها ولذلك، عمل على توفير كل ما ينقص عائلته المالكة تجاه العائلة القاجارية التي نُحيت جانباً، ولهذا فقد عمل ما بوسعهِ لبسط نفوذ اخوته واخواته في الحكومة[٣]، حيث أناط بكلٍ منهم، مسؤولية إدارة إحدى المؤسسات الكبيرة الشعبية الظاهر كالهلال الاحمر ومؤسسة الخدمات الاجتماعية وغيرها من المؤسسات التي أصبحت غطاءً لتحركات أفراد العائلة المالكة وممارساتهم.

لقد كان الشاه يأخذ بنظر الاعتبار اخطار مرحلة القلق التي اعقبت شهر ايلول من عام ١٩٤١ والتي ادت إلى تغييرات وزارية طالت الحكومة عشرين مرة خلال ١٠ سنوات لكنه يريد الآن حكومة يسودها الاستقرار وأن يمسك هو بجميع الصلاحيات فيها[٤].

وهذه هي السياسة التي تحدثنا عنها بالتفصيل في الفصول الماضية، اذ يجب ان تكون كل المجالات والقوى تابعة للشاه وأفراد عائلته وقصره، لكن هذا الشخص القوي داخلياً، كان ضعيفاً ذليلاً أمام القوى الكبرى، بل وحتى القوى العالمية من الدرجة الثانية. وكانت مديرية أمن الشاه (الساواك) تعمل ما بوسعها لمواصلة هذا الوضع داخلياً وجعل ايران جزيرة آمنة للأجانب.

وفي بداية هذه المرحلة، وبعد مداولات ومناقشات عديدة توصل مجلسا الشيوخ والنواب الى هذه النتيجة وهي أن الشاه أعلى من مستوى البشر، حيث يفوقهم في العقل والعلم والمعرفة والنبوغ والذكاء! إنه منقذ ايران[٥]، ومنقّذ الثورة البيضاء! وهو يتقدم على الشعب بملايين السنين، ولهذا فان ألقاب التبجيل والتعظيم التي كانت تمنح له مثل (صاحب الجلالة، المبارك،

والشاهنشاه، والملك الكبير) لم تكن كافيةً له ! إذ يجب ان يُذكر هذا الشخص بتعظيم وتبجيل أكبر! ولهذا عكف جمع من المتملّقين الذين خُلعت عليهم ـ ظلماً ـ ألقاب (الباحثين) و(العلماء) و(المحققين) على مناقشة الامر، وانتهوا الى اختيار عبارة «آريامهر» لتليق بمقام الشاه وعظمته وتم تقديم هذا اللقب له في احتفالات صاخبة.

أما الشاه فقد قبل بهذا اللقب وهو متفضّل عليهم، إذ إنه لم يعد يقتنع بشعار (اللّه، الملك، الوطن) ولقب (الملك الكبير) بل يجب أن تشرق شمس الجنس الآري على كل العصور، حتى وصل الامر بالشاه واوهامه الى أن تصفه وكالات الانباء بأنه فوق مستوى البشر [٦].

يقول «اوريانا فالاجي» مؤلّف كتاب «مصاحبه با تاريخ»، بعد انتهائه من إجراء مقابلة مع الشاه: «لمعالي الشاه، وجهات نظر عجيبة، فهو يعتقد أن روح داريوش الكبير قد حلّت في جسمه، وأن اللّه بعثه الى هذا العالم ليحيي مُلك كوروش الضائع»!. وقد عمل الشاه بسياساته ونهجه على ان يكون الحاكم المستبد داخل البلاد، والشرطي الحافظ لمصالح الغرب في المنطقة وهذا ما منحه الجرأة ليكون توسعياً وان يعمل باتجاه ان يصبح صاحب احدى القوى الكبرى الخمس في العالم.

٣ـ مصير المجلسين التشريعيين الحادي والعشرين والثاني والعشرين:

الدورة الحادية والعشرون للمجلس كانت ثمرة الانتخابات التي أجراها أسد اللّه علم، وحصيلة مؤتمر (النساء المتحررات والرجال الاحرار!). وقد تولّى عبد اللّه رياضي رئاسة هذا المجلس، ولأن مجموعة منصور والتقدميين بدأت تقوى فقد قام النواب بتأسيس حزب «إيران الجديدة»، وبعد ان شكّل حسن علي منصور حكومته بأقل من عام، تلقّى رصاصات بخارائي وانتهت حياته ليصبح وزير ماليته هويدا رئيساً للوزراء وليواصل العمل على تحقيق الاهداف الملكية ومنح الفرصة للغرب كي يبسط سلطته على البلاد.

أما علم فقد تولّى رئاسة جامعة شيراز لفترة بعدها أصبح وزيراً للبلاط ليقوم بتنظيم الاحتفالات المختلفة التي يقيمها النظام الشاهنشاهي.

لقد تزامنت الدورة الحادية والعشرون لمجلس الشورى الوطني مع الدورة الرابعة لمجلس الشيوخ، وفي آذار ١٩٦٧ وبعد تعظيم الشاه وإبداء القلق من العواقب الخطيرة لفقده المحتمل وضرورة تغيير الدستور، صادق مجلس الشورى على ضرورة إدخال تعديل على الدستور وعلى قانون انتخابات مجلس المؤسسين، وصادق كذلك على جميع قوانين الفترة السابقة، ثم قام

بـإجراء انتخابات الدورة الثانية والعشرين وانحلّ هو بموجب أمر خاص.

اما الدورة الثانيـة والعشـرون للمـجلس فقد بدأت على نمط الدورة السابقة واقترنت باحتفالات التتويج في عام ١٩٦٧م حيث كان أغلب أعضاء المجلس من حزب «ايران الجديدة» وجمع من حزب الشعب وعدد من جماعة دعاة القومية الايرانية (بان ايرانيزم) فبدأ النواب بسنّ القوانين دون أيّ علم لهم بما يجري في ايران والعالم، فكانوا خدماً مطيعين للشاه. وفي أواخر هذه الدورة طرحت قضية البحرين باعتبارها المحافظة الرابعة عشرة لايران لكن المسألة انتهت بتدخُّل وفد الامم المتحدة وبالاستجابة لوجهات نظر الحكومة البريطانية، فاكتسبت البحرين استقلالها وأيّد المجلس ذلك.

٤ـ آخر تعديل للدستور:

الدستور وملحقه الذي كان يجب ان يطبّق بدقّة تامة حسب نظام الحكم الملكي المشروط غير المطلق، تعرض للتلاعب من قبل النظام عدة مرات[٧]، وكان آخر تلاعب او تعديل للدستور قد تم في عام ١٩٦٧م وهي الفترة التي نحن بصدد الحديث عنها الآن. وكانت التعديلات السابقة تصب كلّها في اتجاه ترسيخ حكم الشاه. وجاء الدور الآن لزوجة الشاه وولي العهد ليأخذا مكانهما الخاص في الدستور، وان يصبح لهما نصيب في التاج، لكي لا تشهد مسيرة الملكية لحظة تباطؤ او توقُّف في ايران، ولهذا السبب صادق المجلسان على قانون تشكيل «مجلس المؤسسين» عام ١٩٦٦م ليقوم بـإعادة النظر بالمواد ٣٨ و٤١ و٤٢ من ملحق الدستور وصودق كذلك على قانون انتخابات مجلس المؤسسين وهو مكوّن من أعضاء مجلسي الشيوخ والنواب ومهمته القيام بتعديل الدستور. واخيراً، فقد جرى في أواخر عام ١٩٦٧ تغيير المواد الدستورية السالفة الذكر قبل احتفالات ذكرى التتويج التي جرت بما يشبه الاسطورة وعلى اساس التعديلات تقرّر ما يلي:

اولاً: ان وليّ العهد لا يمكنه تولّي مهام السلطنة إلا بعد بلوغه سن العشرين عاماً حسب التقويم الهجري الشمسي.

وثانياً: في حالة موت الشاه في وقت لم يكن ولي العهد قد بلغ فيه السن القانونية بعد فـإن زوجة الشاه تتولى السلطنة مباشرة، إلا في حالة تعيين الشاه شخصاً آخر كنائب للسلطنة.

وثالثاً: في حالة وفاة نائب السلطنة أو استقالته يقوم مجلسا الشورى الوطني والشيوخ بتعيين مجلس النيابة من غير العائلة القاجارية.

ورابعاً: يقوم نائب السلطنة بـإنجاز مهام الحكم بالتشاور مع مجلس مؤلف من رئيس

الوزراء ورئيسي المجلسين ورئيس ديوان القضاء الاعلى وأشخاص آخرين.

خامساً: يمنع نائب السلطنة من الوصول الى مقام الملوكية.

لقد جرت التعديلات بشكل لا تظهر معه أية مشكلة في حالة موت الشاه، حيث لا تبقى البلاد بدون ملك او نائب للسلطنة أبداً، ليظل النظام قائماً قوياً كما أراد ذلك الدستور والثورة البيضاء.

٥ـ تعدد احتفالات النظام الشاهنشاهي:

من ابتكارات النظام الحاكم، تضخيم الامور الفارغة الخاوية، حيث كان يسعى الى اشغال الناس وإلهائهم بطرق مختلفة منها إقامة الاحتفالات الشاهنشاهية السنوية. وقد بلغت هذهِ الاحتفالات ذروتها بين عامي ١٩٦٦ و ١٩٧٦ حيث يمكن إطلاق اسم (عقد الاحتفالات) على هذه السنوات العشر. ففي عام ١٩٦٦ اقيمت احتفالات حلول السنة الخامسة والعشرين للملكية، وفي السنة التي تلتها ـ اي في عام ١٩٦٧ ـ اقيمت احتفالات ذكرى التتويج وأُنفِقت اموال طائلة وجرى نقل الاحتفالات عبر الاقمار الصناعية الى جميع أنحاء العالم. ولأن هذه الاحتفالات كانت ايرانية محضة وليس للدول الاخرى اية مشاركة فيها، فقد تم افتعال احتفالات ذكرى مرور ٢٥٠٠ عام على قيام الحكم الملكي في ايران ليتم من خلالها إطلاع العالم على التاريخ الملكي الطويل، وقد ركز النظام جل اهتمامه ولعدة سنوات على دفع الدول الاخرى الى تقديس وتبجيل هذا التاريخ الطويل، والمشاركة في هذهِ الاحتفالات بشكل واسع[٨].

وقد جند النظام الجانب الاكبر من أعمال المؤسسات والدوائر الرسمية للإعداد لهذهِ الاحتفالات ودفع الناس الى الاحتفال بهذه المناسبة، ولهذا الغرض فقد أُنفقت أموال طائلة في أرجاء البلاد، بل وفي أنحاء العالم، وأُعِدّت العدّة لهذه الاحتفالات الكبيرة، فجعلوا من مجموعة من الناس باحثين ليقوموا بالحديث والكتابة عن الشاه وتاريخ الملكية ومزاياها المنقطعة النظير.

وما أكثر الذين اكتسبوا وسط هذا الضجيج ألقاب الاستاذ والباحث والمحقّق والعالم، وحصلوا على مزايا لهم ولعوائلهم جرّاء ذلك، كما خُدِع في هذا السياق الكثيرون، حيث جندوا طاقاتهم وبحوثهم لخدمة النظام وهذه الضجة المفتعلة وهكذا اكتسب عام ١٩٧١ اسم عام كوروش الكبير[٩] وتم تجنيد كل الطاقات لذلك وتوافد زعماء الدول على طهران وبدأت الاحتفالات.

وطيلة عام كامل، ظلّ شعار هذه الاحتفالات يشاهد في كلّ مكان، كما طُبع على أغلفة الكتب والمجلات وحتى دفاتر طلّاب المدارس وأوراق الكتب الرسمية. وقد تحملت ميزانية

الحكومة القسم الاعظم من نفقات هذه الاحتفالات ، ولكي يكون للشعب دور في دعم هذه الاحتفالات فقد تمت ـ ومن خلال مديرية الامن العامة ـ دعوة كبار الرأسماليين والتجار الى دفع جزء من نفقات الاحتفالات. ولم يجر إعلان حجم نفقات هذه الاحتفالات بالضبط، ولكن يمكن القول إن الجزء الأكبر من ميزانية البلاد لعدة أعوام قد أنفق على هذهِ الاحتفالات، إذ أصبح العمل الرئيس لأجهزة الحكومة، هو اقامة الاحتفالات بينما ظلت شؤون البلاد الاخرى معلقة للتفرغ للاحتفالات فقط.

فاشتريت بضائع ومواد وأجهزة عديدة من الخارج، ودعي الفنيون والاخصائيون من أنحاء العالم، كما استوردت اجهزة خاصة لتقوم بتجسيد عهود حكم السلالة الهخامنشية واقامت الطائرات الايرانية جسوراً جوية مع نقاط عديدة من أنحاء العالم.

كل هذه النشاطات لا يمكن احتساب حجم نفقاتها ولكن يمكن القول إن هذه الاحتفالات كانت من اكثر التصرفات والممارسات إثارة للسخرية خلال القرن الحالي.

وبعد انتهاء هذه الاحتفالات أعلن وزير البلاط اسد الله علم في مقابلة اجريت معه ان نفقات هذه الاحتفالات قد دفعها الناس عن طيب خاطر، وان مبلغاً كبيراً منها قد زاد عن الحاجة فأمر الملك بتخصيصه لبناء مسجد اسلامي كبير!!.

ولم تقف[10] لعبة الاحتفالات عند هذا الحد، اذ اعلن النظام في العام التالي ١٩٧٢ عن اقامة احتفال بمناسبة مرور عام واحد على الاحتفالات الكبرى السابقة، ولما كان استمرار الحكم الملكي غير ممكن بدون احتفالات، فقد بدأت بعد عدة شهور احتفالات اخرى هي احتفالات مرور عشر أعوام على ما يسمى بالثورة البيضاء، وجاءت بعدها احتفالات الذكرى الخمسين لتولّي عائلة بهلوي السلطة في ايران ، فكانت الاستعدادات لاقامة هذه الاحتفالات والنفقات التي كلفتها لميزانية الدولة كبيرة ، حتى ان شعار هذه الاحتفالات اصبح يعلّق بشكل اجباري على صدور موظفي الدوائر الرسمية ، وهذا بحد ذاته أوجد وظيفة وواجباً جديداً لاعوان النظام وأفراد الامن (الساواك) في الدوائر الحكومية، كما أدى في نفس الوقت الى صدامات وخلافات عديدة في اوساط الموظفين.

وهكذا تواصلت الاحتفالات الواحد تلو الآخر. فهل بالامكان ان تمر الذكرى المئوية لولادة مؤسس العائلة البهلوية دون احتفال كبير وشعار خاص به؟! وهل كان بالامكان ترك الاحتفالات السنوية التي اعتاد الناس عليها منذ سنوات وما يتخللها من إغلاق المدارس والدوائر وإعداد برامج إذاعية وتلفزيونية خاصة؟! وهكذا ظلت الاحتفالات السنوية الصغيرة

تقام بين الاحتفالات الكبيرة لئلاّ يُحرم الشعب منها[11]! ولئلاّ تنتهي ايامه البهيجة أبداً! ولكي يظل الشاه وعائلته غارقين في الدلال والاحتفالات والسفر الى اوروبا واميركا.

ولم تكفهم مئات القصور بل كانت جزيرة كيش احدى امنياتهم التي ارادوا تحقيقها لكنهم ذهبوا قبل ان تتحقق[12] بالرغم من انهم بدأوا استثمارها عاماً او عامين وهي لم تكتمل بعد.

٦ـ الصحافة والرقابة:

للصحافة الايرانية تاريخ أسود، فقد ظلت لمدة طويلة تحاول تسويغ كلّ ممارسات النظام وقراراته، وتتجاهل وجود المعارضة ونشاطاتها والحوادث السياسية التي شهدتها البلاد، او قد تذكر المعارضة بالاسلوب الذي يذكرها به الشاه، فمثلاً عندما نعت الشاه المعارضين بالرجعيين السود والحمر، وكان هدفه إهانة العالم الديني الاعلى في البلاد، نرى الصحف تبادر الى شن حملة إهانة ضد الامام دون ذكر اسمه وكأن القلم الذي كانت الصحافة تكتب به قد جاءها من الساواك، وما يكتبه هذا القلم هو ما يريده الساواك بالضبط، وقد تكون الصحافة مجبرة على ذلك، كما انها تعودت على الرقابة الذاتية، ولم يكن من حقها الانحراف عن ميول النظام الحاكم ورغباته.

فقد كانت الصحف مقسمة الى عدة أقسام قسم منها يختص بأخبار العائلة المالكة وصور الشاه وأعوانه وانصاره وهي تتحدث عن سفراته وزيارته للدول الأجنبية، وعن ضيوفه واستقبالاته، خاصة وان تلك الفترة شهدت سفرات وزيارات كثيرة، كما توافد على البلاد ضيوف كثيرون من الشرق والغرب: من آسيا وافريقيا وأميركا واوروبا، حيث لم تعد قصور گلستان والمرمر وسعد آباد ونياوران وغيرها تكفيهم، بل اضطروا لاستخدام فنادق الدرجة الاولى لهذا الغرض.

وكان على الصحافة أن تهتم بهؤلاء وبالكلمات الترحيبية التي تُلقى عند استقبالهم مع طبع صور ملونة وغير ملونة لهذه المراسيم.

والقسم الآخر من كلّ صحيفة يختص باعلانات التعزية والوفيات والأهم من ذلك إعلانات التهنئة والتبريكات التي يوجهها المسؤولون للشاه، لنبوغه وتفوقه وابتكاراته الخلاّقة! وهذا ما كان يستدعي تخصيص صفحات خاصة من صحف كيهان واطلاعات لهذا الغرض. فكان المرء يلاحظ صفحة كاملة من هذه الصحف مخصصة لاعلان التبريك الذي ارسلته المدارس الابتدائية في احدى المناطق الى الأب المتوج، او اربعة صفحات خاصة بتبريكات اصحاب الشركات

التجارية ، بمناسبة الذكرى السنوية لولادة ولي العهد. ويبدو أن هذه الصفحات كانت تشكل مورداً مالياً كبيراً للصحف آنذاك.

الجانب الثالث من الصحافة، يختص بالتحقيقات الصحفية ، حيث يقوم أحد مسؤولي البلاد بشرح تفصيلي للانجازات المتحققة والخطط المستقبلية. فمثلاً كان يجري في الصحافة الحديث عن مشروع المترو الذي يعكف الخبراء اليابانيون والفرنسيون على دراسته، وما سيكون له من دور في نقل المواطنين داخل العاصمة وتخفيف شدة الزحام، وما سيؤدي اليه من اقتصاد في النفقات، وكيف انه سيوصل العمال الى اماكن عملهم بسهولة.

وقد سعى مسؤولو الصحف الى كتابة هذه الاقاويل بشكل بحيث لا تودي الى إثارة اسئلة في أذهان الناس. الصحف الصغيرة كانت تتسلم مبالغ من المال من الحكومة، وهذه الصحف تم اغلاقها جميعاً عام ١٩٧٣م، حيث اغلقت ٥٠ صحيفة دفعة واحدة، بسبب قلة توزيعها، فكان هذا الاغلاق في صالح بعضها ، اذ قامت بتسلُّم مبالغ من الحكومة كتعويضات.

اما الصحفيون الاجانب فقد كانوا عملاء للحكومة، وكانوا يتسترون على الكثير من الجرائم التي ترتكبها الحكومة، اذ قامت مجموعة «حرية الكتاب والفكر» بفضح هذه العناصر الماسونية المرتبطة بأصحاب الثروة والنفوذ والتي كانت تتستر بغطاء العمل الصحفي.

وخلال هذه المرحلة، ترسخت وتوسعت سلطة الرقابة، وأصبح الكاتب والقارئ والمتحدث والسامع يواجه هذه الظاهرة، ومخالب الرقابة لم تكن تسمح بطرح وجهات النظر، بل مارست نوعاً من الكبت والارهاب الفكري[١٣]، وعملية الرقابة كانت سياسية فقط وليست اخلاقية، فالكتب والافلام والصحف والاذاعة والتلفزيون كانت خاضعة لرقابة النظام المباشرة. الكتب الممنوعة وضعت في قوائم خاصة وحُظِرت إعادة طبعها، بل إن المنع شمل حتى اقتناء وقراءة هذه الكتب ومخالفة ذلك تستتبع عقوبات صارمة ، حيث حُكم على العديد من المواطنين بالسجن بسبب حيازتهم لأحد الكتب الممنوعة او اعارتهم او استعارتهم لهذه الكتب.

وفي ظل هذا الكبت الفكري، يتضح مدى عجز الثقافة والفكر عن النمو والتطور. كما ان مسؤولي الرقابة كانوا يبدون حساسية خاصة لبعض المصطلحات والعبارات والعناوين ، حتى ان التقييد والتكبيل جعل المؤلفين أمام طريق مسدود بحيث لم يفكروا بكتابة مؤلفات جديدة. اذ كلما كانت الرقابة تتشدد أكثر قلّ عدد الكتب المؤلّفة، ففي عام ١٩٧٠م صدر ٣٦٧٠ كتاباً جديداً، بينما انخفض هذا الرقم الى ١٧٥٠ كتاباً في عام ١٩٧٨ أي انه سجّل انخفاضاً باكثر من ٢٠٠٠ كتاب، كما استمر هذا الرقم بالنزول ، أما الكتب التي كانت تصدر، فلم تكن ذات محتوى قيم من حيث

تناولها شؤون ايران. هذا في وقت كان الدستور ينص على ما يلي:

«جميع الكتب ـ باستثناء الكتب المضللة والمطبوعات المضرة بالدين المبين ـ مجازة ولا يمنع صدورها أبداً اما لو صدر منها ما يخالف قانون المطبوعات، فان الناشر والكاتب يعاقبان حسب قانون المطبوعات، وان كان مؤلّف الكتاب معروفاً ومقيماً في ايران فلا يحق لأحد التعرض لطابع وناشر وموزّع الكتاب».

اما الحكومة فقد رسّخت جهاز الرقابة وبادرت الى فحص الكتب كلمة كلمة، مستعينةفي ذلك بعدد كبير من المراقبين، واحياناً كانت الرقابة تتحفظ على بعض أسماء المؤلفين فلا تسمح بنشر مؤلفاتهم حتى لو لم تكن تتعرض لمسائل سياسية، كما اعتبرت بعض العناوين ممنوعة، اذ انها تكفي للدلالة على مخالفة قانون الرقابة دون النظر الى محتوى الكتاب، وان اجتاز اسم المؤلف وعنوان الكتاب مقص الرقيب، فان الرقابة تبادر الى قراءة كل جملة من الكتاب وانعام النظر فيها، كما كانت تولي اهمية ودقة اكبر لمقدمة الكتاب.

٧ـ السلطة القضائية:

القضاء يجب ان يكون مركزاً لشكاوى عامة الناس، وهو المرجع الوحيد في الشؤون القضائية بما من شأنه الحفاظ على الامن والحد من كلّ انحراف. لكن القضاء آنذاك انحرف عن نهجه وواجبه في مكافحة الجرائم التي تمس أرواح الناس واموالهم وشرفهم حيث ظل ـ ولعدة سنوات ـ آلة بيد الحكومة والساواك، ينفّذ ما يُصدران إليه من الاوامر.

المناصب القضائية الحساسة كانت بيد اشخاص يفتقدون لأية أهليّة، لتتمكن السلطة التنفيذية من ممارسة هيمنتها على الجهاز القضائي، وحتى في اختيار رئيس ديوان القضاء الاعلى بلغ الاستخفاف بالقانون مبلغه، كما فرضت قيود ـ بدقه ومهارة متناهية ـ على صلاحيات السلطة القضائية، بحيث شلّتها عن ممارسة دورها الحقيقي.

وكان لتأسيس العديد من المحاكم الخاصة الاستثنائية المخالفة للدستور، دور كبير في القضاء على استقلالية السلطة القضائية وقوتها، إذ ان اكثر الوزارات والمؤسسات الحكومية كانت تتدخل في شؤون القضاء بحجة التسريع في انجاز الامور. ولم تكن الحياة الآمنة متوفرةً لأحد، ولو أُجريت احصائية للأشخاص المعتقلين من قبل غير الجهاز القضائي لاتضح مدى التجاهل والاهمال اللذين مارسهما النظام بحق السلطة القضائية.

ولو أردنا الحديث عن طبيعة المحاكمات العسكرية والمسؤولين عنها، لاحتاج ذلك الى الكثير

من البحوث الطويلة، اذ قامت الحكومة بتشكيل المحاكم الخاصة في ديوان الجزاء ومجالس القضاء وبيت الانصاف ولجنة الامن الاجتماعي والمحاكم العسكرية ولجان البلديات ومنها لجنة المادة رقم (١٠٠) والمادة الثامنة، ولجان حل الخلافات المالية لمجالس المعامل، وهيئات حل الخلافات في وزارة العمل، وهيئة الاشراف والمجلس الاعلى للتسجيل والمحاكم العسكرية المهنية، ومحاكم الخدمة المدنية، ولجان الأنضباط الخاصة بالجامعيين في وزارة العلوم، ولجان وزارة التجارة ولجنة العفو، ودائرة تحقيق الاوقاف وما الى ذلك من المحاكم الخاصة التي تكشف مدى الفساد المنتشر في جهاز القضاء الذي اصبح بيد السلطة التنفيذية، بينما الدستور ينص على إيجاد بيت العدالة وتحكيم القانون في حياة الناس وعلائقهم مع بعضهم بعضاً.

إلا ان الذي حدث وبعد ٧٠ عاماً من الحركة الدستورية كان بعكس ذلك تماماً فلم يكن الجهاز القضائي ملبياً لطموحات الشعب، ولم يتحقق استقلال القضاء المنصوص عليه في المادتين ٢٧ و٢٨ من مكمّل الدستور، وأصبحت السلطة القضائية جهازاً تابعاً للسلطة التنفيذية. وكانت الحكومة تملي ارادتها واهواءها على الجهاز القضائي عبر وزير العدل الذي أصبح على رأس هذا الجهاز، يعين ويفصل القضاة ويرفع من يشاء ويخفّض درجة من يشاء منهم، وهكذا أصبح جهاز القضاء تابعاً لسياسات الحكومة كلياً، وبقيت المادتان ٨١ و٨٢ من مكمّل الدستور دون تطبيق، وأصبحت تشكيلات المحاكم وطريقة القضاء المدني والجزائي قائمة على أساس القوانين السائدة في الدول الاوروبية، والوصول الى الحق والحقيقة كان يضيع في متاهات الاطالة في الاجراءات الروتينية وإعطاء المواعيد تلو المواعيد وهكذا.

٨ـ الفساد المالي والقروض:

بلغ الفساد المالي للنظام السابق ذروته في عهد هويدا، والاحصائيات المتوفرة تشير الى ان القروض المقدمة والهبات الممنوحة والاستثمارات الضخمة، واقتراض القروض غير الضرورية وبأرباح عالية، كل ذلك حمّل الشعب ثقل مليارات الدولارات، وفي عام ١٩٧٤م ومع الارتفاع الكبير في عائدات النفط وعدم قيام النظام بإنفاقها في مسارها الصحيح الموافق لمصلحة الشعب، فقد اصبحت الثروات العامة للبلاد في مهب الريح، فأوجد النظام مؤسسة باسم «مؤسسة الاستثمار والمساعدات الاقتصادية والفنية» تابعة لوزارة الاقتصاد مهمتها التغطية على الحجم الحقيقي للقروض المستحصلة والتي تنقسم الى عدة أقسام هي:

(١) القروض التي كانت حكومات النظام الشاهنشاهي تحصل عليها بهدف سد العجز الكبير

في الميزانية، من الدول الامبريالية، وكان جزء كبير من الميزانية يخصّص كلّ عام لتسديد هذه القروض مع أرباحها، حيث وصل حجم هذه القروض عام ١٩٧٨ الى (١ر٤) مليار دولار.

(٢) القروض التضمينية التي تأخذها ايران من البنوك العالمية. وقد وصلت عام ١٩٧٨ الى (٦،٦) مليار دولار ، حيث تقوم الشركات المقترضة بتسديدها في اوقاتها المحددة وإلاّ فان الحكومة تقوم بتسديدها من الميزانية.

والطريف ان الحكومة التي كانت تحصل على عائدات كبيرة جداً من النفط، وكانت تقدمها كقروض للدول الصناعية، كانت تلجأ هي الى الاقتراض من هذه الدولة او تلك حيث بلغت ديونها بداية عام ١٩٧٨ حوالي (٥ر٤) مليار دولار.

(٣) القروض التي كانت تأخذها المؤسسات الحكومية بتأييد من وزارة المالية حيث بلغ مجموعها ٩ر١ مليار دولار، تتعهد نفس المؤسسات بتسديدها.

(٤) القروض التي كانت تحصل عليها وزارة الدفاع والتي بلغ حجمها (٨ر١) مليار دولار بهدف شراء المعدات العسكرية والخدمات المتعلقة بالخبراء الاميركين والبريطانيين والاسرائيليين (تراجع وثائق وزارة الاقتصاد والمالية).

وقد بلغ مجموع القروض المأخوذة حتى عام ١٩٧٨ من الدول الغربية وبنوكها (١٠١٢ مليار ريال) أي (٥ر١٤) مليار دولار . منها (٤٠٨) مليارات ريال من أميركا مباشرة والباقي من المؤسسات المالية الغربية التي كانت تُعطي قروضاً بشروط صعبة. فمثلاً أعطى بنك تشيس مانهاتان الاميركي قرضاً الى ايران مقداره (٥٠٠) مليون ريال واشترط ان تكون الفائدة بنسبة ١٢ بالمئة وعلى ايران دفع مبلغ (١٠) آلاف دولار سنوياً لمدة سبع سنوات. وهكذا مع باقي القروض. كما قد يشترط الدائن إشراف خبراء أجانب على تنفيذ المشروع المزمع إنشاؤه بهذا القرض.

اما أميركا فكانت تشترط عند اعطاء القرض، ان تظل ايران حليفاً عسكرياً وسياسياً لها مادامت لم تسدِّد القرض كله . كما لا يحق لها إقامة اية علائق اقتصادية وسياسية وعسكرية مع الدول التي هي في حالة حرب مباشرة او غير مباشرة مع أميركا.

وهكذا كانت ايران تتقبل هذه القروض بالرغم من الشروط الصعبة المفروضة عليها، مع أنها بدأت منذ عام ١٩٧٤ تحصل على موارد مالية كبيرة بعد ارتفاع اسعار النفط فكانت مجبرة على تقديم هذه العائدات قروضاً الى الدول الصناعية، لاستثمار هذه الاموال في الصناعات التي واجهت الافلاس. وقد بلغت هذه المبالغ منذ عام ١٩٧٤ وحتى ١٩٧٨ حوالي (٦٤٤) مليار

ريـــال[14].

وفي مجال المساعدات والهبات التي قدمتها ايران ـ فضلاً عما قدمته من حصتها في صندوق الاوبك والصندوق الدولي للتنمية الزراعية ـ فقد قدمت مبلغ (٦ر٧) مليار ريال الى الدول الاوربية والآسيوية والافريقية[15].

وفي مجال الاستثمار خارج البلاد دفع النظام مبلغ (٦٣ر٤) مليار ريال ـ (٩٠٢ر٧) مليون دولار ـ لشراء أسهم في الشركات الصناعية والمالية الغربية[16]. وكانت الارباح المستحصلة من هذه الاستثمارات الضخمة لا تتجاوز (٢٠٠) مليون ريال اي ان الارباح كانت (٦) بالألف فقط، وبتعبير آخر، فان النظام كان يقترض من الدول الاخرى بفائدة (١٢٠) بالألف بينما يفرض الاخرين بفائدة (٦) بالألف فقط. هذه الاحصاءات تكشف مدى عمالة النظام السابق وتفريطه بثروات الشعب ومصادرة استقلاله الاقتصادي المنشود.

٩ـ الفساد الاخلاقي:

بعد الفساد المالي وما تبعه من تفريط باقتصاد البلاد وثرواتها واستقلالها يأتي الدور لبحث الفساد الأخلاقي وانتشار الفحشاء. حيث شهد المجتمع تفشي الفساد بشكل كبير جداً. فلم تكن الحكومة تتجاهل ذلك فحسب، بل كانت تشجّعه وتوفّر السبل الكفيلة بانتشاره فأنشأت مراكز القمار التي تعمل ليل نهار فتنفق فيها تلك الاموال المتجمعة من الفساد المالي ومن ثم تنتقل عبرها إلى مراكز القمار المشابهة خارج البلاد[17]. وقد سارعت السلطة في إنشاء مؤسسات جزيرة كيش السياحية لتجعل منها (مونت كارلو ايران) وانفقت على ذلك مليارات الدولارات وأنشأت لها خطوطاً جوية خاصة من طائرات الكونكورد كما تحولت بعض ممثليات ايران الدبلوماسية في الخارج الى مراكز لاشاعة الفحشاء، وعلى رأس هذه المراكز السفارة الايرانية في أميركا، التي كان لها الدور الاساس في حل العديد من المسائل السياسية[18].

وخلال السنوات الاخيرة من الحكم الملكي وفي ظل التدهور الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والفساد المالي، وصل الفساد الاخلاقي ذروته وانتشرت مناطق خاصة بالدعارة في طهران وباقي المدن وبدأ المجتمع يتآكل من الداخل حتى ان العديد من الروابط الاجتماعية بدأت تقوم على اساس الفساد والفحشاء، بل إن الفساد بدأ يفقد قبحه ويصبح شيئاً مألوفاً وعادياً. فعدد الفاحشات يزداد كل يوم[19]، مع افتقاد المجتمع لأية محاولات للارشاد وانقاذه من هذه الهاوية، بل إن الحكومة كانت تشجّع ذلك ضمنياً من خلال ممارساتها وتهيئتها لسبل انتشار الفساد. كما

كان لازدياد عمق الهوة بين طبقات الامة والفقر المادي والثقافي دور في ازدياد الخلافات العائلية وما يؤدي ذلك الى ظواهر اجتماعية من امية وانحلال اخلاقي وضعف في الشخصية، وهذه الظواهر كانت تتعمق اكثر فاكثر دون أن تُبذل أية مساع لمعالجتها. وقد كانت الاحصاءات غير الرسمية تشير الى وجود (٥٠) ألف مومس في ايران اضافةً الى الفحشاء غير العلني، كما اصبحت المحلات سيئة الصيت في طهران وباقي المدن بؤراً للفساد والجريمة والقتل والادمان على المخدرات.

وفي هذه الاجواء، لو أرادت احدى النساء انقاذ نفسها من السقوط، فلن تجد من يؤويها ويحافظ عليها، حتى وصل الامر الى ان ارتفع عدد الفواحش بشكل كبير جداً، كما أصبحت الكثير من الشوارع بؤراً للفساد والفحشاء. وكل هؤلاء هم ضحايا النظام الشاهنشاهي من الذين لم يكن بامكانهم إنقاذ أنفسهم مما هم فيه[٢٠]، فضلاً عن أن السجن أصبح مكاناً لإشاعة الفساد ونشره بدل ان يكون مكاناً للاصلاح[٢١].

١٠ـ انتشار الفساد المالي:

من الظواهر التي تميز بها عهد هويدا؛ اتساع نطاق الفساد بكل أبعاده، اذ كان الفساد المالي منشأ كثير من انواع الفساد الاخرى. فالمعاملات الحكومية الداخلية منها والخارجية لا تتم بدون رشوة، كما شاع الاختلاس من أموال الحكومة، إذ أصبح لأغلب المسؤولين الكبار حسابات مصرفية في الخارج يودعون فيها ما يسرقونه من أموال الشعب[٢٢]، كما كان الاعلام يطبّل ويزمّر دوماً لقروض تُعطى للفلاحين والعمال لكن الحقيقة هي أن هذه الاموال لا تُعطى الا الى أتباع النظام وأعوانه.

كما كانت خزينة البلاد أشبه بالحساب المصرفي الشخصي للشاه، وكان يمنح منها ما يشاء ولاسباب ومسوغات عديدة[٢٣]، والتلاعب بأموال الشعب والانفاق منها كان يتم بمجرد رغبة أو أمر من (فرح) أو (عَلَم) او (اقبال) [٢٤] وهذه الرغبة كافية لتسويغ شراء أي شيء بأموال الناس كما هو الحال في عملية شراء شقة في لندن لزوجة الرئيس الباكستاني اسكندر ميرزا وغيرها... وفي قصر الشاه، كان هناك ٢٦٠٠ شخص يتقاضون كلهم رواتب مجموعها ٣٧٠ مليون ريال شهرياً [٢٥] إضافة الى عمليات انفاق غير عادية كثيرة [٢٦]، أما الشركات والمؤسسات الحكومية المختلفة[٢٧] فقد كان لها نصيبها من هذا الفساد المالي والاداري[٢٨].

١١ـ العلائق السرية بين الشاه وقادة اسرائيل:

اعتراف ايران باسرائيل كان ناقصاً في الظاهر، لكن الحقيقة كانت عكس ذلك، فقد كانت هناك علائق قوية تربط بين البلدين، فضلاً عن علائق شخصية وسرية بين زعماء البلدين. وكان للساواك دور مهم في اقامة هذه العلائق اكثر مما كان لوزارة الخارجية من دور، حيث قال خلعتبري في هذا المجال:

«كانت اسرائيل تزودنا بمعلومات سياسية في بعض المجالات فعلى سبيل المثال، كان ممثل الوكالة اليهودية في طهران (لوبراني) يزودنا باستمرار بمعلومات عن أوضاع الحبشة واضطرابات ارتيريا والوضع في الصومال واوغندا حيث كان يقدم هذه المعلومات الى وزارة الخارجية، لكن اتصالات أخرى كانت تجري على مستويات أعلى، حيث سمعتُ قبل ثلاث سنوات أن موشيهدايان جاء الى طهران واستقبله الشاه في مكتبه، كما زار ايران ايضاً ايغال آلون وزير خارجية اسرائيل واستقبله الشاه في مكتبه، كما التقاني أنا أيضاً لقاءً روتينياً[٢٩]. وفي ربيع عام ١٩٧٨ سمعت في البلاط مرة اخرى ان بيغن التقى الشاه حيث يقال إن الترتيبات السرية لهذه الزيارة تمت من قبل الساواك، وتم استقبال الوفد في نادي الساواك لكي يظل الموضوع محاطاً بسرية تامة.

وقبل عامين كلفني الشاه شخصياً بالذهاب الى اسرائيل واجراء اتصالات على مستوى عالٍ لكسب معلومات فيما يتعلق بوجهات نظر اسرائيل الرسمية حول الاراضي المحتلة في الضفة الغربية وقطاع غزة وسيناء، ولان الزيارة كانت سرية جداً فقد اتصلت شخصياً بـ«لوبراني» في منزله، وطرحت عليه الموضوع، وبعد عدّة ايام ابلغني بموافقة وزير الخارجية الاسرائيلي ايغال آلون على ذلك. وتقرر أن أقوم بهذه الزيارة في عطلة عيد النوروز حيث يخرج الكثير من الناس من طهران وبذلك لا يلفت خروجي أنا الانظار، هذه الزيارة استمرت اربعة ايام التقيت خلالها وزير الخارجية ورئيس الوزراء «رابين» و(بيريز) رئيس حزب المعارضة».

كما زار اسرائيل وفد آخر، بصورة سرية، وكان برئاسة نصير عصار معاون الشؤون السياسية لوزارة الخارجية[٣٠]. وقد تحدث خلعتبري في المحكمة عن نتيجة محادثاته مع زعماء الكيان الصهيوني في الجانب الذي لا يخص ايران[٣١]، اذ تشير هذه المحادثات الى ان الشاه لعب دور الوسيط بين السادات واسرائيل بعد أن كلفته اميركا بالتقريب بينهما.

١٢ـ انفصال البحرين:

البحرين[٣٢] جزيرة غنية بالنفط، تقع في الخليج الفارسي وكانت تابعة لايران عدة قرون[٣٣]. وفي عهد القاجار، استعمرت بريطانيا عدة مناطق من الشرق الاوسط ومنها البحرين، حيث جعلت منها قاعدةً لها ونصبت شيوخاً عملاء حكاماً عليها، لكن ايران ظلت تعتبر البحرين جزءاً منها وتعدّها ـ حسب التقسيمات الادارية ـ على أنها المحافظة الرابعة عشرة. وكانت تنتظر الفرصة المناسبة لتمارس هيمنتها عليها عملياً.

وخلال السنوات التي نحن بصدد الحديث عنها، دفع العجز المالي ـ واسباب اخرى ـ بريطانيا الى فقدان وجودها العسكري في شرق السويس، فقررت الخروج من المنطقة، وكان عليها اعداد ترتيبات خاصة لمستعمراتها.

ومن جانب آخر، فقد كان البقاء في الحكم يهم النظام الملكي في ايران اكثر من أي شيء آخر، وكان يعتبر ذلكِ غير ممكن إلاّ في ظل القوى الكبرى، وكانت بريطانيا ترجّح أن تحصل البحرين على استقلال ظاهري وان تعترف ايران بهذا الاستقلال، ولم يكن أمام ايران إلاّ الانصياع لهذه الرَغبة، خاصة وانه كان يهم حكومة الشاه دائماً ان لا تثار ضجة إعلامية ضدها، من خارج الحدود، ولهذا السبب وافقت ايران على اجراء استفتاء عام لسكان البحرين بتدخُّل مباشر من الامين العام للامم المتحدة وأياً كانت النتيجة فيجب القبول بها واستلهاماً من توجيهات الحكومة البريطانية بارسال وفد الى البحرين، ارسل الامين العام للامم المتحدة مبعوثاً الى البحرين وكانت نتيجة الامر معروفة مسبقاً وهي الانفصال عن ايران حيث تسلمت ايران قراراً من مجلس الامن بهذا الخصوص وتمت المصادقة عليه في الدورة الثانية والعشرين للمجلس عام ١٩٧٠.

وعقب ذلك، ومن أجل أن تصبح ايران شرطي المنطقة وتتولى مهمة الدفاع عن مصالح الغرب، فقد سيطرت على جزر طنب الكبرى وطنب الصغرى وابو موسى، وهكذا تم فصل البحرين عن ايران خلافاً لمصالح الشعب الايراني على يد نظام الشاه وحكومة هويدا حيث حدث ذلك اثناء الاستعدادات لاقامة احتفالات مرور ٢٥٠٠ عام على قيام الحكم الملكي على ايران.

وقد اقيمت العلاقات الحميمة بين نظام الشاه والشيخ عيسى حاكم البحرين وتمت دعوته الى ايران، وهكذا اصبحت البحرين بلداً مستقلاً في الظاهر لكنها في الواقع قاعدة لاميركا[٣٤] وسوق استهلاكية لبريطانيا[٣٥].

هوامش الفصل الثامن

(١) قال هويدا في محكمة الثورة: كنت اعارض تأسيس حزب رستاخيز، صحيح انني كنت امينه العام لكنني كنت معارضاً لتأسيسه، لانني كنت اعلم بان هذا الحزب غير قادر على انجاز ما انيط به من مهام. اما الذين كانوا ينتمون اليه، فانهم انتموا ظناً منهم بانهم سيحصلون على مكاسب جراء ذلك .(صحيفة اطلاعات ـ ١٩٧٩/٣/١٨).

(٢) الشاه قال لـ«اوريانافالاجي» خلال مقابلة أجراها معه: (القوى الغيبية هي التي تنصرني، إنها قوة عرفانية تلهمني وحياً دينياً، انا انسان متدين جداً أومن بالله وقد قلت مراراً بأن علينا الاعتراف بالله حتى لو لم يكن موجوداً(!!!) أنا أعيش مع الله منذ الخامسة من عمري، ومنذ ذلك الحين بدأت أُلهمُ، وقد كتبتُ هذا في قصة حياتي. أنا أعجب من أنك تجهل الالهامات التي حظيتُ بها فالجميع يعلمون بذلك . لقد أُلهمت مرتين: الاولى في الخامسة من عمري والثانية في السادسة. لقد رأيت الامام الحجة الغائب عندما سقطتُ على صخرة، فوضعني بينهُ وبين الصخرة، ولم يكن هذا في المنام، بل في اليقظة، لكن الشخص الذي كان معي لم يره). (مصاحبه با تاريخ / فالاجى / الجزء الثاني/ ص ٨).

(٣) يقول مؤلف كتاب «ايران سراب قدرت» حول أشرف الاخت التوأم للشاه: (منذ بداية السبعينات بدأت نشاطات أشرف تتجه نحو السرية، لكنها بقيت من الوجوه المعروفة والبارزة في حكومة الشاه الذي كان يعتبرها من أذكى افراد العائلة المالكة، كما كانت من اكثر أفراد العائلة قوةً. فقد كان الشاه يستعين بها في المسؤوليات والشؤون الحساسة، حتى انه ارسلها الى الاجتماع بـ«ستالين» خلال الحرب العالمية الثانية حيث كانت آنذاك فتاة شابة.

وكانت الناطقة باسم (حقوق المرأة وحريتها) من قبل الشاه في الخارج، وقبل مجيء فرح، كانت أشرف سفيرة العائلة البهلوية فهي توضح للعالم حب هذه العائلة للانسانية(!) مكتبها الخاص كان له أهمية خاصة، يتجمع فيه كل المسؤولين الكبار الذين يعزلهم الشاه عن مناصبهم لكنه لا يريد التخلي عنهم نهائياً لمصالح سياسية، ولهذا فقد عُرف هذا المكتب بـ«مقبرة الفيلة».

ومع أن أشرف كانت في زيارات متواصلة للدول الاجنبية في اغلب الأحيان، لكن ذلك لم يمنع من أن تكون لها اليد الطولى في جميع التغييرات والقرارات المهمة في البلاد) «ايران.. سراب قدرت/ تأليف روبرت غراهام / ترجمة فيروزنيا/ ص ٧٢».

(٤) استحدث الشاه مؤسسات عديدة وجعل منها مؤسسات مخابراتية تمكّنهُ من ترسيخ وتدعيم سلطته، فبعد عام واحد من تأسيس الساواك أي في سنة ١٩٥٨ قام بايجاد مؤسسة التفتيش الملكية، وهي مؤسسة واسعة ومتشعبة ليست تابعة للبرلمان ولا مرتبطة بالجيش ولا الساواك ولا حزب رستاخيز، بل لم تكن هذه المؤسسة تعرف غير شخص الشاه، ولم تكن أية مؤسسة حكومية تمارس أي إشراف عليها، كما أن صلاحياتها تتعدى أحياناً صلاحيات الساواك بل وتشمله هو الآخر. وقد توالى على رئاسة هذه المؤسسة منذ تأسيسها وحتى انحلالها ضابطان كان (فَرْدُوسْت) هو الثاني منها حيث لازم الشاه منذ طفولتهِ، وهو من الافراد القليلين ـ من خارج العائلة المالكة ـ الذين كانوا يحضرون الولائم التي يقيمها الشاه.

وقد كان عمل هذه المؤسسة هو تفتيش الشؤون السياسية والاقتصادية والاجتماعية ومراقبتها في جميع المؤسسات والدوائر الحكومية، حيث أُلزم الجميع بالتعاون معها، كما كانت المؤسسة تتدخل في الشؤون التجارية لصالح اعضاء العائلة المالكة (راجع كتاب «ايران .. سراب قدرت» لروبرت غراهام / ص ١٧٤).

(٥) كان الشاه يتصور أنه ليس منقذاً لايران فحسب، بل منقذاً للغرب أيضاً، فهو يرى أنه كان يسير بايران الى التحضُّر وكان نابغاً في هذا المجال! وأنه فاق جميع الملوك الذين حكموا ايران خلال ٢٥٠٠ عام ولهذا كان يكرّس هذا التصور حتى وهو يقوم بانشاء السدود والأبنية فكان يأمر باصدار مسكوكات عليها اسمه وصورته لتبقى خالدة لآلاف السنين. وكان يعتبر نفسه احياناً

رسولاً من الله عينه لهذا الغرض !!وفي عام ١٩٧١م جمع زعماء ٦٩ بلداً في مقبرة كوروش واقام احتفالات مرور ٢٥٠٠ عام على تأسيس الشاهنشاهية، كي يتحدث بحضورهم مع كوروش ويصل نفسه به برباط وثيق، كما ان الصحف وصلت الى هذه النتيجة وهي أن الشاه وصل الى الملوكية بثلاث أنحاء وطرق:

الاولى في ايلول ١٩٤١ طبقاً للدستور!

والثانية في ١٩٤٨/٢/٤ و ١٩٦٥/٤/١٠ من قِبَل الله!!

والثالثة في ١٩/ آب/١٩٥٣ و ٢٦ كانون الثاني ١٩٦٣ من قبل الشعب!! عندما انتخبهُ الشعب لذلك (تراجع الصحف الصادرة في ايران خلال ايام الاحتفالات بمناسبة مرور ٢٥٠٠ عام على الملكية).

(٦) وصلت عمليات المديح والتملّق للشاه الدكتاتور الى حد أن المغنين بدأوا يكرسون اغانيهم لهذا المجال. ففي عام ١٩٦٧م بثت اذاعة ايران اغنية تخاطب الشاه بالقول «أنت أوضح من نور الله!! أنت زعيمنا في الدين والعلم!!» وكانت كلمات الاغنية للشاعر رهي معيري، حيث يقول أحمد آرامش في مذكراته عن ايام السجن «الساواك الذي صنع الدكتاتور في ايران، كان يمارس ضغوطاً على الشعراء والمغنين لينضموا الى صفار مدّاحي الشاه والمتملقين له، حيث امروا (رهي معيري) ـ وهو أحد الشعراء الاحرار المعاصرين ـ بتأليف كلمات اغنية تمدح الشاه،فاضطر الى ذلك ونفذ ما أرادوا تحت وطأة تعذيب الضمير، فوصف الشاه المنحط الممجي بأنه أوضح من نور الله، وانه القائد والزعيم الديني والعلمي لهذا الشعب» (هفت سال در زندان آريا مهر / ص ٩٤) .

(٧) في الاعوام ١٩٢٥م و١٩٤٩م و١٩٥٧م جرى تشكيل مجلس المؤسسين لاجراء تغييرات في الدستور من شأنها ترسيخ السلطة الملكية ودعمها اكثر فاكثر.

(٨) حتى باعة الورود أخذهم الطمع في ذلك،ففي اوروبا أطلقت على ثلاثة أنواع من الورود أسماء كوروش، وبهلوي وفرح.

(٩) يبدأ «بيير بلانشيه» كتابه بالكلمة التي وجّهها الشاه مخاطباً كوروش والتي ألقاها على قبره حيث قال «يا كوروش! ايها الشاه الكبير، يا ملك الملوك و يا شاه السلالة المخامنشية، احييك اصالة عن نفسي أنا شاه ايران، ونيابةً عن شعبي. يا كوروش نحن هنا نقف امام قبرك الابدي لنقول لك: نم قرير العين فنحن يقظون (ايران .. انقلاب بنام خدا / للكاتب بيير بلانشيه/ ترجمة قاسم صفوي / ص ٨).

(١٠) عندما رأى النظام الحاكم أن الاحتفالات قد ادت إلى نتائج معكوسة واوجدت موجة سخط عامة ـ خاصة بعد ان وصلت نداءات الامام الخميني من النجف والتي فضح فيها النظام ـ لجأ الشاه الى التستر وراء بناء المسجد الفخم، فادّعى ان نفقات الاحتفالات هي من تبرعات الشعب، وان المبالغ الاضافية منها قد خُصّصت لبناء مسجد. يقول بلانشيه في كتابه «ايران.. ثورة باسم الله»:

«تزامناً مع الاحتفالات الماجنة، وجّه آية الله الخميني نداءً من منفاه في النجف الاشرف في العراق قال فيه (في هذه الظروف، نرى انفاق ملايين التومانات على احتفالات الشاه، إذ أنفق ثمانين مليون تومان لتزيين العاصمة طهران لوحدها، كما يبدو أن خبراء اسرائيليين يتولون اقامة هذه الحفلات.. فهل إن على الشعب الايراني أن يقيم الاحتفالات لمن يخون الاسلام؟ كيف يمكن لشعب ان يقيم الاحتفالات لهذا ملك؟ فقد سوّدت جرائم الملوك صفحات التاريخ وكانت لفظة (الملك) منبوذة جداً عند النبي(ص) فالاسلام يعارض الملكية. دمّروا قصور الظلم الملكي في ايران فالملكية أقبح أشكال الرجعية.

لماذا يجبر النظام الملكي التجار والعمال على دفع نفقات هذه الاحتفالات؟

لو كان علماء قم ومشهد وتبريز واصفهان وشيراز وباقي مدن ايران قد احتجوا على هذه الاحتفالات التي تسير بشعب ايران

نحو الهاوية ، لما وصل الامر الى هذا الحد. ففي ايران حوالي ١٥٠ الف من علماء الدين وطلبة العلوم الدينية ،فلو خرج هؤلاء من صمتهم واصبحوا يداً واحدة ولم يؤيدوا هذا النظام العميل، لانتصروا) (ايران... ثورة باسم الله، تاليف كلوربرير بيير بلانشيه).

(١١) الاحتفالات كانت كثيرة جداً، وتجري بحجج ومسميات مختلفة، نذكر بعضاً منها على سبيل المثال: (ذكرى ولادة ليلى بنت الشاه ، وذكرى تكريم الشهداء الشجعان ـ الضباط الذين انقذوا الشاه من الخطر ـ وذكرى تتويج رضا شاه الكبير، وذكرى ولادة الامير علي رضا بهلوي وذكرى ولادة الامير غلام رضا بهلوي وذكرى وفاة رضا شاه ، وذكرى النهضة الوطنية، وذكرى بدء حكم الشاه، وذكرى ولادة الامير عبد الرضا وذكرى مرور ٢٥٠٠ عام على قيام الحكم الملكي في ايران وذكرى ولادة زوجة الشاه وذكرى ولادة الشاه نفسه ، وذكرى إعطاء حقوق المرأة ، وذكرى التتويج وذكرى لادة الاميرة أشرف وذكرى ولادة الاميرة شهناز وذكرى ولادة الاميرة شمس وذكرى ولادة الأمير محمود رضا ويوجه الشكر بمناسبة زوال الخطر عن الشاه) إضافة الى عشرات الذكريات الاخرى الخاصة بولادات ابناء العائلة الملكية . حيث كانت كل هذه المناسبات تمثل مادة اعلامية للصحافة واجهزة الاعلام، لتتناولها بالحديث والتحليل.

(١٢) عمل الشاه على تحويل جزيرة كيش الى مونت كارلو ايران من أجل ان لا يتخلف عن ركب «التحضُّر الغربي» في كل المجالات. وجزيرة كيش تبعد مسافة ١٥ كيلومتراً عن السواحل الايرانية الجنوبية في الخليج الفارسي طولها (١٢) كم وعرضها (٩) كم ويسكنها (٣) آلاف نسمة. وقد رصد الشاه مليارات الريالات لإعمارها، فانشئ فيها مطار ضخم يمكن حتى لطائرات الكونكورد الهبوط فيه. كما اعدت منشآت ومرافق في الجزيرة لاستقبال عشرة آلاف من الشخصيات من أُمراء المنطقة العرب وغيرهم، وحدد مبلغ عشرة آلاف فرنك كرسم لدخول الجزيرة لكل قادم.

وفضلاً عن هذا، فقد عمد النظام الى جعل الجزيرة، منطقة غربية تماماً، فالمضيفون جُلبوا من فرنسا والحدائق على النمط الانكليزي ومحطة التلفزيون من أميركا، وأجهزة تصفية المياه وتحليتها من اسرائيل، كما أُقيمت مراكز تجارية واسواق حديثة للملابس والعطور المشهورة في العالم. عشرات الأُلوف من الأشجار جُلبت الى الجزيرة بواسطة الطائرات. كما كان بامكان المستثمرين الدوليين جلب فرق الديسكو لتقديم عروضها في صالة القصر المؤلَّف من ٢٥٠ غرفة. الشاه كان يملك قصراً خاصاً به وبالقرب منه قصر آخر لرئيس وزرائه هويدا. رصيف الجزيرة يحوي عدة سفن ترفيهية مجهزة بكلِّ شيء. وفي الجزيرة انواع السيارات الخاصة بالتجوال والتنقل. تصفية مياه البحر كانت تتولاها خمس مؤسسات. اما الكهرباء الذي تستهلكه الجزيرة فيعادل نصف ما تستهلكه طهران العاصمة كلها آنذاك!

(١٣) حتى عام ١٩٦٦م كانت قوات الشرطة والامن تقوم بمصادرة الكتب التي لا ترتضيها الرقابة، وأحياناً كان الكاتب والناشر يتعرضان للاعتقال فاما أن يسجنا وأما أن ينفيا، ولتسهيل هذه المهمة كانت قوات الامن تقوم بتشغيل بعض جلاوزتها كعمال في المطابع للإخبار عن أي كتاب يتم طبعه. كما صدرت الأوامر لاصحاب المطابع بالإخبار عن نشاطات الكتاب والناشرين غير المرغوب فيهم والامتناع عن طبع أيِّ كتاب لهم.

وفي عام ١٩٦٦م أعلن النظام رسمياً وجوب خضوع جميع الكتب للرقابة من قبل وزارة الثقافة والفنون قبل طبعها، وتدريجياً بدأ (الساواك) يشدّد من إجراءاته، كما لجأ إلى العنف والشدّة إثر كشفه للكتب التي لم تمر عبر الرقابة، فقد لجأ إلى السجن والتعذيب ضد من يتداول أحد هذه الكتب أو يحتفظ به. وهكذا فقد تعرضت حرية الرأي والفكر الى هجمة شرسة اضفت حالة من الجمود على الحركة الفكرية وحالت دون نمو الافكار الخلاقة والاقلام البناءة، وحلّت محلّها مظاهر الانحطاط والانحراف.

(١٤) في هذه المدة أعطت ايران قروضاً بلغت (٥٧٠) مليار ريال ، ومساعدات مقدارها ١٤ مليار ريال، واستثمرت اموالاً

تبلغ (٦٠) مليار ريال، حيث كانت فائدة القروض المقدمة في الغالب ٥ر٢ بالمئة . وقد قُدِّمت هذه القروض الى الجهات التالية:

١ـ البنك الدولي وصندوق النقد الدولي (١٠٨) مليارات ريال.

٢ـ الدول الصناعية الغربية (٢١٨) مليار ريال.

٣ـ دول اوروبا الشرقية (٥٦) مليار ريال.

٤ـ باقي الدول (١٨٨) مليار ريال (المصدر: وثائق وزارة الاقتصاد والمالية).

(١٥) المنظمات الدولية (٩ر٦) مليار ريال (٩٩ مليون دولار) والدول الصناعية الغربية (٤ر٠) مليار ريال (٤ر٥ مليون دولار)، والدول الآسيوية (٧ر٥) مليار ريال (٥ر٨١ مليون دولار)، والدول الافريقية (٦ر٠) مليار ريال (٧ر٨ مليون دولار). وبهذا بلغ المجموع (٦ر١٣) مليون ريال أي ما يعادل (٦ر١٩٤) مليون دولار، وقد بلغت الهبات المقدمة الى الاردن لوحده حوالي (٣ر٣) مليار ريال، أي اكثر من نصف مجموع الهبات المقدمة الى الدول الآسيوية. أما افغانستان فكان نصيبها (مليار) ريال، فضلاً عن (٨٦٠) مليون ريال الى دبي وعمان والفجيرة، و(٦٠٠) مليون ريال الى الباكستان، كما بلغ مجموع الهبات المقدمة الى مصر حوالي (٣٩٩) مليون دولار (حسب الاحصائيات التفصيلية التي نشرتها اللجنة المؤقتة للعاملين في منظمة الاستثمار والمساعدات الاقتصادية الايرانية في آذار ١٩٨٠).

(١٦) هذا المبلغ كان في اطار مسؤوليات منظمة الاستثمار ولا يمثل جميع استثمارات الحكومة الايرانية في الخارج. وقد تمّ دفع (٦٠) مليار ريال منه (٨٥٤ مليون دولار) الى مؤسسة كروب والمؤسسات التابعة لها.

(١٧) نشرت صحيفة اطلاعات بتاريخ ١٩٧٩/٣/١٠ تقريراً عن أحد هذه المراكز الداخلية كان يسمى (نادي العصر) حيث كان من أعضائه: الفريق نصيري رئيس الساواك، وأشرف بهلوي . ويبدو أن أي صفقة مقامرة فيه لم تكن تتم بأقل من مبلغ ٣٠٠ ألف تومان.

(١٨) نشرت مجلة نيويورك تايمز سلسلة مقالات لـ«مايكل بارنر» ممثل ولاية مريلند وعضو الحزب الديمقراطي الاميركي، حول الرشاوى الكبيرة التي دفعها مندوبو الساواك واعضاء السفارة الايرانية الى المسؤولين الاميركيين رفيعي المستوى وقد اوردت ترجمته صحيفتا كيهان واطلاعات في ٢٦ و٢٧ شباط ١٩٧٩ وتضمنت كشفاً لاساليب عمل هؤلاء واستغلالهم للجنس والمخدرات لتحقيق اغراضهم حيث ورد في التقرير:

«... إن استخدام سلاح الجنس والمخدرات في منزل السفير الايراني في واشنطن اردشير زاهدي كان جارياً من أجل أجتذاب السياسيين والمسؤولين الاميركيين وقد صار ذلك حديث الاوساط الاميركية... فبعد ساعة من التعارف الذي يتم بين زاهدي وبعض المسؤولين الاميركيين في منزله، يأمر زاهدي حارسه بجلب موقد الافيون والحشيش ، حيث يجتمعون حوله ويدخنون المخدرات ، بعد فترة يطلب زاهدي من احدى الداعرات ـ اللاتي يجلبهن له السماسرة طبعاً ـ او إحدى موظفات السفارة ان ترقص فتستجيب لطلبه، وتبدأ الرقص ثم تتعرى شيئاً فشيئاً فيبدأ الحاضرون باطلاق عبارات ماجنة ويبدأون بممارسة أعمال الجنس. وفي احدى هذه الحفلات كان ممثل مجلس (أل ـ اف) مدعواً، فلم يدخّن المخدرات، لكن زاهدي قام بعرض مجموعة من النساء امامه ليختار واحدة منهن، حيث اختار في النهاية أمرأة ايرانية و...»».

(١٩) في بداية عام ١٩٨١، قدم أحد اعضاء مجلس الشورى الاسلامي احصاءات تتعلق بانتشار الفحشاء في طهران خلال العهد البائد كما يلي: «كان هناك ٤٠ معملاً لانتاج الخمور، و٦٠٠ مطعم يقدم الخمور مع الطعام، و٢٠٠ حانة علنية لبيع الخمور، وبلغ الاستهلاك اليومي للبيرة في طهران ٤٠٠ الف قنينة في اليوم، وكانت هناك ١٦٠ ملهى في العاصمة وقد بيعت في أحد هذه الملاهي (١٤) الف بطاقة في يوم واحد، وكانت هناك ٢٧٠٠ امرأة ساقطة، و١١٢٠ بيتاً للدعارة ...».

(٢٠) كيهان ١٩٧٩/١٠/١م.

(٢١) أحد الرعايا البريطانيين ـ يُدعى ساوين ـ قضى عدة سنوات في سجن وكيل آباد بمشهد، وبعد اطلاق سراحه، أجرت صحيفة هيرالد تريبيون مقابلة صحفية معه فكان مما قاله في هذه المقابلة: لقد شاهدت في السجن الكثير من المفارقات، منها إنني لاحظت مجموعة من السجناء الاحداث والفتية الذين تتراوح أعمارهم بين ٦ و١٥ عاماً سجنوا بجريمة السرقة او الجرائم الصغيرة الأخرى حيث كان الضباط يتاجرون بشرف هؤلاء لقاء مبلغ (١٠) آلاف ريال (١٦٠ دولار) عن كل مرة.

(٢٢) فريد. جي. كوك كشف في مقالة نشرتها مجلة نيشن في ١٩٦٥/٤/١٦ قضية مبلغ الملياري دولار التي دفعتها أميركا لايران، وقد تُرجمت هذه المقالة الى الفارسية وطُبعت في كتاب باسم «لغز الملياري دولار» صدر اواخر عام ١٩٧٩ وفي الصفحة (٧٣) وجه الكتاب اصبع الاتهام الى عدد من أفراد العائلة الحاكمة وعدد من المسؤولين الاميركيين متهماً اياهم بسرقة هذه الاموال، وقد أدى ذلك الى فتح ملف لهذه القضية في أجهزة القضاء الاميركية.

وكان السناتور جاكوب جاويتس من الحزب الجمهوري الاميركي، من الذين تربطهم علاقة قوية بالشاه، وخاصة في المجالات المالية، كما كانت زوجته تتسلم كل عام رشاوى من شركة الطيران الايرانية مقدارها (٥٠٧٥٠٠) دولار كأُجور استشارة (راجع المقابلة المنشورة مع وزير العدل في الصحف المسائية الصادرة يوم ١٩٧٩/٥/١١).

(٢٣) احد المبالغ المدفوعة للمؤسسات العلمية الاميركية هي كالاتي: «وزير البلاط الشاهنشاهي بعث رسالة سرية الى رئيس الوزراء هويدا جاء فيها: امتثالاً لأوامر جلالة الشاه فقد تقرر دفع مبلغ مليون دولار كدعم لجامعة جورج واشنطن الأميركية من قبل الحكومة الايرانية نرجو العمل حسبما يقتضيه الامر وإعلامنا النتيجة ليتم عرضها على صاحب الجلالة».

وقد كتب هويدا بخطِّه في أسفل الرسالة أمراً الى وزير التخطيط والميزانية مجيدي بالعمل على توفير المبلغ المذكور خلال اسبوعين امتثالاً لامر صاحب الجلالة من أي مكان كان.

(٢٤) بتاريخ ١٩٧٤/٤/٢٠ كتب وزير البلاط اسد الله علم رسالة الى هويدا جاء فيها: «تعلمون أن صاحبة الجلالة حرم صاحب الجلالة المحبوب قد وافقت على ترؤُس الحفل الساهر الذي يقام في فندق والدرف استريانيويورك بهدف جمع التبرعات لمكافحة السرطان، حيث ستقوم بتوجيه نداء وتقديم هدايا تتمثل بسجادة بمبلغ ٤٨٠٠٠٠٠ ريال و٢٠ الف دولار نقداً، نرجو الامر بتسليم هذا المبلغ الى القسم المالي للبلاط الملكي».

كما توجد رسائل كثيرة اخرى موجهة من البلاط الى رئيس الوزراء يطلب فيها تخصيص مبالغ باهضة لانفاقها في شؤون شخصية تخص الشاه وابنه وأفراد عائلته كشراء الاثاث وإجراء ترميمات في القصور، وشراء بيوت وشقق في اوروبا.

(٢٥) صحيفة اطلاعات في ١٩٧٩/٣/٣ نقلاً عن هاشم صباغيان.

(٢٦) كتب هاشم صباغيان في صحيفة كيهان بتاريخ ١٩٧٩/٦/٦ مايلي: خلَّفت العائلة البهلوية وراءها ديوناً كبيرة لمؤسسات الهاتف والتلكس فقد كانت شهناز مدينة بمبلغ (٣) ملايين ريال وأُمّ الشاه بملغ (٧٫٥) مليون ريال وشمس بمبلغ (١٣) مليون ريال كما كان البلاط مديناً لشركة الأسماك بمبلغ مليوني ريال قيمة الكافيار المستهلك. ولم تسلم ميزانيات السفارات في الخارج من نهب اعضاء العائلة المالكة، فخلال سفرها الى نيودلهي، اشترت فريدة ديبا (اخت زوجة الشاه) اشياء بمبلغ ٢١ الف روبية من ميزانية السفارة، وقبل زيارة زوجة الشاه (فرح ديبا) الى العراق، دفعت مبلغ مليوني ريال لأربع مصممات أزياء ايطاليات زرنها (١٤) مرة لإعداد ملابس الزيارة، وقد دفعت السفارة الايرانية في ايطاليا مبلغ (٢٢١١٠٦٢٠) ريالاً ثمناً لآخر بدلة. كما دفعت السفارة مبلغ (٨٥١٥٩٣٢) ريالاً لشراء بدلة لـ(فرح ناز) عام ١٩٧٨.

وقد بلغت ديون العائلة البهلوية للبنوك حوالي (٢١٧٠٧٨٩١٢٩٣) ريالاً. كما كان مكتب فرح، أحد مراكز الفساد المالي

وحجم مشتريات المكتب يؤكد هذه الحقيقة، حيث كانت تدفع مبالغ طائلة لقاء سلع وأعمال تافهة من قبيل صنع تمثال برونزي لفرح مقابل (٥٠) ألف دولار واستقدام فرقة غنائية الى ايران من اميركا مقابل (٥٠) ألف دولار وغير ذلك.

(٢٧) عند مراجعة سجلات شركة حافلات النقل الداخلي، كُشف النقاب عن فقدان ١٨٠ حافلة! (كيهان ٣١ آب).

(٢٨) المؤرخ الروسي (ايوانوف) يتحدث في الصفحة (٢٥٨) من كتابه (التاريخ المعاصر) المترجَم الى الفارسية، حول ظاهرة الفساد والرشوة والاختلاس كأمراض سرت الى أعلى المسؤولين فيقول: «بين الحين والآخر يتم الاعلان عن حملة مكافحة الفساد الاداري والمالي وتتم محاكمة عدد من المسؤولين بتهمة الاختلاس واستغلال الأموال الحكومية، ومع ذلك فان ظاهرة الاختلاس والفساد الاداري كانت تتسع باستمرار.

وفي أواخر كانون الثاني من عام ١٩٧٦ احيل الى القضاء قائد البحرية الايرانية ومعه تسعة من ضباط هذه القوة بتهمة الاختلاس، وفي (٢٨) من الشهر نفسه نشرت صحيفة «آيندگان» خبراً عن اتهام المدير التنفيذي لمشروع إعمار عباس آباد بالسرقة والاختلاس، وفي آذار ١٩٧٦ حكم على عدد من ضباط الجيش ومنتسبيه بالسجن لمدد مختلفة.

وفي نفس التاريخ صدرت احكام مختلفة بحق (١٥) من منتسبي معمل سكر اصفهان والقائمقام السابق للمدينة وعدد من موظفي الدوائر بتهمة أخذ الرشوة، كما وجهت تهمة التزوير واستغلال المساعدات المقدمة للمتضررين بالسيول الى المدير السابق لمصرف التأمين التجاري.

(٢٩) سعى خلعتبري الى إبعاد نفسه عن هذا الموضوع، والافكيف يمكن لوزير خارجية الشاه الذي كان أميناً عاماً لحلف السنتو ان لا يحضر لقاء الشاه بـ«موشيه دايان» وأمثاله.

(٣٠) نصير عصار من المقرّبين لهويدا، وهو من العناصر المهمة في الساواك. تولّى منصب الامانة العامة للسنتو بعد خلعتبري وفضلاً عن ذلك، كان يشغل منصب مساعد رئيس الوزراء ورئيس مؤسسة الاوقاف. وخلال عمله كمساعد سياسي لوزير الخارجية، لعب دوراً في العلاقة مع اسرائيل، كما تبين من اعترافات خلعتبري. وخلال توليه رئاسة منظمة الاوقاف، أحكم سيطرة الامن الشاهنشاهي (الساواك) على الموقوفات في البلاد فخصص عائدات الموقوفات التي اوقفها أصحابها لاعمال الخير، الى مشاريع الفساد والفحشاء.

(٣١) يقول خلعتبري «كانوا متصلبين جداً في موقفهم من قضية «الاراضي المحتلة» إذ اتخذوا نفس الموقف الذي كانوا يعلنونه في الاوساط العالمية فقد كانوا مستعدين لاعادة سيناء، إلاّ انهم يشترطون لذلك دخول السادات في مفاوضات مباشرة معهم. وفيما يخص غزة، لم يكونوا يرفضون دخول المفاوضات بشأنها، لكنهم لم يكونوا مستعدين للتنازل عن الضفة الغربية لنهر الاردن والتي تحظى باهمية عسكرية لهم. وخلال عودتي الى ايران رفعت الى الشاه تقريراً عن كل ذلك، الا إنه لم يعلّق على هذا الامر أبداً. وأعتقد ان السادات والملك حسين كانا قد طلبا من الشاه استطلاع رأي الحكومة الاسرائيلية ووجهات نظرها حول الموضوع (من محاظر اعترافاته في محكمة الثورة الاسلامية).

(٣٢) تقع مجموعة جزر البحرين جنوب الخليج الفارسي، وهي تتألف من جزيرتين كبيرتين رئيستين، هما المنامة والمحرق اضافة الى اكثر من ثلاثين جزيرة صغيرة. تبلغ المساحة الكلية للجزر (٥٩٨) كيلو متراً مربعاً ونفوسها (٣٠٠) ألف نسمة.

(٣٣) منذ السنة (٨٠) قبل الميلاد، والبحرين جزء من أراضي ايران، وفي عام ٣٢٦ هجري سيطر العرب المسلمون عليها، لكنها عادت الى السيادة الايرانية بعد سقوط الخليفة العباسي. وفي عام ١٤٩٨ سيطر عليها البرتغاليون، وفي القرن السابع عشر، (أي خلال عهد الصفويين) جرت محاولات لتوحيد أراضي البلاد حيث تم ـ وبدعم من الانجليز ـ إنهاء الوجود البرتغالي المسلح في هذه الجزر، لكن الهولنديين والفرنسيين قاموا في نفس القرن باحتلالها.

وفي عهد نادر شاه، وكريمخان زند، ظلت البحرين خاضعة للسيادة الايرانية مدة (٣٦) عاماً، وكانت تابعة لولاية فارس. ومنذ عام ١٧٨٢ تم فصل البحرين عن الاراضي الايرانية بشكل عملي، الآ أنها أُعيدت الى ايران عام ١٨٢٢. وفي عام ١٨٦١ خرق الانجليز الاتفاقية، وانزلوا قواتهم في الجزر لاحتلالها، ومنذ عام ١٨٩٢ اصبحت البحرين، ضمن الاراضي الخاضعة للحماية البريطانية (راجع تاريخ البحرين).

(٣٤) أنشأت أميركا ـ ووفقاً للاتفاقية ـ قاعدة عسكرية مهمة في البحرين حيث عمل فيها آلاف العسكريين الاميركيين للمحافظة على الوجود الامبريالي الاميركي. وتضم القاعدة فرعاً للمخابرات المركزية الاميركية وتتولى مهمة تبادل المعلومات والاخبار (صحيفة آيندگان: ١٧/اذار/١٩٧٩).

(٣٥) يعتمد الاقتصاد البحريني على النفط بشكل رئيس، حيث يتم استيراد جميع احتياجات البلاد من الخارج. ويبلغ انتاج البحرين من النفط حوالي ٦٠ ألف برميل في اليوم، وفيها ٢٧ مصرفاً دولياً، وقد ادى تهافت التجار عليها الى تحويلها الى بلد مستهلك كبير للسلع.

الفصل التاسع

جهاز أمن الشاه (الساواك) وممارساته

١ـ نظرة عامة الى الساواك:

تحدثنا فيما مضى عن جهاز الساواك (الامن الشاهنشاهي) واعماله باختصار، وها نحن نفصّل البحث فيه لكونه لعب دوراً بارزاً ومهماً في هذه الفترة التي نحن بصدد الحديث عنها.

تأسس جهاز الساواك عام ١٩٥٧م بقانون صادق عليه مجلس الشورى الوطني! وكان الهدف من ذلك، وضعه محل الحكومة العسكرية ليتولى مكافحة أية حركة معارضة للنظام والقضاء عليها في المهد، وتجنيب النظام الحاكم عواقب السخط الشعبي على الحكومة العسكرية. ولم يقتصر نشاط الساواك على الجوانب الأمنية، بل توسع تدريجياً فأصبح يتدخل في جميع مرافق البلاد وشؤونها ، حتى انه اضحى أعلى سلطة حتى من الحكومة نفسها.

ويمكن تقسيم عمر الساواك البالغ (٢٠) عاماً الى ٤ مراحل:

الاولى: من عام ١٩٥٧م الى عام ١٩٦١م.

والثانية: من عام ١٩٦١م الى عام ١٩٦٤م.

والثالثة: من عام ١٩٦٤م الى عام ١٩٧٧م.

والرابعة: من عام ١٩٧٧م الى عام ١٩٧٩م وهي مرحلة السقوط.

٢ـ المرحلة الاولى:

برزت تشكيلات الساواك الى الوجود بين عامي ١٩٥٧ و١٩٦١، حيث رأسها الجنرال تيمور بختيار، الحاكم العسكري لطهران والمجرم الذي أصبحت كل الألسن تتناقل اخبار جرائمه. وقد كانت فعاليات الساواك في الداخل والخارج بحاجة الى تنظيمات واسعة حيث تم إعداد كلّ مستلزمات هذا الامر، واكتسب رئيسه لقب نائب رئيس الوزراء. لكن ذلك لم يمنع من استمرار عمل لجنة الامن الاجتماعي بعد أن أُضيف لها عضو آخر هو ممثل الساواك[١].

وبحكم العلائق المتينة التي كانت تربط ايران بأميركا، فقد تم تدريب عناصر الساواك على يد المخابرات المركزية الاميركية[2] لكن بختيار وبسبب تغيُّر الجو السياسي والمنافسة التي بدأها مع الشاه للهيمنة على الامور وخلافه مع اجراءات اميني، فقد تنحّى من منصب رئاسة جهاز الامن وبدأ العمل بشكل غير مباشر.

وبعد حوادث الجامعة عام ۱۹٦۱ اضطر بختيار الى الخروج من ايران. ولما كان قد يئس من فرض سلطته على البلاد من خلال الشاه فقد بدأ العمل كمعارض، وقام بالكشف عن كل الجرائم التي ارتكبها النظام، وله ـ طبعاً ـ الدور الاساس في ارتكابها[3]، وراح يعمل على تدريب العناصر وشنّ الحملات الإعلامية ضد الشاه متخذاً من العراق قاعدة له. فأوجد محطة اذاعية واستطاع لفترة معينة زعزعة أمن الشاه واستقراره، وانتهى به الامر أن قُتل في آب ۱۹۷۰م على يد عناصر الساواك الذي ارسى اسسه بنفسه.

وبمراجعة سريعة للقائمة التي نشرت عن الاراضي والشركات والعقارات التي استولى عليها بالقوة خلال عمله في رئاسة الساواك سيتضح لنا جانب من سلوك رضا شاه ونهجه وستتوضح لنا أبعاد الفساد والاستبداد الذي كان متفشياً في ايران.

۳ـ المرحلة الثانية:

تزامن هذه المرحلة مع سنوات ما تسمى بالثورة البيضاء، حيث عمل الشاه ـ وتنفيذاً لتوجيهات اميركا الجديدة ـ على الحد من العنف المباشر للساواك بالرغم من ان الاشتباكات في الشوارع قد شهدت تصاعداً ملحوظاً. وفي هذه المرحلة تولى رئاسته المدعو (باك روان) وهو أقل عنفاً، قياساً الى بختيار ونصيري.

وفي هذه المرحلة، كان النظام يسير نحو السقوط، بعدما مرَّ بانتفاضة ٥ حزيران، إلاّ أنه استعاد قواه تدريجياً بعد تنفيذه توجيهات المستشارين الاميركيين، وتقوية جهاز الساواك، وتشكيل الدورة الثانية والعشرين لمجلس الشورى الوطني!.

٤ـ المرحلة الثالثة:

تزامنت هذه المرحلة التي استمرت (۱۳) عاماً، مع تولّي هويدا رئاسة الوزراء، حيث كان للساواك، في هذه المرحلة الدور الاساس، فقد مارس القمع والاعتقال والمطاردة والبطش بأقسى صوره، فشُكّلت فرق المراقبة والمطاردة، وموُرست شتى صنوف التعذيب من أجل انتزاع

المعلومات من أي مشتبه به، كما أرسل الساواك عناصره الى الدول الاخرى لجمع معلومات كاملة عن الايرانيين المقيمين هناك.

وقد بلغت الميزانية الرسمية للساواك عام ١٩٧٢م (٢٥٥) مليون دولار وارتفع هذاالرقم في العام التالي الى (٣١٠) ملايين دولار، فضلاً عن الميزانية السرية لهذا الجهاز.

وقد سعى جهاز الساواك في هذه المرحلة الى الحيلولة دون إقامة أية تجمعات سياسية او اضرابات . حتى لو استدعى الامر استخدام العنف والبطش لمنع ذلك[٤].

وقد شاعت أنباء بطش الساواك وقسوته في هذه المرحلة على الصعيد العالمي ، حيث أعلن الامين العام لمنظمة العفو الدولية عام ١٩٧٥ انه لا توجد صحيفة اعمال دولة أسوأ من صحيفة أعمال الحكومة الايرانية فيما يخص حقوق الانسان وقد وجّه نشر تقارير منظمة العدل الدولية واللجنة الدولية للحقوقيين ضربة مؤثرة الى سمعة نظام الشاه عالمياً، ووفقاً لتلك التقارير فان جلادي الساواك يستخدمون شتى اساليب التعذيب فضلاً عن استخدام الصدمات الكهربائية والضرب المبرح فانهم يلجأون الى أساليب اكثر وحشية وقسوة، مثل إجلاس المعتقلين على قناني زجاجية مكسورة، وتعليق أثقال بالخصى، ووضع قبعات على رؤوس المعتقلين تعمل على عكس صراخهم الى آذانهم مما يؤدي الى انهيارهم عصبياً.

كما يجري الاعتداء جنسياً على المعتقلين السياسيين ، وقد يلجأ المعذِّبون الى استخدام حيوانات وحشية ـ كالدببة ـ لهذا الغرض، والاعتداء الجنسي يستخدم كوسيلة لانتزاع الاعتراف وتعذيب المعتقلين نفسياً، كأن يقوم الجلادون بالاعتداء على الزوجة او البنت أمام الزوج او الاب[٥].

وورد في هذه التقارير أن جلاوزة الساواك كانوا يعتقلون من يريدون بعيداً عن أية ضوابط او قوانين، كما كان هذا الجهاز يعتقل الاشخاص متى ما يريد ولا يعترف بأية حقوق للمعتقلين، أي أنه كان يمتلك قوة استبدادية مطلقة ويرتكب ما يحلو له من جرائم[٦]. أما المحاكم العسكرية فقد تحولت الى آلة بيد الساواك اذ كانت تجري فيها المحاكمات السياسية خلافاً للدستور.

اما اختيار القضاة، فكان المعيار فيه ، مدى الولاء والطاعة للساواك ، كما انهم لم يكونوا يدرسون القضايا المطروحة أمامهم ولا يجرون التحقيق الكافي، بل يصدرون الاحكام ويفرضون العقوبات التي تُملى عليهم. ولم يبق هناك أي وجود للمحامي المدافع عن المتهم. وكانت النتيجة أن يجري اعتبار عمل معيّن جريمةً بينما القانون لا يعتبرها كذلك.

كما كان الساواك ينسب اعمالاً معينة الى من يشاء من المتهمين ، بدون أي مستمسك ثبوتي،

وفي قرار الحكم، يجري الاستناد الى مستمسك واحد فقط هو تقارير الساواك. او قد يجري الحكم على شخص بالاعدام لاحتمال قيامه بعمل لا يعتبره القانون جريمة حتى لو وقع بالفعل.

وكان على المتهم أن يدافع عن نفسه وفقاً لما تراه المحكمة، وإلاّ فان المحكمة لا تسمح له بالدفاع، ولهذا كان الكثير من المتهمين يمتنعون عن الدفاع ويتقبلون أي حكم يصدر بحقهم، كما كانت القيود المفروضة على السجناء السياسيين أكثر بكثير من تلك المفروضة على العاديين.

وكان الساواك يستخدم سجن «القصر» وسجن «ايفين» وسجن «قزل قلعه» في طهران لعمليات الاعتقال والتعذيب، إضافة الى معتقلات اخرى في تبريز، وشيراز، ورشت، واراك، وبندر عباس، ومشهد، ومهاباد، وبرازجان، وبوشهر، وزاهدان، وسمنان، وكرمانشاه.

كما لم يكن عدد المعتقلين معروفاً في أي وقت من الاوقات، وكانت القيود المفروضة على السجناء مشدَّدة جداً بحيث إن أي تصرف يخالف ذلك كان يؤدي بمرتكبه الى السجن الانفرادي لعدة اشهر[٧].

اما السجناء السياسيون الذين يعلنون ندمهم أمام المحكمة او الذين يعلنون استعدادهم لإعلان الندم والتوبة والبراءة من المواقف السابقة، من خلال وسائل الاعلام، فقد كان يجري تخفيف الاحكام الصادرة بحقهم، وأحياناً يجري العفو عنهم واطلاق سراحهم مما يدفع الساواك الى استغلال ذلك إعلامياً.

ولم يكن انتهاء مدة محكومية المعتقل يعني بالضرورة اطلاق سراحه، فالكثير منهم لا يطلق سراحهم لأسباب وذرائع واهية حتى إن سجن «القصر» يضم جناحاً خاصاً بأمثال هؤلاء.

نظام الشاه كان يدّعي عدم وجود أي سجين سياسي في ايران وان السجناء هم من المجرمين العاديين فقط. صحيفة التايمز الصادرة بتاريخ ٩ حزيران ١٩٧٧ نقلت عن الشاه ادعاءه ان في ايران (٢٢٠٠) سجين مجرم سياسي بينما أعلن المراقبون الأجانب في الفترة نفسها ان عدد هؤلاء يتراوح بين ٢٥ و ١٠٠ الف سجين، والاهم من ذلك؛ أعمال التعذيب التي تمارس ضد السجناء والتي أصبحت شيئاً عادياً واتخذت اشكالاً وصوراً مختلفة.

وقد لاحظ الصحفيون الاجانب الذين استطاعوا حضور بعض المحاكمات، آثار التعذيب على أجسام المتهمين وعكسوا ذلك في وسائل اعلامهم. وقد شمل التعذيب كل فئات الشعب خاصة علماء الدين الذين كانوا يؤمنون ويصرون على زعامة الامام الخميني وقد استشهد منهم تحت التعذيب عدد كبير، أبرزهم آية الله سعيدي ومن بعده آية الله غفاري في شهر كانون الثاني ١٩٧٥[٨].

ولما كان الساواك قد شمل جميع أرجاء البلاد بظلمه واستبداده، فقد كان التعذيب في كل مكان، حيث اصبح الواجب الاول للساواك، كشف كل من يعارض الحكم الدكتاتوري الشاهنشاهي وقمعه، ولم يكن جلاوزة الامن السريون يكفون لهذه المهمة، لذلك لجأ الساواك الى أساليب أُخرى من قبيل بث الرعب في قلوب الناس وإشعارهم بأن الساواك يراقبهم جميعاً ودائماً، فطلاب الجامعة مثلاً يعلمون أن الشوارع المحيطة بالجامعة تضم مراكز عديدة للساواك.

وهكذا عمد هذا الجهاز القمعي الى إشاعة حالة التشكيك وسوء الظن في صفوف المعارضين، حتى أنه كان يصدر كتباً ومجلات ويستغلُّ لهذا الغرض رموزاً من المعارضين القدامى، كما استطاع التغلغل الى مجالس (٦٠٠) من النقابات العمالية، وبذل جهده لاستمالة العمال الى جانب الحكومة، حتى بلغ التشكيك وسوء الظن حداً جعل الناس يشككون في أي صوت معارض يعلو من هنا أو هناك، ويعتبرونه من فعل الساواك نفسه. وفضلاً عن ذلك فقد سعى الساواك الى نشر روح العداء والكراهية بين صفوف المعارضين بحيث يقوم كلٌّ منهم باتهام الآخر بأنه من عملاء الساواك، وكان ذلك اسلوباً ناجحاً في اضعاف معنويات المعارضين.

ومنذ عام ١٩٧٣، أصبحت طهران مركزاً لإدارة نشاطات وكالة المخابرات المركزية الاميركية (سي، آي، أيه) في الشرق الاوسط، بعد ما كان في نيقوسيا، وقد تم لهذا الغرض تعيين الرئيس السابق للوكالة، ريتشارد هلمز، سفيراً لأميركا في طهران خلال الاعوام ١٩٧٣ ـ ١٩٧٦ ليقوم بالمهمتين معاً.

ويقدم هارولد ايرنبرغر في كتابه «الساواك أو الجلاد الصديق للغرب» بحثاً تفصيلياً عن التعاون الواسع بين الساواك وأجهزة مخابرات الدول الاخرى كما يقدّم مستمسكات ووثائق تؤكد أن مخابرات دول اخرى كانت توصل للساواك اسماء من يكتبون او يمارسون نشاطات ضد النظام الايراني في الخارج. ويضيف ايرنبرغر أن لنظام الشاه ومخابراته السرية علاقة وثيقة بالاتحاد السوفيتي (سابقاً).

٥ـ اللجنة المشتركة لمكافحة التخريب:

من يعرف الساواك لا بدّ وان يكون قد سمع بما يسمى باللجنة المشتركة لمكافحة التخريب، كما ان جلّادي التعذيب في هذه اللجنة ظلوا من اكثر الجلاوزة نذالة. يعود تاريخ تأسيس هذه اللجنة الى عام ١٩٧١، وممارسات وجرائم اللجنة لا بد وأن يخصّص لها كتاب منفصل. وعندما اغتيل رئيسها المدعو العميد زندي بور، قام الجلاوزة بقتل (٩) من السجناء السياسيين بأبشع

صورة، انتقاماً لمقتله حيث أعلنوا في ١٩ نيسان ١٩٧٥ أن هؤلاء السجناء حاولوا الفرار اثناء نقلهم الى سجن آخر، فأطلق الشرطة النار عليهم.

٦ـ نشاطات الساواك خارج البلاد:

خصص الساواك ميزانية ضخمة لنشاطاته خارج البلاد، إذ أوجد شبكة واسعة من خلال وزارة الخارجية لمراقبة الايرانيين في الخارج[٩]، حتى أن اجراءات المراقبة كانت تواجه باحتجاج مسؤولي بعض الدول، إلاّ ان الساواك كان يتمتع بدعم المخابرات الاميركية ويقوم بالمقابل بتقديم كل انواع الدعم لها والتعاون معها[١٠]. وغالباً ما كان يستفيد من خبرات المتخصصين الاجانب المحالين على التقاعد[١١].

وهكذا أصبحت وزارة الخارجية وممثلياتها قاعدة لنشاطات الساواك في الخارج، كما كان هذا الجهاز يرسل أفراده من الضباط والشرطة الى الخارج لتنفيذ المهام، تحت ستار الدراسة او لأغراض أُخرى[١٢]. وقد أدت تقارير جلاوزة الساواك عن سياسات المنظمات الدولية وممارساتها مثل الصليب الاحمر ومنظمة العفو الدولية، الى منع دخول ممثلي هذه المنظمات الى ايران[١٣].

وقد حظيت نشاطات الساواك خارج البلاد بدعم مسؤولي شبكات المخابرات والتجسس الغربية، وخاصة نشاطات الساواك في دول الخليج الفارسي ومصر ولبنان[١٤] التي سجّل فيها أفراده تفوُّقاً كبيراً فلم يقع أيٌّ منهم في الفخ ولم يكشف أمره. وخلال الاعوام من ١٩٦٩ الى ١٩٧٢، قام الساواك بتحريض الاكراد البرزانيين العراقيين ضد النظام العراقي، وكان يوفّر الظروف المناسبة لزيارة الصحفيين الأجانب لمناطق الاضطرابات، كما انشأ شبكة أمنية للمحافظة على حياة البرزاني[١٥].

٧ـ الساواك في المرحلة الرابعة:

هذه المرحلة تشمل العامين الاخيرين من عمر نظام الشاه، حيث شاعت أجواء الحرية السياسية النسبية، وادعى ازلام النظام أنهم أوقفوا أعمال التعذيب، واستبدل الشاه نصيري بـ«ناصر مقدّم» لرئاسة جهاز الساواك. لكن المنظمات الدولية ظلت تنفي توقُّف عمليات التعذيب في ايران[١٦].

في عام ١٩٧٧ التقى رئيس منظمة العفو الدولية مارتين أنالزا بالشاه فاكد له الأخير توقُّف كلّ عمليات التعذيب في ايران. وفي ٣٠ ايلول ١٩٧٨ كرر الشاه في حديث لصحيفة اشتيرن

الالمانية نفس الادعاء، لكن انالزا قال فيما بعد ان هذا الادعاء مجرّد أمر وهمي لان ايران هي احدى الدول التي اقترحت في الامم المتحدة اصدار قرار يقضي بتحريم التعذيب في أنحاء العالم، وكان عليها ان تتوقف عن التعذيب بموجب المعاهدة الدولية حول الحقوق المدنية والسياسية، لكنها استمرت بالتعذيب بالرغم من كلّ ذلك[١٧].

هوامش الفصل التاسع

(١) هناك من يخلط بين جهاز الساواك ولجنة الامن الاجتماعي، فهذه اللجنة سنّ قانونها الأولي الدكتور محمد مصدق وهي مؤلفة من رؤساء الشرطة والدرك ومديرية الامن والمدعي العام، ومهمة هذه اللجنة نفي الاشخاص الذين يخلّون بأمن البلاد، وقد تم نفي العديد من الاشخاص بأمر هذه اللجنة خلال العهد البائد (راجع كتاب «٣٠ تير ٣١» للدكتور محمود كاشاني).

(٢) منذ عام ١٩٥٥ تدفق عدد كبير من ضباط الجيش الايراني على اميركا ليتلقوا التدريبات ـ في مركز القوة البحرية الواقع في كوانتينكو في ولاية فرجينيا ـ على كيفية قمع الاضطرابات، كما اتجه بعضهم الاخر الى مقر المخابرات المركزية الاميركية في «لنكي» لنفس الغرض. ومنذ عام ١٩٧٠ كان يتجه حوالي ٢٥٠ ضابطاً ايرانياً الى اميركا كل عام ليتلقوا التدريبات في مجال أساليب مواجهة الاضطرابات. (كتاب «ايران بر ضد شاه» تاليف احمد فاروقي / ترجمه الى الفارسية مهدي نراقي / الصفحة ١٤٣).

(٣) اعتقل تيمور بختياز في لبنان بتهمة تهريب الاسلحة الى هذا البلد، فطالبت ايران بتسليمه لها، لكن الحكومة اللبنانية برئاسة شارل حلو وبضغط من المعارضة الايرانية هناك، أطلقت سراحه مما أدى الى قطع العلائق الاقتصادية والسياسية بين ايران ولبنان، وفي شباط ١٩٦٩، وصل بختيار الى بغداد واستُقبل، استقبالاً خاصاً هناك.

(٤) أهم إضراب في هذه المرحلة هو اضراب (٤٠٠٠) عامل في معمل صناعة الاقمشة في كرج قرب طهران. ففي ٢٩ نيسان أضرب عمال هذا المعمل احتجاجاً على ظروف العمل الصعبة وقلّة الاجور، واتجهوا الى طهران، حيث قام رجال الأمن ومعهم الشرطة والجيش بفتح النار عليهم مما أدى الى مقتل وجرح المئات من العمال (صحيفة آيندگان في ٤ نيسان/١٩٧٩).

(٥) انظر: الساواك أو الجلاّد الصديق للغرب / تأليف هارولد ايرنبرغر / نقلاً عن صحيفة آيندگان في ٧ نيسان ١٩٧٩.

(٦) في الوقت الذي كان ممنوعاً فيه تداول المخدرات وبيعها في البلاد، كانت للساواك حصة معينة ورسمية من الافيون ولم يكن احد يدري أين يجري استهلاكها، وتتضمن الوثائق التي نشرت في ١٥ تموز ١٩٧٩ طلباً تقدم به نصيري (رئيس الساواك) للحصول على ١٠ كيلوغرامات من الافيون.

(٧) المنظمة الدولية لحقوق الانسان تصف ظروف السجن كالاتي:

«قبل المحاكمة يوضع المعتقلون في زنزانات صغيرة ورطبة خالية من الفراش، تفتقر الى التدفئة شتاءً والى التبريد صيفاً، امكانات الغسل والتنظيف قليلة جداً، والطعام قليل وغير جيد، والخدمات الصحية مفقودة تقريباً».

(٨) انظر مجلة پيام انقلاب ـ ١٩٨١/١١/٢٠م.

(٩) مناقشات مجلس الشيوخ الاميركي كشفت أن هناك خمس دول كانت تمارس نشاطات لمراقبة معارضيها والتجسُّس عليهم داخل اميركا، وهذه الدول هي: الفيلبين وتايوان، وتشيلي، واسرائيل، وايران. وقد تمثلت نشاطات هذه الدول بإرسال فرق اغتيالات للقضاء على المعارضين، وقد كشف مجلس الشيوخ الاميركي أن الشاه المقبور هدَّد المسؤولين الاميركيين مراراً خلال السنوات الثلاث الأخيرة من حكمه بطرد موظفي المخابرات الاميركية في طهران في حالة مضايقة جلاوزة الساواك في أميركا، وقد أبلغ ذلك لواشنطن سفيرها في طهران ريتشارد هيلمز الذي نصح حكومته عام ١٩٧٦ بعدم مضايقة نشاطات الساواك في اميركا لأنهم ـ ويعني أعضاء السفارة الاميركية ـ يعيشون في جو مخابراتي ومعرضون للاذى وهذا ما نصح به مسؤولي حكومته سوليفان أيضاً، آخر سفير لاميركا في ايران، وقد استمر التعاون بين الشرطة السرية الفدرالية في اميركا والساواك مدة (١٥) عاماً استطاع خلالها الأخير أن ينظم الانشطة غير الدبلوماسية (اي الامنية والبوليسية) لايران في اميركا على أحسن وجه ممكن. (صحيفة اطلاعات ـ ٢٧/آب/١٩٧٩).

(١٠) من بين الاجانب الذين كانوا يتولون توجيه جهاز امن الشاه (الساواك) شخص يدعى فريتز كانسمان، وهو أحد قادة القوات الالمانية، وكان يرأس شرطة مدينة لوف بعد احتلال اوكرانيا من قبل النازيين، وهو مسؤول عن قتل الكثير من سكان غاليسيا الشرقية. وقد كان هذا الشخص يتولى تدريب جلاوزة الساواك على المطاردة والمراقبة والتعذيب. (انظر: ايران بر ضد شاه (فارسي) صفحة ١٤٧).

(١١) يوضح خلعتبري تغلغل الساواك في وزارة الخارجية فيقول:

«... كان الساواك يسعى دائماً الى توسيع نفوذه في أقسام وزارة الخارجية بشتى الطرق، ولهذا فقد كان لها في الوزارة ممثلون رسميون إضافة الى عناصر سرية الى جانب دائرة الحراسة والسفراء الاعضاء في الساواك والخبراء في المجالات المختلفة ويمكن تقسيم عناصر الساواك في الممثليات الدبلوماسية الايرانية الى ثلاثة اقسام:

١ـ شخص أو عدّة أشخاص يرسلون الى السفارات بموافقة وزارة الخارجية وهؤلاء يحملون صفة سياسية ورسمية.

٢ـ شخص او عدّة أشخاص سريّين، يعملون في السفارات ويحملون صفات مختلفة، وقد يكون هؤلاء من منتسبي وزارة الخارجية نفسها لكنهم يمارسون في الوقت نفسه تعاونهم مع الساواك، او قد يكونون من الايرانيين المقيمين في الخارج او من أتباع تلك الدولة الذين يعملون بصفة موظف محلي.

٣ـ بعض الموظفين او المستخدمين المحليين كالمستخدمين والسواق من الايرانيين او الاجانب (من محاضر جلسات استجواب خلعتبري بتاريخ ١٩٧٩/٤/٧).

(١٢) في نهاية عقد الخمسينات، تم ارسال مجموعة من العسكريين والمسؤولين المدنيين الى إسرائيل لتلقّي تدريبات على يد الموساد، حيث اصبحت العلائق بين الساواك والموساد متينة جداً، وقد نشطت هاتان المنظمتان خلال الحرب اليمنية ـ المصرية. ومنذ عام ١٩٦٠ أصبح الاردن مركزاً لعمليات الساواك ضد الدول العربية، وبالرغم من العلائق المتينة التي كانت تربطه بالموساد، الاّ ان الساواك ظلّ عميلاً للمخابرات المركزية الاميركية التي كان يعمل (٥٠) من أفرادها في ايران، إضافة الى مئات الاشخاص الآخرين الذين ينتحلون صفة فنيين إلاّ انهم في الحقيقة كانوا يعملون لصالح المخابرات الاميركية، ولهذا فقد سعى الاميركيون الى إقرار أمن السلطات الحاكمة واستقرارها في ايران، وقدمت اميركا لايران خلال عام ١٩٧٨ (٥٠) ألف قنبلة مسيلة للدموع و٣٥٦ ألف قناع واقٍ من الغازات و٤٣٠٠ مسدس لمواجهة الانتفاضة الشعبية الاسلامية طيلة ذلك العام. (صحيفة انترنشنال هيرالد تريبيون ١٤/تموز/١٩٧٨).

(١٣) يقول خلعتبري: «بعدما نشرت الصحف وأصدرت المنظمات المختلفة في دول العالم تقارير عن أعداد السجناء السياسيين في ايران وظروف السجون والتعامل غير الانساني مع السجناء تقدمت منظمة الصليب الاحمر الدولي بطلب الى الحكومة الايرانية، بموجب الاتفاقات الدولية، لزيارة السجون الايرانية ودفع تقارير للمسؤولين الايرانيين عنها، وقد وافقت الخارجية على هذا الطلب احتراماً منها للمعاهدات الدولية لكن الساواك رفض ذلك، الاّ ان الشاه وافق على رأي الخارجية، وأبلغ الساواك بالسماح لممثلي الصليب الاحمر الدولي بتفقّد السجون وترك الحرية لهم للتحقيق في الامر، وهكذا فقد جاءت ثلاثة وفود الى ايران على ثلاث دفعات». (من اعترافات خلعتبري حول الساواك).

(١٤) نيوزويك ـ ١٤/تشرين الاول/١٩٧٤.

(١٥) ايران دكتاتورى وتوسعه/ تأليف فرد هاليدي.

(١٦) منظمة العفو الدولية اعلنت في ١١ كانون أول ١٩٧٨ أن المعتقلين السياسيين لازالوا يعذّبون على يد الشرطة والساواك خلافاً لما يدّعيه الشاه من عدم وجود ذلك وكان وفد قد تفقد ٧ مدن ايرانية في تشرين الثاني وجمع معلومات دقيقة حول وجود

التعذيب.

كما أعلن عن حالات اختفاء أشخاص وموت آخرين تحت التعذيب إضافة الى إعطائه تفاصيل عن حالات التعذيب مع ذكر الاسم والتاريخ والمكان (صحيفة آيندگان ١٩٧٩/١/١٤ نقلاً عن نشرة لجنة الدفاع عن حقوق المعتقلين السياسيين).

(١٧) المصدر السابق نفسه.

الفصل العاشر

السياسة الخارجية

١ ـ نظرة عامة:

لانريد في هذا الكتاب الخوض في تفاصيل السياسة الخارجيه لايران خلال العهود الماضية. اننا وخلال استعراضنا للتاريخ السياسي المعاصر لايران بحاجة الى استعراض بعض العلائق الخارجية التي كانت تربط ايران بالدول الاخرى. فالسياسة الخارجية لايران تحظى بأهمية كبيرة نظراً للموقع الجغرافي والاستراتيجي لهذا البلد، وامتلاكه النفط ومصادر الطاقة والموارد الطبيعية الوفيرة؛ ولم تكن السياسة الخارجية لايران بمعزل عن السياسة العامة، بل كانت وجهاً بارزاً لها. وخلال الفترة التي نحن بصدد الحديث عنها الآن، كان مسؤولو الحكومة يسمون السياسة الخارجية لايران بـ«السياسة الوطنية المستقلة» لكنها لم تكن في الحقيقة مستقلة ولا وطنية، فهي تتجاهل أماني الشعب وطموحاته ومطاليبه، فالنظام المستبد سلب الشعب حرية ممارسة حقه في تقرير سياسته ونهجه، والذين نُصِبوا كمسؤولين، كانوا ـ أساساً ـ اشخاصاً لايمتلكون اهلية اتخاذ قرار باسم الشعب. وكانت النتيجة، رضوخ الحكام للقوى الاجنبية، وانسحب تأثير ذلك على السياسة الخارجية التي أضحت غير شعبية وتفتقد الاستقلالية. فالدعم الشعبي ينتج عنه دائماً سياسة مستقرة مستقلة، وبفقدان هذا الدعم تلجأ السياسة الخارجية الى الاعتماد على دعم أجنبي، وكلّما زاد الاعتماد على هذا الدعم اصبحت استقلالية السياسة الخارجية في مهب الريح أكثر فاكثر.

وقد كان النظام الملكي يبحث عمن يعتمد عليه ويحتمي به، من أجل ضمان بقائه. وفي الوقت نفسه، كان يمنح امتيازات وتسهيلات للقوى العالمية الاخرى للتخلّص من منافستها واتقاء نتائج التنسيق الدولي ضده، كل ذلك من أجل تحقيق هدفه الاساس ألا وهو البقاء في سدة الحكم

وممارسة الاستبداد.

وقد اطلق النظام الملكي على سياسة الخضوع ـ خضوعه لجميع القوى الكبرى ـ اسم (الاستقلال)! وأخذ يطبّل لها في وسائل الاعلام العالمية وينفق من أجل ذلك الكثير، ويكرر هذه العبارات خلال الكلمات البروتوكولية التي يلقيها في المآدب المقامة للضيوف الاجانب وكذلك في المحافل والمنظمات الدولية.

وبإبرام اتفاقية النفط عام ١٩٥٤، وما تبعها من قيود والتزامات، اصبحت ايران خاضعة عملياً للسلطة الاميركية، وبدخولها في حلف بغداد عام ١٩٥٥، أصبحت حليفاً عسكرياً للغرب، بعدها حصلت على تعهدات أميركية بتزويدها بالمعدات العسكرية وفقاً لاتفاقية عُقدت عام ١٩٥٩.

وطبيعي ان هذه السياسة كانت تتعارض مع مصلحة الشعب الايراني. كما ان إقامة علائق اقتصادية وتعاون فني مع الاتحاد السوفيتي وباقي دول المعسكر الشرقي، استهدفت إرضاء قطب آخر للمستكبرين.

وخلال السنوات الاخيرة من عمر النظام البائد، ازدادت العائدات النفطية بشكل كبير جداً، فبادر النظام الى ممارسة «الكرم الحاتمي» من خلال تقديم الهبات السخية الى الدول الاستكبارية للحصول على رضاها. وفي كانون الثاني عام ١٩٧٥ صرح الشاه لصحيفة السياسة الكويتية بأنه قام بعد ارتفاع أسعار النفط بتقديم قروض واعتمادات مالية كبيرة لصندوق النقد الدولي والبنك الدولي وبريطانيا وباقي الدول الرأسمالية المتقدمة، كما اعلن بصراحة ان ايران تحتَ الغرب[١].

وفي تلك الفترة نفسها، اعلن رئيس الوزراء هويدا أن المبلغ الاجمالي الذي قدمته ايران عام ١٩٧٤ كمساعدات او قروض للدول الاخرى بلغ (٩) مليارات دولار، وهكذا نرى ان النظام الشاهنشاهي قد استغل عائدات النفط في دعم الدول الاستعمارية وتقوية الاحتكارات العالمية التي كانت تعاني من ازمة اقتصادية حادة، كما عمل على شراء السلاح من أجل تشغيل مصانع السلاح الغربي ومعالجة مشكلة البطالة في تلك الدول.

فخلال الاعوام من ١٩٧٢ ـ ١٩٧٤ بلغت قيمة مشتريات السلاح من أميركا (٨ر٦) مليار دولار، بعدها اتجه النظام الى شراء السلاح من بريطانيا وألمانيا الغربية وبهذا الاسلوب كان يعيد

الحجم الاكبر من عائدات النفط الى الدول الغربية[٢]. لكن النظام الشاهنشاهي كان مسروراً بكونه شرطي الخليج الفارسي الذي كان طريقاً للمصالح الغربية.

٢ـ دور ايران في الخليج الفارسي:

الخليج الفارسي هو أهم منفذ بحري يربط ايران بالعالم فضلاً عن بحر الخزر، وفي هذ الخليج، تكمن اهم الاحتياطات النفطية واكبرها، كما يتم عبر الخليج الفارسي تصدير النفط الايراني الى أنحاء العالم.

الحكومة الايرانية كانت تعتبر البحرين جزءاً من اراضيها تحتله بريطانيا بشكل غير قانوني، وفي عام ١٩٢٧ تم طرح الامر على عصبة الامم، وخلال التقسيمات الادارية التي جرت عام ١٩٣٦، اعتبرت الحكومة الايرانية البحرين المحافظة الايرانية الرابعة عشرة.

إلاّ ان الدول العربية، الخاضعة للسياسة البريطانية ـ وبسبب كون غالبية سكان هذه الجزر من العرب ـ لم توافق على خضوعها للسيطرة الايرانية، حيث جرى أخيراً منح الاستقلال لها وفقاً للاتفاق الذي تم بين الشاه والحكومة البريطانية بوساطة ممثل الامين العام للامم المتحدة واستناداً الى قرار مجلس الامن ورأي غالبية سكان الجزر. ثم قامت الحكومة الايرانية غير الشرعية بالاعتراف بالبحرين وأقامت معها علائق دبلوماسية.

وبعد تخلّي بريطانيا عن قاعدتها الجوية في البحرين، اقامت اميركا قاعدة جوية لها في هذه الجزر. وعقب انسحاب القوات البريطانية من امارات الفجيرة ورأس الخيمة وابوظبي والشارجة، تم تأسيس اتحاد الامارات العربية، إلا أن ايران اشترطت هيمنتها على جزرها الثلاث الصغيرة (طنب الكبرى وطنب الصغرى وابوموسى) للاعتراف رسمياً بالاتحاد، اذ لم تكن بريطانيا تسمح لايران بالهيمنة على هذه الجزر، خلافاً لكل القوانين الدولية.

وبعد مفاوضات ايرانية ـ بريطانية، وباعتبار ان ايران كانت تتولى مسؤولية الحفاظ على أمن الخليج الفارسي ومضيق هرمز الذي تقع فيه الجزر الثلاث فقد تم الاتفاق عام ١٩٧١ على فرض السيطرة الايرانية على هذه الجزر، وفي مقابل ذلك اعترفت الحكومة الايرانية رسمياً باتحاد الامارات العربية[٣] إلاّ ان العراق اعلن احتجاجه على ذلك وترجمه بقطع روابطه مع ايران.

وبعد خروج القوات البريطانية من المنطقة، اصبح النظام الشاهنشاهي شرطياً فيها، وتأتي

مرابطة القوات الايرانية في ظفار في هذا السياق. وكانت ايران تدعو رسمياً الى اعلان منطقة المحيط الهندي والخليج الفارسي منطقه أمن وسلام، وكانت تتظاهر بمعارضتها لأي تدخل أجنبي في شؤون هذه المنطقة، لكن الحقيقة العملية كانت على العكس من ذلك، فالقواعد العسكرية الاميركية كانت تزداد وتتوسع كلّ يوم، ولم يعترض الشاه على تمركز قوات اميركية في (ديغوغارسيا) وجزيرة (مصيره) المحاذية لسواحل عمان.

وفي عام ١٩٧٤ اجرت القوات الايرانية مناورة مشتركة مع قوات حلف السنتو في الجزء الشمالي من المحيط الهندي. والى جانب السنتو شكلت ايران حلفاً مع الباكستان وتركيا للتعاون والعمران الاقليمي عام ١٩٦٦، ويتضمن تعاوناً مشتركاً في مجالات النقل والاتصالات، والتجارة والملاحة البحرية، والسياسة والتخطيط، حيث تتفرع من هذا الحلف لجان الصناعة والنفط والتجارة والمواصلات والشؤون الاجتماعية، وفي مجال خطوط السكك الحديد تم انشاء خط بين ايران وتركيا، وكان مقرراً ان يتصل الخط بباكستان عن طريق كرمان.

كما كانت ايران ـ ومازالت ـ عضواً في الاوبك، وفي عام ١٩٧٣ حصلت ايران على عائدات كبيرة جداً جراء ارتفاع أسعار النفط فقامت بانفاقها عبثاً وقد كانت الحكومة الايرانية تعتبر النفط قضية اقتصادية فقط، فلم تشترك في المقاطعة النفطية العربية للغرب.

وفيما يخص العدوان الاسرائيلي واحتلال فلسطين، فقد كانت ايران تتظاهر بتأييد قرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٧ وتطالب بانهاء الاحتلال، اما علائق ايران بالاردن والمغرب ومصر (في عهد السادات) [٤]، فقد كانت متينة جداً بسبب الروابط القوية التي كانت تربط الشاه بزعماء هذه الدول، والنهج الرجعي لأنظمتها، وتبعيتها للمعسكر الغربي، وكذلك الحال مع حكومتي باكستان وتركيا حيث كانت علائق نظام الشاه بهما قوية بسبب وجود الثلاثة في حلف السنتو وكونهم في جبهة واحدة.

وفيما يخص روابط نظام الشاه بمنظمة التحرير الفلسطينية، فقد سعى الشاه الى إقامة نوع من العلاقة معها، بحث يحافظ من خلال ذلك على منزلته امام العرب والمسلمين، دون ان يؤثّر ذلك على علاقته باسرائيل [٥].

وكان الشاه يرغب في ان تكون له في كل بلد سفارة، وفي هذا الصدد قال وزير خارجيته « ... خلال السنوات الاخيرة، توسعت العلائق الايرانية مع دول العالم الثالث حيث شهدت

هذه السنوات افتتاح (١٤) سفارة لايران في دول افريقيا واميركا اللاتينية، كما اعطت ايران مساعدات وقروضاً عديدة لهذه الدول، وقد كان وزير الاقتصاد والمالية يقوم بذلك تنفيذاً لأوامر مباشرة من الشاه، ثم يقوم الوزير بابلاغ ذلك الى وزارة الخارجية».

وعن علائق نظام الشاه بدول المعسكر الغربي اي (اوروبا الغربية واستراليا واليابان) قال خلعتبري وزير خارجية الشاه «... هذه العلائق كانت متينة وودية جداً، وقد شهدت في السنوات الاخيرة توسعاً اكبر، كما أنها اتخذت بعداً جديداً يتمثل في الجانب المالي والاستثماري الذي ظهر بعد ازدياد عائدات النفط وتزامنه مع الركود الاقتصادي في الدول الصناعية الغربية. وقد كانت الاتفاقات والاستثمارات تتم بأمر مباشر من الشاه ومن خلال وزير الاقتصاد والمالية..».

ويضيف «... هذه المناقشات السياسية كانت تستهدف ـ في الواقع ـ الهيمنة على السوق الايرانية والحصول على أرباح اكثر، وذلك من شأنه أن يعالج البطالة وينقذ اقتصاد تلك الدول التي تعاني من أزمة اقتصادية حادة.

ولم تكن سفارات الدول الأُخرى، هي وحدها التي تحرك عملية المنافسة، بل كانت الشركات التجارية العالمية وحتى الثقافية منها، اضافة الى المجموعات المالية والمصرفية العالمية، تلعب دوراً كبيراً في ذلك، اذ سعت الى التغلغل والوصول الى مراكز القوى لتحقيق أهدافها.

وقد كان البلاط مركزاً لكل القوى في ايران، اذ كان رجال البلاط اضافة الى اصدقاء الشاه والمقربين اليه من خارج القصر، سواء العسكريين منهم او المدنيين، كل هؤلاء كانوا يستعينون بأشخاص آخرين ينفذون لهم مايريدون ليظلوا هم بعيدين عن الانظار لكن ذلك لم ينفع، فانكشفت اسماؤهم وأصبحت الألسن تتناقل أخبارهم وتحركاتهم».

٣ ـ العلائق مع اسرائيل:

كان نظام الشاه يناصر اسرائيل ويؤيدها بكل معنى الكلمة، فهو يمتلك علائق اقتصادية واسعة معها، ويزوّدها بما تحتاجه من النفط، ويفتح أسواق ايران بوجه البضائع الاسرائيلية. كما ان تبادل المعلومات بين الساواك والموساد كان قائماً على قدم وساق. ومع هذا، لم تكن العلائق الايرانية الاسرائيلية سياسية رسمية، بل كانت روابط متينة واسعة غير معلنة وفاقدة

للغطاء الرسمي السياسي. فقد وافقت ايران على افتتاح مكتب للوكالة الدولية لليهود في طهران [٦]، والتي كان عملها يتركز على تسهيل مهمة هجرة اليهود الى اسرائيل. وفي المقابل وافقت اسرائيل على تولّي سويسرا رعاية المصالح الايرانية في اسرائيل حيث أُسس مكتب في السفارة السويسرية تحت اسم (مكتب رعاية المصالح الايرانية). وكان يرأس هذا المكتب موظف سويسري في السفارة.

ومع ازدياد نشاطات المكتب وارتفاع عدد اليهود الايرانيين المهاجرين الى اسرائيل وكذلك توسُّع الاتصالات والتعاون بين مؤسسات وجهات ايرانية عديدة واسرائيل خاصة في المجال التجاري، وظهور حاجة الى شخص يتكلّم الفارسية، فقد طلبت الحكومة السويسرية من ايران ارسال من يمثلها الى هذا المكتب، بحيث تعطيه السفارة السويسرية صفة دبلوماسي سويسري. وفعلاً تم ذلك، وتحوّل المكتب الى ممثلية صغيرة لايران واصبح على رأسها شخص برتبة ملحق دبلوماسي، وأُطلق في وزارة الخارجية على هذا المكتب اسم «مكتب برن» نسبةً الى العاصمة السويسرية.

وفي وزارة الخارجية الايرانية، كانت الدائرة السياسية الثامنة تتولى الاهتمام بشؤون الروابط مع اسرائيل، ويشرف على ذلك المدير العام السياسي لشؤون آسيا وافريقيا. ولم تكن هذه الشؤون تتعلق بهجرة اليهود الايرانيين وعلاقتهم بذويهم الباقين في ايران فحسب، بل تعدت ذلك الى علائق تجارية وثقافية وطبية وتعاون في المجالات الامنية والعسكرية، لكن اغلب هذه العلائق والنشاطات كانت تتم دون علم وزارة الخارجية، وما كان يتم في «الخارجية» منها ما هو إلاّ جزء صغير مما هو موجود، ذلك إن هذه العلائق كان يجب ان تبقى غير رسمية لئلاّ يؤثّر ذلك على الروابط الموجودة بين ايران والدول المعادية لاسرائيل.

وقد استمرت العلائق بين النظامين على هذا المنوال، كما تبادل البلدان زيارات لوفود سرية يرأسها مساعدا وزيري الخارجية فيهما. وكان الساواك يحيط زيارات الوفود الاسرائيلية بالسرية التامة، كما كانت اسرائيل تهدف من خلال إرسال الوفود بشكل منتظم الى اقامة نوع من العلاقة السياسية مع ايران، وكانت هذه الوفود تزود ايران بمعلومات عن القضايا التي تحظى باهتمامها [٧] وهكذا استمرت هذه العلاقة حتى نهاية عمر النظام الملكي.

٤ ـ العلائق مع العراق:

خلال العهد الملكي في العراق، كان كل من ايران والعراق عضواً في حلف بغداد، وكانا ـ بذلك ـ خاضعين للغرب تماماً، وبالرغم من وجود خلافات جدودية قديمة بين ايران والعراق[٨]، الا أن الوضع لم يتطور الى صدامات مباشرة.

وبانقلاب (١٤) تموز الذي قام به عبدالكريم قاسم في العراق انتهى الحكم الملكي، الامر الذي عكّر صفو العلاقة الهادئة بين النظامين، وتطور الامر الى مواجهات حدودية[٩].

ثم جاء عبدالرحمن عارف الى الحكم، فعمل على اعادة الهدوء والتخفيف من حدة التوتر في الروابط بين البلدين، والتي سرعان ماتأزّمت ثانيةً بمجيء حزب البعث الى الحكم عام ١٩٦٨م[١٠]، اذ تحول الخلاف بين البلدين الى مواجهة غير مباشرة بين اميركا وروسيا. فارتفاع أسعار النفط ولجوء كل من البلدين الى تقوية بنيته العسكرية وشراء المزيد من السلاح، زاد من حدة تبعية كلٍّ منهما الى احدى القوتين الكبريين، فقامت ايران بـإلغاء اتفاقية ١٩٣٧، معتمدةً في ذلك على الدعم الاميركي، وادعت ان مسوغ الالغاء هو تغيُّر الظروف الدولية وعدم التزام العراق بتعهداته وكون خط الحدود يمر ـ عادةً ـ من أعمق نقطة في الانهار الحدودية، وان ذلك يعطيها الحق لالغاء الاتفاقية من جانب واحد.

اما العراق فقد رد على ذلك بالقول إن احترام الاتفاقيات الدولية أكثر أهمية من تغيير الظروف والاوضاع الدولية. وهكذا تفاقم الخلاف وأخذ كلٌّ جانب يلقي مسؤولية هذا التفاقم على الجانب الآخر.

كما كان هناك خلاف آخر حول الحدود البرية للبلدين له جذور تاريخية، لكن الاراضي المتنازع عليها لم يكن لها اية قيمة، فلاهي بأراضٍ نفطية ولا هي مناطق تمر بها انابيب نفط، وانما هي اراضٍ جرد تخلو من السكان ولا علاقة لها بالخلاف على شط العرب.

ومع كل هذا، فقد شهد عاما ١٩٧٢ و ١٩٧٣ مواجهات عنيفة، وفي ١٠ شباط ١٩٧٤ اشتعلت الحرب بين الطرفين بهدف الاستيلاء على مرتفع ٣٤٣، وتكبد الجانبان خسائر كبيرة، وبعد يومين طالب العراق بانعقاد اجتماع لمجلس الامن الذي طلب من الامين العام للامم المتحدة إرسال مندوب عنه لدراسة مشكلة الحدود وتقديم تقرير بالنتائج خلال مدة (٣) أشهر. وقد أسفر ارسال مندوب الامم المتحدة عن توقف الحرب في ٧ آذار ١٩٧٤.

اما نتائج تحقيقات مندوب الامم المتحدة فقد اكدت أن كلاً من البلدين (العراق و ايران) له خريطة حدودية تختلف عن خريطة الطرف الآخر وهذا ماسبّب الخلاف، كما أن البلدين يحشّدان قواتٍ كبيرة على الحدود مما يشكّل استفزازاً متبادلاً. واخيراً فقد أقنع هذا المندوب كلا الجانبين بتشكيل لجنة جديدة لحل الخلافات الحدودية.

وقد دفع تأجيج حرب الشمال العراقي وتمرّد الاكراد على الحكومة العراقية، النظامَ العراقيَّ الى الاسراع باتجاه حل الخلافات مع ايران. مما أسفر فيما بعد عن ابرام اتفاقية الجزائر التي لعب فيها بومدين دور الوسيط بين الشاه وصدام. فكانت الاتفاقية تتضمن أربع مواد:

١ ـ يقوم الجانبان برسم الحدود البرية المشتركة وفقاً لبروتوكول القسطنطينية لعام ١٩١٣ ومحاضر جلسات رسم الحدود لعام ١٩١٤.

٢ ـ الحدود المائية ترسم على أساس خط التالوك.

٣ ـ يقوم البلدان بإقرار الامن والثقة المتبادلة على طول الحدود المشتركة، ويتعهدان بمراقبة الحدود بدقة لمنع عمليات التسلُّل والتخريب.

٤ ـ اتفق الجانبان على أن البنود المارّ ذكرها هي كلٌّ لايتجزأ من أجل الوصول الى حل شامل، وبالنتيجة فان من البديهي ان انتهاك أية فقرة سيعتبر بمثابة إخلال باتفاقية الجزائر.

وهكذا نرى أن مواد الاتفاق السالف الذكر تبين بوضوح العوامل التي أدَّت الى توقيع هذه المعاهدة في ظل ظروف عام ١٩٧٥. فالعراق كان يريد إنهاء ازمة الشمال وقطع مساعدات الشاه للأكراد ليتسنى له السيطرة عليهم، كي يتمكن من التفرُّغ لخلافاته مع سوريا، والتحرك نحو احتلال مقعد الزعامة في الوطن العربي.

اما ايران فقد اندفعت نحو التوقيع على المعاهدة برغبة حقيقية وكان الشاه هو السبّاق الى ذلك.

فقد كان ـ هو وبلاطه ـ يواجه حملة إعلامية قوية، كما كان يخشى من لجوء العراق الى دعم المعارضة الايرانية، ثم انه ـ أي الشاه ـ لم يكن يرغب بدخول حرب قد تصيبه ببعض الاضرار، خاصة وانه لايتمتع بدعم شعبي. فقد كان يعتبر نفسه شرطي المنطقة، وعليه أن يتصرف وفقاً لرغبة أميركا في حماية الامن في المنطقة، فكيف يمكنه إذن الدخول كطرف في حرب تؤدي الى زعزعة هذا الأمن.

اما الاتحاد السوفيتي، فكانت تربطه في تلك الفترة، روابط متينة مع العراق وايران، والعلائق الواسعة في المجالات الاقتصادية والشؤون العسكرية تتضرر بالحرب بين البلدين.

كما ان اميركا كانت ترغب بحل الخلافات بينهما لأنها كانت مشغولة بمعالجة الازمة الناتجة عن الصراع العربي ـ الاسرائيلي، اذ كانت قد دعمت اسرائيل، وعليها حينذاك استمالة العرب وكسب ودّهم، ولذا فان الحرب بين ايران والعراق ستكون عقبة في هذا الطريق.

كما كانت قضية النفط تحظى بأهمية كبرى بالنسبة لاميركا واوروبا، لان الحرب بين البلدين المصدِّرين للنفط قد تؤدي الى توقف تصديره.

كلّ هذه العوامل وغيرها أدت الى إبرام معاهدة الجزائر عام ١٩٧٥، وتبدلت الروابط العراقية مع الشاه الى روابط صداقة حميمة.

٥ ـ الروابط مع افغانستان:

كانت افغانستان ـ خلال العهد الملكي ـ من الدول غير المنحازة، وتربطها علائق وثيقة بالاتحاد السوفيتي. وحسب التقسيم الدولي يمكن القول إن افغانستان كانت من مناطق نفوذ المعسكر الشرقي، ولهذا لم تكن الروابط الايرانية الافغانية خلال العهد الملكي خاليةً من الخلافات خاصة مع وجود قضية نهر (هيرمند) الذي كان عقبة كبيرة في طريق توثيق العلائق الثنائية.

وكعادتها حاولت الحكومة الايرانية الابقاء على علائق طيبة مع افغانستان، حتى انها كانت من اولى الدول التي اعترفت رسمياً بحكومة (داود خان) الذي اطاح بحكومة ظاهر شاه بالرغم من أن الشاه كان يملك علائق وثيقة بالعائلة المالكة في افغانستان.

اما داود خان فقد قام بزيارة لايران لهدفين:

الاول: التظاهر برغبته في توثيق العلائق الثنائية.

والثاني: الاطمئنان الى استمرار المساعدات المالية والاقتصادية الايرانية الى افغانستان.

وقد حصل خلال هذه الزيارة على وعود بمواصلة هذه المساعدات لان «ايران تسعى لكسب ودّ الشعب الافغاني وحبه، وهي ترغب بتطور هذا الشعب ورقيه بغض النظر عن أوضاعه الداخلية، وهي مستعدة لتقديم مساعدات اقتصادية ومالية واسعة لمكافحة الفقر في هذه البلد

الجار» . وهكذا بدأت تتوالى هذه المساعدات الكبيرة في عهد داود خان حتى ان ايران أقامت مشاريع استثمارية كبرى في افغانستان، إلاّ ان حكومة داود خان ظلت تتجاهل قضية نهر (هيرمند) بل أصبحت أكثر تصلُّباً في هذا المجال.

وبعد انقلاب (تَرَقي) على (داود خان) بادرت الحكومة الايرانية الى الاعتراف بالحكومة الجديدة بعد التشاور مع أعضاء حلف السنتو إلاّ أن عدم ثقة المسؤولين الأفغان بالحكومة الايرانية قد ازداد، ومع ذلك ظل نظام الشاه يسعى للتظاهر برغبته في مواصلة العلائق الطيبة مع افغانستان. وقد أُبلغ هذا الامر الى السفير الافغاني الجديد في طهران من قبل الشاه نفسه.

وعلى الصعيد العملي، استمرت المساعدات النفطية الايرانية، كما أصدر الشاه أمراً الى وزير الإقتصاد بدفع المساعدات التي تعهدت ايران بدفعها ـ بطلب من الافغان ـ لتشغيل معمل حياكة قندهار.

٦ ـ العلائق مع اوروبا الشرقية:

بالرغم من أن النظام الشاهنشاهي كان في خانة المعسكر الغربي، إلاّ انه سعى ـ خلال الاعوام العشرة الاخيرة من عمره ـ الى توسيع روابطه مع دول المعسكر الشرقي. وقد تبادل الشاه، زيارات عديدة مع زعماء رومانيا وتشيكوسلوفاكيا وبلغاريا وبولندا ويوغسلافيا، وأبرم معهم اتفاقيات عديدة. ففي الفترة بين ١٩٦٦ ـ ١٩٧٣ عقدت عدة اتفاقيات للتعاون الفني والاقتصادي مع يوغسلافيا، كما تعاقدت ايران مع رومانيا على استيراد الجرارات الزراعية، وإنشاء مصنع تجميع هذه الجرارات في تبريز، إضافة الى اتفاقية اخرى في هذا المجال مقابل تزويد رومانيا بكميات كبيرة من النفط. ومع تشيكوسلوفاكيا وقعت ايران معاهدات اقتصادية اسفر بعضها عن إنشاء مصانع المكائن في تبريز.

هذه العلائق الودية مع الدول التابعة للاتحاد السوفيتي استمرت حتى نهاية عمر نظام الشاه، اذ كان من المقرر ان يقوم الشاه بزيارة لهذه الدول عام ١٩٧٩، إلاّ أنه ألغاها بسبب تصاعد لهيب الثورة الاسلامية واضطراب الأوضاع الداخلية.

٧ ـ الروابط مع بريطانيا:

اتصفت العلائق الايرانية البريطانية خلال هذه الحقبة بأنها واسعة ووثيقة جداً، وكانت في توسُّع مستمر بالرغم من عدم ابرام اتفاق جديد بهذا الشأن، خاصة في المجال العسكري بحكم عضوية البلدين في حلف السنتو، ومشتريات السلاح الكبيرة التي قامت بها ايران من بريطانيا، خاصة معدات سلاح البحرية والدبابات وأنظمة الدفاع الجوي، حيث كان يصاحب ذلك ايفاد مجموعات من الضباط الى بريطانيا للتدرب على هذه الاسلحة.

وعلى صعيد الروابط التجارية، فقد كانت تحتل المرتبة الثالثة بعد العلائق مع المانيا الاتحادية واميركا، إلاّ أن البنوك وشركات التأمين البريطانية كانت أنشط من منافساتها.

اما العلائق الثقافية فقد كانت واسعة جداً، فبريطانيا كانت تأتي بعد اميركا من حيث عدد الايرانيين الدارسين فيها، كما كانت تنشط في ايران مؤسسات ثقافية وتعليمية بريطانية فضلاً عن ان اعداد الايرانيين المقيمين في بريطانيا كانت كبيرة.

وبالرغم من أن السياستين البريطانية والاميركية تسيران باتجاه واحد، إلاّ انه لم يكن بإمكان بريطانيا أن لاتنافس أميركا، اذ من المعروف أن أحد السياسيين البريطانيين قال «بريطانيا ليس لها صديق دائم او عدو دائم بل لها مصالح دائمة فقط» وهذا القول يصدق على النفوذ البريطاني في ايران. فلم يكن البريطانيون مسترِيحين للنفوذ الاميركي الجديد في ايران. كما ان مشاكل البريطانيين الاقتصادية والاجتماعية خلال الستينات ووجوب اتخاذ سياسة تقنين اقتصادي دفعت هذا البلد خلال عامي ١٩٧٠ و ١٩٧١ الى اتخاذ سياسة جديدة في منطقة شرق السويس وتخفيض وجودها العسكري من ممر السويس المائي وحتى الشرق.

هذه السياسة كانت ستؤدي الى منطقة فراغ كبير خلال تطبيقها في منطقة واسعة خاصة في الخليج الفارسي الذي يضم احتياطياً كبيراً من النفط اضافة الى اهميته الستراتيجية، الامر الذي يشكل خطراً يهدد الدول الغربية المستوردة للنفط، ولهذا كان من الضروري سد هذا الفراغ بشكل لايؤدي الى نتائج عكسية.

فكانت ايران، الدولة الوحيدة التي يمكنها لعب هذا الدور دون ان يكلّف ذلك الدول الغربية المعنية ثمناً باهضاً، فضلاً عن أن امتلاك ايران لقوات بحرية وجوية قوية يمكّنها من السيطرة وضمان أمن الطرق والممرات المائية حتى المحيط الهندي، الامر الذي سيخفّف من الاعباء الملقاة على القوات البحرية الغربية (الاميركية والبريطانية والفرنسية) الموجودة في المحيط الهندي.

٨ ـ الروابط مع الاتحاد السوفيتي:

بعد انهيار الحزب الشيوعي الايراني (توده) عام ١٩٥٣ ويأس الاتحاد السوفيتي من استمرار النشاط العلني لهذا الحزب الذي ينفذ السياسة السوفيتية بدأ السعي تدريجيا الى تحسين روابطه مع نظام الشاه، فبادر الى البدء بحل الخلافات الحدودية ودفع الاموال التي كانت تطالب بها ايران، وبالرغم من ان ايران التحقت بحلف بغداد وتجاهلت روابطها مع الاتحاد السوفيتي، الا أن موسكو لم تبدِ ردّ فعل عنيف على ذلك، وبادرت الى توسيع علائقها التجارية مع طهران، لكن ذلك لم يستمر طويلاً، اذ سرعان ما تدفّقت على ايران رؤوس الاموال والاستثمارات الاميركية مما أثار حفيظة الروس ودفعهم الى شن حملة إعلامية ضد الحكومة الايرانية.

وقد بدأت هذه الحملة عام ١٩٥٦ ووصلت الى ذروتها بين الاعوام ٥٩ ـ ١٩٦١، وفي النصف الثاني من عام ١٩٦١، توقفت المفاوضات الايرانية ـ السوفيتية أي بالضبط في نفس الفترة التي نهضت فيها القوى الداخلية بوجه النظام. وأخيراً انتهت الازمة في الروابط الثنائية. كما حققت روسيا رغبتها في توسيع العلائق التجارية[١١] مع ايران.

وبعد عدة أيام من تشكيل حكومة أسد اللّه علم التقاه السفير السوفيتي في طهران، وفي عام ١٩٦٢ بعثت الحكومة الايرانية الى نظيرتها السوفيتية مذكرة أكدت فيها أنها لن تمنح قاعدة صاروخية لأية دولة[١٢].

وبعد هذه التطورات وما تلاها من مباحثات بين الطرفين، كتبت صحيفة (ازفستيا) تقول: ان الخلافات بين ايران والاتحاد السوفيتي قد انتهت. وقد كان هذا الاتفاق بين الطرفين، بمثابة اتفاق بين اميركا والاتحاد السوفيتي، اذ رأينا كيف أن موسكو وقفت فيما بعد الى جانب الشاه عند قيامه بمهزلة الاستفتاء على الاصلاحات، ونعتت المعارضين بالرجعيين ولكن ومع كل ذلك فان خلعتبري يقول في اعترافاته «ان الخوف من الشيوعية وامكانية انتشار افكارها في ايران كان يشغل بال الشاه ويدفعه الى ابداء العديد من ردود الافعال، وكان يصرّح بذلك خلال المفاوضات، ويبني عليه سياساته وقراراته . . .» .

وعن خوف الشاه من عدوان سوفيتي يقول خلعتبري . . «وجّه الشاه قبل حوالي ١٠ سنوات تعميماً الى سفراء ايران في الدول الغربية أمرهم فيه بكتابة رسائل الى سفراء أميركا والاحتفاظ

بها في الصناديق الحديد الخاصة بالاوراق السرية ليقوموا فيما بعد، وفي حال تعرض ايران الى عدوان سوفيتي، بوضع تواقيع تواريخ عليها وإرسالها الى سفراء اميركا (والى وزير خارجيتها بالنسبة لسفارة ايران في اميركا). كما جدّد الشاه هذا التعميم قبل ثلاث سنوات[١٣].

٩ ـ الروابط مع اميركا:

بعد توقيع اتفاقية احتكار التنقيب عن النفط واستخراجه بين ايران واميركا، دخلت الاخيرة ميدان السياسة النفطية الايرانية رسمياً وحصلت على قاعدة اقتصادية لها في هذا البلد. فبعد تشكيل حلفي الناتو ووارشو بدأ الحلفاء بالتفكير بـإنشاء حزام أمني لهم، فبادروا الى تشكيل حلف السنتو في الشرق الادنى (الذي يضم باكستان وفرنسا ودول الشرق الادنى وجنوب شرقي المحيط الهادي)، وحلف السنتو (الذي يضم ايران وتركيا والباكستان واميركا وبريطانيا) وبذلك فرضوا نوعاً من الحصار على الاتحاد السوفيتي.

اما التعهد الذي قدمته دول الحلفاء في السنتو (اميركا وبريطانيا) الى ايران وباكستان وتركيا في مجال الدعم العسكري فقد كان فارغاً، لان دول الحلفاء كانت تملي ماتقتضيه مصالحها على الدول الثلاث السالفة الذكر، وفي المقابل تقوم بعقد اجتماع مشترك للتشاور كلما تعرضت هذه الدول الثلاث الى عدوان سوفيتي.

لكن ايران وباكستان اللتين كانتا تعانيان من هشاشة الوضع الداخلي لم تكونا راضيتين عن هذا القدر من التعهد، ولما لم تكن بريطانيا ترغب بتقديم تعهدات اكثر، فقد وافقت اميركا على إبرام اتفاقية دفاعية ثنائية بشكل سري مع ايران قدمت فيها الضمانات الكافية بتقديم الدعم المطلوب في حالة تعرض ايران لعدوان، واشترطت اميركا ان يتطابق هذا الالتزام مع دستورها الداخلي.

وكان لهذه الاتفاقية (عام ١٩٥٩) اكبر الاثر على ترسيخ الهيمنة والنفوذ الاميركي في ايران، اذ أعقبها ازدياد كبير في اعضاء السفارة الاميركية في طهران، وتدفقت على ايران مجموعات كبيرة من الاميركين كمندوبين تجاريين وخبراء مصانع ومؤسسات صناعية وتقنية ومصرفية.

وفي المجال العسكري تم تزويد الجيش بالاسلحة الاميركية وخدمات التدريب والصيانة اضافة الى معامل الصناعات العسكرية كمصانع صناعة الطائرات العمودية والعتاد وباقي

المصانع الخاصة بالجيش.

وقد اسفر كل هذا عن ارتفاع عدد الخبراء الضباط والمراتب الاميركين في ايران بشكل كبير جداً. كما تدفقت على اميركا اعداد كبيرة من الضباط والمراتب الايرانيين، لتلقّي التدريبات العسكرية المختلفة. اما في المجال التجاري فقد كانت اميركا تحتل المرتبة الثانية بعد المانيا الغربية ـ إن لم تكن تفوقها ـ في حجم علائقها التجارية لوحدها فضلاً عن المشتريات العسكرية.

وفي المجال الثقافي، كانت لاميركا الحصة الاكبر من عدد الطلبة الإيرانيين الدارسين في الخارج، كما برزت ظاهرة هجرة الايرانيين الى أميركا، اذ شملت هذه الظاهرة فئتين من الايرانيين:

الاولى: الملاكين والضباط المتقاعدين وعوائلهم الذين كانوا يتمتعون بموارد مالية ثابتة.

والثانية: اولئك الطلبة الجامعيون الدارسون في جامعات أميركا حيث يبقون هناك بعد إنهاء دراساتهم بسبب زواجهم من فتيات اميركيات او عدم حصولهم على مجال عمل مناسب في ايران.

لقد كانت ايران ـ بلحاظ أهميتها الستراتيجية والجغرافية (كونها جارة للاتحاد السوفيتي ولتركيا العضو في حلف الناتو) وثروتها النفطية ـ تحظى بأهمية كبيرة لدى أميركا، وتنفيذ السياسات الاميركية وتحركاتها داخل ايران كان يتم من خلال طريقين:

الاول: القناة الرسمية من خلال السفارة الايرانية ووزارة الخارجية الايرانية عموماً.

والثاني: القنوات غير الرسمية وغير القانونية باستخدام عمليات التجسس وأمثالها، وهو ما كان يتم على أيدي رجال البنوك الاميركين والمؤسسات الثقافية الاميركية كالمدارس وغيرها، وكذلك الشركات التجارية المسماة بالشركات متعدّدة الجنسيات.

كما كان لوجود شخص مثل هلمز في منصب سفير اميركا في طهران والروابط التي تربط الساواك بالمخابرات المركزية الاميركية دور كبير في بسط يد اميركا في ايران بحيث كان بامكان الاميركين أن يحصلوا على مايريدون من معلومات ويقوموا بما يريدون من ممارسات ونشاطات غير قانونية داخل ايران دون أية عقبة [١٤].

١٠ ـ ايران والمؤتمر الاسلامي:

إحراق المسجد الاقصى عام ١٩٦٩ أسفر عن بروز موجة من الغضب في الدول الاسلامية،

فـإسرائيل هي التي نفّذت هذه الجريمة، وكان لابد للشعوب الاسلامية من التصدي لذلك، ولهذا فقد تحرك زعماء الدول الاسلامية (الذين كان أغلبهم من التابعين لاميركا) في هذا المجال لتضخيم الموضوع والتظاهر بالدفاع عن مقدسات الاسلام. وكان الشاه أحد هؤلاء العملاء حيث حاول خداع الشعب. وفي الرباط تم تشكيل أول مؤتمر للدول الاسلامية حضره الملوك والزعماء والرؤساء من ٤٠ دولة اسلامية وأصدروا في نهايته بياناً ختامياً.

وفي هذا المؤتمر سادت وجهتا نظر مختلفتان: الاولى تدعو الى تخصيص هذا المؤتمر لمناقشة قضية المسجد الاقصى وفلسطين، والثانية تدعو الى دراسة تشكيل مؤسسات ومنظمات تتولى شؤون التعاون بين الدول الاسلامية، وقد هيمن هذا الرأي على أعمال المؤتمر حتى نهايته.

وفي عام ١٩٧٢ انعقد مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية في جدة، وصادق على ميثاق منظمة المؤتمر الاسلامي. لكن هذا المؤتمر لم يتدارس مصالح المسلمين وشؤونهم ومنها قضية فلسطين بل ركز جهوده على ترسيخ التلاحم بين أعضائه فقط.

أما المؤتمر الثاني فقد عقد في لاهور الباكستانية بعد انفصال بنغلاديش عن الباكستان، حيث سعى الرئيس الباكستاني بوتو، الى تقوية معنويات الشعب الباكستاني من خلال رئاسته للمؤتمر، وقد ساعده في ذلك كلٌّ من الشاه المقبور والملك فيصل.

اما مؤتمر القمة الثالث لرؤساء البلدان الاسلامية فقد كان مقرراً انعقاده نهاية القرن الهجري الرابع عشر (عام ١٩٧٥) إلاّ أنه عُقد في ١٩٨١ في الطائف بدل جدة، ولم يكن للملكية ذكر في ايران كي يشارك الشاه في هذا المؤتمر.

هوامش الفصل العاشر

١ ـ «تاريخ نوين ايران» تأليف ايوانوف/ص ٢٦٣.

٢ ـ ذكر ايوانوف ـ المؤرخ الروسي ـ في كتابه «تاريخ نوين ايران» ص ٢٦٣: خلال الاعوام من ١٩٧٢ ـ ١٩٧٤ بلغ حجم مشتريات ايران من الاسلحة حوالي (٨) مليارات دولار، بينما كان حجم المشتريات العالمية للسلاح في تلك الفترة ٢٠ مليار دولار، أي ان مايتحمله كل فرد إيراني من جراء عملية شراء السلاح، هي أضعاف مايتحمله المواطن الغربي في الدول الاعضاء في حلف الناتو.

٣ ـ يقول خلعتبري « ... الاعتراف بالامارات العربية المتحدة تم بعد التوقيع على عدة اتفاقات سرية مع شيخ الشارجة ووزير الخارجية البريطاني تضمنت الاتفاق في محكمة الثورة الاسلامية على موضوع جزر طنب الكبرى وطنب الصغرى وابوموسى. (من ملف اعترافات خلعتبري في محكمة الثورة الاسلامية).

٤ ـ في عهد جمال عبدالناصر، وبعد أن اعلن الشاه في مقابلة صحفية اعترافه باسرائيل، شن عبدالناصر ـ في خطاب له ـ هجوماً عنيفاً على الشاه وقطع روابطه مع الحكومة الايرانية. لكن هذه الروابط عادت الى سابق عهدها بعد موت عبدالناصر ومجيء السادات الى الحكم وماتبعه من تقارب مع اميركا، حيث تطورت هذه العلائق بحيث تبادل الجانبان الزيارات، كما قدمت ايران مساعدات مالية الى مصر. وبعد طرد الشاه من ايران، لجأ الى مصر حيث آواه السادت حتى موته.

٥ ـ يقول خلعتبري في هذا المجال « ... لم تكن لايران روابط رسمية مع منظمة التحرير الفلسطينية، لكنني التقيت ياسر عرفات في القمة الاسلامية في لاهور، بأمر من الشاه نفسه، حيث بينت لعرفات رغبة الحكومة الايرانية باقامة علائق مع منظمة التحرير، لكننا لم نحدد موعداً لإقامة هذه العلائق، بعد ذلك كانت لي لقاءات ودية مستمرة مع الفلسطينيين سواء في الجمعية العامة للامم المتحدة أو المؤتمر الاسلامي.

وفي مؤتمر اسطنبول الاسلامي، وبعد أن سمحت الحكومة التركية بفتح مكتب اعلامي لمنظمة التحرير الفلسطينية، رفعتُ تقريراً الى طهران يوصي بأن نفعل الشيء نفسه (حيث كان ذلك بطلب ورجاء من الفلسطينيين أنفسهم) واكّدت لحكومتي أن ذلك سيكون له تأثير إيجابي، وسيبعث السرور في قلوب ممثلي منظمة التحرير، لكن (منصور قدر) سفير ايران في بيروت عرقل ذلك.

٦ ـ مندوبو الوكالة العالمية لليهود في طهران هم:

أولاً ـ البروفيسور دوريل هو يهودي اوروبي.

ثانياً ـ مير نخوري وهو يهودي اصفهاني الاصل ولغته الام هي الفارسية وله شبكة علائق واسعة وفي اسرائيل كما يشغل منصب عضو في الكنيست كما أنه مقبول عند الشاه شخصياً.

ثالثاً ـ لوبراني الذي كان في ايران حتى صيف ١٩٧٨، وهو متخصص في الشؤون الافريقية لكنه على اطلاع واسع بالأوضاع في ايران وكان له نشاط فيها (من اعترافات عباس علي خلعتبري في محكمة الثورة).

٧ ـ من وثائق وزارة الخارجية.

٨ ـ الخلافات الحدودية بين البلدين تعود الى عهد الامبراطورية العثمانية التي كان العراق جزءاً منها. فاتفاقية عام ١٦٣٩ رسمت حدوداً مبهمة، والاتفاقيات الاولى والثانية وارضروم في عامي ١٨٢٣ و ١٨٤٧ التي عقدت بين ايران والعثمانيين بوساطة بريطانيا. كانت قد شكلت لجنة لتعيين خط الحدود، لكنها لم تسفر عن نتيجة حاسمة. وبموجب اتفاقيتي طهران ١٩١١ والقسطنطينية ١٩١٣ تم تشكيل لجنة من ممثلي ايران والعثمانيين وروسيا وبريطانيا أخذت على عاتقها رسم الحدود، لكن العراق

ادعى بعد نيله الاستقلال أن حاكمية العثمانيين على شط العرب أمر لاجدال فيه، بينما ادعت ايران بان عدم موافقة الجانبين على ذلك لايرتب عليها أية حقوق دولية، فتقدم العراق بشكوى الى المنظمة الدولية إلاّ أنه سحبها بموجب اتفاقية ١٩٣٧.

وظل الغموض يلف قضية الحدود، وخلال الخمسينات، كادت القضية تصل الى حل نهائي بفعل عضوية الحكومتين في حلف بغداد، والمفاوضات التي جرت بهذا الشأن بين رئيسي وزراء البلدين حول ادارة شط العرب لولا الانقلاب الذي حدث فجأة في العراق وادى الى وقف هذه المفاوضات.

٩ ـ عمد العراق الى الإخلال بحركة السفن الايرانية والاميركية، وقد تبادل الطرفان مذكرات شديدة اللهجة، انتهت بالغاء عبدالكريم قاسم اتفاقية ١٩٣٧ وإعلان الهيمنة الكاملة للعراق على شط العرب. فقد كان قاسم يعتبر حكومته ثورية، كما ان النظام الايراني لم يكن يتمتع بدعم شعبي ولم يكن بإمكانه اتخاذ اجراء صارم بهذا الشأن، لكنه بادر الى تقوية المخافر الحدودية واتخاذ تدابير وقائية مشددة حول مصفاة نفط آبادان، وفي الوقت نفسه جرت مفاوضات بين الجانبين لكنها لم تسفر عن نتيجة تُذكر.

١٠ ـ أزمة شط العرب شهدت تصاعداً كبيراً، فالحكومة الايرانية كانت تطالب باعتبار خط التالوك (خط منتصف القعر) كخط للحدود المائية لكن العراق كان يدّعي أن خط الحدود يمر من الساحل الايراني للنهر وكان يصر على هذا الموقف، وفي ١٥/نيسان/١٩٦٩ اعلن العراق عن عدم سماحه للسفن الايرانية بالسير في الشط رافعة العلم الايراني.

اما ايران فقد ألغت اتفاقية ١٩٣٧ وحشد كل جانب قواته على الحدود، لكنهما تحاشيا أيّ اشتباك مسلح.

١١ ـ اهم مشروع كان إنشاء مصنع صهر الحديد ومصنع تجميع السيارات مقابل تزويدها الاتحاد السوفيتي بالغاز الطبيعي الايراني، حيث تم إنشاء خط أنابيب بين البلدين لنقل الغاز (راجع كتاب «تحليل تاريخي سياست خارجي ايران از آغاز تا امروز» تأليف حافظ فرمانفرمائيان/ص ٦٠) .

١٢ ـ يقول خلعتبري في هذا الصدد «في عام ١٩٦٢ وبعد تبادل رسائل سرية بين الشاه وخروشوف وتعهُّد ايران بعدم السماح لاية دولة (والمقصود أميركا) بإنشاء قاعدة عسكرية في الاراضي الايرانية، بدأت العلائق الايرانية ـ السوفيتية بالتحسُّن تدريجياً، ومنذ ذلك التاريخ، أصبح حلف السنتو بمثابة نادٍ يجمع دول اعضائه (محاضر محاكمة خلعتبري في محكمة الثورة الاسلامية).

١٣ ـ ملف محاكمة عباس علي خلعتبري، وزير خارجية الشاه.

١٤ ـ يقول خلعتبري حول السياسة الخارجية لايران « ... سياسة ايران كانت تقوم على التعاون مع الدول الغربية، فكانت لها علائق وثيقة مع أميركا. كما كانت تربط الشاه علائق شخصية وثيقة بالرؤساء الأميركيين. فكان الشاه يزور اميركا بعد انتخاب كل رئيس جديد لاقامة علاقة معه حتى قيل بأن الشاه دفع مبالغ من المال الى اللجنة الدعائية لنيكسون من أجل المساعدة في اعادة انتخابه. وكان يراسل الرؤساء الاميركيين ويتحدث معهم عبر الهاتف، ويصدر أوامره وتعليماته من خلال مكتبه الخاص الى سفير ايران في واشنطن دون اطلاع وزارة الخارجية.

وخلال السنوات الاخيرة التي كان فيها «اردشير زاهدي» سفيراً في واشنطن، كان يرفع تقريراً عن أعماله وتحركاته الى مكتب الشاه مباشرة وبنفس الطريقة يتسلم التعليمات والأوامر، أما تقاريره الى وزارة الخارجية فلم تكن تتعلق الا بالشؤون الادارية البحتة (من ملف محاكمة خلعتبري في محكمة الثورة الاسلامية).

الفصل الحادي عشر

ايران والنفط والاوبك

١ ـ نظرة عامة:

لاشك في أن النفط بات يحظى بأهمية كبرى لدى أبناء البشر باعتباره من الحاجات الضرورية اليومية، فهو اليوم مرتبط بشكل وثيق بجميع نشاطات الانسان العلمية والتكنولوجية والاقتصادية والسياسية[١].

وكانت أهم قضية بعد الاتفاقية الاميركية ـ الايرانية لحصر التنقيب عن النفط واستخراجه، ولادة منظمة الاوبك، حيث تبعت ذلك تغييرات مهمة على الصعيد النفطي والسياسي. وفي ايران كانت شركة النفط الوطنية ومعها ٣٠ شركة متعددة الجنسيات تتولى شؤون النفط الايراني[٢]. وفي كانون الاول عام ١٩٦٠، بادرت كبريات الدول المنتجة للنفط وبهدف ظاهري هو تنسيق سياساتها وبرامجها النفطية، الى تأسيس منظمة الاقطار المصدرة للنفط (اوبك)[٣].

٢ ـ النفط منذ اتفاقية التنقيب الايرانية ـ الاميركية وحتى عام ١٩٧٣:

عملت أميركا وبريطانيا معاً، ومن خلال الشركات النفطية المتعددة الجنسيات على تقاسم الغنائم النفطية الايرانية. فخلال ثمانية عشر عاماً (١٩٥٥ ـ ١٩٧٣) ارتفع حجم النفط الخام المستخرج في ايران من (١٢٠) مليون برميل في عام ١٩٥٥ الى (١ر٨) مليار برميل عام ١٩٧٢، وبشكل عام فقد تم خلال الاعوام الثماني عشر استخراج ما مجموعه (١٣ر٣) مليار برميل من النفط (خلال الـ (١٤) عاماً الاولى حوالي (٢ر٦) مليار برميل والاعوام الاربعة الاخيرة حوالي (١ر٧) مليار برميل) . وقد بلغت عائدات ايران من النفط المصدر خلال عام ١٩٥٥ حوالي (٩ر١٢٨) مليون دولار، و (١٨١) مليون دولار خلال عام ١٩٥٦، و (٣ر٣٩١) مليون دولار خلال عام ١٩٦١ و (٨ر٧١٥) مليون دولار خلال عام ١٩٦٦ وفي عامي ٧١ و ٧٢ وصلت العائدات الى

(١ر٢) و (٥ر٢) مليار دولار، وبالجملة؛ فقد بلغت العائدات النفطية الايرانية خلال ١٨ عاماً (٧ر١٣) مليار دولار منها (٧ر٦) مليار دولار خلال الـ (١٤) عاما الاولى و (٧) مليارات دولار خلال الاعوام الاربعة الاخيرة.

وقد سجلت عائدات الشركات الاحتكارية أرقاماً كبيرة، إلاّ ان المستقبل كان مجهولاً بالنسبة لها. وقد شهدت تلك الفترة ازدياد الطلب العالمي على النفط، كما كانت نفقات استخراجه قليلة، ولهذا فقد قرروا استخراج ما أمكن من النفط لتحقيق منافع أكبر بسرعة، إلاّ ان تأسيس الاوبك اضطر الشركات الاحتكارية الى اتخاذ نهج جديد عام ١٩٧٣، فاعتبرت نفسها تمثل تكتل المشترين للنفط فصارت تعد نفسها وفقاً للخطة التي صودق عليها مشترياً ثابتاً للنفط الذي تستخرجه في مناطقها المحددة من ايران حتى ينفد.

٣ ـ ماهي الاوبك ؟

حتى عام ١٩٦٠، كانت كلٌّ من الدول المنتجة للنفط تجهل ظروف الاخرى وأوضاعها وكانت كلُّ دولة تتصرف وفقاً لما تريده الشركات النفطية الأجنبية العاملة في أراضيها، فلم يكن هناك تبادل لوجهات النظر بين الدول المنتجة. لكنّ شمل هذه الدول التأم عام ١٩٦٠ في إطار منظمة واحدة، وبدأ التشاور وتبادل وجهات النظر فيما بينها حول شؤون النفط. اما هل كان للشركات العالمية والكارتلات النفطية دور في تأسيس الاوبك، وهل إن هذه المنظمة أُوجِدَت أساساً لمواجهة هذه الشركات، فهذا الموضوع بحاجة الى شرح وتفصيل ويمكن البحث مطوّلاً فيه، وهذا ما نحن في غنى عنه الآن. لكن المهم هو أن الاوبك لم يكن لها دور فعال خلال السنين العشر الاولى من تأسيسها، فلم يتعدّ نشاطها اصدار بعض البيانات، كما كانت تُطرح داخلها أمور لم تشهد التنفيذ العملي، لكنها بدأت التحرك بجدية منذ عام ١٩٧٠.

٤ ـ النظام الداخلي للاوبك:

اعلنت الاوبك عن وجودها من خلال بيانين صادق عليهما ممثلو خمس دول منتجة في أول مؤتمر للمنظمة [٤]. وطبقاً للنظام الداخلي للاوبك فان هناك ثلاثة أصناف للاعضاء فيها وهم: الاعضاء المؤسسون، والاعضاء الجدد، والاعضاء المرتبطون. فالاعضاء المؤسسون هم الدول الخمس التي

اجتمع ممثلوها في بغداد عام ۱۹٦۰ وقاموا بتشكيل المنظمة أما الاعضاء الجدد فهم الذين انظموا الى المنظمة فيما بعد، مثل ليبيا واندونيسيا وقطر، كما انضمت الجزائر وامارة ابوظبي في عامي ٦٧ و ۱۹٦۹ على التوالي.

وهناك شرطان للعضوية هما أن تقوم الدولة العضو بتصدير مقادير كبيرة من النفط [٥] وأن تكون مصالح هذه الدولة مشابهة لمصالح الدول المؤسسة، كما يمكن لمؤتمر المنظمة (بأصوات ثلاثة ارباع الاعضاء بما فيهم المؤسسون) منح حق العضوية الارتباطية لدولة منتجة حتى لو لم تكن تصدّره بمقادير كبيرة بشرط أن تصبح هذه الدولة شريكة في المصالح النفطية العامة وأهداف الدول الاعضاء. لكن الاوبك لاتملك حالياً اعضاء مرتبطين.

٥ ـ دواعي تشكيل الاوبك:

بعد الحرب العالمية الثانية تحولت أميركا من بلد مصدّر للنفط الى بلد مستهلك له. كما شهد حجم الانتاج النفطي العالمي الذي يطرح في الاسواق ارتفاعاً كبيراً حيث وصل الى (٤ر٢) مليون برميل في اليوم منها (۳ر۱) مليون برميل مصدره فنزويلا، و (مليون) برميل من الشرق الاوسط وتدريجياً أدى تزايد الطلب العالمي على النفط الى رفع انتاج دول الشرق الاوسط منه. في عام ۱۹٥۰ بلغ حجم انتاج منطقة الخليج الفارسي خلال عام حوالي (٦۳۰) مليون، حيث فاق انتاج فنزويلا ذلك العام (٥٤٧) مليون برميل.

وقد سعت شركات النفط الاحتكارية الى إيجاد حالة منافسة بين فنزويلا ودول الشرق الاوسط المنتجة للنفط لتتمكن من وضع عقبات في طريق سياسات فنزويلا، التي كانت تفرض وجهات نظرها على المستهلكين لكن هذا الإجراء جعل فنزويلا اكثر تصميماً على مواصلة نهجها والتقارب مع منتجي الشرق الاوسط وإيجاد علاقة تعاون وتنسيق معهم، بدل المنافسة التي أرادتها الشركات، فقطعت الخطوة الاولى في هذا المجال عبر اتصالها بمجلس الدول المصدرة والتشاور معهم في شؤون النفط.

اما الجامعة العربية فقد كانت تفكّر منذ عام ۱۹٤٥ بتأسيس منظمة نفطية، لكن ذلك لم يكن ممكناً بدون مشاركة ايران وفنزويلا، البلدين اللذين يصدّران كميات كبيرة من النفط.

وفي نيسان عام ۱۹٥۹ عُقد اول مؤتمر نفطي عربي في القاهرة ودُعيت اليه ايران وفنزويلا

للمشاركة بصفة مراقب. وفي هذا المؤتمر جرى إعداد اتفاقية سرية غير رسمية صادق عليها ممثلو الاقطار المصدّرة للنفط بما فيها ايران وفنزويلا. وكانت تلك بمثابة نواة لمنظمة الاوبك.

وفي ايار عام ١٩٦٠ أصدر وزراء نفط السعودية وفنزويلا بياناً طالبا فيه الدول المنتجة للنفط باتخاذ سياسة مشتركة، لكن الشركات الاحتكارية قامت بعد (٦) أشهر بتخفيض سعر النفط الخام بدون التشاور مع الدول المنتجة، مما أثار قلق هذه الدول. وبالنسبة لايران مثلاً فقد انخفض سعر النفط الخام خلال (١٨) شهراً بمقدار ٢٦ سنتاً لكل برميل اي بنسبة ١٣٪.

وفي عام ١٩٦٠ واجهت دول الشرق الاوسط النفطية خسارة مقدارها ٩٣ مليون دولار مما أثار ردة فعل قوية لدى الدول المنتجة دفعتها الى عقد اجتماع في بغداد في ايلول ١٩٦٠، ضم ممثلي ايران والعراق والكويت والسعودية وفنزويلا، وهناك أعلنت انبثاق منظمة الدول المصدرة للنفط. وتشير الاحصائيات الى ان الدول الخمس المؤسِّسة للمنظمة تضم ٦٧٪ من احتياطي النفط في العالم. كما ان هذه الدول تنتج ٣٨٪ من النفط المنتج عالمياً.

٦ ـ جانب من اجراءات الاوبك:

لسنا هنا بصدد الحديث عن جميع سياسات الاوبك واجراءاتها فذلك يحتاج الى كتاب منفصل، بل سنكتفي بالحديث عن اجراءات هذه المنظمة في عامي ١٩٧٠ و ١٩٧١. ففي كانون الاول ١٩٧٠ عقد في كاراكاس المؤتمر الحادي والعشرون للاوبك، الذي قطع خطوة كبيرة وفاعلة بعد (١٠) سنوات من تأسيس هذه المنظمة. ففي عام ١٩٧٠ ازداد الطلب العالمي على النفط بشكل كبير، بينما كان العرض في وضع سيئ، ولهذا فقد صادق مؤتمر الاوبك على القرار (٢١ ـ ١٢٠) الذي نص على:

١ ـ تحديد نسبة ٥٥٪ كأدنى حد للضرائب المأخوذة على صافي عائدات الشركات التي تقوم بالاستخراج في الدول الاعضاء.

٢ ـ رفع جميع أشكال التباين في الاسعار المعلنة واحتساب الضرائب على أساس اعلى سعر للنفط.

٣ ـ توحيد أية زيادة في الاسعار او الضرائب في جميع الدول المنتجة بهدف تحسين أوضاع السوق العالمية للنفط.

٤ـ الغاء كل المنح غير العادية المقدمة الى الشركات النفطية اعتباراً من كانون الثاني ١٩٧١.

وفي بيان آخر اعربت الاوبك عن قلقها حيال التضخم الاقتصادي الذي تشهده الدول الصناعية، وما سيتركه من اثر على قوة شراء هذه الدول للنفط، حيث تقرر تعديل الاسعار وفقاً للتغييرات والظروف المستجدة. وفي هذا المجال، كانت الاوبك تؤكد دائماً أن قيمة الدولار شهدت انخفاضاً بنسبة ٢٧٪ عما كانت عليه عام ١٩٦٠، بينما لم تشهد أسعار النفط أي ارتفاع، علماً بأنها تتعامل بالدولار فقط. كما جرى التأكيد على أن أسعار البضائع والسلع التي تصدّرها الدول المستهلكة للنفط قد شهدت ارتفاعاً مقداره (٣٥٪) منذ عام ١٩٥٠. وبالرغم من ان هذا القرار كان يسري على جميع اعضاء الاوبك الا ان مواقفهم منه كانت متباينة. في منطقة الخليج الفارسي تم تشكيل لجنة تضم وزراء النفط والمالية في ايران والعراق والسعودية، وجُعل مقرها في طهران حيث بدأت مفاوضاتها مع ممثلي الشركات النفطية الكبيرة.

كما ان الموقف الحازم لليبيا آنذاك جعل الشركات تدرك أن عليها أن تكون مستعدة لتلبية مطالب الاعضاء بالعائدات النفطية الضخمة من قبل باقي الدول المنتجة.

يقول مؤلف كتاب «تاريخ الاوبك»: «... كانت الشركات النفطية تتمتع بدعم رسمي من قبل حكوماتها. بالرغم من ان مصالح الدول الكبيرة المستهلكة للنفط لم تكن تلتقي الى حد كبير مع مصالح هذه الشركات، إلّا أن أميركا كانت قد استشعرت الخطر من تماسك الاوبك ونهجها الجديد الذي قد يؤدي الى إرباك عملية مدّها بالنفط، ولهذا فقد انضمت الى بريطانيا وفرنسا والمانيا الغربية وهولندا وايطاليا والسويد في دعم الشركات النفطية.

كما اصدر المدعي العام الاميركي قراراً باعفاء هذه الشركات من القوانين المنظِّمة لتجمع الشركات النفطية المتحدة، لفسح المجال لها لدخول مفاوضات جماعية مع دول الاوبك. وهكذا قامت (١٥) شركة نفطية واعتماداً على هذا الدعم السياسي، باصدار بيان[٦] مشترك بتاريخ ١٦ كانون الثاني اعلنت فيه استعدادها لاجراء مفاوضات جماعية مع جميع اعضاء الاوبك حول اتفاق لمدة خمس سنوات لتثبيت نسبة الضرائب على أساس الاسعار الجديدة التي يتم تعيينها وفقاً لظروف التضخم العالمي. وقد طالبت هذه الشركات بالمفاوضات الجماعية لعلمها بأن دولاً مثل الجزائر وليبيا اللتين تتخذان نهجاً ثورياً، قد لايكون بالامكان ترويضها واخضاعها، لذلك فقد فضلت الشركات دمجها مع باقي الدول في المفاوضات لتكون في مقابل اغلبية تخالفها

في النهج، لكن ليبيا والجزائر ردتا على هذا الطلب فأصدرتا بياناً أدان المفاوضات الجماعية وبذلك تراجعت الشركات عن هذه الفكرة[7] نهائياً. فقد استهدفت هذه الشركات، ترويض باقي دول الاوبك واخضاعها من خلال ايران والسعودية وأمثالها[8].

٧ ـ اتفاقية عام ١٩٧٣:

بوقوف بعض الدول بوجه الكارتلات النفطية[9] وارتفاع نسبة الضرائب على الشركات عام ١٩٧٠ والتوقيع على مذكرة التفاهم في طهران ومثلتها في جنيف في عامي ١٩٧٠ و ١٩٧٢، كل ذلك مهد الأرضية المناسبة لإعداد تفاصيل اتفاقية ١٩٧٣. وبالتوقيع على هذه الاتفاقية استطاعت الشركات الاحتكارية اغلاق الطريق امام اي اجراء قد تتخذه بعض الدول المنتجة ضد الشركات الاحتكارية، التي تخشى ذلك بشدة.

تتضمن اتفاقية ١٩٧٣ مقدمة و ٢٣ مادة وجدولاً ملحقاً، وقد نظمت موادها بشكل معقد ومبهم بحيث بدت غير مفهومة ابداً، وقد كانت ايران احد جانبي هذه الاتفاقية، وجانبها الآخر يتمثل بـ(٢٨) شركة نفطية، بينما كانت ايران في اتفاقية (دارسي) تقابل دولة واحدة وشركة نفطية واحدة، وفي اتفاقية ١٩٥٥، كان الجانب الآخر يتمثل بثماني شركات واربع دول مقابل ايران. اما في اتفاقية ١٩٧٣ فاننا نرى الدول الاربع نفسها موجودةً مصطحبةً معها الشركات النفطية الـ(٢٨) الموجودة في بلدانها.

وقد لجأت الشركات الاحتكارية العاملة في ايران الى إشراك باقي الشركات معها للتخلُّص من منافستها المحتملة وليتمكن الجميع من الحصول على حصصهم ـ كلٌ حسب حجمه ـ من هذه المائدة الغنية، ولتتمكن الشركات الاحتكارية العملاقة من مواصلة نهبها دون منغِّصات.

وكانت اتفاقية ١٩٧٣ سارية المفعول منذ بداية هذا العام. كما انها تنص على تولّي شركة النفط الايرانية توزيع النفط محلياً، اضافة الى تصدير جزء من النفط الى الخارج. لكن الحقيقة أن كل ذلك كان يتم بالمقادير التي تحددها الشركات الاحتكارية الداخلة في اتفاقية التنقيب داخل ايران، دون الاخذ بنظر الاعتبار الحاجة الحقيقية للاستهلاك المحلي. كما حصلت الشركات الاحتكارية بموجب الاتفاقية الجديدة على حق منح تسهيلات وفرص عمل في المجال النفطي الى أية شركة خارج الاتفاقية، وهكذا كان بإمكان أية شركة نفطية أجنبية الاستفادة من

التسهيلات الممنوحة الى الشركات الاحتكارية العاملة في ايران والتي كانت تتصرف وكأنها المالك الحقيقي لآبار النفط ـ وفقاً لما نصت عليه اتفاقية ١٩٧٣ ـ وبذلك فان هذه الاتفاقية قد أبقت على الهيمنة الأجنبية على آبار النفط ومنشآته.

٨ ـ نتائج اتفاقية ١٩٧٣:

بعد أن وقعت ايران على اتفاقية ١٩٧٣، بدأت حملة اعلامية واسعة ادعت من خلالها أنها أحكمت سيطرتها على النفط والغاز الطبيعي داخل ايران بشكل كامل! وأن هذه الاتفاقية قد ألغت الظروف التي نتجت من اتفاقية احتكار التنقيب الموقّعة مع الشركات الاحتكارية عام ١٩٥٥ وان ذلك سيؤمّن لايران عائدات مالية ضخمة تمكّنها من بدء برنامج عمراني واسع[١٠].

لكن الحقيقة هي ان الاتفاقية ليست فقط لم تُعِد للشعب الايراني حقوقه في مجال إنتاج النفط وتصديره ـ بل إنها ـ ومن خلال الجداول الملحقة بها ـ جعلت عمليات التنقيب والاستخراج والتصدير في ايران حكراً على الشركات الاحتكارية مدة عشرين عاماً، أي مع نفاد النفط الايراني، وهكذا فان هذه الاتفاقية لم تكن في صالح ايران أبداً، لأن أسواق النفط العالمية كانت تشهد تغييرات وتقلُّبات حادة باستمرار، والشركات الاحتكارية ليست بتلك الدرجة من السذاجة، فهي أول من بدأ نهب النفط الايراني، وواصلت ذلك بشتى الأحابيل والحيل، فهل يعقل أنها لم تضع في حساباتها تغييرات أسواق النفط خلال العشرين عاماً القادمة؟!

لقد ارادت الشركات ـ ومن ورائها الدول الكبرى ـ سلب هذا السلاح من يد ايران على مدى عشرين عاماً. إذ إن الاتفاقيات النفطية يجب أن لا تُعقد لاكثر من عام واحد، مع الأخذ بنظر الاعتبار ظروف الساعة، فالنفط سلاح فعّال بيد الدول المنتجة، وعليها استخدامه متى مادعت الحاجة.

المهم فان اتفاقية ١٩٧٣ لم تُعِد للشعب الايراني حقه في الانتاج والتصدير أبداً، ووفقاً لاحصائيات البنك المركزي الايراني فان حجم انتاج النفط الايراني خلال الاعوام من ١٩٧٣ وحتى عام ١٩٧٧ كان على التوالي: (٢ر٢، ٢ر٢، ٩ر١، ١ر٢، و ٢) مليار برميل في العام، أي أنه بلغ (٥ر١٠) مليار برميل خلال (٥) أعوام، تم تصدير (١ر٩) أي (٩٠٪) منه بواسطة الشركات الاحتكارية وشركة النفط الوطنية وباقي الشركات الاخرى.

ولو قارنا مجموع حجم الانتاج خلال السنوات الخمس الاخيرة هذه، مع إنتاج الاعوام الثمانية عشر الماضية (من عام ١٩٥٤ وحتى ١٩٧٣) لوجدنا أن الانتاج قد شهد ارتفاعاً كبيراً جداً، فخلال الثماني عشر عاماً الاولى بلغ مجموع الانتاج (١٣ر٣) مليار برميل، بينما انتجت ايران خلال السنوات الخمس الاخيرة من عمر النظام البائد (١١) مليار برميل تم تصدير ٩٠٪ منه.

ولو رجعنا الى الوراء اكثر لرأينا أن ايران أنتجت خلال (٥٦) عاماً مامقداره (١٦ر٦) مليار برميل، بينما انتجت خلال (٥) سنوات فقط مامقداره (١١) مليار برميل. وكانت عائدات الدولة من التصدير خلال هذه السنوات كالآتي: (٤ر٨، ١٨ر٥، ١٨ر٩، ٢٠ر٥ و ٢٠ر٧) مليار دولار على التوالي حيث بلغ مجموعها (٨٣ر٤) مليار دولار.

هذا الارتفاع الكبير في حجم العائدات يعود الى رفع حجم الانتاج وازدياد اسعار النفط عالمياً. ولكن كيف أُنفقت هذه المبالغ الضخمة التي تشكل ثروة عظيمة للبلاد؟ ان مراجعة سريعة للاحصائيات الاقتصادية لتلك الفترة تكشف لنا بوضوح أن الاقتصاد الايراني انحدر الى الهاوية بسبب خيانة الحكومة وارتباطها بالناهبين الدوليين. فبدل أن تستخدم هذه العائدات الضخمة لإعمار البلاد وتنشيط الزراعة والصناعة وبلوغ الاكتفاء الذاتي نرى ايران تحولت الى سوق استهلاكية تستورد كل شيء من الخارج. كما شاعت في الداخل كل اشكال الفساد ومنها الفساد المالي والأخلاقي والاقتصادي.

ووفقاً للجدول الملحق باتفاقية ١٩٧٣ فان شركة النفط الوطنية الايرانية مكلّفة بتسليم الشركات الاحتكارية (٤ر٨) مليون برميل من النفط الخام كل يوم خلال عام ١٩٧٣ و (٦ر٤) مليون برميل عام ١٩٧٧ و (٦ر٢) مليون برميل عام ١٩٧٨. ومنذ عام ١٩٧٨ يبدأ هذا الرقم بالتناقص وخلال الاعوام ٨٠و٨٥و٨٩ يتناقص إلى (٥ر٧) و (١ر٤) مليون يومياً، وفي عام ١٩٩٣ أي عند انتهاء مدة اتفاقية حصر التنقيب على النفط بيد الشركات الاحتكارية يصل هذا الرقم الى (٧٥٠٠) برميل في اليوم، أي أن هذا المقدار من النفط سيكون مساوياً لحجم الاستهلاك الداخلي. وبتعبير آخر، فان الخطة التي رسمتها الشركات الاحتكارية تقضي بان ينفد النفط الايراني مع انتهاء اتفاقية التنقيب والاستخراج التي عقدتها مع الحكومة الايرانية[11].

ولحسن الحظ، فان شعلة الثورة تصاعدت، حتى قضت على النظام البائد قبل ان تنتهي الاتفاقية وينفد ما لدى ايران من هذهِ الذخائر، فشهد انتاج النفط انخفاضاً كبيراً، مما يتيح

للاجيال القادمة الاستفادة من هذه الثروات العظيمة التي منحها اللّه لهم.

هوامش الفصل الحادي عشر

(١) ـ الوضع العالمي للنفط عام ١٩٧٨ حسبما ورد في احصائيات لشركة بريتش بتروليوم هو كالاتي: بلغ حجم الاستهلاك العالمي من النفط الخام (٣٠٧٦) مليون طن بينما بلغ الانتاج العالمي منه (٣٠٨٤) مليون طن. وكان حجم استهلاك روسيا واوروبا الشرقية والصين (١٤٧٨) مليون طن بينما بلغ انتاج النفط في هذه الدول حوالي (١٣٩٥) مليون طن، وحجم الانتاج الاجمالي في دول الاوبك (١٤٩١) مليون طن. الصين انتجت في هذا العام (٩٦) مليون طن، وبحر الشمال في الجانب البريطاني (٥٣) مليون طن. اما امير كا فأنتجت في العام نفسه (٤٨٨) مليون طن بينما بلغ حجم الاستهلاك (٨٨٨) مليون طن، فامير كا تستهلك ٢٠٪ من حجم الاستهلاك العالمي للنفط (صحيفة اطلاعات الصادرة بتاريخ ١٦ تموز عام ١٩٧٩ نقلاً عن مر كز الاحصاءات الدولي).

(٢) ـ خلال انتهاء الحرب العالمية وبعد ذلك بعشر سنوات كانت هناك (٨) شركات نفطية كبيرة تعمل في استخراج النفط وبيعه في مختلف مناطق العالم وبالرغم من ذلك فقد كانت في امير كا شركات اخرى تقوم بالتنقيب عن النفط واستخراجه في امير كا الشمالية بكميات اكبر بكثير مما تستخرجه الشركات الكبرى في العالم. هذه الشركات كانت مستقلة عن الشركات الكبرى، لكنها لم تكن صغيرة ايضاً في عام ١٩٧٣ بلغ حجم انتاج هذه الشركات من النفط في امير كا الشمالية ضعف ما أنتجته الشركات الكبرى في العالم، وخلال العقد السادس، دخلت هذه الشركات المستقلة، وبدعم سياسي كبير، الى مناطق نفوذ الشركات الاحتكارية الكبرى، وفي عام ١٩٧٧ أي بعد عام من انعقاد الاتفاقية مع جميع الشركات النفطية اضطرت خمس شركات أمير كية كبرى الى منح ٥٪ من حصصها الى ٩ شركات مستقلة (تاريخ اوبك تأليف فؤاد روحاني ص ٦٨ «فارسي») .

(٣) ـ 3. Organization of Petroleum Exporting Countries (O.P.E.C.) R2pi2R.

(٤) ـ خلاصة القرار هي ان الدول المنتجة للنفط لن تقف مكتوفة الايدي أمام الشركات النفطية فيما يخص تقلبات الاسعار، وهي تطالب هذه الشركات بتثبيت الاسعار والابتعاد عن التقلبات غير الضرورية واعادة الاسعار الى مستواها الذي كانت عليه قبل الهبوط، وان طرأت هناك ضرورة لتغيير الأسعار، فيجب اطلاع دول الاوبك من قبل.

كما وافق الاعضاء جميعاً على عدم الرضوخ لمحاولة الشركات تحطيم مقاومة بعض دول الاوبك من خلال منح تسهيلات لبعضها الآخر لكسب تأييده وتحطيم تلاحم الاعضاء، كما نص البيان بصراحة على أن هدف منظمة الاوبك هو توحيد اعضائها وتلاحمهم.

(٥) ـ لم يجر اشتراط انتاج كمية محددة من النفط للدخول في عضوية المنظمة، فقطر كانت من أقل الدول انتاجاً وتصديراً، وفي عام ١٩٦٨ بلغ انتاجها ٥ر٣٣٩ برميل في اليوم أي ٨٧ر٠٪ من الانتاج العالمي، ولأنها قُبلت عضواً في الاوبك فقد اعتبر هذا الحجم من الانتاج كافياً للعضوية. وهكذا فان ٣٦ دولة من الدول المنتجة البالغة ٥٢ دولة، لايصل انتاجها الى هذا المقدار. اما الستة عشر الباقية فعشرة منها اعضاء في الاوبك والست الباقية (وهي امير كا والاتحاد السوفيتي وكندا والمكسيك ونيجيريا والارجنتين) فهي ليست اعضاء في الاوبك (وقد وصل عدد اعضاء الاوبك حالياً الى ١٣ عضواً).

ويجمع بين الاعضاء الرئيسيين للاوبك الظروف التالية:

١ ـ الاعضاء الرئيسون هم من الدول النامية.

٢ ـ كلهم من مصدِّري النفط الكبار.

٣ ـ تعتمد نفقات المشاريع الانمائية وموازنة الميزانية في هذه الدول على النفط بشكل رئيس.

٤ ـ تشابه الاتفاقيات التي تتحكم بصناعة النفط في هذه الدول.

٥ ـ لم تكن قادرة على استغلال مواردها النفطية دون مساعدة خارجية او ان المجال لم يفسح لها لتكون كذلك.

(٦) ـ جاء في جانب من البيان: (.. الشكاوى المستمرة التي تثيرها بعض دول الاوبك منفردة، أثارت قلقنا الشديد. نحن نعتقد أن تأمين المصالح طويلة الامد لكل من الدول المنتجة والمستهلكة وكذلك الشركات النفطية مرهون بتحقيق الثبات في الاتفاقيات المالية مع الدول المنتجة ولهذا فنحن نعتقد أنه لايمكن بعد الآن التباحث حول شكاوى اعضاء الاوبك على أي أساس، إلاّ اذا أدى ذلك الى مساومةٍ واتفاق مع جميع الدول المنتجة في آن واحد ...) .

(٧) ـ راجع «تاريخ اوبك» ص ١٨.

(٨) ـ طلبت دول الخليج الفارسي عقد اجتماع طارئ لمنظمة الاوبك، حيث انعقد المؤتمر الثاني والعشرون للاوبك في طهران، وأصدر بياناً أمهل الشركات النفطية فترة قصيرة لدخول المفاوضات، واثر ذلك وافقت الشركات خلال هذه المهلة على الدخول في اتفاقية توازنٍ مع دول الخليج الفارسي.

(٩) ـ في شباط ١٩٧١ قامت الجزائر بتأميم الشركات النفطية الفرنسية التي كانت تتولى انتاج ثلثي الانتاج الجزائري من النفط. وفي كانون اول ١٩٧١ قامت ليبيا بتأميم شركة النفط البريطانية. وفي عام ١٩٧٢ أمم العراق شركة النفط الوطنية (كتاب «قراردادهاي نفطي يا اسناد خيانت» ص ٥١).

(١٠) ـ مع ازدياد عائدات النفط، ازدادت تبعية الاقتصاد الايراني بهذه العائدات وتزايد الخوف من مخاطر انخفاض هذه العائدات حيث بلغ حجم الارتباط بهذه العائدات ٨٠٪ في السنة الاخيرة من عمر النظام. فايران كانت ثاني دولة نفطية من حيث حجم الانتاج والتصدير بعد السعودية، لم تشترك في المقاطعة النفطية او تقليل الانتاج خلال حرب تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٧٣ ضد اسرائيل. فقد كان الشاه يدعو الى عدم استخدام النفط كحربة سياسية، متظاهراً امام الغرب بالوفاء. كما كان يطالب برفع اسعار النفط بسبب ازدياد التضخُّم وارتفاع الاسعار، وهكذا اصبح أحد اهم أعضاء الاوبك مستبداً موالياً للغرب.

وكان يتصور أن المال يحل كل المشاكل، وبدأ بحملة واسعة للتنمية السريعة للبلاد والوصول بها الى التحضُّر الاكبر لتحوز على المرتبة الخامسة في العالم، لكن ذلك لم يكن سوى سراب سرعان ماتبدد. ففي كانون اول ١٩٧٥ انخفض انتاج النفط بنسبة ٢٠٪ فانعكس ذلك على الاقتصاد الايراني مما أدى إلى تأجيل دفع المبالغ المستحقة للمقاولين، وكانت الدوائر الحكومية لوحدها تدفع لهم (٣) مليارات دولار وتأخر اعلان ميزانية عام ١٩٧٦ كما بلغ العجز في العائدات حوالي مليارين وسبعمئة مليون دولار، كما لجأت الحكومة الى الاقتراض من المصادر المالية العالمية.

اما الشركات النفطية فانها قامت بتقديم تسهيلات وتخفيضات ملحوظة من أجل أن تزيد من مبيعاتها. وهكذا صار الاقتصاد معتمداً بشكل كامل على بيع النفط مع الحاجة الى استيراد كل شيء. وكان الشاه معتمداً على مواصلة الانفاق على التسليح، إلاّ انه قرر شراء السلاح مقابل النفط بدلاً من الدفع نقداً. وفي عام ١٩٧٦ جرت مفاوضات بين ايران والشركات النفطية وباعة السلاح حيث جرى التفاوض حول:

١ ـ شراء (٣٠٠) طائرة من طراز اف ـ ١٦ و (٤) مدمرات من اميركا مقابل بيعها ٣٠٠ الف برميل نفط في اليوم من قبل شركة النفط الوطنية الى عدة شركات نفطية اميركية.

٢ ـ شراء ايران لصواريخ Repier بقيمة (٤٠٠) مليون جنيه استرليني من شركة الصناعات الجوية البريطانية (باك) مقابل بيع (١٦) ألف برميل نفط يومياً الى شركة «شل».

وبعد ذلك، جرت عدة معاملات في القطاع غير العسكري على المنوال السابق حيث كان الشاه يعتقد ان ذلك أفضل طريق

للخروج من المأزق الذي يعانيه. كما تبعت ذلك اجراءات حكومية للتقشّف وتخفيض النفقات. الشعب لم يكن على علم بما يجري، والعمل في إنشاء قاعدة جابهار البحرية توقف، والوزارات قلّصت نفقاتها، والعديد من صفقات الشراء اُلغيت.

وفي مقابلة مع الشاه طلب من الجميع مضاعفة نشاطهم وجهودهم، بعد ذلك قام بتشكيل «لجنة التفتيش الشاهنشاهية لتقوم بدراسة النواقص والحاجات باسلوب جديد». (روبرت غراهام مؤلف كتاب «ايران سراب قدرت» يستعرض بالتفصيل جوانب الاقتصاد الايراني والبرامج العمرانية وصفقات السلاح وتصدير النفط) .

(١١) ـ قراردادهای نفطي يا اسناد خيانت/فارسی/ تأليف ابراهيم رزاقي/ ص ٧٦.

الفصل الثاني عشر

نهج المدرسة الاسلامية قبل انتصار الثورة

١ـ نظرة عامة:

تحدثنا في الفصول السابقة عن بلوغ النظام الشاهنشاهي ذروة المفاسد، وسنرى في فصل قادم كيف يتهاوى هذا النظام. ان جيل الايرانيين الحالي، عاصر حقبة مهمة جداً من تاريخ ايران، حيث شاهدوا خلال السنوات الاخيرة من عمر النظام نهاية مرحلة تاريخية عمرها ٢٥٠٠ سنة من تاريخ ايران، فقد شهدوا او شاركوا في صنع حوادث عديدة لم يشهد آباءهم وأجدادهم حتى جزءاً يسيراً منها. لقد وضعت امتنا اقدامها على طريق كان سلوكه بحاجة الى مقدمات واستعدادات عديدة، لكن جذور القضية كانت حية ومهيأة لتتنامى بسرعة كبيرة. فقبل انتصار الثورة بسنوات عديدة، طرح الامام موضوع الحكومة الاسلامية وحدد بذلك هدف النهضة، حيث قال:

«... آمل أن يؤدي اطلاع الامة الاسلامية على مفهوم الحكومة الاسلامية وأبعادها الى تبلور أفكار واعية تؤدي في النهاية الى تحرُّك شخص مقتدر ليؤسس الحكومة الاسلامية الكبرى».

وقال سماحته:

«لدينا اكثر من ٥٠ رواية في «وسائل الشيعة» و «المستدرك» تدعو الى الابتعاد عن السلاطين الظالمين، والى إلقام وعاظهم حجراً، انها تتوعد اولئك الذين يعينون السلاطين الظالمين ولو بصب الحبر في دواتهم، والى جانب ذلك، لدينا روايات كثيرة في فضل العالم والفقيه العادل، على باقي فئات الناس ... كل ذلك من أجل ان تتخلى الشعوب عن أجهزة الظلم، وان تدمر قصور الظلم، وان تصبح أبواب الفقهاء مشرعة امام افراد الامة، لا ليقوموا بطرح المسائل الشرعية فقط، بل ليمارسوا الحكم العادل،

ويؤسسوا الحكومة الاسلامية التي توفّر الامن والسعادة والهناء للمسلمين، فهدف الاسلام هو تشكيل حكومة كبرى تقوم على اساس قانون راسخ ...» .

وقد لاحظنا أن انتفاضة ٥ حزيران ١٩٦٣ الكبرى وقعت اثر اعتقال الامام الخميني، وكانت تحركاً دينياً سار على خطى المرجعية. وكانت تحركاً دينياً ـ سياسياً، لكنها لم تؤدِ ـ بالرغم من اتساعها ـ الى سقوط النظام فوراً، إلاّ انها استطاعت تحديد الهدف[1].

لقد حاول أزلام النظام ـ وبدعم من القوى الدولية ـ إعادة الوضع الى حالته العادية، ومنح الشاه القوة التي مُنحت الى ابيه من قبل، واضفاء صفة التدين والاهتمام بالشؤون الدينية عليه، وعلى الرغم من ان ذلك كان قد حدث من قبل، لكنه اتخذ هذه المرة أبعاداً أوسع. فقد طبعوا «قرآن آريامهر»[2]. وقام الشاه بأداء الحج وزيارة حرم الأئمّة الاطهار، كما نُشرت في ارجاء البلاد صوَره وهو يؤدي مراسم العبادة والدعاء، والتشاور مع علماء الدين، كما أقام مجالس عزاء حسيني أبرزها مجلس قصر «كلستان» الذي أقامه البلاط في عاشوراء، وأسس «جيش الدين» التابع لدائرة الاوقاف[3]، اضافة الى تخصيص برامج دينية في الاذاعة والتلفزة، واجراء تغييرات وترميمات في المزارات المقدسة، وتصريحات الشاه في اللقاءات الصحفية بأنه من العارفين بالله والمكلّفين من قبل الباري عزّوجل! وإعداد مجموعة من الوعّاظ المتلبّسين بلباس علماء الدين، للدعاية والدعاء له.

كما أخذ يتظاهر بدعم مسلمي فلسطين وتأييدهم، وبذل قصارى جهده للتقرُّب من المتدينين والتظاهر أمامهم بأنه من دعاة الدين، لكنه كان يعمل في الوقت نفسه على إزالة كل الاسس الدينية والأخلاقية ليقضي على أية أرضية مساعدة لإقامة الحكومة الاسلامية التي كان يبشِّر بها الامام الخميني[4].

فقد كان النظام يريد تحقيق استقراره وثباته، وهذا ماتريده القوى الاجنبية المهيمنة على ايران، لأن ذلك يعني استمرار هيمنتها ومصالحها في هذا البلد، ولذلك فقد بُذلت شتى المحاولات وقصارى الجهود من أجل احتواء كل قوة تشكل خطراً على النظام وتحويلها الى قوة داعمة له، من أجل الحصول على ادلّة تؤكد حقانيته، وادوات تسوّغ مفاسده وانحرافاته بشكل عام، ولهذا نرى الشاه يكرّر عدة مرات الحديث عن انشاء جامعة اسلامية كان يستهدف من إنشائها سلب بريق الحوزات العلمية التي كان الاستقلال المالي أهم خصائصها، واستخدام

هذه الجامعة وسيلة لتربية وإعداد كادر جديد لـ «جيش الدين»، كي تعتبر الشاه ظلَّ الله في الارض، وتتلقى الأوامر منه باعتبارها أوامر دينية.

وهكذا سعى الشاه الى مواصلة جرائمه متستراً بالدين، خاصة بعد أن وجد في هذا السبيل حربةً تساعده في تنفيذ سياساته، ألا وهي الشيوعية. فكان يتهم كلّ من يعارضه بانه ضد الدين حتى أن جهاز الامن (الساواك) ومحاكمه العسكرية كانوا يحددون ماهو الدين ومن هم معارضوه!! الى ان بلغ الامر بهم ان يتهموا بعض مراجع المسلمين الكبار بالانحراف عن الدين. فالمرجع الصحيح ـ في رأي النظام ـ هو الذي ينشغل في شؤون دينية صرفة، او انه يتدخل في السياسة لصالح الحكومة.

٢ـ تنامي المعارضة الاسلامية:

بعد نفي الامام، اتسم تعامل الحكومة مع علماء الدين المجاهدين بالعنف. وكان عدد السجناء من هؤلاء يزداد تدريجياً. المدارس الدينية والمساجد القديمة في أنحاء البلاد اصبحت قاعدة أساسية لتحرك الاسلاميين ومعارضتهم للسلطة، باعتبار ان هذه المراكز بعيدة عن الانظار، لكن الساواك كان قد قرر مراقبة علماء الدين من أتباع الخميني (القائد المنفي) والقضاء على أي تحرُّك لهم في المهد، وهكذا شنت حملة اعتقالات ضد اساتذة الحوزة العلمية في قم، وفي هذا الاطار فقد قام النظام بالقاء القبض على عدد من طلبة الحوزة كانوا يقومون بتوزيع منشورات معارضة للحكومة في ١٩٦٦/٣/٢١ (ليلة عيد النوروز المحلّي) كان بينهم الشهيد محمد المنتظري وآية الله الرباني الشيرازي. واقتيدوا الى سجن قزل قلعة في طهران.

وهكذا اقترن بدء السنة الشمسية الجديدة بالتظاهرات والاضرابات والاعتقالات التي تعدت حدود قم الى باقي المدن، وبعد انتشار أخبار التعذيب الذي مورس بحق العلماء المجاهدين ظهرت ردود فعل عديدة على ذلك تمثلت بالبرقيات والبيانات الاستنكارية التي أصدرها علماء البلاد، وبعد عدة أشهر وفي محاولة من الساواك لازالة التوتر الذي ساد الاجواء، سمح لبعض العلماء المعتقلين بمقابلة ذويهم.

إن جهاد الامة ضد الحكومة كان يقوم على اساس حق تطالب به المدرسة الشيعية دائماً، ألا وهو السعي لاقامة الحكومة الاسلامية [٥]. في الجامعات والمراكز التعليمية والتربوية العالية،

تنامت الجمعيات الاسلامية، كما كانت المساجد والحسينيات أحد المراكز المهمة للاجتماعات الاسلامية التي كانت تتخذ طابعاً جهادياً مناوئاً للسلطة أحياناً، كما ان بعض المساجد والمراكز الاسلامية الارشادية اكتسبت شهرة كبيرة بفعل نشاطاتها الواسعة.

اما الشخصيات الاسلامية البارزة التي كانت تعرض الابعاد المختلفة للاسلام، فقد ادت في هذه المرحلة ادواراً أوسع. فعلى الرغم من جميع المشاكل والعقبات، استطاعوا في مدة قصيرة عرض نتائج دراساتهم وتحليلاتهم بشكل جذاب بالرغم من تلوث الأجواء آنذاك، فبدأوا نشر الوعي بين صفوف الامة ومقايسة ازلام النظام بمعاوية ويزيد ودفع الناس الى المعارضة وعدم الركون الى الظلم.

وقد كان استقطاب فئات الشباب الى الفكر الاسلامي الاصيل وتوسع الدراسات والبحوث وتزايد المحاضرات وصدور المئات من الكتب الاسلامية السرية الحاوية لبحوث ومواضيع جديدة وباسلوب شيق، كل ذلك يكشف مدى عظمة التحرك الذي كان يتم آنذاك وعمقه.

فحسينية ارشاد ومسجد هدايت ومسجد الجواد ومسجد ارك ومسجد قبا، (من المساجد المعروفة في طهران)، تحولت الى مراكز علمية وارشادية وجهادية نشطة، كما كان بعضها على صلة وثيقة بالحوزات العلمية.

وقد سعى الباحثون الاسلاميون الى إلقاء محاضراتهم بشكل يثير النقمة في نفوس الامة ضد النظام القائم. وهذا مافعله آية الله المطهري وآية الله الطالقاني والدكتور شريعتي والدكتور مفتح وآخرين غيرهم، فقد كان كل واحد منهم ـ وبقدر استطاعته ـ شرارة تنقدح في ليل الامة الرازحة في ظل الحكم الطاغوتي.

ولم يكن يروق للحكومة ان تنعقد اجتماعات تتوخى اهدافاً اصلاحية وجهادية. فكانت تبادر الى اغلاق مراكز هذه النشاطات كما حدث لحسينية «ارشاد» عام ١٩٧٢، وبدلاً من ذلك كان النظام ينشئ «بيوت الشباب» ويخصص لها ميزانيات باهضة، ليقوم بعملية غسيل دماغ للشباب، وحرفهم عن نهج البناء الذاتي من خلال جرّهم الى الأفلام الماجنة والقمار ومراكز الفساد، لكنّ أمثال آية الله المطهري سعوا ـ بالرغم من قلة امكانياتهم ـ الى إيصال نداء الاسلام الاصيل الى جيل الشباب في أنحاء البلاد، فلم يكتفوا بنشاطاتهم في غرف المدارس الدينية

او توعية طلاّبهم وتثقيفهم، ودعم المساجد والمساعدة على ازدهار نشاطاتها بل كانوا يبحثون عن اجتماعات وحشود جديدة ليمارسوا فيها دورهم في التوعية.

فالمطهري كان على اتصال دائم بالامام، ويواصل عمله في الخفاء، معتبراً دعم المجاهدين المسلمين الحقيقيين احد الفرائض الشرعية. ومن خلال تدريسه في كلية الالهيات ونشر مقالات اسلامية عديدة، دخل في حرب مباشرة مع الثقافة الغربية[٦]. كما كان يدير نشاطات مسجد الجواد، ويعتبر أحد اركان حسينية «ارشاد». كان حديثه المستند الى منطق الاسلام يتسم بالصراحة والوضوح دوماً.

أما الدكتور شريعتي فقد كان ـ هو الاخر ـ يلعب دوراً كبيراً من خلال اسلوبه الجديد الخاص به، ودأب خلال سنوات الكبت المظلمة على عرض الاسلام والتعريف بشخصياته وقادته العظام، مثل الامام علي وابنه الحسين (عليهما السلام) وتوضيح الظروف التي عاشوها والتي تطلبت ان يكونوا متمردين على ظلم الطواغيت. كما كان يوضح مفهوم الشهادة والجهاد باسلوب مؤثر في النفوس، ويؤكد رجحان البعد الجهادي للاسلام على باقي ابعاده، الامر الذي يثير الحماس في نفوس الشباب الذين كان يحدثهم عن العودة الى الذات والوصول الى الاستقلال في الشخصية، وكان شريعتي يتألق في محاضرته عندما كان يدور بحثه حول نماذج من الشخصيات الاسلامية مثل أبي ذر وسلمان، والقدوة الكبرى في التضحية والجهاد والايمان والتقوى مثل زينب.

وحقاً فان رجالاً مثل الحسين ونساءً مثل زينب، اصبحوا مصدر إلهام وحماس ثوري على مدى القرون، وهم نماذج تلهم الثورة والتحرك ضد الظلم والجور والانظمة الطاغوتية. لقد برز شريعتي واشتهر من خلال اجادته فن التحدث عن الشخصيات القدوة، باسلوب أدبي جياش، من خلال مقالاته ومحاضراته وكتبه العديدة.

وفي هذه الفترة، حُكم على الكثير من علماء الدين والمعارضين الاسلاميين بالسجن لمدد طويلة، كما مورس بحقهم التعذيب الوحشي حيث استشهد بعضهم تحت التعذيب أما آية الله الغفاري وآية الله السعيدي فقد لعبا دوراً كبيراً في توعية الرأي العام وتعبئته مما دفع بالنظام الى اعتقالهما وممارسة أبشع أشكال التعذيب بحقهما.

والمعروف أن الحوزة العلمية في قم قد تأسست على يد المرحوم الشيخ عبد الكريم الحائري

تزامناً مع مجيء رضاخان الى السلطة في ايران، بالرغم من كل العقبات والمشاكل التي كان يختلقها النظام لمنع ذلك، وقد انجبت الحوزة علماء أفاضل أغنوا الفكر الاسلامي بدراسات وبحوث عميقة وقيمة.

وفي الاعوام الاربعين الاخيرة، تعرضت المدرسة الاسلامية الى هجوم فكري غربي، بحيث كانت الثقافة الغربية تسعى للتعتيم على الفكر الاسلامي، واستئصال جذور الاسلام وفكره في اعماق المسلمين الايرانيين. لكننا نشهد في هذه الحقبة بالذات جهوداً علمية مثمرة قام بها علماء الاسلام، امثال العلّامة الطباطبائي الذي قام بتأليف كتابه المعروف (الميزان في تفسير القرآن)[٧]، وقد كان لإلمامه بالبحوث الفلسفية والسياسية والاجتماعية دورٌ كبير في شمولية تفسيره للقرآن الكريم.

٣ـ الامام الخميني في النجف:

رأينا في الفصول السابقة كيف أن الامام وقف بوجه النظام الاستبدادي الملكي والهيمنة الاستعمارية موقفاً صلباً لايعرف التساوم، وبحكم زعامته الدينية وحزمه في ابداء وجهات نظره، فقد تبوأ مقعد الزعامة للقوى المعارضة للحكومة، بل انه اصبح القائد الأوحد الذي يستهدف إسقاط النظام، بسبب مرجعيته الدينية واعتقاده بعدم إمكانية فصل الدين عن السياسة. وقد كان يصرح علناً بأن هدفه اسقاط النظام. كما كان يتمتع بقاعدة شعبية قوية. وقد حال تظاهر النظام بانه داعية للدين ومساند له دون جرّ آية اللّه الخميني الى المحاكمة او الاعدام بالرغم من الوحشية التي كان يمتاز بها النظام الذي كان على يقين من أن اعدام الخميني سيؤدي الى سقوط النظام مباشرة، ولو كان النظام معتقداً بان اعدام الامام سيعيد الهدوء الى الأوضاع، لما توانى عن ذلك أبداً، كما فعل ذلك مع العديد من المعارضين الذين لم يكونوا بمستوى معارضة الامام الخميني للنظام. اذن فقد كان النظام يعامل خصومه من الشخصيات على أساس منزلتهم السياسية والدينية والاجتماعية وهذا ما أخذه النظام بعين الاعتبار حتى عند نفيه للامام.

لقد قضى الامام في النجف ـ وهي منفاه الثاني ـ مدة ١٢ عاماً (١٩٦٦ـ١٩٧٨) حيث لم يستطع في البداية مواصلة نشاطاته التي مارسها قبل النفي، لكنه لم يركن الى ذلك، بل واصل مراقبته لممارسات الحكومة من بعيد. وكان يبدي وجهات نظره ويفضح اساليب النظام كلما اقتضت

الضرورة. وكان ينبه الناس الى أهداف النظام ونهجه غير القويم. لكنه لم يستسلم للّعب السياسية ابداً. فقد جعل الاسلام اطاراً لجهاده منذ البداية. وكان يدعو الجميع الى التمسك بهذا الاطار. وظل اسقاط النظام الشاهنشاهي واقامة حكومة اسلامية هدفه الدائم ولهذا لم يتعاون مع المجموعات التي لاتنتهج، خطاً اسلامياً، وتلك التي تسلك نهجاً منحرفاً. كما انه لم يتقرب الى الحكومة العراقية حتى عندما وصلت العلاقات العراقية الايرانية الى اسوأ حالات توترها.

وخلال وجوده في النجف، واثر نشاطات الامام السياسية فيها، اصبحت هذه المدينة مركزاً سياسياً نشطاً بعدما ظلت قروناً عديدة مركزاً علمياً وقاعدة للمدرسة الشيعية، ولكن قلّما كانت تتدخل في الشؤون السياسية.

ولم يقطع الامام الخميني اتصالاته بايران والمجاهدين المسلمين العاملين ضد النظام بل كانت بياناته ـ بالرغم من أنها أصبحت أقل ـ تصل الى أبعد قرية في ايران، كما وقف العلماء المجاهدون داخل ايران بوجه الممارسات الحكومية بصلابة وشجاعة[٨]. اما النظام فكان يبدي ردود فعل عنيفة حيال تداول احاديث الامام وبياناته بل وحتى اسم الامام الخميني، وكان يقوم بتسويغ اي اجراء حكومي يحتج عليه الامام ويندد به.

٤ ـ استمرار جهاد الامام:

عقب نفي الامام خارج البلاد، اجاب عن رسالة وجهها إليه فضلاء اصفهان بقوله:

«... ان أعمال النفي والقهر لن تؤدي إلاّ الى رفعة الامة الاسلامية وسموّها، وهي عذبة مادامت في طريق الدفاع عن أحكام الاسلام والتصدي لهيمنة الاجانب على بلاد المسلمين والوقوف بوجه التلاعب باستقلال ووحدة اراضي الدول الاسلامية».

واضاف مؤكداً: **«... على الحوزات العلمية المقدسة القديمة والجديدة والجامعات القديمة والجديدة وجميع فئات الشعب ان يعدوا انفسهم للعصور المظلمة التي يحتاج فيها الاسلام الى قدر اكبر من الدعم والدفاع»**[٩].

وفي عام ١٩٥٧ وتزامناً مع احتفالات ذكرى التتويج[١٠] وجّه (قدس سره) نداءً الى الحوزات العلمية قال فيه **«... خطتهم تقضي بالتقدم خطوة خطوة، وكلما تراجعتم انتم خطوة واحدة، تقدم هؤلاء خطوة مكانها، لقد عقدوا العزم على القضاء عليكم. لاتتصوروا**

أن اللين والمساومة ستدفعهم الى كف أذاهم عنكم، بل إن ردعهم لايتم إلاّ بصمودكم وتصديكم وابداء وجهات نظركم بصراحة واطلاق صرخات مظلوميتكم. نبّهوا شعبكم وشعوب العالم الحرة الى الظلم الذي يمارسه الجهاز الحاكم بحق الشعب الايراني المسلم، بلّغوا جرائم هؤلاء الى اسماع العالم بشتى الوسائل»[١١].

«... انني أعلم ما الذي تضمره طغمة الجبابرة الحاكمين للاسلام والمسلمين ... هؤلاء يعتبرونكم ـ ايها العلماء ـ مجرمين، تهمتكم هي خدمة الدين والقرآن، ومعارضة الهيمنة الاجنبية على الدول الاسلامية. تهمتكم هي معارضة الطغمة الظالمة المستبدة وما تقوم به من نهب وسرقة. تهمتكم هي علمكم وعدم رضوخكم للاجانب وعملائهم عديمي الكرامة.

إنهم يريدون ارسالكم بالقوة الى الخدمة العسكرية، وممارسة الاعتقال والقهر والضغوط والاهانة والنفي لتصبح الطريق سالكة امام سياسات عملاء الاجانب.

يريدون ان يظل اهل القصور منغمسين في الشهوات، وان يُقضي على فئة العلماء الاعلام والمفكرين والشباب الواعين الذين يقفون عقبة في طريقهم.

يريدون كمّ أفواه الخطباء عن أي حديث إلاّ اذا كان فيه توجيه وتسويغ لجرائمهم وخياناتهم ووصفٌ لها بالرقي والتقدم ...»[١٢].

يقول احد علماء الدين الايرانيين كان على اتصال دائم بالامام:

«عندما وصل الامام الى مطار بغداد، كان يتصور أنه سيواجه نفس الظروف التي واجهها في تركيا من قيود ورقابة. يقول المرحوم السيد مصطفى الخميني اننا لم نر أية مراقبة وان بإمكاننا استقلال سيارة الاجرة والدخول الى المدينة. فلم يكن أحد باستقبالنا، وفي بغداد كنا نتمتع بحرية تامة، كل ما في الامر اننا لم يكن بامكأننا العودة الى ايران.

في ذلك الحين التقى الامام وزير الشؤون المحلية العراقي مبعوثاً من قبل عبدالسلام عارف وهنا كانت البداية، حيث سنرى فيما بعد محاولات المسؤولين لاستغلال وجود الامام هناك، فعلى الرغم من عبارات الترحيب التي ادلى بها الوزير العراقي فانه لم يسمع من الامام رداً مشجّعاً، بل أبلغه بأنه احد طلاب العلوم الدينية وانه يريد الالتحاق بالحوزة العلمية في النجف والانشغال في الشؤون العلمية.

وبعد موت عبدالسلام عارف اثر تحطم الطائرة التي تقلُّه، خلفه أخوه عبدالرحمن عارف الذي كان ليبرالياً مساوماً الى حد ما، ولم يكن يتصف بقوة اخيه وحزمه، حتى أن ضعفه وصل الى حد قيامه بزيارة ايران ولقاء الشاه. وفي تلك الفترة ترددت أحاديث حول احتمال نفي الامام من العراق الى منطقة اخرى، حيث شنت اتحادات الطلبة الجامعيين في العالم الاسلامي برئاسة شاب عراقي يدعى حسين الشهرستاني حملة اعلامية واسعة، وبعث رئيسها رسالة الى عبدالرحمن عارف أبدى فيها دهشته من سماحه لنظام الشاه بنفي الامام الى بلد آخر، واعتبر هذا أمراً لايمكن تصديقه.

وعلى اثر الحملة الاعلامية والاتصالات الواسعة التي قامت بها هذه الاتحادات، اضطر عبدالرحمن عارف الى الاعلان رسمياً بان الحكومة العراقية لاتنوي اخراج الامام من العراق او عدم منحه تأشيرة الاقامة هناك. وهكذا استمر الوضع على هذا المنوال حتى مجيء البعثيين الى الحكم بعد حوالي عام من الحرب العربية ـ الصهيونية عام ١٩٦٧، وقد شهد تعامل البعثيين مع الامام تقلُّبات وتغيرات كثيرة، اذ كان نظام الحكم في عهود ما قبل مجيء البعثيين عام ١٩٦٨ يتسم بالاتجاه القومي والقرب من الدين الى حد ما.

واذا كان الامام قد تعامل مع عبدالسلام وعبدالرحمن باسلوب معيَّن، فان هذا الاسلوب لم يتسم بالصرامة والخشونة، على العكس مما ابداه مع البعثيين مع بدء تسلمهم الحكم، فقد كان موقفه منهم نابع من طبيعة عقيدتهم وأفكارهم. فلم يكن ـ منذ ذلك الوقت ـ يؤيد ايديولوجية هذا الحزب لكي يقيم معه علائق حسنة.

المهم فقد بدأ القلق يساور المحيطين بالامام واصدقاءه من أن موقف الامام هذا من النظام البعثي الفاشي قد يؤدي به الى الهجرة من العراق، لكن توتُّر الروابط بين النظامين الشاهنشاهي والعراقي قد بدد هذا القلق إلاّ أن السلطة العراقية ظلت تمارس رقابة شديدة على النشاطات السياسية والدينية للامام. فخصصت مجموعة من شرطة الامن لمراقبته سراً وعلناً وفي منزله ـ حيث يستقبل الزائرين ـ تتردد باستمرار عناصر من شرطة الامن على شكل فقراء يأتون للاستجداء، او معممين يأتون للاستفتاء.

اما على الصعيد الاعلامي، فلم يكن البعثيون يسمحون ببروز اسم الامام الخميني كشخصية دينية بارزة ومرجع تقليد للشيعة في العراق بل وحتى في أحلك الظروف عندما وصلت الازمة في

العلائق بين نظامي الشاه والبعث الى ذروتها ـ حيث اقترن ذلك بوفاة مرجع الشيعة آية اللّه العظمى الحكيم ـ وكان مطلوباً ان يخلفه مرجع آخر من علماء الشيعة كان من مصلحة النظام العراقي ان يبرز الامام ليكون ذلك حربة فعالة ضد نظام الشاه، لكن النظام العراقي لم يفعل ذلك، بل وقع الاختيار على آية اللّه الخوئي خلفاً للحكيم، وهذا يعني ان الحكومة العراقية كانت تخشى من بروز اسم الامام بنفس الدرجة التي كانت حكومة الشاه تخشى ذلك، فنراها تمتنع عن طرح اسم الامام كابرز شخصية شيعية بعد آية اللّه الحكيم، وهكذا كان استبعاد الامام عن المرجعية العليا يرضي الحكومتين العراقية والايرانية، في تلك الفترة حالت الحكومة العراقية دون وصول وسائل الاعلام والصحفيين ـ الذين تهافتوا على العلماء المرشحين للمرجعية آنذاك ـ الى الامام.

نستنتج من هذا، أن النظام العراقي لم يفكر في الاستفادة من وجود الامام في العراق لغرض محاربة الشاه حتى عندما وصلت الازمة في العلائق بين الحكومتين الى أشدها، فقد كان النظام يخاف من وجود الامام بشكل بحيث انه لم يسمح له بممارسة نشاطاته السياسية في العراق الا في ظل شروط وقيود كثيرة، وعندما سمح للمعارضين الايرانيين بايصال صوتهم عبر وسائل الاعلام العراقية، لم يسمح بذكر اسم الامام حتى في القسم الفارسي من الاذاعة، الذي يستمع له الناطقون بهذه اللغة من الايرانيين فقط، فضلاً عن انه لم يكن اسم الامام يتردد في باقي اللغات أبداً[١٣].

لقد كان الامام يتصرف بكل حزم منطلقاً من فكره الاسلامي بحيث إن النظام العراقي كان يملك نفس الخوف الذي كان يملكة نظام الشاه منه، وكان يتوجس خيفة من أن يمارس نفس هذه القوة القيادية في تحريك الداخل العراقي يوماً. وهكذا استمر الوضع على هذا المنوال حتى انتهت الازمة في العلائق بين الحكومتين الى توقيع معاهدة الصلح في الجزائر، حيث اتفق الجانبان على انهاء المشاكل الموجودة في روابطهما منذ زمن بعيد، كما تعهد العراق علناً بان لايسمح للامام بممارسة أي نوع من النشاط السياسي المعارض لحكومة الشاه، ومنذ ذلك التاريخ دخلت نشاطات الامام السياسية مرحلة السرية، فقد ظل الامام على نفس مواقفه الحازمة والمبدئية المعهودة. فكان يصدر البيانات ويوجّه النداءات الى الشعب الايراني وكل المسلمين في المناسبات المهمة، ويتخذ مواقف صريحة من الحوادث المختلفة، فكان كل ذلك يصل الى ايران بصورة سرية[١٤].

٥ ـ محاولة اسكات الامام:

التقارب الايراني ـ العراقي كان يستلزم منع النشاطات السياسية للمعارضة الايرانية في العراق، وخصوصاً الامام الخميني. وقد أدى الموقف العراقي الجديد من الامام الى ممارسة الامام نشاطاته بطرق سرية. كما ان الانظمة العربية العميلة كانت تعارض ـ كلّ على شاكلتها ـ ممارسة اية نشاطات سياسية معارضة للشاه. فقد كانوا يرون أن استمرار نشاطات الامام بهذا الشكل المدروس ومايملكه من نفوذ في قلوب الايرانيين وأحاسيسهم ومشاعرهم ـ بحيث أصبح القلب النابض لهذا الشعب؛ يمده بدماء جديدة باستمرار ـ رأوا أن استمرار ذلك من شأنه ان يهدد حياة كل الحكام العملاء بالخطر، لذلك مارسوا ضغوطاً على الحكومة العراقية لإقناع الامام بالسكوت عبر شتى الوسائل او فرض حصار كامل عليه.

وقبل أن تطلب الحكومة العراقية إلى الامام رسمياً الكف عن نشاطاته، حذر وزير الخارجية السعودي في مؤتمر عربي جميع الانظمة العربية من أن السماح للخميني بمواصلة تحركه السياسي بهذا الشكل وهذا الوضوح والتواصل بالشعب الايراني، لن يؤدي الى سقوط الشاه فحسب، بل سيؤدي الى تغير الاوضاع في المنطقة كلها.

يقول حجة الاسلام دعائي وهو من مرافقي الامام في العراق:

« ... قبل يوم من لقاء اكبر شخصية أمنية عراقية بالامام، استدعتني مديرية الامن في النجف، واخبروني بأن مساعد رئيس الجمهورية وممثل مجلس قيادة الثورة وعضو قيادة حزب البعث العراقي ينوي التقاء الامام غداً، وقد أوصلتُ الامر الى الامام الذي رأى من الافضل السماح له بمقابلته ليرى ماعنده وماذا يريد ... وقد كان هذا الرجل من اكثر الشخصيات الرسمية العراقية قسوة وصلافة آنذاك، كما كان يشغل منصب مدير الامن العام... »

وفي اليوم التالي حصل اللقاء وكنت انا المترجم، وقد حاول سعدون شاكر التحدث مع الامام باحترام وتواضع فقال «انني باعتباري ممثلاً لرئيس الجمهورية وعضو مجلس قيادة الثورة، وحزب البعث، أحمل لكم رسالة خاصة، وهي اننا قدّمنا تعهداً لنظام الشاه بعدم السماح بممارسة نشاطات معارضة له داخل العراق، ونحن في الوقت الذي نكنّ فيه الاحترام لكم ونرغب في بقائكم في العراق، إلاّ اننا نعتقد ان شخصية علمائية مثلكم عليها أن تنهمك في الشؤون الدينية الصرفة، وان تترك السياسة لأهلها، لهذا فاننا نطالبكم ـ باعتباركم شخصية دينية نكنّ لها

الاحترام ـ ان تكتفوا بممارسة شؤونكم الدينية والعلمية، وان لاتسمحوا بممارسة الشؤون السياسية في العراق».

لكن الامام أوقفه عند حده، بصراحته وحزمه المعروفين فقال له:

« ... ان الاسلام هو دين السياسة، والسياسة ليست منفصلة عن الدين أبداً، ومن واجب كل مسلم ان يطلع على الشؤون السياسية ويمارسها، لان ذلك مرتبط بمصيره مباشرة».

كما اكد له بان ماقاله يدل على خطأ وانحراف في التفكير، ثم قال (قدس سره):

«انني ذلك الخميني السابق الذي لم يغير من تفكيره ولم يتراجع عن أداء واجبه، أما أنتم فافعلوا ماشئتم ....».

وهكذا فوجئ هذا الشخص الصلف، بموقف الامام، فلم يكن يتصور ذلك من شخص يتصور أنه مجرد انسان منفي أُجبر على البقاء في العراق.

ولم يكن هؤلاء يرغبون بأن يخرج الامام من العراق، بل استهدفوا ابقاءه مع الوفاء بالتعهد الذي قدموه الى الحكومة الايرانية. أي انهم أرادوا إبلاغ هذه الرسالة الى حكومة الشاه وهي انهم استطاعوا اسكات اكثر معارضيه صلابةً وقوة، وحالوا دون قيامه بأي نشاط سياسي.

وهكذا فان هؤلاء حاولوا ان لايوصلوا الامر إلى مستوى بحيث يقرر فيه الامام الخروج من العراق، لذلك فقد طلب إليه رئيس جهاز الامن أن يواصل نشاطه الذي يريده ولكن دون انطلاق هذا النشاط من العراق مباشرةً. كما طلب إليه ان يعيّن خارج العراق من ينطق باسمه ليكون بامكان الحكومة العراقية الادعاء أمام حكومة الشاه بأن المعارضة لاتمارس أي نشاط ضدها من داخل العراق.

اما الامام فقد رد ـ مبتسماً ـ على هذا الاقتراح قائلاً:

«ان موقفي الشخصي هو صاحب التأثير وليس من الصحيح أن أسكت انا ويتحدث الآخرون باسمي. كلاّ، فالوضع يجب ان يستمر بالشكل الذي هو عليه الآن، فان كنتم لاتطيقون بقائي، فسأغادر العراق».

عندها سأله سعدون شاكر الى اين ستذهبون؟ علماً بان الامام كان مضطراً للبقاء في العراق لكنه أجاب بكل صرامة:

«سأذهب الى مكان ليس مستعمرة للشاه و ايران» وهنا إحمرّ وجه سعدون شاكر من شدة انزعاجه، لكنه لم يكن بامكانه إبداء أي رد فعل، وهكذا انتهى هذا اللقاء دون ان تحصل الحكومة العراقية على النتيجة المتوخاة. بعدها حاولت خلق مشاكل ومصاعب لمضايقة الامام، فبالرغم من انها لم تطلب إلى الامام صراحة الخروج من العراق إلاّ أنها مارست ضده التضييق حتى أدرك سماحته أن البقاء في العراق اصبح غير ممكن.

وفي سياق هذه الضغوط، منعوا أي شخص من دخول بيت الامام[١٥] مما دفع سماحته الى الاعتصام في منزله، ولما شاعت أخبار ذلك اضطرت السلطة الى التراجع، واعلنت بان بامكان أي شخص لقاء الامام بعد أن طلبت إليه ان ينهي اعتصامه) [١٦].

٦ـ قرار الامام بالخروج من العراق:

السلطات العراقية أرادت إبقاء الامام في العراق ومنعه من ممارسة نشاطه السياسي، لكن الامام لم يكن مستعداً لذلك أبداً ولم تنفع في هذا السبيل كل الاساليب، بما في ذلك الاتصالات التي اجرتها السلطة مع الشخصيات المقربة من الامام[١٧].

وهكذا قرر الامام مغادرة العراق الى احدى الدول الاسلامية، حيث اختار سوريا التي لم تكن آنذاك ملزمة بأي تعهد للشاه، كما ان مواقفها كانت اكثر صراحة وثورية حيال نظام الشاه بالرغم من المصاعب التي كان سيواجهها الامام خلال اقامته في هذا البلد من قبيل عدم وجود خط هاتفي مباشر بين سوريا وايران. ومع كل ذلك كان الامام يفضل التوجه الى سوريا خاصة وان التوتر في العلاقات العراقية ـ السورية كان على أشده ولو كان الامام قد أعلن ذلك، لحال النظام العراقي دون مغادرته العراق، ولهذا قرر الامام الخروج عن طريق الكويت والتوجُّه الى سوريا، فجرى الاعداد لذلك بشكل سري تماماً وتم الحصول على تأشيرة الدخول الى الكويت بشكل خاص جداً[١٨]، كما تم الحصول على تأشيرة الخروج دون ان تنتبه السلطات لمن أُصدرت هذه التأشيرة[١٩].

فقد قرر الامام التحرك من النجف بعد صلاة الصبح، ومن النجف وحتى صفوان (نقطة الحدود العراقية ـ الكويتية) رافقت سيارة الامام عدة سيارات تابعة لمديرية الامن. ولدى وصوله الحدود الكويتية واجه الامام رفض الحكومة الكويتية دخوله الى اراضيها. كما أن العراق

لم يعد مكاناً مناسباً لنشاطات الامام، اما الدول الاسلامية الاخرى التي كانت تتمتع بعلائق طيبة بنظام الشاه فلم تكن تسمح للامام بالاقامة في أراضيها، او على الاقل لاتسمح له بممارسة نشاطه السياسي. وفي ذلك اليوم، فكّر الامام بالتوجُّه الى باريس، حيث سنتعرض الى تفاصيل هذه الهجرة التاريخية ونتائجها وذلك في الفصل الخاص بحوادث عامي ١٩٧٨ ـ ١٩٧٩.

هوامش الفصل الثاني عشر

١ ـ الخميني الدؤوب ومدرس الحوزة العلمية، اتخذ ـ منذ البداية ـ الاسلام كرسالة الهية راسخة تشمل العالم كله ومطابقة للفطرة الانسانية، وهي رسالة لكل العصور والازمان .. وجعل ترسيخ اسس الاسلام هدفاً ثابتاً له في جهاده الدؤوب، ولم يتوانَ لحظة واحدة في هذا السبيل وسخّر كل الاساليب والوسائل المشروعة لخدمة هذا الهدف المقدس، كما استبعد كل ما يحرف المسيرة عن هذا الهدف.

وفي دروسه الأخلاقية، كان يركّز على البعد المعنوي للبناء الانساني وكذلك الحكومة الاسلامية. وكان ذلك موضوعاً شيقاً بالنسبة لتلاميذه. ثم انتقل في احاديثه من بناء الذات الى البناء الاجتماعي الصحيح، وبعد تعرضه للاعتقال والنفي بدأ يتحدث عن الاسلام وحقائقه الكامنة في التوحيد، وبدأت صرخاته تتعالى «**ان الهدف هو الاسلام واستقلال البلاد وطرد عملاء اسرائيل وتحقيق الوحدة مع الدول الاسلامية**» (شباط ١٩٦٤).

وفي كتابه «حكومت اسلامي» الصفحة (١٦) يقول الامام:

«**يتوجب علينا منذ الآن البدء بالعمل لإرساء أُسس حكومة اسلامية حقة وعلينا ان نقيم حكومة تكون قدوة للآخرين وينبغي لنا ان نمارس الدعاية لها والتعريف بها حتى تتحول الى موجة عارمة، وتدريجياً ستنبثق من المسلمين امة واعية لواقعها ومسؤولياتها، وتفرز من يثور على الواقع ويقيم حكومة اسلامية**» .

وفي رد له على رسالة جمع من فضلاء مدينة نجف آباد قال الامام الخميني:

«**إن إبعادي الى تركيا ومنها الى العراق لايبعث على القلق، لأن ذلك يتمُّ بسبب قيامي بمسؤوليتي في الدفاع عن أحكام الاسلام ومصالح المسلمين والتصدي للتغلغل الأجنبي في الدول الإسلامية، ومحاولتي التصدي للظلم الذي يمارَس بحق المسلمين**» .

وفي رسالته الى الطلبة الجامعيين الايرانيين المقيمين في أميركا وكندا، في العشرين من جمادى الثانية عام ١٣٩٠هـ.ش قال الامام:

«**يتوجّب عليكم ان تقوموا بإطلاع المجتمعات البشرية على الاسلام العظيم، سواء من ناحية الحكومة التي يدعو اليها والعدالة التي يطالب بها، او اسلوب تعامل والي المسلمين مع الامة، او طبيعة ادارة الوالي لبيت المال**» .

٢ ـ قال الامام «**ان نظام ايران يستهدف القضاء على الاسلام من خلال طباعته القرآن والتظاهر بالاسلام، وتأسيس جيش الدين التابع لمنظمة الاوقاف، وباقي الاساليب والعناوين الخادعة الاخرى كما يستهدف من ذلك ايضاً جرّ الامة الى الذل والعبودية، وتحويل المسجد والمحراب النبوي الشريف الى ابواق دعائية للبلاط المعادي للاسلام**» .

(من جواب الامام على «رسالة المظلومية» الموجهة إليه في ٩ صفر ١٣٩٢ هـ.ق نقلاً عن نشرة «آواى انقلاب» ص ٦٠) .

٣ ـ في ندائه بتاريخ ٢٣ رمضان ١٣٩١ هـ.ق خاطب الامام الخميني الامة قائلاً:

«**... سمعنا مؤخراً بتأسيس ما يسمى بجيش الدين، من فم أحد العملاء. إن تأسيس هذا الجيش غير المبارك الذي لن يكون الّا لخدمة اهداف الاستعمار وتجيير كل مصالح الاسلام لمصلحة الاستعمار، ليشكل خطراً كبيراً على المسلمين وعلى رأسهم العلماء الاعلام ..**» .

٤ ـ في أغلب نداءات الامام التي وجهها في مناسبات مختلفة وفي المنفى، نشاهد اصراره على إقامة حكومة اسلامية قام بتحديد معالمها واطرها في اكثر من مناسبة.

فني رسالته الى الطلبة الجامعيين المقيمين في اوروبا بتاريخ ٢٤ ربيع الاول عام ١٣٩١ هـ.ق يقول الامام:

«لو أطّلع جيل الشباب ـ من أية طبقة كانوا ـ على ماهية الحكومة الاسلامية وحقائقها ؛ هذه الحكومة التي لم يُتح لها ان ترى النور إلاّ في عهد الرسول وخلافة الامام علي (ع) ، لو اطلعوا عليها ، لتزلزلت اركان كل الحكومات الاستعمارية الظالمة ولانهارت كل المدارس المنحرفة كالشيوعية وغيرها ...» .

وقد كان الامام يتحدث عن الحكومة الاسلامية من جميع اركانها وابعادها، ولتوضيح ذلك ننقل جانباً من محاضرته في احدى جلسات التدريس:

«الحكومة الاسلامية هي حكومة القانون. فلا احد يحكم غير القانون والقانون الالهي له السلطة التامة على البشر، بما فيهم النبي (ص) وخلفائه وسائر الناس العاديين، فهم اينما كانوا وفي أي زمان وجدوا، يتبعون القانون الذي أنزله الله تعالى في القرآن وعلى لسان النبي (ص)» .

وفي درس آخر قال الامام:

«الغرض من نزول القوانين الاسلامية هو اقامة الحكومة، وليس اقامة امبراطورية وانشاء قصور وجمع خدم وحشم، وتنصيب ولي للعهد، وما الى ذلك مما هو موجود الآن، والذي يستهلك اكثر من نصف ميزانية البلاد، فالاسلام بعيد عن كل هذا» .

وفي درس آخر قال:

«لان الناس لم يطلعوا على الاسلام الصحيح بكل ابعادهِ، ولماذا جاء وماهي اهدافه، لذلك فانهم عندما يسمعوننا نقول بالدولة الاسلامية او رئيس الدولة، يخلطون هذا الامر مع الدول الموجودة الآن. وقد يتصورون أن رئيس الدولة الاسلامية يجب ان يجلس هو الآخر في قصر فخم، كالرئيس الاميركي مثلاً، وله بلاط يبذخ وينفق على حساب الفقراء» .

٥ ـ راجع كتاب (تنبيه الامة وتنزيه الملة) الذي كتبه باللغة الفارسية آية الله الميرزا حسين النائيني، ويمثل هذا الكتاب حصيلة اجتهاد الميرزا حول موقف الشريعة من الطاغوت وقوى الضلال، ويوضح ان الاسلام هو أكبر داعم للحرية والعدالة الاجتماعية ويدعو الى القضاء على انواع الطفيليات الاجتماعية. المهم ان موضوع الحكومة في الاسلام كان محط اهتمام علماء الاسلام العظام على مرّ التاريخ أي أن اساس هذا الموضوع وجذوره قديمة وليست بالشيء الجديد.

٦ ـ نشرت مجلة شاهد بتاريخ ٤ أيار ١٩٨١ مقالاً ذكرت فيه ان مؤلفاته بلغت ٤٠ مؤلفاً في مختلف شؤون العقيدة والتاريخ والعرفان والكلام والسيرة والفلسفة، والاخلاق وحتى الجنس من منظار عقائدي اسلامي.

٧ ـ يقول المرحوم العلامة الطباطبائي في هذا المجال:

«عندما جئت من تبريز الى قم، قمت بدراسةٍ لحاجات المجتمع الاسلامي ووضع الحوزة العلمية في قم، فوصلت الى هذه النتيجة وهي ان هذه الحوزة بحاجة ماسة الى تفسير للقرآن ليتسنى من خلاله إدراك مفاهيم هذه الامانة الالهية على أفضل وجه، ومن جانب آخر كانت الشبهات المادية قد انتشرت آنذاك، وهذا يتطلب تقديم بحوث عقلية وفلسفية ليتسنى للحوزة من خلالها إثبات الاسس الفكرية والعقائدية للاسلام بالادلّة والبراهين العقلية.

ومن هنا رأيت أن الواجب الشرعي يحتّم عليّ العمل ـ وبالاتكال على الله ـ من أجل سد هذين النقصين» .

لقد كانت النسخة الاصلية لكتاب «الميزان في تفسير القرآن» باللغة العربية وتقع في (٢٠) جزءاً كل جزء منها يضم اكثر من ٤٠٠ صفحة. وقد تمت ترجمة (الميزان) الى الفارسية بإشراف الطباطبائي نفسه، وطُبعت في (٤٠) جزءاً. وقد لقي هذا الكتاب

إقبالاً كبيراً على طبعه في بيروت وايران.

ومن خصائصه انه يستخدم اسلوب تفسير القرآن بالقرآن اذ يقول العلّامة الطباطبائي: ان التفسير الحقيقي هو الذي ينتج عن التدبر في القرآن وتفسير كل آية بالآيات الاخرى المتعلقة بها.

وفضلاً عن ذلك فقد كان المرحوم الطباطبائي من الفلاسفة المعاصرين، فقد كان يستخلص مفاهيم ومباحث فلسفية عميقة ودقيقة من الآيات القرآنية، فهو يعتقد أن الفلسفة الالهية لاتتعدى حدود المفاهيم القرآنية فيما يخص الانسان والله والعالم، وانطلاقاً من هذه النظرة، ألّف كتباً مثل (بداية الحكمة) و (نهاية الحكمة). وكتاباته حول التعريف بالفكر الشيعي كانت تسلك نهجاً وحدوياً بين المذاهب الاسلامية، فهو يعرض خصائص المدرسة الشيعية خاصة في كتاب «الشيعة في الاسلام» ومجموعة نقاشاته مع البروفسور كوربون، حيث يقدم الوجه الناصع للمدرسة الشيعية على حقيقتها.

فهو يعتقد أن التشيُّع ليس مذهب اقلية اسلامية تختلف مع الاكثرية حول أُصول الدين الاسلامي ومبادئه بل إن الشيعة هم في الواقع فئة شعرت - خلال اتساع الدولة الاسلامية وما رافق ذلك من فساد سياسي واخلاقي لدى الامويين والعباسيين وتغلغل افكار غريبة دخيلة على الدين - شعرت أن العديد من العلماء شارفوا على الانحراف عن خط الاسلام المحمدي الاصيل من خلال اتجاههم الى افكار وقيم دخيلة، بدل المعايير والقيم الاسلامية، عندها قررت هذه الفئة العمل على اعادة المسلمين الى النهج القرآني وسنة النبي (ص) ،وقد تحملت في هذا السبيل المصائب والاذى الكثير على مر العصور. اذن فالتشيع ليس نهجاً يوازي خط الاكثرية المسلمة، بل هو نهج اسلام القرآن والسنة المحمدية (الصفحتان ١٨ و ١٩ من كتاب: الشيعة في اسلام).

٨ - في هذه الفترة، ظل علماء مجاهدون أمثال سعيدي وغفاري يواصلون نهضتهم وتصديهم للانحراف حتى نالوا الشهادة، مقدمين بذلك أرواحهم رخيصة على طريق اهداف الامام الخميني ونهجه المقدس.

٩ - «آواى انقلاب» مختارات من بيانات الامام الخميني.

١٠ - احتفالات ذكرى تتويج الشاه عام ١٩٦٧ تزامنت مع حرب حزيران بين العرب واسرائيل، وفي هذه المناسبة أصدر الإمام بياناً استنكر فيه هذه الاحتفالات كما ندد فيه باسرائيل بقوله:

« ... لقد عملت الدول الكبرى على زرع هذه الغدة الخبيثة في قلب الدول الاسلامية ، وها هي جذورها الفاسدة تمتد لتشكل تهديداً متزايداً للدول الاسلامية ، ولهذا يجب أن تتظافر جهود الدول والشعوب الاسلامية لاجتثاث جذور هذه الغدة الفاسدة ... فاسرائيل تشهر السلاح بوجه الدول الاسلامية وعلى الدول والشعوب الاسلامية ان تقتلع هذه البؤرة الفاسدة من جذورها ، ومساعدة اسرائيل حرام سواء كانت على شكل بيع السلاح لها او تزويدها بالنفط ، وهو أمر مخالف للاسلام تماماً .

إن اقامة العلائق مع اسرائيل وحماتها ، سواء العلائق المادية او السياسية حرام ومخالف للاسلام ، على المسلمين مقاطعة كل ما هو اسرائيلي» .

وقد تزامنت هذه البيانات مع ازدهار العلائق بين ايران واسرائيل، وهو ما ادى الى قطع العلائق المصرية - الايرانية في عهد جمال عبدالناصر. وبالرغم من أن الامام كان في المنفى، الا انه وجّه رسالة الى هويدا قال فيها:

« ... لاتتآخَ مع اسرائيل عدوة الاسلام والمشرّدة لاكثر من مليون مسلم ، لاتجرح بذلك مشاعر المسلمين وعواطفهم ، لاتطلق يد اسرائيل واذنابها في سوق المسلمين اكثر من هذا ، لاتعرّض اقتصاد البلاد للخطر ، لأجل اسرائيل واذنابها لاتدع الثقافة الاسلامية تذهب ضحية أهواء هؤلاء ...» .

١١ - «آواى انقلاب» ص ١٧٣.

١٢ ـ المصدر السابق / الصفحات ٥٢ و ٦٦ و ٦٩.

١٣ ـ يقول السيد محمود دعائي في مقابلة نشرتها صحيفة (جمهوري اسلامي) في العدد ٣٨١ بتاريخ ٦ تشرين الاول عام ١٩٨٠:

«... الامام اصدر اول فتوى شيعية لصالح المناضلين الفلسطينيين، وقد كان دعمه لهم واضحاً صريحاً، خاصة دعمه لمنظمة فتح، وقد أوجب فيها دعم الفلسطينيين وتقديم ما أمكن من المساعدة لهم، كما أجاز منح جزء من الحقوق الشرعية لدعمهم، وقد طبعها الفلسطينيون في كراس الى جانب فتاوى باقي علماء الاسلام ووزعوها في موسم الحج بعدة لغات.

وبسبب وجود فتوى الامام في هذا الكراس فقد منعت الحكومة العراقية توزيعه كما لم يسمحوا بطبع هذه الفتوى في صحفهم باللغة العربية. وكم كان مضحكاً أن يتم نشر نص الفتوى باللغة الفارسية في احدى الصحف العراقية الصادرة باللغة العربية، أي انهم لم يكونوا يريدون إطلاع غير الايرانيين على فحوى الفتوى ليعرفوا موقف الامام ورحابة صدره وشمولية نظريته فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية ونضال الشعب الفلسطيني».

١٤ ـ مرة أُخرى يصدر الشاه أوامره بخنق صوت الامام. فقد عثر في بيت شريف امامي على رسالة مكتوبة على قطعة من الحرير الابيض، تعود الى وزارة الخارجية وبالذات السفارة الايرانية في العراق، حيث كتب السفير الايراني صادق صدرية الى الخارجية الايرانية قائلاً «... آية الله الخميني لايلتزم الصمت في العراق بل يواصل نشاطاته المكثفة ضد النظام لذا ارجوا إصدار الاوامر اللازمة في هذا المجال».

ويؤكد السفير الايراني «إن النشاطات المتواصلة لآية الله الخميني في النجف ضد النظام، أثارت موجة من القلق في العراق».

وعندما وصلت الرسالة الى الشاه عن طريق خلعتبري ثم امامي، كتب في أسفلها: «لقد أمرتُ عدة مرات بخنق هذا الصوت». (كيهان ـ ٢٧ شباط ١٩٧٩ ـ العدد ١٠٦٤٨).

١٥ ـ المسؤولون العراقيون تصوروا أن الامام لن يترك المكان الذي أقام فيه مدة (١٢) عاماً ولن يترك المركز الذي حصل عليه فيه، خاصة وان الظروف كانت مهيأة ليتبوأ مقام المرجعية، واعتقدوا انه سيرضخ للضغوط وسيضطر في النهاية الى مطاوعة الحكومة العراقية ويحد من نشاطاته العنيفة ضد الشاه.

وكمرحلة اولى، قاموا باعتقال الاشخاص الذين كانوا يترددون على منزل الامام، حيث اعتقلوا في يوم واحد عدداً كبيراً من زوار الامام الذين كانوا يأتون ضمن قوافل وزارة الاوقاف الايرانية لزيارة العتبات المقدسة، حتى وصل الامر الى وضع رجال أمن لمراقبة منزل الامام واعتقال من يدخله. وهنا اتخذ الامام موقفاً حازماً، اذ اعلن اعتصامه في البيت وامتنع عن الخروج، وصاحب ذلك حملة اعلامية قام بها أنصار الامام على الصعيد العالمي من خلال الاتحادات والمنظمات الاسلامية، كما نظمت المظاهرات والاعتصامات والهجمات على السفارات العراقية.

١٦ ـ الامام كان يخرج من البيت ثلاث مرات كل يوم، وقت الظهر لاداء الصلاة وفي المساء لزيارة المرقد الطاهر للامام علي، ومرة ثالثة يذهب الى المسجد لإلقاء دروسه. وعندما اعتصم الامام في المنزل، بذل المسؤولون العراقيون مساعي حقيقية لاقناعه بالخروج لكنه اشترط لذلك ان يقدّم هؤلاء تعهُّداً بعدم التعرض لأيّ من جماعته وزواره، وكانت الحكومة العراقية مستعدة لتقديم مثل هذا التعهد، لكن الامام قال: إنني لااثق بهذا التعهد، ومن الممكن ان يواصلوا مضايقة زواري فور خروجي من البيت.

وهكذا امتنع عن الخروج، وكانت تلك عملية فضح لنوايا المسؤولين العراقيين وممارساتهم، اذ كانوا يدّعون انهم لاينفّذون مايريده نظام الشاه.

١٧ ـ يقول حجة الاسلام دعائي في هذا المجال: «... استدعاني مدير الامن العام سعدون شاكر، باعتباري من المقربين الى الامام، وكنت حاضراً في الاجتماع الذي تم بينهُ وبين الامام. وعندما التقيته طلب مني ـ بأدب ورجاء ـ ان يعمد الامام الى السكوت مدة شهر واحد، وقال «نحن لدينا التزامات حيال نظام الشاه، وليس من الصحيح ان يغادر الامام العراق ...» ثم طلب أن أرجو الامام بأن يخفف من نشاطاته بعض الشيء وان يقوم بتوزيع بياناته انطلاقاً خارج العراق فأجبته بانني ووفقاً لمعرفتي بطبيعة موقف الامام لاأتوقع ان يوافق الامام على أن تخضع نشاطاته لأقل ضغط من أحد الانظمة لصالح نظام متجبر، او أن يعيد النظر في اسلوب عمله، لأنه شخص حاذق وحازم في مواقفه، لكنني مع ذلك نقلت طلب سعدون شاكر الى الامام. عندها أدرك سماحته أنه لم يعد من المصلحة البقاء في العراق وقرر مغادرته» .

(جمهوري اسلامي / ٦ تشرين الاول ١٩٨٠)

١٨ ـ يقول السيد محمود دعائي «تم الحصول على تأشيرة الدخول الى الكويت دون ان يشعر الكويتيون من هو صاحب التأشيرة. فقد قام نجل ممثل الامام في الكويت السيد احمد المهري بالحصول على دعوة «طلبية» للامام ونجله دون ان يشعروا بأن الامام هو المقصود بالدعوة، لان ذكر لقب الشخص غير ضروري هناك حيث يكتفون بالاسم الثلاثي للشخص، وهكذا تم ارسال الدعوة الى العراق» .

(جمهوري اسلامي / ٦ تشرين الاول ١٩٨٠)

١٩ ـ يقول السيد محمود دعائي « ... كنت انا المسؤول عن متابعة شؤون تراخيص إقامة العلماء المجاهدين من أنصار الامام. وقد حصلت على الموافقة الرسمية على مغادرة الامام للعراق بحيث لم يتنبه مدير دائرة الجوازات في النجف لمن هذه الموافقة. وحتى عشية سفر الامام، لم يكن أحد يعلم بالامر، حيث قمت أنا بالاتصال بأحد المسؤولين العراقيين وأخبرته بأن الامام سيغادر في اليوم التالي، فاستغرب المسؤول الامر، وسألني وهل حصلتم على تأشيرة الخروج؟ اجبت: نعم، وكل شيء جاهز. وهكذا دهش المسؤولون العراقيون لكيفية سير الامور بهذا الشكل دون أن يعلموا بالامر» .

(المصدر السابق نفسه).

الفصل الثالث عشر

بدء الدورة (٢٣) للمجلس وتصعيد الكفاح المسلح
واجراءات اللجنة المشتركة والمحاكم العسكرية

١ـ نظرة عامة:

السنوات التي نحن بصدد الحديث عنها الآن، يمكن دراسة حوادثها من زوايا مختلفة. فقد مارس البرلمان (مجلس الشورى الوطني) في دورته الثالثة سكوتاً مطبقاً خلال السنوات الاربع هذه، واكتفى بكيل المديح للشاه. اما حزب «ايران الجديدة» فقد واصل نشاطه في ظل دعم جهاز الامن الملكي وحمايته، حيث كانت الحكومة تحت سيطرته تماماً. كما استمرت صحيفة «رستاخيز» الناطقة باسم الحزب بالصدور خلال تلك الفترة.

في هذه الفترة اكتسبت ايران ثقلاً كبيراً، وارتفعت عائداتها من النفط بشكل كبير، وكانت الحرية مفقودة تماماً والنشاطات الاجتماعية يجري قمعها بوحشية. اما المجموعات المجاهدة فكانت تشنُّ حملات ناجحة على مراكز الشرطة والامن، وتقتل جلاوزة «الساواك»، واستشهد في هذه العمليات العديد منهم.

الامام كان يواصل من منفاه في العراق تحريك الناس ودفعهم للمقاومة من خلال كتاباته ونداءاته المسجّلة على أشرطة التسجيل (الكاسيت). الشباب المؤمنون المؤيدون للامام قاموا في قم بتجريد أحد ازلام النظام من سلاحه، ومن ثم قتله حيث أعقبت ذلك حملة اعتقالات ونفي واسعة في صفوف طلبة العلوم الدينية وعلماء الحوزة، كما زُج الناس بمختلف فئاتهم في المعتقلات، ومنحت الحكومة صلاحيات قمعية لما تسمى بلجنة مكافحة التخريب.

وعلى الصعيد الخارجي، اتخذت ايران في هذه الحقبة سياسة جديدة تمشياً مع الموقف الاميركي حيال الصين الشيوعية[١]. الوفود الاميركية والاوروبية واليابانية واصلت زياراتها الى ايران.

وفي الداخل جرى تطبيق سياسة الابواب المفتوحة لسد الحاجة المحلية فتدفقت على ايران

مختلف انواع السلع الاستهلاكية. السفير البريطاني في طهران آنذاك «دنيس رايت» يبلغ وزير الخارجية الايراني بان ايران ستتحمل مسؤولية الحفاظ على الاستقرار في منطقة الخليج الفارسي في المستقبل. والسفير الاميركي وليام روجرز اقترح في تقرير مكون من (٦٠٠) صفحة رفعه الى مجلس الشيوخ الاميركي تشكيل اتحاد الامارات الخليجية التسع بعد انسحاب القوات البريطانية، اما ايران فقد اصبحت شرطي المنطقة.

وقد بدأ في تلك الفترة الاهتمام العالمي ـ وخاصة من قبل اميركا واليابان وفرنسا وايطاليا والمانيا ـ بأهمية المنطقة الخليجية وضرورة الحفاظ على الأمن والاستقرار فيها بعد الانسحاب البريطاني، فكانت وفودهم تزور ايران باستمرار. وفي هذه السنوات لم يكن الشاه يطيق سماع أي صوت معارض او حتى منتقد بلين، ولم يكن يمر يوم لاتحاكم فيه المحاكم العسكرية جمعاً من الشباب المجاهدين. وحتى حيازة كتاب (نهج البلاغة) كانت يمكن ان تعتبر تهمة في رأي النظام، وكذلك مؤلّفات الدكتور شريعتي التي كانت حيازتها تعتبر «تآمراً على النظام». كما كانت الرسائل العملية وخاصة رسالة الامام[٢] تعتبر كتاباً معارضاً للحكومة وحيازته مخالفة للدولة، خاصة وان صاحب هذه الرسالة هو أول مفكّر اسلامي يرفض هذا النظام من الاساس. لذلك اصبح كل مايمتّ له بصلة يعتبر معارضة للنظام.

مليارات الدولارات المتأتية من بيع النفط كانت تمنح لمؤسسة بهلوي والعائلة المالكة والمرتبطين بها. الزراعة والثروة الحيوانية كانت في طريقها للفناء وفق خطة مدروسة. اما مايتبقى من عائدات النفط فينفق في شراء الحنطة من اميركا والبطاطا من باكستان والرز من تايلند والبصل من الهند والبرتقال من جنوب افريقيا والجبن من الدانمارك والدجاج من هولندا والبيض من اسرائيل والأغنام من تركيا واللحم المجمّد من استراليا وامثال ذلك.

وقد أدت تلك العائدات الضخمة للنفط، والسياسة الاستهلاكية التي طُبقت في البلاد الى تضخم لم يسبق له مثيل في ايران.

وفي تلك الفترة التي ادعت فيها المؤسسات الحكومية ان معدل دخل الفرد السنوي بلغ (٤) آلاف دولار، كان نصف الدخل القومي يذهب الى جيوب فئة تشكل نسبة ١٪ من السكان وتتألف من مجموعة ناهبين مرتبطين بالبلاط مثل علي رضائي ومنصور ياسيني وهجبر يزداني بالتعاون مع ازلام «الساواك» وأعوان الشاه مثل «علم» و «أيادي» و «اردشير زاهدي» الذين

اقاموا نظاماً اقتصادياً فاسداً حتى أخذ بعض الناس يسميه بـ«نظام النهب»[٣] وأخذوا يقارنونه بحكومة الثمانية عشر عاماً الفرنسية في عصر لويس فيليب[٤].

اما «مؤسسة بهلوي» فقد جسدت في هذه الحقبة نظام النهب والسرقة بأوضح صورة، فاستحوذت على كل المرافق التي كانت تدر الارباح، مثل مصانع السكّر والاسمنت والحديد والصلب، ثم انتقلت الى الاراضي والبيوت فبدأت بنهب الاراضي وبناء المجمعات السكنية والمدن على أوسع نطاق، وامتد نشاطها الى مناطق بعيدة مثل رامسر في شمال ايران وجزيرة كيش في جنوبها. كما اقامت كثيراً من مراكز القمار والفساد، وبذلك كانت تزيد من أموالها المتراكمة، إضافة الى نشرها الفساد والتحلل والانحطاط الاجتماعي والاخلاقي على نطاق واسع[٥].

٢ ـ الدورة الثالثة والعشرون للمجلس:

أُجريت انتخابات الدورة الثالثة والعشرين لمجلس الشورى الوطني! في عام ١٩٧١، ولم يتغير القائمون بتمثيل هذا السيناريو، اما حزبا (ايران الجديدة) و (الشعب) فقد مثلا آخر دور لهما قبل ظهور حزب رستاخيز[٦]، في ادارة لعبة الانتخابات، عبر قيامهما بدراسة قوائم المرشحين. فحزب الشعب الذي كان له (٣٢) مقعداً في الدورة السابقة، ادعى هذه المرة انه يستحق مقاعد اكثر، وان مقاعد المجلس سيزداد عددها ليتسنى له الحصول على عدد اكبر.

وحزب ايران الجديدة الذي كان خلال السنوات العشر التي سبقت ذلك يتحكم بتوزيع المناصب، اقام مؤتمراً كبيراً استغل فيه أموال الطامعين بالترشيح، وقد اشترك في هذا المؤتمر (٣٥٠٠) شخص من داخل ايران وخارجها حيث افتتحه هويدا، واختير فيه «كلالي» أميناً عاماً للحزب لاربع سنوات اخرى، وجرى الحديث في المؤتمر عن «التطورات» الحاصلة خلال السنوات الاربع الماضية، كما تكللت اعماله بلقاء المؤتمرين الشاه.

اما الشعب فلم يكن يعير أهمية لهذه اللعب، وكان ينظر اليها باشمئزاز، خاصة عندما ظهر حزب آخر نتيجة انقسام حزب «القوميين الايرانيين» وأخذ يطالب بعدة مقاعد في البرلمان. وفي هذه الحقبة، كان من حق رياضي وشريف امامي فقط الترشيح بشكل انفرادي ليتسنى لهما تولي رئاسة المجلسين. كما كان هويدا في هذه الفترة قد اكمل تمثيل لعبة الديمقراطية الغربية، وقام بجولة

استغرقت شهراً للدعاية للعبة الانتخابات.

٣ ـ الصدامات والاعدامات:

بعد حادثة «سياهكل» التي مر الحديث عنها فيما مضى، حدث هجوم آخر في ربيع ١٩٧١ على مركز الشرطة في منطقة قلهك في الشمال الشرقي لطهران، كما قامت مجموعة اخرى باغتيال المدعي العام للجيش الجنرال (فرسيف) وتبع هذه العملية عدة هجمات على البنوك وانفجارات وهجمات على مركز الشرطة واغتيال عدة شخصيات حكومية. في صيف ١٩٧٤ قتل المدعو «فاتح» وهو رجل اعمال قُتل على يديه عدد من عماله خلال اضراب لهم عام ١٩٧٢[٧].

وفي عام ١٩٧٥ قتل آمر حرس جامعة آريامهر وشهرياري الذي يقال انه كان ايضاً ممثلاً للساواك في حزب «توده» الشيوعي آنذاك[٨]. كما قتل اللواء طاهري وعدد من الاميركيين منهم العقيد لوئيس هاوكينز، ضابط الاتصال في السفارة الاميركية عام ١٩٧٣، وضابطان برتبة عقيد تابعان للقوة الجوية الاميركية عام ١٩٧٥، وثلاثة اميركيين عاملين في جهاز التجسس السري (آيبكس) في صيف ١٩٧٦.

وقد كان بث محاكمة خسرو گلسرخي الكاتب الصحفي وكرامت دانشيان من التلفزيون، ينطوي ـ ضمنياً ـ على اعلام مضاد للحكومة. وفي عام ١٩٧٥ حدثت حرب عصابات في لورستان بقيادة الدكتور هوشنك اعظمي وهي حرب اكتسبت صفة عشائرية لاعلاقة لها بالتنظيمات السياسية.

وقد قامت المنظمات السياسية بإصدار كراسات تتضمن تعليمات لمواصلة العمليات المعارضة للنظام، وقد سعت تلك المنظمات في هذه الكراسات الى «الاستلهام» من قادة أبطال مثل كارلوس وماريكلا وجكوارا في مجال حرب العصابات.

وبالرغم من تنوع هذه الكراسات، لكنها كانت تتضمن تحاليل سياسية متشابهة في بعض الاحيان، فقد كانت جميعها تستند الى الماركسية ـ اللينينية، لكنها كانت تهاجم التنظيمات الشيوعية العاملة في السابق مثل حزب توده، اذ كانت المجموعات الجديدة تدرك جيداً ان جموع الناس هي التي بإمكانها تقويض النظام، لكنها عملت على طرح نظريات متباينة، لتقوم باستقطاب الناس وجذبهم نحوها، ويبدو انهم خلطوا بين اوضاع ايران من جانب وكوبا

وتشيلي من جانب آخر.

فقد كان النقص الذي تعانيه نظريات هؤلاء ناتجاً عن جهلهم بالاواصر المعنوية التي تربط ابناء الشعب الايراني، بل كانوا يركزون على دراسة ظروف الشعوب الاخرى بالرغم من ادعائهم بأنهم يدرسون طبيعة المجتمع الايراني ويقومون بتحليلها. لكن تحركاتهم كانت تنم عن جهلهم بظروف المجتمع. فالكبت والقمع الوحشي الذي تمارسه اجهزة الحكم، لم يكن يسمح بالنشاط الحر لأية مجموعة، وعلى الرغم من ذلك فقد قام عدد من الشباب بتشكيل مجموعات جهادية صغيرة نفذت عدة تفجيرات وعمليات اغتيال، خارقة بذلك جدار الصمت المخيم على الساحة. وقد تحدثنا فيما مضى عن عدد من المجموعات العاملة آنذاك، حيث أُلقي القبض على اغلب كادرها، بينما واصل من تبقى منهم، نشاطه.

ونصل هنا الى مابعد عام ١٩٧١ والحوادث التي شهدتها هذه الحقبة التي استمرت حتى عام ١٩٧٥. في عام ١٩٧١، شكل جمع من الشباب المتدينين من مدينة نهاوند مجموعة باسم «مجموعة أبي ذر» للعمل ضد الحكومة، فقد كانوا ممن هم دون العشرين عاماً، وكانوا على علم ببدء النشاطات المسلّحة لباقي المجموعات الاسلامية، وفي عام ١٩٧٢ قامت هذه المجموعة بعدة تفجيرات وعمليات مسلحة[٩]. لكن أفرادها وقعوا في قبضة السلطة بعدما جرّدوا شرطيا من سلاحه وقتلوه في قم، حيث أعدم ستة منهم في ١٩ شباط عام ١٩٧٣[١٠].

وشهدت هذه الفترة ايضاً تحرُّك عالم مجاهد هو آية اللّه الغفاري، الذي كان يؤمن بنهج الامام الخميني وقيادته، وكان يصر على مواصلة هذا النهج، مما أدى به الى الاعتقال عدة مرات، وفي عام ١٩٧٤ استشهد تحت التعذيب[١١].

وخلال هذه الاعوام، شهدت الساحة خلافات وانقسامات داخل المجموعات العاملة، وتبدلات في مواقفها، الامر الذي أتاح لاجهزة امن السلطة فرصة مناسبة لقمعها والقضاء عليها. فالعديد من المناضلين فقدوا إخلاصهم السابق، كما توقف دعم العلماء لهم، وقد كان هذا الدعم يوفر لهم مساعدات مالية لايستهان بها[١٢].

اما الامام الخميني فقد كان ـ وهو في منفاه ـ حصناً منيعاً للاسلام، لم يكن يسمح بأي انحراف عن خط الاسلام الاصيل مهما كانت الذريعة. فهو لايعترف الا باسلام القرآن والسنة المحمدية والائمة، والذي ظل الفقهاء والمراجع العظام يحملونه في زمن الغيبة الكبرى، وكان

يرفض رفضاً قاطعاً أي التقاط من المدارس الفكرية الأخرى[13] ولهذا لم يؤيد اولئك الذين يعملون وراء عناوين إسلامية، لكنهم يستمدون من افكار اخرى كالماركسية في معارضتهم للنظام[14].

وكان يؤكد باستمرار - خاصة في بياناته التي كان يرسلها الى الطلبة الجامعيين الاسلاميين في اوروبا واميركا - أهمية المحافظة على الموازين الاسلامية وصيانة الرسالة من كل بدعة[15]. أما الشباب الذين لم يكونوا يتحركون على أُسس اسلامية راسخة بل اتجهوا الى مدارس فكرية اخرى - لاعتقادهم بأن انتصار الاسلام أمر بعيد - فقد حاولوا عقد مصالحة بين الاسلام وافكار اخرى كالماركسية.

وفي هذه الفترة ايضاً، نشهد حصول تصفيات دموية على يد أجهزة أمن الشاه، وكان أحمد آرامش أحد المشمولين بها[16].

٤ - (٧ حزيران) ١٩٧٥:

خلال النصف الثاني من عام ١٩٧٤ واوائل ١٩٧٥، كان التطبيل الاعلامي يدور حول الوصول الى الحضارة الكبرى وفي هذهِ الفترة، أُعلن عن تأسيس حزب «رستاخيز» - أي البعث - الذي واجه ردود فعل واسعة تمثلت بمظاهرات عارمة خرجت في الفترة من ٥ - ٧ حزيران عام ١٩٧٥ من قبل طلاب الحوزة العلمية في قم. فخلال اعوام السكوت وفقدان الامل كان يقام في المدرسة الفيضية في قم كل عام احتفالٌ تأبيني لشهداء فاجعة ٥ حزيران عام ١٩٦٣.

وفي عام ١٩٧٥ تصاعدت وحشية أساليب القمع التي كانت تمارسها أجهزة النظام، بعدما أصبح الحزب الجديد مسيطراً على كل شيء، أما الامام الخميني فقد أصدر بياناً حرّم فيه الانتماء الى هذا الحزب وطلب من العلماء وطلبة العلوم الدينية إحياء ذكرى ٥ حزيران على أحسن مايرام. وكان يوم ٥ حزيران يصادف الخميس، حيث توافدت على مدينة قم المقدسة أعداد كبيرة من أهالي المدن الاخرى لأداء مراسم الزيارة، فاصبحت مدرسة الفيضية مركزاً للمظاهرات التي استمرت حتى اليوم التالي، حيث حاصرت قوات الشرطة والامن هذه المدرسة وقطعت عنها الماء والكهرباء، ومنعت دخول أي شخص اليها.

وفي اليوم التالي (٧حزيران) وصلت قوة اضافية قوامها (٣٠٠) من قوات المغاوير (القوات

الخاصة) فسيطر جلاوزة الامن على الشوارع الرئيسية في قم، وشنت القوات الخاصة هجومها على المدرسة الفيضية مكررة بذلك حوادث عام ١٩٦٣، فاعتقلوا حوالي (٥٠٠) شخص، وبعد ممارسة التعذيب بحقهم في سجن ايفين بطهران، أفرجت السلطة عن (٢٠٠) منهم فيما ساقت ٢٠٠ آخرين الى الخدمة العسكرية الاجبارية، اما الباقون فقد حُكم عليهم بالسجن لمدد مختلفة تراوحت بين ٣ و ١٥ عاماً.

وبعد ٤٨ ساعة من الحادثة، كتبت الصحف وبتوجيه من الساواك أن عملاء الرجعية السوداء والحمراء المتلبسين بلباس العلماء، قاموا بأعمال شغب رافعين شعارات شيوعية، وقد تم كشف مقادير من المتفجرات والمنشورات المعادية داخل غرفهم[١٧]، وعلى الفور أصدر الامام بياناً ربط فيه هذه الحوادث بما جرى في ٥ حزيران ١٩٦٣ وفضح أكاذيب أذناب السلطة. وفيما يلي نص البيان الذي أصدره الامام:

بسم الله الرحمن الرحيم

الى فئات الشعب الايراني الشجاع والمظلوم كافة «ايدهم الله تعالى»

إن الاخبار الواصلة من ايران بعد الفشل الذريع الذي لحق بلعبة تأسيس حزب الشاه الجديد وبالرغم من أنها تبعث على الالم والأسى فانها في نفس الوقت تبعث على الأمل وتُعتبر بادرة حرية تلوح في الافق. وان مايبعث على الاسف، هو أنه وفي الوقت الذي تتحرر فيه باقي الشعوب الواحد بعد الاخر من نير الاستعمار، وتحصل على استقلالها وحريتها، فان الشعب الايراني المسلم العظيم يرزح تحت نير أحد أكثر الحكام رجعية وأحد العملاء المطيعين للاستعمار، واكثر المستبدين ظلماً وقسوة، ويعاني ممن صادر كل حقوق هذا الشعب، وخيم عليه بظلمه واستبداده، فاجهزة «الساواك» تحولت وبأمر من الشاه، الى محاكم تفتيش كتلك التي سادت في القرون الوسطى، تمارس انواع القمع والاهانة والتضييق والتعذيب بحق كل الذين يعارضون حزب الشاه، وهم غالبية الشعب الايراني.

إنهم يريدون فرض عقائد الشاه وافكاره على كل فئات الشعب من علماء دين واساتذة جامعات وتجار وفلاحين وعمال وموظفين، حتى لو كانت هذه الافكار معارضة للاسلام ومصالح المسلمين، وحتى لو تعارضت مع استقلال الشعب

والحريات العامة، ومن يعارض هذه الافكار يكون مصيره الأعتقال والتعذيب والحرمان من حقوقه الانسانية، والمعارضين لحزب الشاه يُنعتون بالرجعيين والمتخلّفين، وهم يستحقّون، في رأي السلطة كلّ أشكال القمع.

إننا نأسف لما يتعرض له الشعب من قمع وحشي، وللهجوم الذي تعرضت له جامعات البلاد، نأسف لحادثة ٧ حزيران ٧٥ التي شهدتها المدرسة الفيضية ودار الشفاء والتي أعادت الى الاذهان من جديد فاجعة ٥ حزيران ١٩٦٣ والهجوم الوحشي لأزلام الشاه على المدارس الدينية التي لا تعمل إلا لنشر العلم وتعليم الفقه الاسلامي والدفاع عن القرآن مثلما نأسف لتحطيم النوافذ والابواب، وتكسير الأيدي والأرجل والضرب المبرّح حتى الموت، ورمي الشباب العزّل من السطوح لا لذنب إلاّ لأنهم يقولون عكس ما يريده حزب الشاه، او بتهمة تأبين ضحايا ٥ حزيران.

وحسبما تقول بعض الصحف الأجنبية فان عدد الشهداء في ٧ حزيران هذا العام قد بلغ خمسة واربعين شخصا اضافة الى عدد كبير من الجرحى الذين رفضت المستشفيات معالجتهم، كما القي باكثر من (٣٠٠) شخص آخر في غياهب السجون ولا يُعرف شيء عن مصيرهم. هذا هو التحضر الذي يسود بلدنا، وهذه هي معايير الديمقراطية، وهؤلاء هم النساء المتحررات والرجال الاحرار!.

اننا نأسف لوضع الصحافة الايرانية التي تخضع لإشراف مباشر من أجهزة أمن الشاه «الساواك» ، وهي تكتب ما تملي عليها هذه الاجهزة وتلصق ما تريده من تهم بحق هذا وذلك.

ومع كل هذه المصائب، يبقى الامل في يقظة الامة، والاعمال الكفاحية التي تخوضها الجامعات في أرجاء ايران حسبما اعترف به الشاه، ومعارضة العلماء الاعلام وفئة المثقفين وباقي فئات الامّة بالرغم من كل ظروف القمع والقهر التي تمارسها السلطة، كل هذا يمثل بارقة أمل بقرب نيل الحرية والتخلص من نير الاستعمار.

ان رفض الشعب الانخراط في حزب الشاه ومسرحية انتخاباته الخيانية هو نموذج حي على يقظة الشعب وقرب انتصاره.

وإنني إذ أُعزّي الشعب الايراني العظيم بما حل به من مصائب مؤلمة، ولما حلّ بالقرآن

وحرمة أهل البيت (عليهم السلام) من اهانة، ولما حدث في واقعة ١٥ خرداد ١٣٤٢ (٥ حزيران ١٩٦٣) و ١٧ خرداد ١٣٥٤ (٧حزيران ١٩٧٥م)، فانني أُبارك لهذا الشعب بشائر إشراقة صبح الحرية وقطع دابر الاستعمار واذنابه من هذا البلد.

تحيةً للقتلى والمصابين في ٥ حزيران.

تحيةً لضحايا ٧ حزيران المظلومين.

تحية لفئة أهل العلم والخطباء المحترمين.

تحية للشباب الغيورين في جامعات ايران.

تحية للمسلمين المؤمنين في أنحاء ايران الذين وجهوا ـ برفضهم الاشتراك في الانتخابات وفي حزب الشاه ـ صفعة قوية لأهل الهراء التافهين وأثبتوا بذلك وفاءهم وولاءهم العميقين للاسلام والمسلمين.

تحية للمعتقلين الذين يعانون صنوف العذاب في سبيل أهداف الاسلام المقدسة.

تحية للشباب والجامعيين الايرانيين خارج البلاد الذين يعملون بجد لخدمة اسلامهم واخوتهم المسلمين، ويفضحون مجازر الاستعمار وأذنابه وجرائمهم.

وانني، إذ أعيش لحظات العمر الاخيرة، يساورني قلق كبير من ممارسات هذا الشخص الذي يتشبث بكل الحيل والوسائل والذي واجه مقاومة شعبية عنيفة، فقد يصعّد هذا الشخص جرائمه ويسفك دماء الشعب الغيور اكثر مما فعل لحد الآن، ويرتكب مجازر بحق العلماء والمفكرين عبر اتهامهم بالرجعية السوداء والحمراء عندما يصاب بالانهيار العصبي جراء المقاومة الشعبية لسياساته.

أسأل الله ان يقينا شر العناصر الخبيثة وان يقطع دابر الاجانب من بلادنا. والسلام عليكم ورحمة الله.

الاول من رجب ١٣٩٥

روح الله الموسوي الخميني.

٥ ـ المجموعات الاسلامية الاخرى:

اتجه الشباب الذين تربوا في المساجد والجمعيات الاسلامية وامتازوا بالالتزام الشديد بدينهم

وتفضيلهم إياه على باقي الأفكار، والاطلاع على جهاد الامام، اتجهوا الى تشكيل مجموعات دينية تمارس الاعمال الجهادية بكل أشكالها، بما في ذلك العمل المسلح.

ولم يكن هؤلاء يملكون تنظيمات كبيرة وقوية، لكنهم استطاعوا في الاعوام التي تلت سنة ١٩٧٥ تقديم تضحيات عديدة وعرض بطولات ملفتة للنظر. وقد حملت هذه المجموعات أسماء «الامة الواحدة» و «الفلق التوحيدي» و «الفلاح» و «البدر» و «الموحدون» و «الصف» و «المنصورون». وقد تمكنت ـ كل واحدة في أحد ارجاء البلاد ـ من تحريك الامة وتوعيتها، وهكذا اتسع نطاق عملها في عدة مناطق، منها طهران وخوزستان وكرمان واصفهان ومناطق اخرى عديدة[١٨].

هوامش الفصل الثالث عشر

١ ـ قامت شقيقتا الشاه «أشرف وفاطمة» وزوجته فرح بزيارة الى الصين كل على انفراد، حيث استقبلهن المسؤولون الصينيون بجفاوة. وقد كانت أشرف تتولى في الغالب الاتصالات الدولية للشاه، كما كانت ترأس ممثلية ايران في لجنة حقوق الانسان التابعة للامم المتحدة.

٢ ـ «الرسالة العملية» هي مجموعة الفتاوى الشرعية على صعيدي العبادات والمعاملات، وفقاً لاجتهاد أحد المراجع، الذي يقوم باعدادها لمقلديه (المترجم).

٣ ـ «انقلاب ايران تحت رهبري امام خميني» ص ٢٤.

٤ ـ المصدر السابق نفسه.

٥ ـ المصدر السابق/ص ٣٥.

٦ ـ حلّ الدكتور كني في تلك الفترة محل «عدل» كأمين عام للحزب وهذا هو حزب الشعب الذي أسّسه «علم» والذي يختلف عن حزب الشعب الذي أسّسه السيد محمد صادق الطباطبائي خلال الدورة الرابعة عشرة لمجلس الشورى الوطني!. فقد كان الطباطبائي يرأس المجلس في تلك الدورة، ومع هذا لم ينخرط في حزبه إلاّ خمسة من النواب.

٧ ـ «ايران دكتاتوري و توسعه» فريد هاليداي/ص ٢٢٧.

٨ ـ المصدر السابق/ الاجراء المتعلق بمجموعة «فدائيان خلق».

٩ ـ تُنسب الى هذه المجموعة عدة عمليات من قبيل تفجير مقر اتحاد النساء في نهاوند، واحراق سيارات قوات الدرك والشركة التعاونية واغتيال أحد الرأسماليين في نهاوند.

١٠ ـ صحيفة كيهان/ ١٩٧٩/٢/١٩.

١١ ـ آية الله الشيخ حسين الغفاري اشترك في جهاد العلماء عام ١٩٦٢ بشكل فعال، وفي شهر محرم من نفس العام اعتقل ومعه عدد من العلماء، وفي الاعوام ٦٦ الى ٧١، اعتقل عدة مرات لكن الساواك كان قد أصبح أكثر عنفاً ووحشية حيث سلم جسده (بعد استشهاده تحت التعذيب) الى أهله مضمخاً بدمه (كتبت عنه مجلة (پيام انقلاب) في ١٩٨٠/١٢/٢٠).

١٢ ـ يقول هاشمي رفسنجاني في هذا المجال: (كانت في السجن ١٦ مجموعة سياسية، اكثرها من الشباب المتحمسين، وهناك تعرفنا على «مجاهدين خلق» ومنذ ذلك الحين شعرت بالتباين الفكري بيننا وبينهم. فعندما استشهد احمد رضائي في السجن، خطبت في المعتقلين، إلاّ أن اعضاء هذه المنظمة احتجوا معترضين على حديثي عن الجنة والنار والثواب والعقاب بذريعة انه سيضعف موقفهم امام اليساريين.

المسألة الاخرى هي اننا كنا ننفصل عن الشيوعيين في السجن، باعتبار أن هؤلاء ملحدون وكفار لكن التيار الجديد آنذاك غيّر هذا النظام، فقد قالوا بأن لنا اهدافاً مشتركة، ويجب أن نكون معاً وان نشترك في كل شيء، لكننا لم نكن نوافق على ذلك.

وخلال محاكمة قادة «مجاهدين خلق» سئل احدهم عن رأيه بالماركسية، فأجاب «نحن نحترم الماركسية». لكننا نرفض الماركسية، فلِمَ احترام ماركس مادام ينكر وجود الله؟ فهل يمكن الجمع بين الكفر والايمان؟ لقد قدم أحد مفكريهم تحليلاً عن نهجهم فقال «اننا اكتسبنا علم النضال من الماركسية، اذ لايمكن تحقيق النصر بدونه، ومن جانبٍ آخر فان النضال داخل المجتمع الاسلامي لايمكن أن يتم دون الاعتماد على الاسلام، وعلى هذا فان علينا أن نمد جسراً بين الماركسية والاسلام، لنتّبع الاثنين معاً!! فبالماركسية نناضل، ومن خلال الاسلام تتوفر لنا الارضية اللازمة للنضال»!

كانوا يحللون الدين بشكل لايتعارض مع الماركسية، وقد ظلوا لسنوات عديدة يطرحون فكرة وجوب الجمع بين

الماركسية والاسلام.

١٣ ـ العالم المجاهد الشهيد المطهري كان صاحب هذه النظرية حيث يقول: «انا انصح اولئك الذين يفكرون بهذا الشكل ـ أي يريدون مطابقة الاسلام بالمدارس الفكرية غير الاسلامية، او ادخال عناصر من هذه المدارس في الفكر الاسلامي ـ وأُخبرهم أنهم يقومون بخدمة الاستعمار سواء كان ذلك عن قصد او عن غير قصد. وخدمة هؤلاء للاستعمار تفوق بكثير خدمة عملاء الاستعمار السياسي والاقتصادي، ولهذا فان خيانة هؤلاء للشعب أعظم واكبر...» .

(صحيفة جمهوري اسلامي، الملحق الخاص بالذكرى السنوية لاستشهاد شريف واقفي) .

١٤ ـ حجة الاسلام دعائي، احد العلماء المجاهدين الذين كانوا على اتصال دائم بالامام في منفاه بمدينة النجف، يتحدث عن العلاقة بين الامام ومنظمة «مجاهدين خلق» وعدم تأييد الامام لهذه المنظمة فيقول:

«... عندما توترت العلائق بين نظام الشاه والنظام العراقي، قام المعارضون الايرانيون باختطاف طائرات مدنية ايرانية واجبارها على الهبوط في مطار بغداد ثلاث مرات فالعملية الاولى قام بها ثلاثة طلبة جامعيين .. وقد حدثت هذه العملية قبيل اغتيال رئيس السافاك السابق على يد عناصر السافاك نفسه في بغداد، حيث أُشيع في طهران أن هؤلاء الشباب الثلاثة هم الذين اغتالوه، وذلك بهدف تشويه سمعتهم.

اما عملية الاختطاف الثانية فقد قامت بها مجموعة من الشباب المؤيدين للقضية الفلسطينية والذين كانوا قد حصلوا على حق اللجوء السياسي في العراق.

اما الثالثة فكانت عملية اختطاف طائرة متجهة من دبي الى ميناء بندر عباس الايراني وكان على متنها تسعة ركاب اضافة الى طاقمها. وقد نفذ العملية عدد من افراد كادر منظمة «مجاهدين خلق» ، حيث قاموا بتعذيب الركاب التسعة، تحت اشراف المدعو (بناهيان) وكان من اعضاء هذه المجموعة موسى خياباني وسعيد مشكيني فام وحسين روحاني.

وقد سعى قادة المنظمة بعد هبوط هذه الطائرة في بغداد الى الاتصال بالامام وباقي صحبه المجاهدين في العراق لمساعدتهم في اطلاق سراح المختطفين، حيث أرسل المرحوم آية الله الطالقاني رسالة الى الامام القائد كتبت بالحبر السري جاء فيها «انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى» (وهي الآية التي نزلت في حق اصحاب الكهف) .

وقد نقل الرسالة الى النجف السيد «مرتضى تراب حق شناس» فاخبرت الامام بان شخصاً ممن أثق بهم جاء يحمل رسالة من السيد ابو الفضل الزنجاني وآية الله الطالقاني. وبحضور الامام تم تظهير الرسالة وقرأها الامام فرد بانه سيجيب على الامر في الغد.

وفي اليوم التالي رد الامام بانه لايستطيع عمل شيء لأن المسؤولين العراقيين سيكون لهم مطاليب مقابل ذلك وأنه ـ اي الامام ـ لايريد التعاطي مع المسؤولين العراقيين.

وبعد مدة اتصل بي مرتضى تراب حق شناس مرة أُخرى واخبرني انه مكلّف من قبل منظمة «مجاهدين خلق» بالاتصال بالامام واطلاعه على نهج المنظمة وبرنامجها وأفكارها والحصول على دعمه لها قدر الامكان. ثم قام بعرض جوانب من أفكار ومتبنيات المنظمة لي، ولما كنت انا طالباً عادياً ـ واعتماداً على توثيق شخصيتين كبيرتين للمنظمة وهما الزنجاني والطالقاني ـ فقد رغبت في أن اقبل اقتراحهم بأن اصبح حلقة وصل بينهم وبين الامام.

وفي المرحلة التالية من الاتصالات جاء «حق شناس» ومعه حسين روحاني وهو أحد اعضاء الكادر الاعلى للمنظمة، وطلبا اللقاء بالامام وعرض حقائق ومعلومات عن المنظمة على سماحته. وقد بذلت ما بوسعي في هذا السبيل أما الامام فقد أدرك انها منظمة تبنّت الاسلام حديثاً وتنتهج الكفاح المسلح والسري وكان ذلك الانطباع لدى سماحته اعتماداً على دعم الزنجاني

والطالقاني لهما، ولذلك لم يمانع من استقبالهما والاستماع لما يطرحانه.

وقد فسح الامام المجال لحسين روحاني ليتحدث له في خمسة لقاءات مباشرة، وكان روحاني قد جلب معه اثنين من كتب المنظمة ليطلع الامام من خلالها على ايديولوجيتها وهما كتابا «راه انبياء راه بشر» أي (طريق الانبياء هو طريق البشر» و «الامام الحسين»، ولان الكتابين كانا قد طُبعا بحروف صغيرة، فقد طلب الامام ان تعاد كتابتها ليتسنى له قراءتها. وهكذا مكث حسين روحاني ثلاثة اسابيع في غرفتي بمدرسة اليزدي في النجف قام خلالها باعادة كتابة محتوى الكتابين وكنا نوصل ماينجز منها كل يوم الى الامام للاطلاع عليه.

وفيما يخص الكتاب الاول «راه انبياء راه بشر» أي (طريق الانبياء طريق البشر) قال الامام:

(انهم ينكرون فيه وجود المعاد، ويعتبرونه عبارة عن السير التكاملي لهذا العالم ليس إلاّ، وهم بهذا يخالفون العقائد الاسلامية للاسلام. وكان استنتاج الامام من ايديولوجيتهم هو أنهم يتصفون «بالتمسك» وليس «التعبد» أي انهم يستخرجون هذه المفاهيم من القرآن ونهج البلاغة ويعرضونها بهذا الشكل ويتمسكون بها بشكل أعمى دون أن يكون لديهم ايمان حقيقي بها).

ولهذا فقد رفض الامام تأييدهم اذ قال: **(انكم تؤمنون بالكفاح المسلح في هذه المرحلة وهذا خطأ لان هذا ليس وقت الكفاح المسلح ولذلك فانكم لن تفلحوا في ذلك الآن).** وقد رفض تأييد هذه المنظمة بالرغم من كل الضغوط التي مورست في هذا السبيل كما انه لم يشطب عليها بالكامل. ولا بأس هنا من التأكيد على انه كان للمنظمة منشورات وكتب عديدة، لكنها لم ترسل الى الامام غير الكتابين السالفي الذكر واخفى قادتها عنه كتباً اخرى مثل «اقتصاد بزبان ساده» أي «الاقتصاد المبسط» وكتاب «شناخت» أي «المعرفة» (صحيفة جمهوري اسلامي، العدد ٣١٧، ١٩٨٠/٧/٧).

١٥ ـ يلخص أحد تلامذة الامام وهو حجة الاسلام هاشمي رفسنجاني إشكالات الامام على منظمة «مجاهدين خلق» كما يلي:

«الاشكال الاول الذي يورده الامام يخص فهم المنظمة لمعنى الكفر والايمان. فهؤلاء يقولون ان مسيرة الانسان نحو الله هي مسيرة تكاملية تخضع لقانون المادية التاريخية التي تتدرج من العبودية وحتى الشيوعية مروراً بالاقطاع والرأسمالية والاشتراكية، وهذا في رأيهم هو طريق الله والايمان، فالايمان عندهم هو سلوك هذا السبيل مروراً بهذه المراحل، والكفر عندهم هو وضع العراقيل في هذا الطريق. فسبيل الله عندهم هو الانتقال من مرحلة الى مرحلة اخرى من مراحل المادية التاريخية، ومن يجهد مثلاً في سبيل الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية سيكون تقدمياً وهو مجاهد في سبيل الله، اما الذين يضعون العقبات في طريق هذا «التطور» فهم امبرياليون ورجعيون وهم كفّار واعداء لله. هذه هي نقطة الخلاف الرئيسة بين فكر الامام الذي هو فكر الاسلام، وايديولوجية هؤلاء. فهؤلاء يرون ان أشخاصاً مثل «لينين» و «ماو» قضوا عمرهم يعملون من أجل نقل البشر الى مرحلة تاريخية جديدة لايمكن اعتبارهم كفاراً، بينما نحن نقول إن هؤلاء ينكرون وجود الله ورسالة نبيه، ودينه، فكيف لايعتبرون كفاراً؟ بينما «مجاهدين خلق» يعتبرون أن الكافر هو من يسد الطريق إلى الله، وان هذين الشخصين فتحا هذا الطريق ولهذا فالماركسيون، ليسوا كفاراً!!

نحن نعتبر إنكار وجود الله والرسالة والمعاد كفراً، وعمل الكافر لاقيمة له حسبما يصرح القرآن، الذي يؤكد ان عمل الكافر وجهوده كالسراب في الصحراء، او كالرماد في يوم عاصف سرعان مايتطاير ولايبقى منه شيء. ومن وجهة نظرنا، فإن منكري وجود الله ومنهم الشيوعيون، لاقيمة لهم أبداً، فالمسلم الذي يؤمن بالله ويعبده هو مسلم ولو لم يجاهد، اما الشيوعي فهو كافر نجس مهما كافح وناضل.

اما محور الخلاف الثاني فهو حول الديالكتيكية، فهؤلاء يؤمنون باربعة أصول في المعرفة، كما ان لهم أصلاً خامساً هو الهداية.

ويشكل الاقتصاد المحور الثالث للخلاف بين فكرنا وفكر هؤلاء، فهم يتبنون نظريات ماركس الاقتصادية بينما للاسلام قوانينه واسسه الاقتصادية الخاصة.

والمحور الرابع للخلاف يكمن في الجانب الفقهي فهم لايعترفون باختلاف الآراء بين الفقهاء ويقولون إن الاحكام واحدة ويمكن استخراجها من القرآن ونهج البلاغة ومتطلبات الزمان. ولا يعترفون بالرسائل العملية للعلماء (رسائل الفتاوى)، فهم يقولون ان العلماء يريدون بهذه الفتاوى تطبيق أحكام تعود الى ما قبل ١٤٠٠ عام، وهذه النظرة دفعتهم الى إلغاء عدة مسائل شرعية منها الطهارة.

اما محور الخلاف الخامس فيكمن في المعاد، ففي ادبيات هؤلاء يتضح انهم لايأخذون بنظر الاعتبار مسائل الدار الآخرة، فهم يتجاهلون ذلك من أجل استقطاب اعداء الدين.

واخيراً فان هؤلاء يجيزون ارتكاب بعض المحرمات خاصة الاخلاقية منها، من أجل تحقيق اهداف معينة، مثل معيشة فتاة وفتى في أحد أوكارهم دون أن يرتبطا بعلاقة شرعية، مسوّغين ذلك بان النضال يستدعيه...» .

١٦ ـ بعد انتصار الثورة، صدر كتاب تحت عنوان «هفت سال در زندان آريامهر» أي (٧ سنوات في سجن الشاه) وهي مذكرات أحمد آرامش الرئيس السابق لمنظمة التخطيط ناقش فيه الناشر العديد من الحوادث السياسية عقب عام ١٩٤١، كما أورد شرحاً مفصلاً لحياة أحمد آرامش وكيفية قتله على يد السافاك في تشرين الاول عام ١٩٧٣.

فقد ادعى الناشر ان احمد آرامش كان من الساعين لإقامة نظام جمهوري، وكان يرأس مجموعة تقدمية تعمل من اجل تحقيق هذا الهدف وعندما انتهت مدة اعتقاله وخرج من السجن عام ١٩٧٣، استأنف من جديد معارضته لنظام الشاه مما استدعى قتله. وفي هذا الصدد يقول اسماعيل رائين «ازلام النظام في السافاك كانوا يبتدعون كل يوم اسلوباً جديداً لتصفية معارضي الشاه. فبعدما اصبح الاعتقال والتعذيب بأمر من المحاكم العسكرية اسلوباً قديماً، لجأوا الى عمليات التصفية الجسدية او الرمي من الطائرات والتعذيب حتى الموت والاغتيال في الشارع. وقد تم تصفية أحمد ارامش لتذمر صاحب الجلالة(!) وانزعاجه منه» .

لقد كان «آرامش» احد سياسيي الحقبة التي أعقبت حوادث عام ١٩٤١، فقد شغل منصب وزير العمل في حكومة قوام السلطنة عام ١٩٤٦، وفي عام ١٩٦٠ اصبح وزيراً للدولة ورئيساً لمنظمة التخطيط في عهد حكومة «شريف امامي» وبالرغم من ذلك فقد اصبح في صف المعارضة. انتهت حياته برصاصات انطلقت من رشاشات رجال الامن عندما كان يتجول في احد متنزهات طهران عام ١٩٧٣ (هفت سال در زندان آريامهر / ص ١٧٧).

١٧ ـ صحيفة كيهان ـ ٧/حزيران/١٩٧٩.

١٨ ـ بعد انتصار الثورة اتحدت هذه المجموعات السبع مع بعضها تحت اسم منظمة «مجاهدين انقلاب اسلامي» ، ولأجل عرض تاريخ المجموعات المؤلِّفة لهذه المنظمة فقد قامت بطبع سلسلة كتب خصص الاول منها للحديث عن مجموعتي «منصورون» و «أمت واحدة» حيث كانت للمجموعة الاولى نشاطات جهادية في كرمان و بهبهان واهواز وغيرها، أما الثانية (أمت واحدة) فقد نشطت في السجون.

ومن بين نشاطات المجموعات السبع تنفيذ عمليات عسكرية وتفجيرات ومحاولات اغتيال المرتبطين بالنظام اضافة الى نشر تحليلات سياسية، وقد فقدت هذه المجموعات عدداً من اعضائها خلال صدامات مسلحة مع قوات السلطة.

الفصل الرابع عشر

تشكيل حزب الشاه (رستاخيز)

ومصير آخر مجلس شورى «وطني»

١ ـ سعي الشاه لكسب الدعم الشعبي:

سعى الشاه ليكون مركز جميع القوى داخل ايران، وكان يتصور انه سيصبح بذلك في عداد رؤساء الدول الكبرى. وقد دفعته تملقات اعوانه ومديحهم له الى التصديق بانه عقل مدبّر ونابغة كبير ووارث كوروش! وكان يريد أن يعامله الجميع كما يعامله رئيس حكومته علم، ويعتبر كلّ تطاول على حقوق الشعب حقاً من حقوقه ومفضّلاً على المصلحة العامة، وكان يرغب في أن يرضخ الجميع لما يفعل، ويؤيدوا ذلك، وما كان يثير تعجبه هو كيف لايعرف الشعب قدره، بل كيف يجرؤ بعض الاشخاص على معارضته! وظل يفهم الديمقراطية على انها حرية قيام الشعب بتبجيله والتسبيح بحمده باعتباره بطل التاريخ!

وكان يتحدث لسنين طوال عن ايجابيات نظام الحزبين ويعرب عن امله بان تنحو البلاد هذا المنحى، باعتبار ان اميركا وبريطانيا تملكان حزباً للاكثرية وآخر للاقلية يتنافسان بينهما بالوسائل المشروعة السليمة، ولذلك قام بتشكيل حزبي «الوطنيين» و «الشعب» وعمل ما بوسعه لاستقطاب الناس اليهما، لكن كل جهوده ومساعيه باءت بالفشل، لان هذين الحزبين كانا حكوميين ولايعملان لمصلحة الشعب، بل كانا اداة لتنفيذ سياسات الاجانب، وكان كل منهما بوقاً للشاه يردِّد احاديثه وتصريحاته الفارغة، وكانا يتسابقان في التمجيد بأعمال الشاه وسياساته.

ثم جاء تشكيل حزب «ايران الجديدة» فتظاهر بالمنافسة مع حزب الشعب، إلاّ انه لم يستطع جذب الشعب اليه، وبقي تنفيذ هذا السيناريو مستمراً، وبمرور الزمن كان الناس يزدادون نفوراً واشمئزازاً منه، ولم يكن باستطاعة الشاه إدراك سبب المقاطعة الشعبية للاحزاب، فلم يكن يعلم أن كوادر هذه الاحزاب الذين يديرون هذه اللعبة هم أنفسهم لايؤمنون بما يعملونه وكانوا

يتخذون الحزب غطاءً لمصالحهم.

وبعد عام ١٩٧١، تعب الشاه من لعبة الحزبين بعدما أصبح هذا الأمر أضحوكة للناس واستمرارها كان يجلب الفضيحة له، وكان لابدّ من الخروج بلعبة جديدة، فكانت ولادة حزب رستاخيز (ويعني البعث) من هذين الحزبين. ففي ١ آذار ١٩٧٥ اعلن الشاه في خطاب له، عن تشكيل هذا الحزب، وبذلك انحلت جميع الاحزاب الاخرى مثل «ايران الجديدة» و «الشعب» و «القومية الايرانية» وغيرها، وانخرط جميع اعضائها في الحزب الجديد.

٢ـ توجيه الشاه لتأسيس الحزب:

يقول الشاه إن حزب الاكثرية كان يمسك بالسلطة لسنوات عديدة، وقد قدم الكثير، ولا داعي لتغييره، لكن حزب الاقلية كان الخاسر هنا، في وقت لايوجد فيه فرق بين حزبي الاقلية والاكثرية، فما الداعي لان يتمتع اعضاء حزب الاكثرية بامتيازات وظروف أفضل من أعضاء حزب الأقلية، إن هذا التقسيم لم يكن عادلاً.

لقد اعترف الشاه بأن لعبة الحزبين كانت من تدبيره هو وأنها كانت غير عادلة. فقد ارسل مجموعة الى حزب «ايران الجديدة» وأُخرى الى حزب الشعب. وهاهو الآن يتصور أن جمع اعضاء الحزبين في حزب واحد، يؤمّن عدالةً اكثر لها. ومن جهة اخرى، كان الشاه يتصور أن عدم إقبال الناس على الانتماء لأحد الحزبين، هو كونهما متشابهين ولا مسوغ لتفضيل أحدهما على الآخر، ولهذا رأى أن دمجهما في مؤسسة واحدة سيدفع الناس الى الاقبال عليها والانتماء لها بشوق ورغبة.

الامر الآخر الذي دفعه الى حل الحزبين وتأسيس حزب «رستاخيز» هو الاموال الضخمة التي كانا ينفقانها، بالرغم من انهما كانا يحصلان على الاموال عن طريق الاستغلال والاختلاس واغتصاب حقوق الناس، لكن ذلك يشكّل ـ على اية حال ـ مشكلة بالنسبة للحزبين، وقد رأى الشاه أن تأسيس حزب رسمي، سيحل هذه المشكلة. فكونه رسمياً، سيؤدي الى تخصيص ميزانية رسمية خاصة له. وهذا ماحدث عند تأسيس حزب رستاخيز حيث رصدت له خلال السنوات الثلاث ونصف من عمره عشرات الملايين من التومانات، فقام بإنشاء الابنية الضخمة كما أصدر صحيفته التي بدأت بنشر أهدافه والتعريف بها.

٣ ـ تحريم الانخراط في حزب رستاخيز:

بعد تشكيل الحزب مباشرة، أصدر الامام الخميني بياناً بتاريخ ٢٨ صفر ١٣٩٧ هـ.ق ، كما وجه في الاول من رجب من نفس العام نداءً الى الشعب الايراني وبياناً الى الجمعية الاسلامية للطلبة الجامعيين في اميركا وكندا بتاريخ ١٧ رمضان ١٣٩٥، اعلن فيها رأيه الصريح والحازم، الذي يعتبر حكماً شرعياً باعتباره احد مراجع الشيعة، وفيما يلي نص هذا البيان:

بسم الله الرحمن الرحيم

«نظراً لمخالفة هذا الحزب للاسلام ومصالح الشعب الايراني المسلم، فان الانخراط في هذا الحزب محرم على عموم الناس ومساعدة للظلم واستئصال المسلمين ومخالفة هذا الحزب ومعارضته هي من اوضح حالات النهي عن المنكر، ولان هذه اللعبة الجديدة تمت بأمر من الجبابرة لإبعاد الشعب عن الشؤون السياسية، وأُعلنت على لسان الشاه من أجل تشديد حالة الكبت وفتح الطريق امام تنفيذ مآربه، وسلْب الشعب قدرته على المقاومة وحبس انفاسه في الصدور، فان الواجب الشرعي يدفعني الى التذكير بهذا الامر، ليتسنى للامة الاسلامية ـ وقبل فوات الاوان ـ النهوض والمقاومة بوجه هذه اللعبة الخطيرة الجديدة.

ويجب القول سلفاً إن الاعلان عن هذا الحزب، انما هو اعتراف من الشاه بالفشل الذريع لمشروع «الثورة البيضاء» الاستعماري وعدم حصوله على الدعم الشعبي. فالذي كان يصرخ قبل عشر سنوات مدعياً أن الشعب يؤيد ثورته، واطلق عليها «ثورة الشاه والشعب» يقوم اليوم بتقسيم الشعب الى صنوف مختلفة، ليخلق له مؤيدين بقوة السلاح، فلو كانت الثورة ثورة الشاه والشعب فما الداعي لتأسيس هذا الحزب المفروض؟!.

وفيما يتعلق بهذا الحزب المسمى بـ «البعث الوطني لايران» يجب القول إن تأسيسه بهذا الشكل المفروض يخالف الدستور والموازين الدولية، ولا نظير له في ايٍ من دول العالم. فايران هي البلد الوحيد الذي يؤسس حزباً بأمر من «الملك» ويجبر الناس على الانخراط فيه، ومن يمتنع عن ذلك فمصيره السجن والتعذيب او النفي او الحرمان من

الحقوق الاجتماعية.

ان الشعب المحروم في هذا البلد مضطر للتظاهر بتأييد النظام الشاهنشاهي، هذا النظام المتآكل المرفوض والمحكوم بالزوال من منظار الاسلام النظام الذي يوجه كل يوم ضربة جديدة للاسلام، ولو سنحت له الفرصة ـ لاقدر الله ـ فسيقوم حتى باجتثاث جذور القرآن. إنه النظام الذي دمر وجود هذا الشعب وسلب كل حقوقه وحرياته، والنظام الذي قضى على الشباب والمثقفين، بالسجن او النفي، وها هو اليوم يريد رفع عدد ضحاياه وسجنائه بهذه اللعبة الجديدة.

الشعب الايراني المسلم مضطر للرضوخ للشاه الذي تلطخت يداه حتى المرفق، بدماء العلماء وأبناء الامة الاسلامية، والذي يريد بيع آخر قطرة من نفط هذا البلد، وتسليم ثمنه ـ وبتفاخر ـ الى الاثرياء والناهبين، بعناوين مختلفة.

الاستعمار الاميركي لايستثمر ذخائره النفطية، بل يشتري النفط من الباقين ليبقى نفطه ذخراً لمصالح بلاده. لكن شاه ايران يفرّط بكل هذا الذهب الاسود، ليقضي على ثروة ايران وبدلاً من ان يقوم بانفاق عائداته على محرومي الشعب وجياعه وعراياه، يقوم بتسليمها الى أسياده المستعمرين او يشتري بها الاسلحة المدمرة ليدافع بها عن مصالح المستعمرين واطماعهم في ايران والمنطقة، وليواصل بها قمع الحركات المناهضة للاستعمار.

فحتى الأمس كان الشاه يسوق الاقتصاد الى الانهيار، عبر اقتراض الديون التي تقصم الظهر، واليوم نراه يسوق الشعب نحو الافلاس ويعيقه عن النمو والتطور من خلال شراء الاسلحة واعطاء القروض الضخمة. وما صفقة الـ ١٥ مليار دولار الاخيرة التي أبرمها مع اميركا المستعمرة إلاّ ضربة مدمّرة أُخرى يوجّهها للاقتصاد الايراني.

الشعب الايراني مضطر لمنح صوت التأييد لشخص دمَّر الزراعة والثروة الحيوانية في البلاد حتى أصبحت ايران تستورد الحنطة والرز واللحوم والزيوت وباقي المواد الغذائية وبأسعار باهضة. في بداية مايسمى بالثورة البيضاء، كان الشاه يزفّ البشرى للفلاحين بأن الاصلاح الزراعي سيوفّر مايسدّ حاجة ايران الى الغلال، واليوم نراه يفاخر ـ بدلاً من ان يخجل ـ بانه استورد خلال هذا العام ٢٫٥ مليون طن من الحنطة

و ٤٠٠ ألف طن من الرز، بينما يعلم المطّلعون أن محافظة واحدة في ايران مثل خراسان بامكانها انتاج ماتحتاجه البلاد من الحنطة، لكن «الثورة البيضاء» للشاه قضت على هذه الامكانية.

منذ عشر سنين والشاه يبشّر بتقدم ايران، بينما غالبية الشعب تعيش في فقر وحرمان. طهران تبدو من الخارج متطورة حيث يقوم ببناء القصور والأبنية لأعوانه، على حساب المحرومين والفقراء، اما القرى التي يشكل أهلها غالبية سكان ايران فإنها تفتقر الى أبسط مستلزمات الحياة. واليوم نرى الشاه يعد الشعب بالتطور خلال ٢٥ عاماً. لكن الشعب الايراني الواعي يعي جيداً بأن هذه الوعود الكاذبة هي التي دمّرت الثروة الزراعية، وساقت الفلاحين والعمّال من وضع سيئ الى أسوأ، وحرمت البلاد من صناعة مستقلة، وهذا مالا يمكن إصلاحه إلاّ بزوال هذا النظام المنهار بمشية اللّه تعالى.

فاذا ما نفد النفط على يد هذا النظام، فسيحل بالشعب فقر عظيم لاطريق للخروج منه إلاّ الرضوخ للذل والانقياد الى الاخرين، فالشعب الايراني الشريف، لم تعد لديه زراعة ولا صناعة، وعليه ان يعيش بالفقر والفاقة، او أن يصبح خادماً عند المستثمرين الاثرياء.

إن الشاه يتحدث باسم الدستور والحركة الدستورية بينما هو على رأس المنتهكين للدستور، وهو الذي قضى على الحركة الدستورية. وما خطابه الاخير والضجيج الذي افتعله حول حزبه وإجبار الناس على الانتماء اليه إلاّ نموذج واضح على هذا الامر اضافة الى ممارساته الاخرى التي تؤكد انتهاكه للدستور من قبيل سلب حرية الصحافة واجبار الاجهزة الاعلامية على الدعاية لما يعارض مصالح البلاد، والتطاول على حقوق الشعب وسلب الحريات الفردية والجماعية.

إن الانتخابات المزوّرة وتأسيس المجلس الصوري هو انتهاك للدستور والحركة الدستورية، وانشاء القواعد العسكرية والتجسسية للأجانب هو معارضة صريحة للحركة الدستورية، وكفّ يد الشعب عن أفضل اراضيه واطلاق يد الاجانب واذنابهم القذرين مثل اسرائيل هو انتهاك واضح للدستور وخيانة كبرى للبلاد،

والسماح للاجانب بالاستثمار واطلاق ايديهم للهيمنة على جميع شؤون البلاد ونهب ثرواتنا النفطية تحت ستار «الحاكمية الوطنية» وكفّ يد الشعب عن النشاطات الاقتصادية خيانة للشعب وانتهاك صريح للدستور. وإعطاء الحصانة للأجانب وأذنابهم أمر يعارض الدستور والحركة الدستورية. كما أن تدخل الشاه في شؤون البلاد والسلطات الثلاث بمثابة عودة الى عهود الظلم والاستبداد المظلمة، وهو انتهاك للدستور الذي ينص على أن الشاه شخص غير مسؤول في الدولة.

ولازال هذا الشخص يتبجح بثورته «البيضاء». هذه الثورة التي تسببت في تحطيم الشعب، الثورة التي لم تؤدِ إلاّ الى شل كل الطاقات الفعّالة، الثورة التي اعترف الشاه ـ وبعد عشر سنوات ـ بخوائها وفشلها. الثورة التي تريد إيصال الثقافة الاستعمارية الى أقصى قرى وقصبات البلاد، وإفساد شباب هذا البلد. ومن يخالف ثورة الشاه، يكون مصيره الاعتقال والتعذيب والحرمان من الحقوق الاجتماعية. فئات الشعب المختلفة من تجار وفلاحين وعمال لم تحصل في هذه السنوات العشر إلاّ على الوعود الكاذبة، وسيسمعون بعد الآن وعوداً اخرى، وان عارضوا هذه الثورة السوداء الملعونة، فسيكون مصيرهم مظلماً.

على العلماء الاعلام وباقي الفئات ان يعلموا ان تأسيس هذا الحزب هو مقدمة لمآسي وآلام جديدة ستظهر آثارها يوماً بعد آخر، وعلى مراجع المسلمين أن يحرّموا الانتماء الى هذا الحزب وان لايسمحوا بتضييع حقوق الشعب الايراني المسلم، وعلى سائر فئات الامة وخاصة الخطباء وطلاب الحوزة وشباب الجامعات والعمال والفلاحين والتجار واصحاب المهن أن يعلموا أن جهادهم ومساعيهم الدؤوبة والشاملة، ستدمّر اسس هذا الحزب وليكونوا على ثقة من أن النظام يسير نحو السقوط، وأن النصر هو من نصيب الشعب.

وعلى الشعب أن يحذر من أحابيل الإعلام الحكومي الفارغ، فمع تصاعد الممارسات الحكومية المنافية للاسلام وأحكامه، تقوم وسائل الاعلام، ولأجل خداع السذّج، ببث دعاء كميل والمجالس الحسينية، كما أن الحكومة تنتهك أحكام القرآن من جانب، وتقوم ـ من جانب آخر ـ بطبع القرآن وتوزيعه على نطاق واسع.

إنني ـ وأنا في موطن الغربة ـ أتألم لما حلّ بالشعب الايراني وكم بودّي أن أكون الآن بينهم، لاشاركهم جهادهم المقدّس لإنقاذ الاسلام وايران.

اسأل الله العلي أن يقطع ايدي الأجانب واذنابهم عن البلاد.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

روح الله الموسوي الخميني

٢٨ صفر ١٣٩٥

٤ ـ مراحل نشاطات حزب رستاخيز:

خلال السنوات الثلاث والنصف التي عمل فيها الحزب، سعى المشرفون عليه الى تمثيل مسرحيات عجيبة على الصعيد الداخلي، ففي عام ١٩٧٥ بدأوا العمل التنظيمي ووضعوا النظام الداخلي ورسموا المنهج وحددوا «الهدف» وشنوا حملة لكسب الأعضاء لحزبهم حيث كان بإمكانهم استحصال تراخيص حتى للمجموعات السياسية المحضورة قانونياً.

وفي عام ١٩٧٦ بدأت مرحلة بناء الاجنحة المختلفة للحزب، حيث افرزوا جناحين، هما «التقدمي» و «البنّاء» لكن الطريف أنهم انفسهم لم يكونوا يعرفون الفرق بين الجناحين، ولربما ظلوا لايفقهون معنى مايرددونه من كلام حتى تلاشى الحزب، لكن المهم أنهم كانوا مأمورين بتشكيل أجنحة للحزب.

وفي عام ١٩٧٧ بدأت مرحلة الركود والهدوء النسبي في تحركات الحزب وضجيجه. إذ لجأ مسؤولو الحزب الى التحرك بحيطة وحذر كبيرين، حيث بدأ الحزب يتعرض لحملات عنيفة من قبل الشعب، وفجأة، انحلّ الحزب عام ١٩٧٨، لكن ذلك ظل دون اعلان رسمي، واتضحت معالم الاضمحلال بشكل أوضح بعد هزيمة زعيم الجناح التقدمي جمشيد آموزغار. فبدأ المتحمسون للحزب بالانسحاب منه، ووصل الامر الى رفض الجميع القبول بمنصب الامين العام للحزب، فاضحى أشبه ببؤرة لأمراض مسرية.

وفي شباط ١٩٧٨ تأسست أول لجنة مركزية للحزب ووافقت على تشكيل جناح ثالث، لكن قبل أن يبدأ هذا الجناح بدراسة شؤون ايران برئاسة هوشنغ نهاوندي، الذي كان عليه اعادة البريق الى الحزب برزت قضية حلُّ هذا الحزب.

فقد أعلن الشاه أن الحزب لم يعد شاملاً، واعقب ذلك عودة اعضاء التنظيمات السابقة الى تنظيماتهم، ثم تقليص ميزانية الحزب، اما الموظفون الرسميون في الحزب فقد انتابهم القلق على مصيرهم، اما الذين كانوا قد انتدبوا من دوائرهم للعمل داخل الحزب فقد طالبوا بإعادتهم الى أماكن عملهم السابقة بعدما أصبح العمل داخل اطار الحزب سبباً للفضيحة. كما باتت (مجموعة دراسة شؤون ايران) ترفض كونها جناحاً من أجنحة الحزب وعندما اقترن اسم الحزب بالخزي والعار، بدأ البحث عن اسم جديد له، اذ تصوروا أن اطلاق اسم «حزب الحركة الوطنية الايرانية» على الحزب سيمكنه من إيجاد مكان له في مقدمة صفوف مسيرة الثورة الاسلامية لكن هذه المحاولة باءت بالفشل ايضاً. المهم فان تأسيس هذا الحزب والبرلمان شكل المرحلة الاخيرة من عمر النظام الملكي.

٥ ـ برلمان رستاخيز:

تأسست الدورة الرابعة والعشرون للبرلمان بالاعتماد على حزب رستاخيز، وكان آخر برلمان في العهد الملكي. وقد جرى افتتاح هذه الدورة في أواسط عام ١٩٧٥، عندما كان الحزب في ذروة نشاطاته وضجيجه، وقام أعضاؤه بترشيح انفسهم الى المجلس كحزبين، وهكذا أصبح البرلمان مقتصراً على اعضاء الحزب، وحتى «شريف امامي» و«رياضي» اللذان كانا مستقلين دائماً، انخرطا في صفوف الحزب واحتفظا بمنصبي رئاسة البرلمان ومجلس الشيوخ.

ولم يستمر عمر هذا المجلس لاكثر من ثلاثة أعوام، اذ تصاعدت في السنة الثالثة حوادث الثورة التي لم تكن في الحسبان أبداً، وقد أجرى هويدا انتخابات هذه الدورة من المجلس، لكنه اضطر فيما بعد الى دخول السجن طوعاً لينقذ بذلك النظام المتهاوي، وقد كان على البرلمان الرستاخيزي القضاء على الاسلام فبدأ بتغيير التاريخ الهجري الى التاريخ الشاهنشاهي، لكنه لم يفلح في ذلك.

وقد شهد هذا البرلمان سقوط حكومات هويدا و آموزغار وشريف إمامي وازهاري وبختيار الذين كانوا قد حصلوا جميعهم على ثقة المجلس. اما مصيره هو فقد اقترن بمصير النظام الذي سقط فيما بعد.

٦ ـ تغيير التاريخ الهجري الى الشاهنشاهي:

شهد عام ١٩٧٥ ذروة محطات التفرعن والتجبر الشاهنشاهي وآخرها اذ نهض النظام لمحاربة نبي الاسلام بشكل رسمي، من خلال القضاء على كل مظاهر الثقافة الاسلامية، وكان يتصور ان محو الاسس والدعامات المعنوية الاسلامية من الاذهان سيمكّنهُ من القضاء على كل القوى التي تعارضه، وبالتالي القضاء على كل عناصر النهضة الاسلامية.

لقد اطلع الشاه بشكل جيد على نصوص بيانات الامام القائد التي هاجم فيها احتفالات الشاه، وادرك جيداً أن الإمام اعتمد على الاسلام وأحكامه كمحور لحملاته الهجومية. لذلك تصوّر أن عليه المبادرة اليوم، وبالاعتماد على حزب رستاخيز المؤلف من (٢٢) مليون عضو! الى قطع دابر المعارضة. وهكذا فقد طالب في جلسة افتتاح البرلمان الرستاخيزي عام ١٩٧٥ ـ الذي قامت اجهزة امنه بتزكية اعضائه بشكل دقيق! ـ طالب النواب بانقاذ الثقافة الايرانية من كل أشكال الثقافات الدخيلة! عليها، وكان يعني بذلك الاسلام ومفاهيمه. فالذين اعدّوا للشاه كلمته التي ألقاها هناك كانوا قد استهدفوا منه محاربة الاسلام واستئصال جذور الثقافة الاسلامية من خلال نعتها بالثقافة الدخيلة التي تتعارض مع روح الثقافة الشاهنشاهية لايران.

ولم يكن الشاه يرى ضيراً في ترسيخ الثقافة الغربية وتغلغلها في ايران، لانه كان يسوق البلاد باتجاهها بسرعة كبيرة، وكان يفهم التمدن والتحضر على انها الاقبال الشامل على كل القيم الغربية.

اما اعضاء البرلمان الذين يتوجب عليه ابداء الطاعة العمياء للشاه، فقد عملوا على نفس هذا النسق، وفي اوائل عام ١٩٧٦ شنوا اول هجوم لهم على الاسلام من خلال إلغاء التاريخ الهجري وإلزام الناس باتباع التاريخ الشاهنشاهي الذي أقرّه مجلسا النواب والشيوخ في اجتماع مشترك وبذلك أجبر الناس والمؤسسات الحكومية والشعبية على استخدام هذا التاريخ.

ومن أجل ان يثبت المتملقون الطفيليون ولاءهم للشاه، فقد اعتبروا بداية التاريخ الهجري ١٣٢٠ هـ.ش (١٩٤١م) مقترنة بذكرى مرور ٢٥٠٠ عاماً على بدء الحكم الملكي، على الرغم من احتفالهم بهذه الذكرى عام ١٣٥٠ هـ.ش /١٩٧١م وهكذا اصبح العام الهجري ١٣٥٥ (١٩٧٦م)، يصادف عام ٢٥٣٥ شاهنشاهي، وفي ذلك دلالة ايضاً على أن عمر حكمه يبلغ ٣٥ عاماً. وكان ذلك الاجراء من اكثر ممارسات هذا النظام والشاه شخصياً خزياً وعاراً، ولم يكن باستطاعته

تسويغ ذلك بأي شكل من الاشكال. فقد كان ذلك بمثابة هجمة اعلامية كبرى ضدّ الشاه، شنها هو بنفسه، وكان ذلك اعلاناً صريحاً منه بتضاد الاسلام مع الشاهنشاهية.

الفصل الخامس عشر

الانفتاح السياسي

نظرة عامة:

وصلت سياسة القمع والاستبداد الى طريق مسدود، بالرغم من ان النظام كان قد بلغ ذروة قوته ورسوخه سواء على الصعيد الخارجي او الداخلي، فقد ارتفعت عوائد النفط بشكل كبير وأخذ النظام يساعد دولاً اخرى بشتى السبل، وكان يحلم بارساء اسس دولة امبريالية صغيرة في ايران، خاصة وانه كان يتمتع بدعم اميركي كبير ليصبح قوة كبيرة في المنطقة. وليجعل من ايران «جزيرة أمان» للغرب.

لكن الذي حل بهذا النظام أربك جميع الحسابات الغربية والاميركية، عندما تعرض النظام الملكي بتاريخه الطويل وقوته المعروفة الى السقوط. فاميركا لم تكن ترغب ابداً بان يتعرض نظام مطيع لها ومنفذ لسياساتها الى ماتعرض له النظام الملكي في ايران. فقد بذلت كل مساعيها للقضاء على اي احتمال بزعزعة الوضع، وعملت على ارساء استقرار سياسي طويل الامد يحقق لها مصالحها المنشودة، لكن النتيجة جاءت على عكس ذلك تماماً، ولم تستطع السيطرة على الموقف بالرغم من كل المحاولات.

وطبيعي ان نظام الشاه لم يكن يريد التخلي عن الحكم، وكان مضطراً للتجاوب مع السياسة الاميركية الجديدة، لافتقاره للاستقلال منذ البداية ولجوئه الى سياسات القمع والكبت الداخلي بدعم من الخارج، الامر الذي أفقده عوامل السيطرة على الثورة التي بدأ لهيبها يتصاعد.

١ـ كارتر وحقوق الانسان:

في عام ١٩٧٦ انتهت فترة رئاسة فورد للولايات المتحدة، بعد أن كان قد خلف نيكسون عقب فضيحة ووترغيت.

وفي شتاء ١٩٧٦ بدأت الحملة الانتخابية التي تنافس فيها كالعادة الحزبان الديمقراطي والجمهوري. ورفع مرشح الحزب الديمقراطي جيمي كارتر شعار (حقوق الانسان) في معركته الانتخابية ضد منافسه الجمهوري؛ هذه الحقوق التي ظلت اميركا تنتهكها عشرات السنين بل إنها قامت وبنت قوتها وتحولت الى قوة عظمى على هذا الانتهاك المتواصل. فهل كان رفع هذا الشعار يعني بالضرورة تغيير السياسة الاميركية؟ وهل كانت اميركا تنوي حقاً الكف عن إثارة الفتن واشعال الحروب هنا وهناك؟ وهل إنها قررت وقف عمليات النهب والهيمنة في أنحاء العالم؟ ام انها كانت لعبة إعلامية انتهت بانتهاء الانتخابات الرئاسية بعد أن اتخذ كارتر هذا الشعار جسراً للوصول الى السلطة؟

والحقيقة فان القرارات والسياسات في اميركا. تُرسم من قبل الكارتلات والكتل الرأسمالية الاحتكارية، وعندما تقتضي مصالحها اتخاذ سياسات معينة، تقوم بتحريك أحد الاحزاب ودعمه ودفعه الى الساحة ليؤدي دوره المطلوب. فمثلاً يتم اختيار الحزب الديمقراطي لإعلان سياسة سلمية تحررية، ثم ينتهي به الامر الى مرحلة شن الحروب[1]. او ان يختار الحزب الجمهوري لرفع شعارّ الحرب والقمع والعنف ويتسلم السلطة بالقوة[2].

وقد جاء كارتر الى السلطة عام ١٩٧٦ في ظل شعارات الدفاع عن حقوق الانسان وعدم دعم الانظمة والقوى المستبدة وتضمنت الحملة الدعائية الانتخابية اشارات صريحة الى أنظمة مثل ايران واورغواي والفيليبين وكوريا وباكستان وغيرها. كما اثيرت قضية الحاكم الاسباني الدكتاتور فرانكو، الذي خيم باستبداده وظلمه على الشعب الاسباني سنوات عديدة.

٢ ـ الهدف من رفع شعار حقوق الانسان:

في عام ١٩٧٦ اصبح العالم ينظر الى اميركا على أنها قوة عدوانية غاصبة لحقوق الشعوب ومدافعة عن الانظمة الاستبدادية المتهرئة. وكان على الساسة الاميركيين تحسين هذا الوجه القبيح الذي اصبح سمة بارزة لها ومحاولة العودة الى وضعها الذي شهدته بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية مباشرة، ودفاعها عن الديمقراطية، وكانت بذلك تحاول العودة الى عهد كانت تدّعي فيه دعم التحررين.

واعتماداً على وجهات نظر باحثيها ومنظري سياساتها، أدركت أميركا أن بعض الدول

الخاضعة لهيمنتها وصلت مرحلة الانفجار، وان العملاء الذين نصبتهم على رأس الامور في هذه البلدان عجزوا عن تطبيق سياسات اصلاحية كاملة، او ان تطبيق هذه السياسات اعطى نتائج عكسية، الامر الذي زاد من حالة التمرد وجعل الغليان الشعبي ناراً تحت الرماد.

ومن جهة اخرى، فقد ادركت أميركا أن بعض منافسيها القدماء ـ مثل البريطانيين ـ بدأوا تحركات جديدة وصلت احياناً الى التحرش بالسياسة الاميركية، من أجل الحصول على مواطئ قدم جديدة لهم. وقد ألحق ذلك بعض الاضرار بمصالح الشركات الاميركية الكبرى، كما رأى الاميركيون ان ذلك كان ينفذ على يد حكام عملاء في بعض البلدان وان من الضروري ازاحة هؤلاء المنافسين عن مناطق النفوذ الاميركي بأساليب مقبولة شعبياً.

كما كانت تحدو اميركا الرغبة في توجيه ضربة قوية الى السوفيت للرد على الهجوم الاعلامي السوفيتي ضدها، اذ كان الاتحاد السوفيتي قد صعّد من هجومه الاعلامي ضد الغرب بزعامة اميركا لدرجة كبيرة جداً، مما دفع اميركا الى استخدام سلاح «حقوق الانسان» الذي يتعارض تماماً مع دكتاتورية المعكسر الشرقي. فالنهج السوفيتي والذي تقتدي به الانظمة الشيوعية في الدول الاخرى لايمكنه أبداً مراعاة حقوق الانسان. ولهذا فقد ركز الهجوم الاعلامي الاميركي على هذا المحور ودعم ذلك المعارضون السوفيت امثال زاخاروف. وهكذا وصل كارتر الى السلطة لانه سيوجه ضربة قوية الى السوفيت عبر رفع شعار الدفاع عن حقوق الانسان الذي سيمكّن اميركا ايضاً من تحسين سمعتها واضفاء طابع النسيان على الذكريات المرة التي ظلت من فيتنام وكوريا وباقي ارجاء المعمورة التي عانت من جرائم الاميركيين.

٣ ـ اصداء السياسة الاميركية في ايران:

كانت ايران من اهم المناطق التي يستلزم تطبيق السياسة الاميركية الجديدة فيها مع الابقاء على مستوى الهيمنة الاميركية على اوضاع هذا البلد كما في السابق. فيحصل الشعب على الحرية ويشارك في قرارات الحكومة. ولاتكتفي اميركا بعدم التعرض الى مصالحها والمساس بهيبتها، بل تريد أن تظهر أمام الشعب بأنّها المنقذ والمدافع عن حقوقه.

لقد استهدفت السياسة الاميركية تسليم زمام الامور بيد حكومة تستطيع نزع فتيل الثورة من الشعب، حكومة لاتستخدم أساليب الملاحقة والقمع والسجن والتعذيب بل تسمح لدعاة

التحرر بممارسة العمل السياسي، وتروج لشعار الاستقلال مع احتفاظها بالولاء والتبعية لاميركا. فقد أدرك الساسة الاميركيون آنذاك خطورة النتيجة التي كان سيؤول اليها تصاعد حملات قمع الشعب، وكانت ترى في طرح شعارات الدفاع عن حقوق الانسان، سبيلاً لتفادي هذا الخطر. اذ ارادت التعتيم على ما ارتكبه عملاؤها طوال عدة سنين من خلال شعارات جوف لامصداقية لها، إضافة الى عملية تغيير في رموز النظام.

ولم يكن باستطاعة نظام الشاه مواصلة نهجه السابق الذي باتت اميركا تعارضه، فلم يكن مستقلاً في قراراته ولايملك إرادة اتخاذ سياسة تتعارض مع مصالح أميركا. وهكذا استمرت السياسة السابقة للشاه مادامت أميركا لم تعلن عن سياستها الجديدة، أما عندما اعلنت عنها فلم يكن امام نظام الشاه إلا التماشي معها.

وكان يساور الشاه قلق كبير من التغيير في السياسات الاميركية، لذلك فقد أبدى تعاطفاً مع الجمهوريين خلال الانتخابات الاميركية. وقد كان يتصور أنه حتى لوفاز الديمقراطيون وطبقوا السياسة الجديدة التي أعلنوها، فسيكون بامكانه العودة الى وضعه السابق بعد اضطراب داخلي على شاكلة ماحدث عام ١٩٦٠ ومابعده وانطلاقاً من هذا الامل، بادر الى اعلان سياسة الانفتاح السياسي الداخلي.

وبعد فوز الديمقراطيين في الانتخابات الرئاسية الاميركية ومجيء كارتر الى سدة الحكم، لاحت في الافق بوادر غموض في العلائق الثنائية اتضحت معالمها في الخطابات والتصريحات المتبادلة بين مسؤولي البلدين[٣]. وكان الشاه يرغب في التعجيل بلقاء كارتر وإعادة المياه بين البلدين الى مجاريها لضمان مستقبل ثبات الحكم في ايران.

وهكذا بادر الشاه، على الرغم من كل ذلك، الى الاعلان عن إلغاء التعذيب، والتحقيق من سنوات المحكومين بالسجن وسمح لممثلي الصليب الاحمر الدولي بزيارة السجون واللقاء بالسجناء السياسيين، وظهرت بوادر تشير الى الحد من سطوة الساواك، فمثلاً كان معروفاً قبل تلك الفترة أن سماع تسجيلات لنداءات الامام عقوبته السجن والتعذيب، أما بعد تطبيق السياسة الجديدة، فقد خفت سطوة أجهزة الأمن ولم يعد النظام يتعامل باسلوب القمع السابق، وهكذا شهدت عمليات توزيع المنشورات السرية والاشرطة التي تحوي بيانات الامام انتعاشاً ملحوظا، بل تطور الامر الى عقد اجتماع لمناقشة الوضع في البلاد[٤]، بعدها بدأت عملية العفو عن

السجناء.

لكن ذلك لم يكن ليطفئ شعلة المعارضة، بل إن عمليات كشف تاريخ التدخل الاميركي في ايران وجرائم الساواك واتضاح ابعاد اتساع نطاق الفساد وخواء شعار الدفاع عن حقوق الشعب الايراني المسلم، كلها عوامل ساهمت في دفع عملية الجهاد ضد الحكم الى الامام وعززت الامل بالنصر المحتوم.

هوامش الفصل الخامس عشر

١ ـ بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية رفع الرئيس الاميركي آنذاك «ترومن» شعار تحقيق الاستقلال والحرية للشعوب. لكنه هو نفسه الذي أشعل حرب كوريا، وكندي الذي انتخب عام ١٩٦٠، من اجل التصدي للاستبداد والظلم، والذي تزامن مع رئاسته منح حريات نسبية في ايران بين الاعوام ١٩٦٠ ـ ١٩٦٣ لكنه نفسه الذي شن الحرب على كوبا وحاصرها بحرياً حتى اوشك العالم ان يدخل في حرب عالمية ثالثة آنذاك.

٢ ـ الحزب الجمهوري يمثل حزب اليمين في اميركا، ولا يميل الى إعطاء حريات سياسية. وخلال حكم هذا الحزب، حدثت الكثير من الانقلابات في اميركا اللاتينية وافريقيا، وقد أشاع هذا الحزب أجواء الرعب والارهاب التي نلاحظ نماذج منها في ايران بين عامي ١٩٧١ ـ ١٩٧٣.

٣ ـ في خطاب لشقيقة الشاه (أشرف) في الامم المتحدة وفي مقابلة صحفية للشاه قبيل زيارته لأميركا، شن الاثنان هجوماً على سياسة كارتر حول «حقوق الانسان» باعتبارها «وسيلة للتدخُّل في شؤون الآخرين» انظر (نگرشي كوتاه بر انقلاب اسلامي ايران/ ص ٤٧).

٤ ـ يوم ١٠ كانون الأول من عام ١٩٧٧، واستلهاماً من سياسة كارتر «المدافعة» عن حقوق الانسان عقدت جمعية أنصار الحرية وحقوق الانسان اجتماعاً حضره عدد كبير من الأعضاء منهم زنجاني وبازركان وسحابي وسنجابي، حيث بعثوا برسالة الى فالدهايم يطلبون منه التدخل لاطلاق سراح السجناء السياسيين.

وقد استطاع هؤلاء وفي ظل الانفراج السياسي كتابة المقالات والقاء المحاضرات والخطابات التي كانت تنشرها صحيفتا كيهان واطلاعات بعناوين بارزة، وأحياناً كان يتم الافراج عن بعض السجناء السياسيين لأجل هؤلاء، وبذلك سعت الحكومة الى منح هذه الشخصيات منزلة بين الناس وإظهارهم على انهم المعارضون الحقيقيون للنظام.

وقد كان اكثر هؤلاء عنفاً المدعو علي اصغر سيد جوادي، لكن الوثائق التي عُثر عليها بعد انتصار الثورة والتي ورد فيها اسم «سيد جوادي» كشفت ان أميركا لم تكن تراهن على شاهبور بختيار فقط، بل إنها وضعت عدة اشخاص كاحتياطي لها حيث وصل أحدهم الى منصب رئيس الجمهورية.

كما أقام عدد من الاشخاص يطلقون على انفسهم (نقابة الكتّاب) عشر امسيات شعرية في حدائق النادي الايراني ـ الالماني، وبدعوة من معهد «غوته». وللأسف فان هذه الامسيات اقيمت برعاية دولة أجنبية.

الفصل السادس عشر

شرارات الثورة عام ١٩٧٧

١ ـ نظرة عامة:

كانت حوادث عام ٧٧ ـ ١٩٧٨ بمثابة مقدمة للثورة التي انتصرت في عام ١٩٧٩، فالقوى المعارضة كانت تعد العدة للتصعيد. اما النظام المستبد فقد حاول التظاهر بمنح الحريات واشاعة سياسة الانفتاح السياسي فتحاشى في البداية دخول مواجهات مباشرة مع الشعب، وقلّل من أساليب القمع والمطاردة والسجن والتعذيب والاعدام، لكنه واصل سياسة القضاء على المعارضين بطرق سرية او في مواجهات في الشوارع.

وفي المقابل سعى الى دعم بعض المعارضين وفسح المجال أمامهم لانتقاد السلطة. وبعد خطاب «آموزغار» حول حرية الرأي والقلم، تقدم جمع من رؤساء الصحف الذين جرى اغلاق صحفهم في السنوات السابقة لأسباب مختلفة بطلب تراخيص للعمل الصحفي.

٢ ـ زيارة الشاه لاميركا:

سافر الشاه الى اميركا للقاء كارتر، وكانت هذه الزيارة مختلفة عن زيارته السابقة لاميركا، ذلك لأنها تتم في ظل «انفتاح سياسي» كما تزامنت معها مظاهرات احتجاجية حاشدة للايرانيين المقيمين في اميركا ومن جهة أُخرى، سعى سفير الشاه في اميركا المدعو اردشير زاهدي وبالتنسيق مع جهاز الساواك الى إنزال عناصر مؤيدة للنظام الى الميدان ليهتفوا بحياة الشاه.

ومقابل البيت الابيض جرت مظاهرات صاخبة للطلبة الجامعيين الايرانيين المقيمين في اميركا حيث هتفوا خلالها ضد الشاه، واشتبكوا مع عناصر الامن المؤيدة له، مما دفع بالشرطة للتدخل. ونقل التلفزيون الايراني جزءاً من هذه المظاهرات المعادية للشاه ليوحي للشعب بان الانفتاح السياسي هو السائد في البلاد.

٣ ـ الشرارة الاولى للثورة:

بينا كان النظام الشاهنشاهي منهمكاً في تنفيذ سياساته الجديدة وتغيير بعض رموزه وبيادقه علّه يستطيع التعتيم على جرائمه السابقة، واذا به يواجَه بشرارات الثورة، التي كان يتبع كلاً منها تصاعد لهيب سرعان ما ينتشر هنا وهناك.

ففي قم، انطلقت أول صرخة مدوية احتجاجاً على المقال الصحفي المنشور في صحيفة اطلاعات بتاريخ ٢٨ كانون الثاني ١٩٧٨ والذي تضمن إساءة الى الامام الخميني، وباستشهاد عدد من طلبة العلوم الدينية تصاعد لهيب الانتفاضة حتى هزّ أركان النظام عندما وصل الغضب الشعبي ذروته في أربعين هؤلاء الشهداء في قم وتبريز، بينما بدأت المدن الايرانية تنضم الى الانتفاضة الواحدة تلو الاخرى مما سلب النظام واسياده القدرة على معالجة الأمر.

أما الامام الخميني الذي لم يترك ـ ومنذ نفيه ـ جهاده المرير من خلال توعية الامة بالحقائق وتعيين واجبها الشرعي، فقد بادر هذه المرة ايضاً الى توجيه الأنظار الى الهدف والمسؤولية الملقاة على عاتق الشعب بقوله:

(... ياجموع المسلمين، هاهو الاسلام العزيز يستنجد بكم أينما كنتم. وعلى الجميع السعي الى تلبية دعوته للتعويض عما لحق به على يد سلاطين الظلم خاصة خلال الخمسين عاماً الماضية من الحكم البهلوي المعادي للاسلام والشعب.

فالنبي (ص) يقول: (كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيتهِ) .

وعليكم الحذر من الانتهازيين من أتباع المدارس غير الإسلامية الذين يتحينون الفرص للتغلغل في أوساطكم لطعنكم من الخلف، فبادروا إلى ابعادهم عنكم وعدم فسح المجال لهم لتنفيذ مآربهم فبغير الاسلام وشعاراته المقدسة لايمكن للبلاد ان تتحرر. فانتفاضة تبريز اسلامية، كما هي ثورة كل الشعب الايراني، واجهزة اعلام النظام تحاول خداع الرأي العام عبر الادعاء بأنها ماركسية! او من فعل اتباع مايسمى بالماركسية الاسلامية! وهو دليل واضح على ان هؤلاء لاوجود لهم في ايران، والاّ لماعمدت أجهزة الاعلام الى طرح إسمهم.

على الجميع، بمختلف اتجاهاتهم وانتماءاتهم، ان يعلموا ان النصر مستحيل الاّ بالاعتماد

على الاسلام والاستظلال براية التوحيد والقرآن. ولان النظام يسعى الى تشويه سمعة الثورة عبر نسبها الى كتل منحرفة لاوجود لها بين فئات الشعب، فإن على جميع المجموعات السياسية وفئات المثقفين ان تعلن ـ وبكل صراحة ووضوح ـ انتهاج طريق الاسلام والسعي لتطبيق قوانين العدالة القرآنية، وان يلتحقوا بفئة العلماء والعمال وعموم الشعب، وبذلك سيفوّتون الفرصة على الاجانب الذين ينفّذون هذه الاحابيل على لسان الشاه. وفي غير هذه الحالة، فان إلصاق اسماء الماركسية او الماركسية الاسلامية سيعزل هذه الفئات الصغيرة عن باقي أبناء الشعب الذين يشكلون السواد الاعظم).

وقد عملت توجيهات الامام وتعليماته، واستجابة الامة واعلان استعدادها لاداء الواجب، على ظهور حالة وحدة وتلاحم ووعي عمت الشعب كله، وكان ذلك ضرورياً لدفع مسيرة الثورة نحو الهدف المرسوم لها. وقد وقف النظام الشاهنشاهي وحماته أمام هذا الوضع عاجزين عن فعل شيء.

٤ ـ وفاة نجل الامام بطريقة غامضة:

كان العالم المجاهد السيد مصطفى الخميني الابن الاكبر للامام وأحد سواعده المهمة، اذ اعتقل بعد نفي والده ثُمَّ نُفي ايضاً ليلتحق بالامام في تركيا، ومن هناك رافقه في هجرته الثانية الى النجف ولم يبتعد عن والده الذي كان يخوض من هناك جهاده المرير، يوماً واحداً. كان شاباً متحمساً ذا شخصية قوية، لايقبل المهادنة، عالماً في الدين وخبيراً في السياسة، وكل ذلك جعل منه مصدر خطر على النظام.

وفي أحد الايام، وجد في غرفة نومه وقد فارق الحياة دون أن يعاني من مرض او عارض صحي، ولما كان الناس يدركون أن الساواك قد بدأ آنذاك يستعمل أساليب غامضة وسرية في التخلص من المعارضين[٣]، فقد اعتبروا موت السيد مصطفى لايخرج عن تلك الممارسات الاجرامية، فاقيمت في داخل ايران مجالس التأبين والتعزية لدرجة أثارت حفيظة النظام ودفعته الى إبداء رد فعل حيال ذلك.

٥ـ مقال صحيفة اطلاعات:

في يوم السبت ٧ كانون الثاني ١٩٧٨ (المصادف ٢٧ محرم ١٣٩٨) نشرت صحيفة اطلاعات مقالاً بعنوان «ايران والاستعمار الاحمر والاسود» تحت اسم مستعار هو «احمد رشيدي مطلق» تضمّن اساءة مباشرة وصريحة الى آية الله الخميني، فقد جاء فيها «الخميني هو الوحيد الذي نهض بتحريض من الاقطاعيين لمعارضة الحكومة والقوانين والثورة البيضاء التي تتماشى مع الاسلام! اما العلماء الآخرون فهم يؤيدون هذه القوانين ويحظون بالمقابل بالاحترام المطلوب»!

وقد عمل كاتب المقال ـ وبكل وقاحة ـ على إلصاق صفة حب الشهرة وعدم الإيمان، بالامام الذي نذر نفسه وحياته وكل وجوده لخدمة الاسلام والامة، فهو يصفه بـ(الشاعر العاشق) و (عميل الاستعمار) و (السيد الهندي) !! .. الخ.

وقد تزامن نشر هذا المقال في ٧ كانون الثاني، مع احتفالات «حرية المرأة» وكشف الحجاب، كما جاء بعيد الضجة التي أُثيرت في البلاد ومجالس التأبين التي اقيمت على روح الشهيد السيد مصطفى الخميني.

وقد كان النظام يعرف جيداً مصدر الخطر الذي يهدده، ويعرف دور الشخصية القوية الحازمة التي تقود الشعب المسلم راسخة الخطى فقد أدرك النظام أن نفي الامام لم يؤدِ الى عدم انفضاض الناس من حوله فحسب، بل رسّخ من قيادته للامة وكشف للعيان ما كان يحذّر منه الامام من قبل، فادعاءات الشاه الفارغة فيما يخص ثورته البيضاء، ظلت مجرد شعارات جوف. كما ان الهيمنة الاميركية على مقدرات البلاد وصلت الى درجة أن الساسة الإميركيين يفرضون على الشاه عنوةً، انتهاج سياسة الانفتاح السياسي الداخلي! التي قبلها مضطراً خوفاً على عرشه.

فقد كانت اميركا تتوخى من سياساتها الجديدة نزع فتيل الاوضاع المتفاقمة داخل دول مثل ايران، لتبقى الانظمة في محلها، وتستمر الهيمنة الاميركية دون منغّصات، ولأجل تنفيذ هذه السياسة، توجّب على الشاه اتباع اسلوبين متزامنين:

الاول: فسح المجال لتجار السياسة وعشاق المناصب، للنزول الى ميدان السياسة وإبراز اسمائهم ومعارضتهم للنظام، والسماح لهم بالدفاع عن حقوق السجناء وتوجيه الاتهامات ضد أعضاء الحكومة وكتابة مقالات تهاجم بعنف سياسات الشاه.

والثاني: العمل على توجيه حرابه صوب القائد الحقيقي للثورة، وقذفه بشتى التهم وتشويه

سمعته ومحاولة فض الناس عنه.

فقد تصور النظام ان بامكان مقال صحيفة اطلاعات وامثالها ثني الحوزات العلمية عن مواصلة نهج الخميني، وقد كان هذا المقال بداية تطبيق هذه السياسة، لكنها سرعان ما اعطت نتائج عكسية تماماً.

٦ ـ اصداء المقال:

واجه هذا المقال المشين ردود فعل عنيفة في ارجاء ايران، كان اسرعها في مدينة قم التي عمتها موجة غضب عارم جعل المدينة تعيش في وضع غير عادي. ففي اليوم التالي لصدور الصحيفة جرى تعطيل دروس الحوزة وصلوات الجماعة والمجالس العامة واحتشد الناس في مدرسة «خان» كما تدفقت جموع اخرى باتجاه بيوت العلماء الكبار. وكانت الجموع تتنقل بين بيوت المراجع الكبار لتستمع منهم الى صوت الاحتجاج والغضب، وهكذا استمرت هذه الحالة حتى العصر[٤]، وعند المساء احتشدت الجموع الغاضبة في «المسجد الاعظم» وهتفت «يعيش الخميني» و «الموت لحكومة بهلوي» كما مزقوا نسخاً عديدة من صحيفة «اطلاعات» ولدى خروج الجموع من المسجد هاجمتها قوات الشرطة وتحول الامر الى صدامات عنيفة انتقلت الى باقي شوارع المدينة.

٧ ـ الاثنين الدامي في قم:

يوم الاثنين ١٩٧٨/١/٩، تجمع طلاب العلوم الدينية منذ الصباح الباكر أمام مدرسة «خان» وميدان الروضة المقدسة في قم المقدسة. وقد زاد اغلاق الاسواق من حجم الحشود المتجمعة. بعدها اتجهوا الى منزل أحد العلماء، وواصلوا تنقلهم بين منازل العلماء حتى الظهر، وقد قامت قوات الشرطة باستعراض عضلاتها أمام الناس في عدة شوارع. وبعد ظهر ذلك اليوم، كانت الحشود الغاضبة تتصدى بصدورها لرصاص قوات الحرس الملكي والشرطة.

يقول مؤلف كتاب «انتفاضة صناع الملاحم في قم وتبريز» ـ بالفارسية ـ في وصفه للحادث:

« ... تجمع بالقرب من مركز الشرطة في ميدان فاطمي بقم عدداً كبيراً من قوات الحرس الملكي كما سدّوا الشارع بعدة سيارات للشرطة. كانت جموع الشعب تتدفق في شارع صفائية،

والمدارس معطلة وكذلك المحلات التجارية. التظاهرات لم تقتصر على طلبة العلوم الدينية بل إن عامة الناس كانوا يشكلون غالبية المتظاهرين، حتى النساء اشتركن في التظاهرة وكذلك طلاب المدارس. وعندما واجهوا الموانع وسط الشارع، لجأوا الى الرصيف. وهنا قام الجلاوزة بتمثيل سيناريو خبيث، إذ قام أحدهم بتحطيم زجاجة البنك المجاور كما رمى اثنان آخران منهم حجرين باتجاه الزجاج المتبقي فحطّماه، وبذلك اختلقوا ذريعة لمهاجمة الناس. فبدأوا يضربونهم بالهراوات بقسوة، فلجأ الناس الى الازقة وبدأوا باطلاق الشعارات، كما حملوا الحجارة ليدافعوا عن أنفسهم. واستمرّ الجلاوزة يطلقون النار في الهواء مدة خمس ساعات.

الناس حطّموا يافطة المكتب المركزي لحزب رستاخيز في تلك المنطقة، وقد سقط عدد منهم مضرجين بدمائهم فحمل المتظاهرون أجسادهم وتعالت هتافات (لاإله إلا الله) بينما إطلاق الرصاص كان لايزال مستمراً. المتظاهرون كتبوا بدماء الشهداء والجرحى المسفوكة عبارة «السلام على الخميني» ، وقد استمر اطلاق الرصاص حتى الساعة التاسعة ليلاً. أعداد كبيرة من الجرحى والمتظاهرين هربوا طلباً للنجاة، حيث اختبأوا في البيوت القريبة.

وفي العاشر من كانون الثاني حصلت صدامات ايضاً، لكن الاضراب العام جعل المدينة تعيش في صمت مطبق.

وقد انتقل خبر مذبحة قم الى باقي المدن وأدى الى مصادمات وحوادث عنف في اصفهان ومشهد ونجف آباد مصحوبة باضراب عام استمر عدة ايام. أما في طهران فقد أصدر العلماء بياناً حول هذه الحوادث.

ولم يعرف بالضبط عدد الشهداء في حوادث قم، فقد ذكر بعضهم انه يتراوح بين ٨٠ و ٩٠ شخصاً. وهكذا التحقت حوادث ٩ كانون الثاني ١٩٧٨ في قم بحوادث ٥ حزيران ١٩٦٣ وذكراها السنوية في عام ١٩٧٥ واكدت من جديد أن الانتفاضة مستمرة.

وقد كانت تلك الحوادث خير جواب على حملة الاعلام الواسعة التي شنها النظام ضد الحوزة والعلماء وحاول من خلالها تشويه سمعة النهضة الاسلامية، فعقب هذه الحوادث تم نفي عدد من العلماء الى مناطق اخرى من البلاد، كما ادت الى موجة احتجاج في الجامعات تطورت الى إضراب وتظاهرات ومهاجمة مراكز الحكومة والشرطة.

الصحافة العالمية تناقلت أنباء هذه الحوادث وقد دفعت الاضطرابات في الجامعات الحكومة

الى إغلاق اغلب الجامعات بشكل رسمي. كما بدأت حالة السخط الحوزوي والعلمائي والجماهيري على الشاه يتخذ أشكالاً جديدة. كما عطلت الحوزة العلمية في النجف الأشرف (العراق) دروسها، وأصدر آية الله الخميني و آية الله الخوئي بيانات بهذا الشأن، وفي باقي البلدان الاسلامية مثل سوريا ولبنان والكويت وافغانستان والباكستان أعلن أساتذة الجامعات وطلبتها تضامنهم مع الشعب الايراني.

٨ ـ حوادث تبريز:

شهدت مدينة تبريز مركز محافظة آذربايجان الغربية شمال غربي البلاد حوادث كبرى في ذكرى اربعينية حوادث قم فقد اعلن علماء تبريز يوم ١٨ شباط ١٩٧٨ حداداً عاماً بهذه المناسبة، واكدوا تضامنهم مع أهالي قم، كما اعلنوا عن إقامة مجلس تأبين كبير. وصباح ذلك اليوم تدفقت جموع الشعب بمختلف فئاته صوب مسجد المدينة الكبير لكن قوات الشرطة التي كانت تحيط بالمسجد منعت الجموع الغاضبة من دخولِه، وعندما احتشد الناس وازدادت اعدادهم تدريجياً، لجأت الشرطة الى اخافتهم عبر اطلاق النار في الهواء لكن الجموع ردت على ذلك باطلاق هتافات «يعيش الخميني» ومهاجمة الشرطة، فاحرقوا دراجاتهم البخارية وسياراتهم كما هاجمت الجماهير الغاضبة البنوك وحطمت زجاجها واحرقت عدداً منها، بعدها هاجمت محلات بيع الخمور ودور السينما ومقر حزب رستاخيز وأحرقت حوالي ١٥ سيارة تابعة له. وفي عدة مناطق من المدينة، قامت الجماهير بتحطيم صُوَر الشاه وزوجته وابنه المنصوبة في الساحات والشوارع، وأحرقت كل سيارة عسكرية وجدتها في طريقها.

وقد فقدت الشرطة القدرة على السيطرة على الموقف، فنزلت قوات الدرك المدعومة بالدبابات الى الشوارع، اما الناس فكان سلاحهم الحجارة فقط. فبدأت أصوات الرصاص تُسمع في ارجاء المدينة، واستمرت المواجهة حتى الساعة الثانية عشرة ليلاً. الحكومة اعلنت الأحكام العرفية في المدينة، والمستشفيات امتلأت بالشهداء والجرحى.

اما حكومة «جمشيد آموزغار» فقد ادعت بأن أيدٍ أجنبية تقف وراء حوادث تبريز، وذهب رئيس الوزراء أبعد من ذلك عندما ادعى بأن المتظاهرين في تبريز جاءوا كلهم من خلف الحدود (ويعني روسيا!). وقد سعت الحكومة الى سلب النهضة أصالتها الدينية، فقد ادعى الشاه في

مقابلة مع الإذاعة البريطانية أن حوادث قم وتبريز جاءت نتيجة لـ (اتحاد غير مقدس بين الشيوعيين واشخاص رجعيين جداً).

٩ ـ حوادث يزد في اربعينية شهداء تبريز:

لم يحتفل ابناء يزد في ذلك العام بأعياد الربيع التي تبدأ في ٢١ آذار وتستمر مدة ١٥ يوماً، وذلك اتباعاً لتعليمات قائد الثورة وتوجيهاته. فقد استعد أبناء هذه المدينة لإحياء ذكرى شهداء تبريز البطلة. وفي ٣٠ آذار أُقيم مجلس تأبين حاشد في «الروضة المحمدية» وفي نهايته، خرج الناس الى الشوارع وهم يهتفون (اللّه اكبر) و (لااله إلاّ اللّه) و (يعيش الخميني) و (الموت للشاه). وخلال مسير التظاهرة، قام الناس بتحطيم زجاج عدة بنوك ودور سينما ومحلات لبيع المشروبات ومراكز حزب رستاخيز.

وفي اليوم التالي، أمضت المدينة اضراباً شاملاً بدعوة من آية اللّه صدوقي، وتجمع الناس في المسجد ليخطب فيهم العلماء مطالبين بإعادة الامام الخميني الى البلاد وإطلاق سراح السجناء السياسيين ـ وعلى رأسهم العلماء ـ وإنهاء الحكم الدكتاتوري. وفي ختام الاجتماع الحاشد، خرجت جموع الناس الى الشوارع ايضاً في تظاهرة احتجاجية فتصدت لهم قوات الشرطة والجيش واطلقت عليهم الرصاص، فقُتِل عدد منهم وجُرح آخرون وقد لجأ الناس الى الازقّة المحيطة بمحل الاشتباك لكنهم وقعوا في كمين كانت قوات الشرطة قد نصبته لهم.

وبعد هذه التظاهرة نفت السلطة عدداً من علماء المدينة الى مدينة ايرانشهر، كما اعتقلت أعداداً من المتظاهرين.

١٠ ـ شرارات الثورة:

بعد نشر مقال رشيدي مطلق في صحيفة اطلاعات، بدأت التساؤلات تثار حول هدف النظام من هذه العملية، وهل إنه فكر بنتائجها أم أنه أراد فقط الاساءة الى الإمام وتشويه سمعته وعزله عن الامة؟

وبتعبير آخر: هل إن أجهزة الامن كانت تتوقع ماحدث فعلاً من إضرابات واحتجاجات ومع ذلك استهدفت قمع الشعب والعودة الى عهد الاستبداد والكبت الذي ساد إبّان

٥/حزيران/١٩٦٣؟

هناك من يؤيد هذا الرأي ويستدل عليه بأن الانفتاح السياسي كان قد فُرض على الشاه وكان عليه افتعال حوادث تسوّغ له ترك هذا الانفتاح. فقد كان عليه ان يقنع أميركا بان الشعب الايراني لم يصل بعد الى تلك الدرجة من النضج السياسي التي تؤهله للتمتع بالحرية السياسية! وأن استبدال الكبت والقمع بالانفتاح سيدفع المتعصبين والمتطرفين الى إثارة الفوضى، كما ان الشيوعيين المعادين للغرب سيستغلون هذه الفرصة، وعندها سيكون من الصعب ضمان بقاء ايران في أحضان الغرب. ولهذا فان الحل الافضل هو إلغاء عملية الانفتاح السياسي، وهكذا فإن النظام استخدم قضية المقال الصحفي كوسيلة لافتعال هذه الحوادث.

كما يستدل بعض مؤيدي هذا الرأي على صحته بأن النظام نفّذ جريمة احراق سينما «ركس» والجمعة السوداء[٦] لتنفيذ هذا الهدف، وأن النتائج غير المتوقعة لهذه الحوادث، جعلته يفقد سيطرته على الامور.

وعلى الرغم من أن هذا الرأي لايخلو من صحة، خاصة اذا أخذنا بنظر الاعتبار الاستدلال الذي يتقدم به مؤيدوه، وطبيعة ممارسات أجهزة الامن التي كانت تُقدم على أي عمل من شأنه الابقاء على النظام الشاهنشاهي، إلاّ اننا لايمكننا قبول هذا الرأي بشكل مطلق. اذ يمكن اعتبار أن الهدف من نشر المقال المذكور هو محاولة الاساءة الى الخميني والتقليل من منزلته، ومادام ذلك لم يتم بالارهاب والتعذيب والقمع، بل جاء بنتائج عكسية تماماً، فقد لجأ النظام الى اسلوب آخر يتلخّص في تشويه سمعته والاساءة اليه عبر خطة طويلة الامد من شأنها عزله وتشويه سمعته، وتحويل الانظار الى مراجع آخرين.

وكان المقال الصحفي بمثابة خطوة اولى على هذا الطريق، لكن النتائج العكسية التي ترتبت عليه حالت دون مواصلة هذا السبيل، اذ وقف جميع العلماء ـ حتى الكبار منهم، والذين توقع النظام ان يلتزموا السكوت على الاقل ـ صفاً واحداً مقابل النظام واجراءاته الساذجة. وهكذا ثبت للنظام خطأ جميع حساباته، فوقف الناس، يتحدون الدبابات والبنادق بصدورهم، وكان كل شهيد يسقط يزيد من لهيب الانتفاضة المتصاعدة، وتحوّل الامر الى ثورة عارمة بعد سنوات من السكوت والكبت.

لقد فقدت حكومة «جمشيد اموزغار» السيطرة على الاوضاع ومع ذلك نراها تزعم أن

غالبية الشعب تدعم الاجراءات الصارمة التي اتخذتها الحكومة لقمع المعارضة!

وستوضح الحوادث القادمة كيف أن الامة كانت مطيعة للامام الى حد الإقدام على اجراءات غير عادية، وكان استشهاد كل شخص يزيد الباقين ثورة وحماساً، وقلّما نرى ـ على مر التاريخ ـ مثل هذه الدرجة من التلاحم بين الامة وقائدها.

وقد وضّحنا فيما سبق أن المدرسة الشيعية تمتلك هذه الارضية التي تساعد على إقامة حكم اسلامي. وهذا ما دفع المستعمرين ـ على مر العصور ـ للعمل على فصل الدين عن السياسة، وتلويث المفاهيم الاسلامية الصحيحة بمجموعة من الخرافات والمفاهيم الدخيلة.

هوامش الفصل السادس عشر

١ ـ وفاة الدكتور علي شريعتي في لندن أثارت شريحة كبيرة من المثقفين المسلمين، خاصة وأن هناك قرائن ودلائل كانت تشير الى ضلوع الساواك في قتله. فقد اعتُقل شريعتي في ايران مدة عامين، هاجر بعدها من ايران مستغفلاً رجال الامن.

اما نظام الشاه، الذي يرى الكثيرون أنه قتل شريعتي، فقد قرر جلب جثمانه الى ايران وإقامة تشييع رسمي له ليستثمر ذلك سياسياً لمصلحته، لكن الجمعية الاسلامية للطلبة الايرانيين في اوروبا، وعائلة شريعتي واصدقاءه تنبهوا الى هذه اللعبة، وقاموا بتشييع الجثمان في لندن وسوريا، وفضحوا خلال مراسيم التشييع جرائم نظام الشاه.

٢ ـ نشر نص الرسالة المطوّلة نسبياً في صحيفة كيهان بتاريخ ١٩٧٨/٨/٢.

٣ ـ نلاحظ في عهد الشاه خاصة خلال تعاظم نفوذ الساواك وبطشه عدة وفيات حدثت في ظروف تثير الشك، وقد اعتبرها الناس من فعل الساواك، وهنا نذكر عدة حالات منها:

أولاً ـ في عام ١٩٧٥ أُعلن رسمياً أن ٩ سجناء قتلوا خلال محاولتهم الهروب من السجن، ولم يصدق الناس ذلك، وقد اعترف الجلاوزة بعد انتصار الثورة بأنهم قتلوا هؤلاء بالتعذيب.

ثانياً ـ في عام ١٩٦٨، إدُّعي ان صمد بهرنغي، الكاتب القصصي للاطفال وغير المرغوب فيه من قبل النظام، قد غرق في نهر أرس، علماً بأنه كان سباحاً ماهراً. وقد اعتبر الناس ان الساواك مسؤولاً عن قتله.

ثالثاً ـ في عام ١٩٧٤، أُعلن عن وفاة الكاتب والمفكر المعروف جلال آل احمد، الذي عُرف بتصديه للثقافة الغربية المبتذلة ومُنعت عدة كتب له. وكان يقيم في قريته القريبة من بحر قزوين. وقد اصدر الساواك الاوامر بدفنه على الفور.

رابعاً ـ في عام ١٩٧١، أُعلن عن وفاة الدكتور باقر الكاشاني في حادث سيارة مشكوك في أمره، وكان طبيباً اخصائياً وهو نجل المرحوم آية الله الكاشاني، وكان يخوض جهاداً متواصلاً ضد النظام. وقد اعتبر الكثيرون أن الساواك هو الذي دبر حادث السيارة، خاصة بعدما حدثت صدامات خلال مراسم تشييعه.

خامساً ـ في عام ١٩٦٦ أُعلن عن انتحار بطل المصارعة الايراني غلام رضا تختي، لكن أحداً لم يصدق ذلك، خاصة وانه تعرض من قبل لمضايقات عديدة من قبل الحكومة.

سادساً ـ في عام ١٩٦٩، أُعلن عن موت الدكتور حسن أرسنجاني وزير الزراعة السابق. وكان قد عُزل من منصبه عام ١٩٦٣ ولجأ إلى السفارة الايطالية وكان سبب الوفاة المعلن هو السكتة القلبية لكن الاعتقاد الذي كان سائداً هو أنه قُتل بسبب مهاجمته الحكومة باستمرار.

سابعاً ـ في عام ١٩٧٤، قتل ناصر عامري، الامين العام لحزب الشعب بسبب انتقاده للنظام. وقد تم القتل في حادث سيارة.

٤ ـ خطب آية الله العظمى الكلبايكاني في جموع المتظاهرين قائلاً: «ايدكم الله أيتها الطلاب الأعزاء فقد نهضتم بمسؤوليتكم مقابل الاهانة التي وُجّهت الى مقام العلماء. ولقد كانت وحدتكم وتحرككم في هذا الوقت، حيث يستعد الرئيس الاميركي لزيارة ايران، ضربة كبرى للنظام الذي يتوخى المنفعة من هذه الزيارة. ان هؤلاء كاذبون في ادعائهم أننا نؤيد ممارساتهم».

٥ ـ جريمة احراق سينما ركس ارتكبها نظام الشاه إبّان تصاعد لهيب الثورة الاسلامية، حيث بادر أزلامه الى افتعال حريق مهول فيها أدى الى استشهاد اكثر من (٦٠٠) شخص من روّادها (المترجم).

٦ ـ الجمعة السوداء: مجزرة أُخرى ارتكبها النظام قبيل انتصار الثورة الاسلامية بعدة شهور حيث هاجم آلاف المتظاهرين ـ الذين اجتمعوا في «ميدان جاله» وسط العاصمة متحدّين حظر التجول ـ جواً وارضاً بالذخيرة الحية، وقد أسفرت المجزرة عن استشهاد آلاف المتظاهرين (المترجم).

الفصل السابع عشر

عام الانتصار ٧٨ ـ ١٩٧٩

بعد سقوط الوزارات الملكية وسفك دماء الشعب

نظرة عامة:

في تاريخ ايران الممتد الى عدة آلاف من السنين، يحتل العام الهجري الشمسي ١٣٥٧ (١٩٧٨ ـ ١٩٧٩) منزلة خاصة، بلحاظ الحوادث التاريخية التي شهدها.

ولايمكن أبداً مقارنة حوادث هذا العام بالحوادث التي شهدتها ايران من قبل، مثل هجوم الاسكندر على ايران، او فتح ايران على يد المسلمين وسقوط الساسانيين، او عام استقلال ايران وانفصالها عن الخلافة المسمّاة (اسلامية) ، او ثورة الدستور وأمثالها، فعلى الرغم من اهمية كل تلك الحوادث، إلاّ أنها تظل أقل بكثير من حوادث عام ١٣٥٧ هـ. ش من حيث الأهمية والآثار المترتبة عليها في ايران والمنطقة والعالم ككل.

في هذا العام، تحققت وحدة الشعب الايراني بشكل لم يسبق له مثيل، حيث انضوت تحت لوائها حتى الاقليات الدينية من اتباع الأديان الاخرى في ايران. والحوادث التي اسلفنا ذكرها لم يكن أيٌّ منها نابعاً من إرادة الشعب، بل جرت ـ في الغالب ـ بتدخل قوة أجنبية. بينما الدافع المحرك لفئات الشعب في عام ١٣٥٧ هـ. ش كان معنوياً دينياً محضاً وليس دوافع مادية ودنيوية، ولهذا رأينا جميع شرائح الشعب وفئاته تشارك في الثورة، وكل منها تعتبر انتصار هذه الثورة انتصاراً لها.

والعامل الآخر والأهم في انتصار الثورة، هو وجود قيادة متميزة، استطاعت الاستلهام من تجارب ١٤٠٠ عام من تاريخ الاسلام والتشيُّع، دون استخدام الأساليب التقليدية التي تُستخدم في الانقلابات والثورات المعروفة. فالشعارات والهتافات السياسية الاسلامية التي كان يطلقها المتظاهرون، أركعت الحكومة وزلزلت أركان الهيمنة الاستعمارية في انحاء العالم، مما دفع قوى الاستعمار الى إعادة النظر في أساليبها وسياساتها لمواجهة هذا الخطر الجديد. وسنتناول في هذا

الفصل الحوادث التي شهدها العام الهجري الشمسي ١٣٥٧ (١٩٧٨ ـ ١٩٧٩) والتي انتهت بانتصار الثورة الاسلامية.

القسم الاول

من آذار حتى
آب ١٩٧٨م

١ ـ آذار ١٩٧٨:

حلول فصل الربيع يحمل في ايران معاني عديدة، واحتفالات الربيع ظلت لقرون عديدة تحمل دلالات وطنية واسلامية، لكن نوروز عام ١٣٥٧ هـ. ش قد اختلف تماماً، فالاحتفالات أُلغيت بعد صدور بيان للامام الخميني (قدس سره) واقيمت بدلاً عنها مجالس عزاء وأُعلن الحداد العام.

ولقد لقي هذا الاعلان تجاوباً شعبياً اكثر بكثير مما حدث قبل سنوات من ذلك . فقد صادف أن اقترنت ذكرى أربعينية شهداء تبريز مع احتفالات الربيع، كما شهدت خلاله مدن يزد وكرمان وشيراز واصفهان وجهرم وأهواز تظاهرات صاخبة اقترنت بحوادث قتل متفرقة، وهكذا بدأ العام الايراني الجديد[1] بغليان شعبي عارم تجسد في صور مختلفة.

٢ ـ اربعينية الشهداء:

لعبت مناسبات الأربعين التأبينية في عام ١٣٥٧ هـ. ش (١٩٧٨ ـ ١٩٧٩) دوراً مهماً في تأجيج جذوة الثورة، وزاد من دور هذه المناسبات وتأثيرها ذكرى عاشوراء وأربعين الامام الحسين عليه السلام.

وفي ١٩ آيار تحولت ذكريات أربعينية الشهداء في عدة مدن الى تظاهرات واسعة ضد النظام.

كما التحقت عشرات المدن بركب هذه الثورة، وانطلقت شعارات «استقلال ـ حرية ـ حكومة اسلامية» مدوية من ملايين الحناجر. وبالرغم من إطلاق شعارات اخرى مثل «رفع الظلم» و «الخبز والمسكن والحرية» من قبل بعض الاشخاص إلاّ أنها لم تكن تلقى رواجاً، لأنها خالية من نفحات الإسلام ومفاهيمه، وكل شعار من هذا القبيل لم يكن يلقى التأييد.

فالجماهير التي كانت تشيع أجساد شهدائها من المساجد لم تكن تعير أية اهمية للمسكن او الخبز والرفاه الدنيوي، لذلك لم تكن تكترث بهذه الشعارات.

والذين كانوا يتصورون أن ثورة طبقية قد تفجرت سرعان ما أدركوا أنهم على خطأ كبير، وأن الذي يحصل هو نهضة إسلامية لايمكن حرف مسيرتها بأي سلاح او قوة اخرى، ولهذا اضطر هؤلاء ـ على الرغم من عدم إيمانهم ـ الى الإنضواء تحت لواء هذه النهضة وشعاراتها الاسلامية وقائدها الامام الخميني (رض) . فهؤلاء لم يشاركوا في الثورة عن إيمان وعقيدة، بل إن مصالحهم هي التي إقتضت ذلك.

٣ ـ (٥ حزيران) ١٩٧٨ :

لعبت الذكريات السنوية لحوادث الاعوام السابقة دوراً كبيراً في تأجيج لهيب الانتفاضة الشعبية وترسيخها اكثر فأكثر. ففي ذكرى مجزرة ١٥ خرداد (٥ حزيران ١٩٦٣) ، عم البلاد اضراب عام، فبقي الناس في بيوتهم في عملية احتجاج صامتة. وقد أثبت ذلك أن الجهاد له أشكال مختلفة، فتارة بالهتاف واخرى بالصمت العام، فكل ذلك كفيل بعزل الحكومة عن الشعب، وسير الامة نحو الوحدة والتلاحم.

٤ ـ (١٥ شعبان) ١٣٩٨ ـ ٢١ تموز ١٩٧٨ :

تحظى مناسبة النصف من شعبان ـ ذكرى ميلاد الامام المهدي (عج) ـ بأهمية كبرى لدى الشعب الايراني المسلم، ففيها تقام الاحتفالات، وتُزيَّن الشوارع والازقّة والبيوت. لكن هذه المناسبة اتخذت عام ١٣٩٨ (١٩٧٨) طابعاً آخر، فقد دعا الامام القائد الامة الى عدم الاحتفالات في مبادرة احتجاج ضد الحكومة بينما بادرت الجهات الحكومية الى تزيين بعض المؤسسات الرسمية ومراكز الشرطة!

وقد بادرت «الجبهة الوطنية» المؤلّفة من عدة أحزاب صغيرة جداً للعودة الى الساحة السياسية في هذه المناسبة عبر تأسيس مجلس مؤقت للقيادة[٢]. فقد أحسوا ان البلاد مقبلة على تطورات مهمة، لكنهم كانوا يجهلون طبيعة هذه التطورات بالتحديد، اذ تصوروا أن الانفتاح السياسي الذي يدعمه كارتر هو الذي دفع الامة الى النضال، وعليهم استثار هذه الفرصة لكسب أعضاء جدد وفتح عدة مراكز وعمل مقابلات صحفية عند الحاجة.

٥ ـ شهر رمضان وبيان الامام (ره):

شهر رمضان كان دائماً مناسبة لتجمع المسلمين، والمسجد هو مكان العبادة، ولم تجد الامة أفضل منه قاعدة للجهاد. فقبل حلول شهر رمضان المبارك في ذلك العام، كان الامام قد اعدّ برنامجاً كاملاً لذلك، فأصدر بياناً من ثمانية بنود حدَّد فيه مسؤوليات الفئات المجاهدة، وخاصة شريحة الخطباء والوعاظ الذين انطلقوا يفضحون إجراءات النظام وسياساته المعادية للاسلام والامة، ويدعون الناس للعودة الى مبادئهم الاسلامية الحقة.

وقد أثار ذلك حفيظة أزلام النظام فراحوا يصعدون من مهاجمتهم للمساجد وقمعهم للخطباء وحشود الناس[٣]، بينما أطلق الامام صرخته المدوية، داعياً الى مواصلة الجهاد والدفاع عن الحق والاسلام، مؤكداً ان ذلك من أكبر العبادات. وكانت شيراز واصفهان من مراكز الغليان الشعبي العارم في هذا الشهر، وقد أصدر الإمام بياناً تاريخياً جاء فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

تفيد التقارير الواردة من ايران أن النظام يواصل مجازره في المدن الدينية واصفهان وشيراز، ليقدم مصاديق جديدة على جرائم الشاه التي لاتعرف الحدود. ويقال إن الشاه قال في إحد احاديثه الصحفية التي حِيلَ دون نشرها: إنني سأدمّر ايران ثم اغادرها. وقد أثبتت الجرائم الاخيرة أنه يقوم الآن بتنفيذ ذلك.

إن الشعب الايراني يدرك جيداً أن الشاه هو السبب وراء كل ما يعانيه، وكل ما حل بالبلاد من مصائب ولن يتخلى هذا الشعب عن جهاده حتى ينتصر وينال استقلاله وحريته.

إن على الشعب أن يعلم أن الشعوب الحرة لم تنل حريتها بسهولة، والنبي الاكرم (ص)

ظل يواصل جهاده ضد الظالمين حتى الرمق الاخير، بالرغم من كل المصاعب التي عاناها في هذا السبيل، وأمير المؤمنين قضى عمره في سبيل الجهاد ضدَّ الطغاة والظالمين الذين كانوا يدعون الاسلام.

إن الدفاع عن الحق والاسلام هو من أكبر العبادات ... دعوهم يلطّخون معابدنا بالدماء في هذا الشهر المبارك وليغلقوها، فان المسلمين سيضاعفون عبادة اللّه في هذا الشهر الشريف.

ووفقاً للاخبار الواصلة، فإن العلماء الاعلام في شيراز اعلنوا في بيانهم أن عدد الشهداء بلغ العشرات والجرحى يعدّون بالمئات. فقد هاجم أزلام الشاه المسجد وقتلوا وجرحوا الناس العزّل فيه ثم أحرقوه.

كما ان مذبحة اصفهان الوحشية تبعث على الألم والأسى، فأهالي هذه المدينة يُمنَعون ـ وتحت قوة السلاح وباسم الحكم العسكري ـ من عقد أية اجتماعات دينية، ولا يحق لهم حتى إبداء وجهات نظرهم.

إن على العسكريين واصحاب المناصب الحكومية أن يعلموا أن المجازر التي يأمرهم النظام بارتكابها لن تؤدي إلاّ الى تشويه سمعتهم وجلب العار لهم. الى متى يواصل ضباط الجيش والشرطة والدرك اصدار أوامر قتل الاخوة فيتم تنفيذها بواسطة مجموعة من الجلاوزة المغفّلين، دون ان يعترضوا على ذلك؟

من أجل من تفعلون هذا؟ من أجل إنسان يواصل تشديد الضربات لإسلامكم وشرفكم وحريتكم ويهدر كرامتكم أمام العالم ويصوركم على أنكم خدم مطيعون تنفّذون كل عمل قبيح للحصول عل رواتب تافهة؟

أمن الانسانية أن تحدث كل يوم مجازر بحق الابرياء بأيديكم انتم او بأيدي من لاتملكون حق الاعتراض عليه؟

إنكم وبذريعة إطاعة الاوامر تقومون بقتل اخوتكم في الدين، ولكنكم انتم مسؤولون عن ذلك فضلاً عن الشاه.

انكم ـ وبحكم الامر الالهي ـ يجب أن تعلنوا العصيان وعدم إطاعة أوامر الظالمين بالقتل والظلم، لاتشتروا جحيم الدنيا والآخرة بقتلكم إخوتكم، فأنين الآباء

والامهات الثكالى بفقد أبنائهن الشباب سيقضّ مضجعكم. إنهن امّهاتكم أنتم، هل فكّرتم أنكم تجلبون ـ بكّل رصاصة تطلقونها ـ الأسى والألم لعائلة واحدة على الاقل؟ توبوا الى اللّه بأسرع وقت والتحقوا بصفوف جيش الحق، واطمئنوا بأن الفوز سيكون من نصيبكم في الدنيا والآخرة.

ياضباط الجيش الايراني وقادته!

أدّوا دينكم للاسلام والمسلمين ولاتركنوا للذل اكثر من هذا. على جميع الشرائح الاسلامية من علماء وخطباء وطلاب وجامعيين وشباب وتجار وعمال وفلاحين واعين واحزاب سياسية، أن تبادر الى توعية مراتب الجيش والشرطة والدرك واطلاعهم على الواقع، ودعوتهم للمشاركة في عملية الثورة وإنقاذ الشعب من شر هذا الظالم والحيلولة دون استمرار تقتيل النساء والاطفال والشباب والشيوخ ودون التضحية بالاسلام من أجل اشباع شهواته.

وإنني، وفي ايام عمري الاخيرة، أمدّ يدي بتواضع الى جميع المجموعات التي تجاهد من أجل إقامة الاسلام وتطبيق شرائعه التي هي الطريق الوحيد لسعادة البشر، والضمانة الاكيدة لحرية ايران واستقلالها عن الاستعمار القديم والجديد، وأطلب العون من الجميع.

إن هذا الشخص قد عقد العزم على محو الاسلام، ويتظاهر بمختلف الحيل والاكاذيب بتأييده للاسلام والامة.

واليوم، حيث الشعب الايراني الشجاع (ايده اللّه تعالى) قد أدرك أحابيل النظام ودسائسه، ونهض بوجهه عن وعي وإدراك كاملين، فانّ على فئات المفكّرين من كتّاب وخطباء ان يضعوا يداً بيد، ويكشفوا جرائم النظام بحق الشعب المظلوم. على الطلّاب والجامعيين الاعزاء في انحاء ايران وكذلك الجامعيين الملتزمين خارج ايران فضح جرائم هذا العنصر الخطير في أنحاء العالم، واطلاع جميع الشخصيات الحرة على الظلم الذي يتعرض له الشعب الايراني، ومطالبتهم بتقديم الدعم لإنقاذ ايران من مخالب الاستعمار العالمي.

على جميع الفئات ترك الخلافات الهامشية والنهوض صفاً واحداً لإنقاذ انفسهم

واستخدام كل الوسائل المتاحة للقضاء على هذا المفسد في الارض، فالسكوت مقابل هذا الظالم يعتبر مخالفة لمصالح الاسلام وسيرة الانبياء العظام والأئمة الاطهار (عليهم السلام).

إن كلّ ما يحرف الشعب الايراني الشريف عن نهجه الاساس اليوم إنما هو من عمل الشيطان.

إنني اقدّم هنا التعازي لأهل البيت (عليهم السلام) وعموم المسلمين وخاصة المؤمنين في شيراز واصفهان (أيدهم الله تعالى) والى ذوي الشهداء الابطال، وأعتبر نفسي شريكاً لهؤلاء في عزائهم.

آمل أن يواسي أهالي باقي المدن، أهالي هاتين المدينتين الكبيرتين (اصفهان وشيراز) وان يشاركوا سكانها العزاء والحزن.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»

روح الله الموسوي الخميني

٨ رمضان ١٣٩٨

٦ ـ حالة الطوارئ في ظل حكومة آموزغار:

مرت حكومة آموزغار بمرحلة صعبة في ظل ما سمّي بالانفتاح السياسي، وكانت تسعى لاجتياز الازمة مستعينة بما لديها من أجهزة أمنية للحفاظ على كيان النظام، لكنها فقدت السيطرة على الامور خلال شهر محرم، واصبح الوضع في اصفهان حرجاً لها، فالتظاهرات مستمرة وهجمات عديدة وقعت على أكبر فندق في المدينة يدعى فندق (شاه عباس) وعدد من دور السينما والمصارف والدوائر الحكومية التي أُحرقت على يد الجماهير الغاضبة، كما اسفرت الحوادث عن مقتل عدد من أعوان السلطة، وهنا بدأ الخطر يتهدد أرواح الخبراء الاجانب وخاصة الأميركيين منهم. وقد أدى الامر الى اعلان الحكم العسكري في مدن اصفهان ونجف آباد وشهرضا وهمايون شهر.

وقد كان إعلان الحكم العسكري بمثابة دليل على ضعف النظام مقابل هذه الحوادث حيث استثمر قائد الثورة هذا الوضع ليصدر في ١٧ آب عام ١٩٧٨ بياناً دعا فيه الى مواصلة الجهاد

المرير حتى الاطاحة بالنظام الملكي واقامة حكومة اسلامية.

٧ ـ فاجعة احراق سينما ركس:

لهيب الثورة كان قد تصاعد واتسعت رقعته، والاجراءات الحكومية لم تكن تجدي نفعاً، لهذا اضطر الشاه الى مواصلة الانفتاح السياسي وربما لم يكن باستطاعته التخلي عن ذلك، ففي ١٩ آب تحدث عن خدماته التي قال إنها ستوصل ايران الى الحضارة الكبرى في المستقبل وقارن ذلك بـ (مخاوف بعض الناس) ويعني بذلك بيانات الامام التي كانت تدعو الى مواصلة الجهاد.

وفي اليوم التالي لقي المئات من الناس حتفهم (بين ٤٠٠ و ٧٠٠ شخص) في حريق شب في سينما ركس بمدينة آبادان، احترقوا حتى تفحمت اجسادهم وكان بينهم عدد كبير من النساء والاطفال، حيث هزت هذه الفاجعة ايران كلها، وكانت فاجعة كبرى لانظير لها. ولم يكن عدد كبير من الناس يعتقد بضلوع الحكومة بهذه الجريمة حتى بعد ايام من وقوعها، حيث حاول النظام استغلالها لتوجيه ضربة الى المتمردين الاسلاميين من خلال اتهامهم بها والادعاء بأن ذلك نابع مما يسميه بهلعهم الكبير، لكن النتيجة جاءت عكسية تماماً.

فقد انتشرت بين الناس تفاصيل الحادثة من قبيل اقفال ابواب خروج الناس من السينما وطبيعة المواد الحارقة والتأخُّر عشر دقائق في استدعاء سيارات الاطفاء وخلو صنابير الإطفاء من المياه في مدينة تضم اكبر مصفاة للنفط في العالم، وقرب السينما من مقر الشرطة وغيرها من المؤشرات والآراء المطروحة من قبل الخبراء والتي نبهت الناس الى ضلوع الساواك والشرطة في الجريمة المروعة التي استهدفت بث الرعب في قلوب الشعب.

وقد كانت الفضيحة من السعة والوضوح بحيث لم يقبل الناس اي توضيح او تسويغ لها وقد أدى ذلك الى اصطدام كثير ممن كانوا بعيدين عن السياسة، ويصفون المعارضين بالمخربين، بالواقع، الامر الذي غيّر كل أفكارهم ونهجهم، ومنذ ذلك الحين بدأت الانظار تتوجّه الى الحكومة كلما حدثت جريمة او مجزرة او اعتداء همجي.

وهكذا التحقت خوزستان بركب الثورة.

وفي الحادي والعشرين من شهر رمضان عمت مدن البلاد وخاصة مدن خوزستان تظاهرات عارمة، فقد أدرك الجميع أن فاجعة سينما ركس كانت من تدبير الشاه أما وكالة الانباء الايرانية

فقد نسبت الجريمة الى من أسمتهم بـ«المخربين» وادّعت أن عشرة اشخاص اعتُقلوا بتهمة ضلوعهم في الحادثة.

لقد تعدت قضية سينما ركس حدود ايران، الى أنحاء العالم لتصبح الخبر الاول في تلك الايام، مما جعل بقاء حكومة اموزغار في الحكم أمراً مستحيلاً.

٨ ـ سقوط حكومة آموزغار:

التظاهرات والمسيرات التي اعقبت فاجعة سينما ركس في آبادان، كانت مؤشراً على تصاعد موجة السخط الشعبي، ولم يكن بامكان حكومة آموزغار أن تفعل اي شيء، وساد الاعتقاد بأن إقالتها قد تؤدي الى تهدئة الأوضاع[٤]. وأخيراً، سقطت الحكومة في نفس اليوم الذي نشر فيه آموزغار في الصحف تقريراً بأعمال حكومته خلال عام وقدم خطة عمل للمستقبل.

القسم الثاني

من منتصف آب حتى اوائل
تشرين الثاني ١٩٧٨

١ ـ حكومة الوفاق الوطني:

مجيء شريف امامي الى الساحة اعاد الى الاذهان حوادث عام ١٩٦٠م عندما أراد لعب نفس هذا الدور، لكن يبدو أن ظروف عام ١٩٧٨ كانت تختلف كثيراً عن ظروف عام ١٩٦٠، اذ لم يعد باستطاعة هذا الماسوني القديم خداع الناس بالألفاظ والعبارات المنمّقة، فقد بادر شريف إمامي الى التعريف بأصله ونسبه، وأكد انه يقلّد شريعتمداري، كما ألغى التاريخ الشاهنشاهي المتبع آنذاك، وأمر بإغلاق اندية القمار كلها، ووعد بمعاقبة المستغلين، ومنح الحرية للصحافة والقيام بمصالحة وطنية[٥]!

ولكن هل كان بامكان أحد نسيان تاريخه وممارساته وفضائحه السابقة في مجلس الشيوخ ومؤسسة بهلوي؟ بالطبع لا. وهذا ما أدركه شريف إمامي بنفسه، فبادر الى لعبة جديدة عندما بدأ يعلن أنه اليوم ليس كما كان قبل عشرين عاماً! وانه «عقد العزم على تغيير الاوضاع[٦]»، ولكن من كان بإمكانه تصديق هذه الادعاءات، فحتى الناس العاديين كانوا يدركون جيداً انه أحد أزلام النظام الفاسد واداة لتنفيذ سياسات الاجانب في البلاد.

فقد تصور أن بامكانه خداع الجميع، وفتح قنوات مع العلماء، والتظاهر بانّه مقلد ومطيع لهم. وهكذا بدأ ـ وبمساعدة علي اميني[٧] ـ بترديد عبارة ان العلماء لايريدون سوى احترامهم، وان الحكومات السابقة لم تراع ذلك كما بدأت تُنشر مقالات حول معاناة آية الله الخميني، وظل

أميني يعد بان ينهي «سوء التفاهم» ! الحاصل بمجرد التقائه بالامام ويكرّر دائماً بان «الخميني عانى كثيراً لكن اخلاقه السامية كفيلة بـإنهاء المشكلة وإعادة البلاد الى الحالة الطبيعية» .

وقد كان بعض أزلام النظام وابواقه يأسفون لعدم تولي علي اميني منصب رئيس الوزراء وهو الذي يملك كل هذه الكفاءات! كما اخذوا يقارنون بين كفاءة شريف امامي وعلي أميني في عام ١٩٦١، وأن «خطأً قد حدث آنذاك، فلو كان أميني او صديقي أو سنجابي قد تولى مهام المسؤولية آنذاك لاستطاع إنهاء الازمة واعادة الهدوء إلى البلاد لصالح بقاء النظام واستمراره، وأن الشاه قد تأخّر في هذا الإجراء وضيّع بذلك فرصاً عديدة» !

لكن حكومة شريف امامي لم تستمر حتى لثلاثة اشهر بالرغم من كل الجهود التي بذلتها الشبكات الماسونية السرية.

٢ ـ صلاة عيد الفطر:

صادف عيد الفطر في عام ١٣٩٨ هـ يوم ٤ أيلول ١٩٧٨م ، وكان طبيعياً أن تشهد صلاة العيد تجمعاً حاشداً للمصلّين الذين تدفقوا من أنحاء طهران منذ الصباح الباكر، باتجاه منطقة قيطرية في شمال طهران. وقد سعى الشهيد الدكتور مفتح ـ الذي كان علماً من اعلام الثورة في الداخل ـ الى اقامة هذه الصلاة بأبهى مايمكن. وتحول زحف الناس باتجاه قيطرية الى مظاهرات مليونية عمّت أغلب شوارع طهران، وجسّدت ـ بوضوح ـ درجة التلاحم الشعبي.

ووقفت الجموع الغفيرة للصلاة صفاً واحداً، مجسّدةً عمق الروح الاسلامية، ومدى الغضب الشعبي ضدّ النظام الذي لم يكن باستطاعته التصدي لهذا الاستعراض الشعبي الديني، وقد سلب هدوء الجموع ونظامها الدقيق الحكومة أي ذريعة للتصدي لهم. وهكذا كانت تلك الصلاة خطوة ناجحة عادت بالنفع على الامة المنتفضة على النظام[٨].

وقد شجع نجاح هذه التظاهرات والمسيرات الامة على تكرار هذه التجربة في نفس الفترة، فأعلنت الحداد واقامة المسيرات بمناسبة استشهاد جمع من الناس على يد أزلام السلطة.

٣ ـ الجمعة السوداء (١٧ شهريور ١٣٥٧ش ـ ٨ أيلول ١٩٧٩م) :

لم يكن قد مضى عل تشكيل حكومة «الوفاق الوطني» اكثر من ١٥ يوماً، عندما أقدم النظام

على ارتكاب إحدى أكبر الجرائم في التاريخ وذلك في ميدان جاله (ميدان الشهداء حالياً) بطهران واستشهد خلالها الآلاف من ابناء الامة. فقد ايقن الناس ـ وبعد المسيرات المليونية عقب عيد الفطر ـ أن السلطة لاتنوي مهاجمة المظاهرات السلمية والهادئة، فقرروا الخروج يوم ٨ أيلول بمسيرات ضخمة، بدأت منذ الصباح الباكر.

وفي نفس اليوم أعلنت السلطة الاحكام العرفية في طهران و ١٢ مدينة أُخرى منذ الساعة السادسة صباحاً، وراحت السلطة العسكرية تصدر البلاغات الواحد تلو الآخر، وهي تهدد الناس وتتوعدهم بالاجراءات الصارمة.[٩]

وقد اعاد النظام بهذه المذبحة إلى الاذهان جريمة (١٥ خرداد ـ ٥ حزيران ١٩٦٣) وكان يأمل أن تؤدي الى إخماد الثورة والسيطرة على الأوضاع لعدة أعوام اخرى[١٠]. فقد تقاطر الناس على ساحة (جالة) منذ الصباح الباكر، وفي أقل من ساعتين امتلأت الساحة والشوارع المؤدية اليها بالحشود الغاضبة؛ أُمهات يحملن أطفالهن، ورجال يصطحبون أبناءهم الصغار، وكان الجميع يمشون بخطى ثابتة، ليقدموا ـ كما في الايام السابقة ـ عرضاً سلمياً هادئاً لقدرة الامة وقوتها، وليؤكدوا ان عامل قوتهم ووحدتهم مازال موجوداً، وانهم سيواصلون نهضتهم حتى سقوط النظام.

لقد كان إعلان الأحكام العرفية بمثابة إعلان حرب على جموع الناس. فقد وصف احد الكتاب هذه الفاجعة بقوله: « ... قامت السلطات برش تراب مشبع بالبنزين في تلك المنطقة، ثم قام جلاوزتها باشعاله. وقامت الامواج المتلاطمة من المتظاهرين بـإحراق عدة سيارات ومتجر حكومي كبير بعدها فتحت القوات الحكومية نيران أسلحتها الرشاشة، وانهال الرصاص على الناس العزل من كل حدب وصوب، من الارض، والجو بواسطة الطائرات العمودية.

كما قامت السلطة بسد جميع الشوارع والازقة المؤدية الى تلك المنطقة بالدبابات والمدرعات لمنع المتظاهرين من الهرب. فلم يكن الهدف تفريق المتظاهرين ولا إخافتهم، بل قتلهم جميعاً، فحتى الذين كانوا يلجأون الى منازل تلك المنطقة، كانوا يتعرضون للقتل خلال عمليات التفتيش، كما حالت السلطة دون وصول الامدادات الطبية الى الجرحى في المستشفيات. وقبل الظهر، كان الآلاف من الابرياء العزّل مضرّجين بدمائهم[١١]» .

لقد كانت الجمعة السوداء انعطافاً كبيراً في مسيرة الثورة المتصاعدة اذ لم يعد باستطاعة أقطاب

النظام التحدث عن القانون والحكومة والدستور، أما الامة فلم يعد باستطاعتها بعد هذا انتهاج طريق سلمي، كما عُرض في دور السينما في اوروبا وأميركا فلمٌ حول الفاجعة مدته خمسون دقيقة، أثار دهشة العالم، فلم يكن بين المتظاهرين من يحمل السلاح، كما أن قانون الطوارئ لم يكن يسمح لفتح النار على أحد ابداً.

وهكذا فقد غيرت هذه المذبحة مسار الثورة فبدلاً من أن تثير الرعب في قلوب الناس، رأينا أنها دفعتهم الى التصعيد والانتقام وقد حملت النساء القسط الاكبر من عبء المقاومة، بعدما قدّمن العدد الاكبر من الشهداء في المذبحة. ولم يكن بامكان النظام تدارك الامر بعدما وصل الى طريق مسدود، وأصبحت كلمة «الوفاق الوطني» ! مثاراً للسخرية، إذ كيف يمكن انتظار الهدوء والسكون من الآباء والامهات الذين فقدوا أبناءهم الشباب في هذه المجزرة المروّعة، بل إن بعضهم لم يستلم حتى جثة ضحيته.

وقد ظهرت أصوات معدودة تنادي بالهدوء وانتظار انتهاء حالة الطوارئ، خوفاً من بطش النظام، إلاّ أنها لم تلقَ آذاناً صاغية وتلاشت في بحر الجماهير الغاضبة التي كانت تنفّذ تعليمات قائدها. فقد أصدر الامام الخميني (قدس سره) بياناً بدّد فيه كلَ أشكال التردد والخوف وجاء في البيان:

بسم الله الرحمن الرحيم

ايها الشعب الايراني الشريف والشجاع.

مرة اخرى يثبت النظام - وعبر فرض الاحكام العرفية في طهران وعدد من المدن - أنه لايملك قاعدة شعبية. إن اعلان الحكم العسكري في اجواء يعمها الهدوء - كما اعترفت بذلك اذاعة النظام - ليس أمراً مخالفاً للقانون فحسب، بل هو جريمة لاتُغتفر، والذي أمر بذلك، هو الشاه المجرم شخصياً، فلم يجد الشاه وسيلة لقتل الناس الابرياء أفضل من إعلان الحكم العسكري. لقد شهدت طهران وباقي المدن الايرانية الكبرى مسيرات سلمية شارك فيها الناس لإظهار مظلوميتهم واحتجاجهم على مجرم تسلّط على مقدراتهم وارتكب الجرائم والخيانة بحق بلاده كما يواصل انتهاك دستور البلاد في وضح النهار. انه احتجاج على ممارسات مجرم فرّط بوجود وكيان هذه الامة.

وقد قام بهذا الاحتجاج أناس يتمتعون بمستوى عال من الوعي السياسي والديني،

حتى انهم كانوا ينثرون الورود على قوات الجيش، لكن «حكومة الوفاق الوطني» ! اعتبرت ذلك انتهاكاً للدستور، بينما الشعب هو الذي كان يحتج على من انتهك الدستور، واعني بذلك الشاه، انه احتجاجٌ على النظام المفروض على الشعب، واظهارٌ لمظلومية الشعب.

لكن الحقيقة هي أن الشاه أراد الانتقام من هذا الشعب الاعزل فدبّر هذه المذبحة في ظل لعبة مكشوفة، متصوراً انه قد خنق الانفاس في الصدور لكن الأوان قدفات، والشعب الايراني بلغ اليوم درجة كبيرة من الوعي.

إنني لااملك معلومات دقيقة عن عدد القتلى والجرحى في أنحاء ايران، لكن وكالات الانباء اكدت أن القتلى بالمئات أما الأخبار الواصلة من ايران فتؤكد انهم جاوزوا الألف شخص.

على الشعب الايراني الآن إمداد الجرحى الذين لايحصون، بالدم والادوية والطعام، وان لايبخلوا عليهم بأي دعم مالي يحتاجونه.

إن وجه ايران زاهر هذا اليوم، والبطولات مشهودة في كل مكان من البلاد، فهذا هو طريق امير المؤمنين وسيد الشهداء الامام الحسين.

ليت الخميني كان بينكم، ليُقتل معكم في جبهة الجهاد في سبيل الله. اطمئن يا شعب ايران أن النصر لك آجلاً ام عاجلاً.

لقد سعى الشاه ومعه ما تسمى بحكومة «الوفاق الوطني» الى توريط العلماء الشرفاء والسياسيين المحترمين بهذه المذبحة، لكن هذه الخدعة سرعان ما انكشفت «إن كيد الشيطان كان ضعيفاً».

على العالم أن يرى أن هذا هو المقصود بالانفتاح السياسي داخل ايران، وهذا هو النظام الديمقراطي، وهذا هو العمل وفق الدين الاسلامي من منظار الشاه وحكومته. فهم يقومون اليوم ـ وبحجج واهية ـ بأعمال النفي والاعتقال، انهم يريدون القضاء على علماء هذا البلد ومفكريه ومثقفيه لئلا يفكر أحد من الناس بالحرية.

وأنتم يا ابناء الشعب الايراني، يامن صممتم على إنقاذ أنفسكم من شرّ نظام الشاه وأثبتّم قدرتكم على ذلك في عيد الفطر والرابع من شوال أمام كل العالم. واثبتُّم للعالم

أن نظام الشاه ليس له مكان في ايران بعد اليوم، اطمئنوا بأن مامن قوة بإمكانها التصدي لثورتكم.

يا أبناء جيش ايران الوطني الغيور، لقد رأيتم كيف أن الشعب معكم، ينثر عليكم الزهور، وتعلمون أن هؤلاء الناهبين يستخدمونكم أداة لقتل إخوتكم من أجل مواصلة ظلمهم. إلتحقوا بباقي اخوانكم الذين انضموا الى صفوف الامة، لاتدعوا شعبكم يضرج بدمائه ووطنكم يتعرض للنهب والدمار، سجّلوا اسماءكم في صفحات التاريخ الناصعة، واجتثوا جذور الظلم والخيانة.

وانتم يا علماء الاسلام العظام وأيها السياسيون الشرفاء، يامن لاترهبون ضغوط الشاه وممارساته إنكم قدوة الشعب ومحط أنظاره، وفي هذه الظروف الحساسة عليكم ان لاتكتفوا بالاستقامة والثبات، بل إعملوا مافي وسعكم لرفع معنويات الشعب، وشحذ الهمم لديه لمواصلة المقاومة والتصدي. وحِّدوا صفوف الامة لمواجهة العدو.

أسال اللّه ـ سبحانه وتعالى ـ النصر للاسلام والمسلمين

والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته

روح اللّه الموسوي الخميني

٦ شوال ١٣٩٨

وعقب هذه المذبحة، سعت الحكومة، وعن طريق مجلس الشورى الوطني! الى حرف مسير الانتفاضة الشعبية، فقد أوعزت الى عدد من النواب الذين عهد اليهم لعب دور الاقلّية في المجلس بممارسة عملية انتقاد ومهاجمة صريحة للحكومة السابقة وممارساتها، فقام هؤلاء بتنفيذ دورهم على المستوى الذي تصوروا أنه يشفي غليل الجماهير الثائرة، وهي محاولة من السلطة لجعل المجلس محَطّ أنظار الشعب، الامر الذي من شأنه امتصاص النقمة الجماهيرية وإخماد جذوة الثورة.

لكن النتيجة جاءت ـ وكالعادة ـ عكسية تماماً، فبدلاً من أن يحصل هؤلاء النواب على ثقة الشعب، بادرت الجماهير الى استغلال خطابات هؤلاء النواب للتعرف من خلالها على ممارسات الحكومة وجرائمها التي لم يسبق لهم الاطلاع عليها من قبل، فكانت تلك الخطابات الرنانة! بمثابة صب الزيت على النار، بعدما كشف الناس حقيقتها، وراحوا يستخدمونها لتأجيج نار النقمة الجماهيرية إذ إن منح مجلسي الشورى والشيوخ الثقة لحكومة شريف امامي، ومبادرتها الى إعلان

الاحكام العرفية في ساعاتها الاولى، جعل الناس يدركون حقيقة كل اللعب التي تجري في المجلس وخارجه[١٢].

وقد تصور بعض الاشخاص أن إعلان الأحكام العرفية يتعارض والمهمة المناطة بالشاه من قبل حكومة كارتر، بإشاعة أجواء الانفتاح السياسي، ولهذا فان حكومة كارتر ستعلن عدم تأييدها للشاه، لكن ما حدث كان عكس ذلك تماماً، إذ أعلنت الإدارة الاميركية دعمها للنظام الشاهنشاهي في تلك الظروف الحساسة، مما بدد آمال اولئك الاشخاص «السعاة للحرية!»، تلك الآمال التي علقوها على هذه اللعب والمسميات.

وكان لحدوث زلزال طبس بعض الدور في التخفيف من الأزمة، إلاّ أن عجز الحكومة عن تعويض الخسائر وتلافي الأضرار الحاصلة من الزلزال، وقيام أبناء الشعب ـ وعلى رأسهم العلماء ـ بحملة إغاثة وإمداد للمنكوبين، زاد من حرج النظام. كما زاد من حدة الأزمة تردُّد إشاعات حول دفن نفايات ذرية في مناطق من ايران.

٤ ـ الاعلام العالمي ومجزرة ٨ أيلول (١٧ شهريور):

تناقلت وسائل الاعلام العالمية أنباء مجزرة ميدان (جاله) بأشكال متفاوتة، فقد نقلت وكالة الانباء الفرنسية في ٨ أيلول ١٩٧٨ الخبر كالتالي: صباح اليوم حدثت مواجهات دامية بين قوات الجيش والمتظاهرين الذين تجمعوا في ميدان جاله. وقد فتح الجيش النار على المتظاهرين كما استخدم القنابل المسيلة للدموع مما ادى الى سقوط (١٠) قتلى في الوهلة الاولى كما جرح عدد آخر، وكان آلاف المتظاهرين قد تجمعوا في ميدان (جاله) منذ الليلة الماضية، حيث قرروا فيما يبدو القيام بمظاهرة ضد النظام. وفي البداية جلس الجميع على الارض. الجنود قاموا من جانبهم بإطلاق عدة عيارات هوائية في محاولة لتفريق الحشود لكنها كانت تزداد شيئاً فشيئاً، مما اضطر العسكريين الى فتح النار على الناس فقتل في الوهلة الاولى حوالي (١٠) منهم.

اما وكالة الاسوشيتدبرس، فقد أذاعت الخبر في ١٩٧٨/٩/٨ كالتالي:

(بعد ساعتين من المصادمات في طهران، شوهدت شاحنات مملؤة بالقتلى والجرحى تغادر مسرح الاشتباكات، وعند الظهر، عاد الهدوء الى طهران، لكن اصوات عيارات متفرقة لازالت تسمع في ارجاء العاصمة. ويقول شهود عيان إنهم رأوا شاحنة واحدة على الاقل تغادر

مسرح الحادثة في ميدان جاله وهي مملوءة بالقتلى والجرحى.

وكانت الجموع تهتف بالموت للشاه و «يعيش الخميني». كما تقدم العديد من المتظاهرين باتجاه الجنود المدججين بالسلاح الرشاش مما أدى الى سقوط الكثير منهم مضرجين بدمائهم، فبادر الجنود الى نقلهم بالشاحنات الى خارج مسرح الحوادث).

كما نقلت وكالة الأنباء الالمانية الخبر في ٨ أيلول ١٩٧٨ كالتالي:

(لم يعد الناس في ايران يتظاهرون مطالبين بتطبيق القوانين الاسلامية او الحريات السياسية فقط، فالحكومة قد استجابت بعض الشيء لهذه المطاليب نسبياً، بل إن المتظاهرين يطالبون الآن باسقاط نظام الشاه، وهذا ما تبيَّن بوضوح في تظاهرات الأمس في طهران والتي كانت اكبر تظاهرات يشهدها التاريخ الايراني، فقد كان المتظاهرون يهتفون «ايران بلادنا الخميني قائدنا، والموت لسلالة بهلوي». ومنذ شهور أصبح واضحاً ان آية الله الخميني هو الوجه البارز في الصراع على السلطة في ايران فهو يعيش في منفاه في العراق منذ عام ١٩٦٣، ومن هناك كان يطالب الشعب باسقاط نظام الشاه، ومن هتافات المتظاهرين تتضح مدى استجابة الشعب لنداءاته).

وجاء في تحليل نشرته صحيفة «دي فولت» الصادرة في بون:

(استمرت خلال يوم الجمعة ـ التي هي عطلة رسمية لدى المسلمين ـ التظاهرات وأجواء التوتر في الشوارع، مما اضطر حكومة شريف امامي الى إعلان الاحكام العرفية. أما المتظاهرون، فلم يكونوا يطالبون بالاصلاحات، بل كانوا يهتفون «الموت للشاه» و «إما الخميني واما الدم» وقد لبّى النظام طلبهم وسالت الدماء.

فقد قام أفراد الجيش بإطلاق النار على المتظاهرين، فهو ـ اي الجيش ـ لازال يطيع أوامر الشاه ويدافع عنه. لقد اضطرت الحكومة الى الاستعانة بالجيش بعد أن سعت الى تحاشي ذلك. العلماء المعتدلون أرادوا إعطاء الحكومة الجديدة فرصة لالتقاط الانفاس، حتى أن الرجل المتنفذ والقوي في قم آية الله شريعتمداري أعلن يوم الاربعاء رسمياً تجنُّبه أي نوع من التظاهرات. لكن هذه التظاهرات كشفت ـ أكثر فأكثر ـ الوجه الحقيقي المحرك لهذه الاضطرابات، ألا وهو آية الله الخميني الذي يعيش الآن في منفاه بالعراق).

وفي العاشر من ايلول ـ اي بعد يومين من فاجعة ميدان جاله ـ نشرت وكالة الانباء الفرنسية

تحليلاً للوضع في ايران جاء فيه:

(في ايران التي يتوجب عليها العيش في ظل الاحكام العرفية مدة ستة اشهر، توجد جبهتان متصارعتان هما الجيش والدين، ولا شك ان مستقبل نظام الشاه في ايران، بل ومستقبل الشرق الاوسط كلّه، سيتوقف على نتيجة هذا الصراع، فالجيش الايراني استخدم كل اسلحته لقمع تظاهرات الجمعة السوداء في طهران، التي كادت ان تطيح بالنظام، وقد يكون الشاه استطاع الحفاظ على عرشه في هذه الجريمة، لكنه ـ في الوقت نفسه ـ قضى على كل فرصة للحوار مع المعارضة.

وبعد حوادث الجمعة السوداء، اوصت الخارجية الاميركية رعايا أميركا البالغ عددهم اكثر من (٤٢) ألف شخص بالحذر والابتعاد عن مناطق الاضطرابات. وفي افتتاحية صحيفة التايمز جاء مايلي: (استطاع الشاه خلال سنوات حكمه إحكام قبضته على الأوضاع في ايران أكثر مما فعله أي حاكم آخر ـ لكنه يرى ان زمام الامور يفلت من يديه). اما وكالة الاسوشيتدبرس فقد قالت: (انه باعلان الأحكام العرفية انتهت الحريات الممنوحة للشعب بعد ١٣ يوماً فقط).

اما القسم الفارسي في اذاعة كولونيا فقد قدر عدد المتظاهرين بمئة ألف شخص، وفي تحليل لصحيفة «فرانكفورتر الغماينه»، حول مجريات الحوادث في ايران كتبت تقول: مذبحة الجمعة السوداء هزت اركان النظام.

وجاء في صحيفة الغارديان البريطانية: «لقد دخلت الحكومة الايرانية في اشتباك دامٍ مع شعبها، وقد يؤدي ذلك الى الاطاحة بها، او على الاقل عزلها وإضعافها.

أما اذاعة صوت الجبهة الشعبية لتحرير عمان فقد قالت: لقد أنزل الشاه قوات الساواك والجيش ـ وكل ما يملك من أدوات القتل والدمار ـ الى الشوارع، لكن كل ذلك لم يستطع الحد من الغضب الشعبي، بل جعل الشعب أكثر إصراراً على مواصلة التصدي للقمع الشاهنشاهي. وقد حاولت أجهزة الشاه اخفاء العدد الحقيقي للضحايا فأعلنت أن عدد القتلى لايتجاوز الـ ٥٨ شخصاً فضلاً عن آلاف الجرحى.

اما مجلس الشورى الذي تظاهر بخروجه من التبعية لحزب رستاخيز فقد بدأ لعبة كشف الحقائق ـ وظهرت فيه أقلّية تنتقد ما جرى في الجمعة السوداء، كما اتهم ممثل تبريز الحكومة بالضلوع في الجريمة لعدم تقديمها اقتراح إعلان الحكومة العسكرية في الوقت المناسب، و

«ارتكابها جرائم تتعارض والدستور» كـإطلاق النار على الناس والذي كان يتعارض حتى مع قانون الطوارئ المعلن، كما لجأ عدد من المحامين الى دار آية الله شريعتمداري خوفاً من الملاحقة، وحاصرت قوات الامن دار شريعتمداري للحيلولة دون توافد عوائل الضحايا.

وفي هذه الاثناء قام الامام الخميني بفضح هذه اللعب التي تجري في البرلمان وغيره في بيان بشَّر فيه الشعب الايراني بالنصر والحرية، وجاء في جانب من البيان:

(اليوم حيث يجتمع اذناب الشاه في البرلمان يمثّلوا مسرحية وضيعة خادعة تستهدف تبرئة المجرم الاصلي وإلقاء مسؤولية هذه الخيانة العظمى في أعناق الآخرين. وحيث انكشفت حقيقة الوجوه الكريهة التي تدعي الدفاع عن الحرية وحقوق الانسان، فان على الشعب الايراني المظلوم إعلان الاضراب واقامة مجالس العزاء وإعلان يوم الحادي عشر من شوال يوم حداد عام. وبعد كل هذه التضحيات والعزاء، فإننا بانتظار الفرحة الكبرى، فستشهدون بأُم اعينكم الاستقلال والحرية بعون الله).

وجاء في جانب آخر من البيان:

(اعزائي، اطمئنوا بانكم منتصرون، فقيامكم بوجه دكتاتور العصر الذي انتهك حرمة كل المقدسات الدينية والوطنية، هو كقيام أمير المؤمنين بوجه معاوية الذي لم يرتكب اكثر مما يرتكبه دكتاتور العصر اليوم).

وفي نهاية البيان حذر الامام من ألاعيب الحكومة بقوله:

(لاتخدعكم ألاعيب حكومة الشاه ونوّابه في المجلس، فكلماتهم الخادعة تستهدف إنقاذ الشاه الذي يشرف على السقوط، فالعالم كله أدان الشاه ووقف الى جانبكم).

٥ ـ دور المرأة في الثورة:

على الرغم من ادعاءات نظام الشاه، والحكم الملكي البهلوي ـ الذي دام حوالي ٥٧ عاماً ـ فيما يخص منح الحقوق المشروعة للمرأة، الاّ أن هذا النظام عمل في الواقع على توجيه ضربات في الصميم لهذه الفئة من المجتمع، فالمتغربون كانوا يدّعون في عهد الشاه أنهم يخوضون نضالاً مريراً من أجل حصول المرأة على حريتها!

وفي عهد رضاخان (والد الشاه المقبور)، عمدت الحكومة الى منع ارتداء الحجاب الاسلامي

وإجبار النساء على السفور، وصاحب ذلك اعلام واسع بان النساء قد نزلن الى ساحة العمل البناء، جنباً الى جنب مع الرجل.

وفي التعديل الذي أُجري على قانون الانتخابات عام ١٩٦٢، تم التطرق فيه إلى المرأة وحريتها! وحقوقها كمبدأ ثابت يتبناه النظام، أعقب ذلك تأسيس منظمة المرأة، وأُعطيت عدة مقاعد في مجلسي الشورى والشيوخ للنساء، كما أُعطيت حقائب وزارية لعدد آخر منهن.

لكن كل هذه الاجراءات كان لها مردود عكسي، فبدلاً من أن تتحول المرأة الى قوة مؤيدة وداعمة للنظام، نراها أصبحت قوة معارضة له، وبدأت المعارضة تعلن للامة أن هذه الحرية المزيفة التي يدعي النظام منحها للمرأة، تتعارض بشدة والأخلاق والدين والكرامة، وبالتالي تشكل إهانة كبيرة لمقام المرأة السامي، فحرية المرأة كانت تعني إطلاق العنان للعلائق بين الجنسين وهذا ما يتعارض وقيم المجتمع وأخلاقه. وراحت القوى المعارضة تلفت أنظار العامة، الى أخطار هذه الحرية وما تؤدي اليه من تفتيت العائلة وانحلالها، وإشاعة الفساد والتحلُّل على جميع المستويات، كما حوّل النظام المرأة الى سلعة وأداة للدعاية واستقطاب المستهلكين الى السلع الاجنبية.

لكن المرأة الايرانية بدأت تشق طريقها الصحيح وسط هذا الضجيج، فمنذ بداية النهضة، كانت النساء تخرج في المسيرات الاحتجاجية التي ابتدأت من قم وسرت الى باقي المدن، وهن يرتدين كامل حجابهن الاسلامي، كما كن يلجن مجالات العلم والتحصيل وحتى السياسة، ويخضن جهاداً مريراً من أجل كسب حقوقهن والتصدي لأعداء الدين وعلى رأسهم النظام المستبد، وقد لمعت اسماء العديد منهن في عملية المقاومة البطولية، كما دخلت الكثير منهن السجن وتعرضن للتعذيب.

وقد أدت بيانات الامام الخميني (قدس سره) والدور القيادي للعلماء، الى مشاركة جموع غفيرة من النساء في كل مراحل الجهاد السياسي، فكان لهن الدور الكبير في تعويض النظام وزعزعة أركانه[١٣].

٦ ـ مفاسد البلاط:

رأينا فيما مضى ان البلاط الملكي كان أحد أهم مراكز نشر الفساد والفحشاء، وأفراد العائلة

المالكة كانوا يجيزون لأنفسهم ارتكاب أي عمل من شأنه نشر الفساد واشاعة الفحشاء، فضلاً عن تغلغلهم في كل مجالات الزراعة والتجارة والصناعة، وحتى في تهريب المخدرات، حيث كانت اغلب عمليات التحقيق في جرائم شبكات تهريب المخدرات تتوقف بعدما يتبين ضلوع أحد افراد العائلة المالكة فيها، وقد وصلت أنباء هذه الفضائح الى كل الناس، خاصة في ظل أجواء مايسمى بالانفتاح السياسي.

وقد واصل هويدا لدى تولّيه منصب وزير البلاط بعد موت أسد الله علم، نفس الممارسات. وسعت الحكومة ـ خلال الحقبة التي نحن بصدد الحديث عنها ـ الى عزل بعض رموز الفساد والفضائح، في محاولة منها لخداع الرأي العام وإخماد جذوة الغضب الشعبي، فعمدت الى إقالة هويدا من وزارة البلاط ثم اعتقلته، ثم استدعت نصيري واعتقلته.

بعدها قامت السلطة بـإناطة منصب وزير البلاط الى علي قلي أردلان البالغ من العمر ٨٠ عاماً والذي قضى عمره في تولّي مناصب مهمة مختلفة. فبدأ هذا الشخص بالحديث عن نظام داخلي جرى تدوينه من شأنه الحد من فساد أفراد العائلة المالكة، والقيام باصلاحات معينة داخل البلاط، كما تحدث عن تشكيل لجنة تقوم بمتابعة ممارسات أفراد هذه العائلة في جميع دوائر الدولة ومؤسساتها، كما أعلن عن تعيين أشخاص يقومون بالتحقيق بممتلكات العائلة البهلوية والشكاوى المقدمة ضدهم. لكن كل ذلك حدث في وقت غادر فيه أغلب أعضاء العائلة المالكة ايران بعدما حصلوا على قروض كبيرة جداً.

٧ ـ بدء العام الدراسي ٧٨ ـ ٧٩ وتفاقم الازمة:

النظام كان يخشى الطلاّب بشكل كبير، فقد أدرك أن بدء العام الدراسي واجتماع الطلاب في المدارس من شأنه خلق مشاكل عويصة له، وقد زاد الطين بلّةً ـ بالنسبة للنظام ـ البيان الذي وجهه الامام الخميني الى طلاب المدارس بمناسبة بدء عامهم الدراسي الجديد، حيث أدرك هؤلاء أن عليهم أن يتحملوا جانباً من عملية الجهاد والمقاومة جنباً الى جنب مع طلبة الجامعات الذين سمعوا الكثير عن جهادهم وبطولاتهم. وهكذا استعدَّ ملايين الطلاب في مدارس البلاد لأداء دورهم التاريخي والمشاركة في تقرير مصير بلادهم.

وفي الايام الاولى من العام الجديد، تحولت المدارس المتوسطة والثانوية في طهران الى أماكن

لتجمعات طلابية حاشدة، تحولت تدريجياً الى مسيرات ضخمة كانت تتجه ـ عادة ـ الى جامعة طهران. وهكذا فعل بيان الامام الخاص بالطلبة فعله وادى مفعوله، بالشكل الذي لم يكن النظام يتوقعه أبداً.

وفي تلك الايام، تصاعدت الاشتباكات وازداد عدد الضحايا [١٤] وانتقلت الاضرابات والاعتصامات الى خارج البلاد فأصدرت الحكومة بياناً دعت فيه الايرانيين المقيمين في الخارج الى العودة بشرط مراعاة الدستور. ووردت في البيان اشارة ضمنية الى الامام الخميني حيث صرح البيان أن بإمكان المعارضين إبداء وجهات نظرهم و آرائهم عبر الإذاعة والتلفزيون والصحف [١٥].

وفي ٧ أيلول ١٩٧٨ افتتح الشاه آخر دورة لمجلس الشورى الذي كان مقتصراً على اعضاء حزب رستاخيز.وحاولت الحكومة إظهار الاضطرابات وكأنها تعبير عن مطاليب رفاهية ومادية وادعت أن الازمة ستنتهي بمجرد تلبية هذه المطاليب [١٦]. أما وزير العدل «باهري» فقد حاول ـ من جانبه ـ تهدئة الاوضاع فأعلن عن تحويل المبنى المركزي لحزب رستاخيز الى مركز لمكافحة الفساد، وشكل محكمة لمحاكمة المسؤولين الحكوميين السابقين، وبدأ اطلاق الاتهامات والاعلان عن ممارسات المسؤولين، لكنها ذهبت جميعاً ادراج الرياح أمام موجة الاضرابات والاعتصامات والتظاهرات الشعبية التي لايمكن السيطرة عليها.

وفي تلك الفترة، وصل الامام الخميني الى باريس، وبدأ من هناك توجيه نداءاته القصيرة التي بدأت وسائل الاعلام العالمية تتناقلها، وانهالت على اثر ذلك برقيات المحافل والشخصيات الايرانية المعارضة، على الرئيس الفرنسي، وبدأت أنباء الانتفاضة تسمع في أرجاء العالم وخاصة بعد تقاطر الصحفيين على طهران لتغطية أنبائها، وملاحظة مدى الأواصر القوية التي تربط هذا الشعب الغاضب بعالم يعيش في المنفى، ولم يسمح لهُ بالدخول حتى الى الكويت.

ولم يكن قد مضى على دخول الامام إلى فرنسا إلاّ عدة أيام حتى طلب ممثلو قصر الأليزيه من الامام إيقاف نشاطاته السياسية، مما أجّج ـ مرة أُخرى ـ نار السخط الشعبي، وتصاعدت موجة الاحتجاج على ذلك. وفي داخل ايران، حاولت الحكومة التعتيم على القيادة الفردية والمتميزة للامام، من خلال دفع عدد من العلماء أصحاب النفوذ، الى الواجهة والتظاهر بأنهم يمثلون قيادة المعارضة.

وقد قلنا إن شريف امامي ادعى منذ تولّيه الحكومة أنه مقلد لشريعتمداري، كما قام باناطة هذا الدور بعدد من السياسيين وأعضاء المجلس وحتى أعضاء في حزب رستاخيز، وتدريجياً جعلت الحكومة من منزل شريعتمداري قاعدة للمعارضة، تحظى بالدعم الحكومي عسى أن يساعد ذلك على صرف انظار الناس عن الإمام بشكل كامل، او على الاقل إشراك شخص آخر بعملية قيادة المعارضة، مما يتيح لها المجال لإخماد الانتفاضة تدريجياً من خلال اختراقها لها وسيطرتها على الشخص الثاني فيها. وكانت هذه أبرز خطة خبيثة استخدمها النظام الشاهنشاهي لمواجهة الثورة ومحاولة إخمادها[١٧].

٨ ـ اضراب الصحافة:

عندما رأى أصحاب الصحف ومحرروها دخول الثورة في مرحلة خطيرة أدركوا أنهم أضروا كثيراً بمصالح المجتمع في الماضي، لذا قرروا التعويض عن الماضي، وبدء مرحلة جديدة من حياة الصحافة السياسية، فبادروا الى اعلان إضراب منذ ١٢ أيلول ١٩٧٨ شمل الصحف الصباحية والمسائية الصادرة في طهران، احتجاجاً على الرقابة المفروضة عليها، مما اضطر الحكومة الى إصدار بيان أعلنت فيه إلغاء الرقابة، وجاء في نهايته:

«١ ـ تتعهد الحكومة بضمان حرية الصحافة وفقاً لما نص عليه الدستور.

٢ ـ تتعهد الحكومة، وايماناً منها بحرية الصحافة، بعدم التدخل في عمل الصحافة مادام وفق القانون.

٣ ـ تتعهد الحكومة بضمان الأمن المهني للعاملين في الصحافة، وترجع جميع الانتهاكات الحاصلة في هذا المجال الى السلطات القضائية..».

وقد وقّع هذا البيان رئيس الوزراء واثنان من وزرائه إضافة الى تواقيع اعضاء اللجنة التي تمثل المضربين.

وقد تلقت الصحافة هذا البيان باهتمام بالغ وأبرزته في مانشيتات كبيرة من قبيل «نهاية قرن من الرقابة». وقد جاء في تقرير لوكالة اليونايتدبرس للانباء أن «البيان الذي أصدره شريف إمامي قد أنهى قرناً من الرقابة الحكومية على الصحافة ومنح الصحافة كل الحريات التي نص عليها الدستور». لكن ذلك لم يدم طويلاً، فقد هاجمت قوات من الساواك في أحد الأيام مقر

صحيفتي كيهان واطلاعات في محاولة لإعادة الرقابة الحكومية مرة أُخرى وبالقوة، بعدما ادعى شريف امامي إلغاءها والى الأبد، وقد دفع ذلك الصحافة الى بدء إضراب مفتوح استمر طويلاً، حصل الصحفيون خلاله على الدعم المطلق من قبل المجموعات السياسية المعارضة.

وخلال اجتماعه بممثلي الصحافة المضربة، ردّ شريف امامي على اشاعة زوال الحكومة بقوله: «أُعلن لكم هنا بأنني موجود، وساظل في الحكم فانا مضطر لأن أبقى!»، وكان الجميع يعرف أن الاضطرار يعني انه مجبور على البقاء لتنفيذ السياسات الخارجية. لكن هذا الاجبار انتهى بعدما أُنيطت هذه المهمة بالمدعو «أزهاري» ليشكل حكومة جديدة.

وبعد انتهاء اضراب الصحافة، أصدر أصحاب الصحف بيانات عديدة اكدوا فيها أنهم سيعملون جاهدين ـ ووفقاً لما تعهدته الحكومة ـ على نشر الحقائق والوقائع دون أي تغيير او حذف، ليكون بإمكان الشعب الاطلاع على حوادث البلاد، كما تعهد أصحاب الصحف بالابتعاد عن كل أشكال الاغراض الشخصية والتدخلات غير المشروعة التي من شأنها الاساءة الى قدسية القلم.

وقد رافق الاضراب وانتهاءه ضجيج كثير، وأُذيعت حول الامر بيانات عديدة، لكن القطاعات الشعبية والعلماء كانوا بعيدين عن ذلك، إذ يبدو أن الحكومة استغلت هذا الأمر، وقامت بإدارة هذا الضجيج عبر أيديها، كما قامت بحملة إعلامية واسعة عند انتهاء الاضراب في محاولة لاستغلاله في إنهاء كل الاضرابات التي عمت باقي القطاعات.

٩ ـ اربعينية شهداء الجمعة السوداء:

كان طبيعياً ان تكون لذكرى مرور اربعين يوماً على مجزرة الجمعة السوداء أبعاد واسعة وشاملة، بسبب كثرة الشهداء الذين سقطوا خلالها وكذلك تزامنها مع تصاعد لهيب الثورة والتحاق قطاعات جديدة بركبها، كما انها صادفت في الذكرى السنوية لوفاة نجل الامام الاكبر، السيد مصطفى الخميني. وهكذا شهد يوم ١٦ اكتوبر / تشرين الاول ١٩٧٨ اضراباً عاماً، شمل جميع أرجاء البلاد بما فيها المراكز التعليمية والتجارية، ولم تنفع كل التدابير الوقائية التي اتخذتها الحكومة بالتعاون مع الصحافة، لتحاشي تنفيذ هذا الاضراب[١٨]، بل عم الاضراب والتظاهرات مدن البلاد، كما سقط خلالها عدد من القتلى والجرحى.

١٠ـ هجرة الامام التاريخية من النجف الى باريس:

لكلمة الهجرة دلالات ومعانٍ قيمة، تجسدت وتوضحت اكثر في التاريخ المعاصر، من خلال هجرة الامام الخميني، فقد حدثت هذه الهجرة في وقت شهد سلسلة حوادث وتغييرات وأزمات حادة، هي الأهم في تاريخ ايران، فكانت الثورة في ذروتها، وجميع المنظمات القمعية العالمية، كالمخابرات المركزية الاميركية والموساد الاسرائيلية و «انتلجينت سرفيس» الانكليزية قد هبت لدعم (الساواك) لحرف مسيرة الثورة وإخماد جذوتها، وهذا ما كشفته ـ فيما بعد ـ الوثائق التي كانت بحوزة الساواك.

لكن هجرة الامام جاءت رداً حازماً أحبط جميع المؤامرات ونقل الثورة الى مرحلة اكثر خطورة على النظام. فقد أخرجت هذه الهجرة الانتفاضة الشاملة في إيران، من الطريق المسدود الذي وصلت إليه الاوضاع السياسية داخل ايران، والذي ترك آثاره السلبية على مسيرة الثورة، ومنذ يوم الهجرة، أصبح للمسيرات الاحتجاجية وسقوط الشهداء والجرحى معنى أكثر عمقاً وتأثيراً.

لقد جاءت هذه الهجرة، لتكون امتداداً لخط الامامة الشيعية المليء باحداث الجهاد والهجرة، كما رسخت المعنى الحقيقي للقيادة، وأعادت الصرخة التاريخية المدوية التي انطلقت من حنجرة انسان شهد تاريخاً امتد لاكثر من ثلاثة عشر قرناً من تحمل الظلم والكبت والتمييز.

وكان واضحاً ان هذه الهجرة تكتيك منطقي واسلوب جديد لتحقيق حكم الاسلام، وكان لها معناها الخاص، لدى ملايين الناس الذين قطعوا أكثر من نصف الطريق باتجاه الهدف. فقد كانت تعني أن النهضة مستمرة ـ وبلاهوادة ـ وان النصر قريب.

ويمكن دراسة وتحليل هذه الهجرة التاريخية من جهات مختلفة، لاستخلاص معانٍ ومفاهيم وعِبَر لكل القادة السياسيين الدينيين خلال القرون القادمة. فالهجرة والجهاد يكمل أحدهما الآخر.

لقد كانت هجرة الامام من النجف الى الكويت[١٩]، ومنعه من دخول الاراضي الكويتية، ثم التوجه الى باريس، منعطفاً كبيراً في تاريخ ايران المعاصر، ولنطلع على تفاصيل هذه الهجرة التاريخية كما يرويها المهاجر بنفسه. فخلال استقباله لأعضاء الحكومة عام ١٩٧٩، روى الامام

الخميني قصة هجرته الى العراق ثم الى فرنسا فقال:

(عندما غادرت تركيا الى العراق، كان المسؤولون العراقيون يزورونني ويؤكدون أن العراق بلدك، وقد تعاقبت على السلطة حكومات عديدة، وفي الفترة الاخيرة، كنا قد قررنا تصعيد نشاطاتنا، إلاّ أن الحكومة العراقية بدأت مضايقتنا تدريجياً. في البداية أحاطوا المنزل بعدة عناصر أمينة بحجة توفير الحماية لي وبثوا اشاعات بأن عناصر معينة تريد اغتيالي، وقد كان واضحاً أن ذلك كذب محض، وتدريجياً بدأوا بزيادة عدد أفراد الامن حول البيت، حتى اتضح اخيراً أن الهدف ليس حمايتي، وبعدها جاء لي أحد رؤساء أجهزة الامن في بغداد، وكان إنساناً مرناً مجاملاً في حديثه وقال لي: إفعل ماشئت، فنحن لانعترض.

وبعد عدة ايام، جاءني شخص آخر قالوا إنه ذو منصب أعلى من الاول وابلغني رسمياً بأن الحكومة العراقية لها التزامات حيال حكومة ايران، ولهذا فاننا لايمكن أن ندعك تواصل نشاطاتك من هنا.

وفي اليوم التالي جاءني نفس الشخص وقال: يجب ان لاتكتب او تقول شيئاً او ترسل شريطاً مسجلاً من هنا، لأن هذا يتعارض والتزاماتنا حيال الشاه، فأجبته بأن هذا واجب شرعي عليّ، فانا أُوجّه بياناً، وأخطب على المنبر عند الضرورة وكذلك إرسل تعليماتي ونداءاتي على الكاسيت الى ايران، فهذا هو واجبي الشرعي، وأنتم اعملوا بواجبكم أيضاً.

واستمر الحديث حتى أخبرته بأنني لست مصرّاً على البقاء هنا، فانا سأذهب الى أي مكان يمكنني منه أداء واجبي، وليس مهماً لي أن أبقى في النجف أو أُغادرها فقال: اينما ستذهب فلن يكون بإمكانك ممارسة نشاطاتك فقلت ـ ولم اكن قد حددت مكاناً معيناً ـ سأُغادر العراق، وسأذهب الى باريس، فليس هذا البلد مرتبطاً بإيران وخاضعاً للشاه.

فانزعج من هذا الرد لكنه لم يجب بشيء. ثم فهمت من السيد دعائي الذي كان يتولى الترجمة فيما بيننا انهم يريدون ايذاء من حولي، فخشيت أن يتعرض هؤلاء لأذى اكثر فقلت للسيد دعائي بأن يعدّ مقدمات سفرنا من العراق، فقام باستحصال تأشيرة

الدخول الى الكويت.

فقد كنا ننوي الذهاب الى الكويت ومن ثم الى سوريا، ولم اكن أُفكر في التوجه الى باريس أبداً، وانطلقنا من النجف بعد الفجر، وعند الحدود مع الكويت، رفضوا السماح لنا بالدخول بسبب الروابط الخاصة التي كانت تربط هذا البلد بالحكومة الايرانية آنذاك.

بعدها عدنا الى العراق ومكثنا في البصرة حيث قررنا هناك عدم التوجه الى سوريا، بل الذهاب الى باريس، وقد كنت في تلك الفترة مشغولاً بكتابة بيانات موجَّهة للشعب الايراني أشرح فيها الاوضاع. ولم أكن افكّر من قبل بأنني سأُقيم في باريس، ولعل اليد الغيبية كانت وراء كل ماجرى، فالارادة الالهية كانت هي التي تسيّر الامور منذ البداية، وكل ما حدث كان بإرادة اللّه فقط، وحتى عندما اردت العودة الى طهران ومارافقها من احداث وعندما وصلنا الى باريس، كان بعض الاخوة بانتظارنا حيث اخترنا احدى ضواحي باريس للاقامة فيها، ليلتحق بنا فيما بعد باقي الاخوة تدريجياً.

وفي البداية كانت الحكومة الفرنسية تتعامل معنا بدرجة كبيرة من الحيطة والحذر، لكنها تخلت عن هذا الحذر فيما بعد فكانت بياناتي وتوجيهاتي تنشر في وسائل الاعلام بالشكل الذي لم أكن أتوقعه، كما اخذت الوكالات العالمية ـ وحتى الاميركية منها ـ تنقل اخبارنا الى أنحاء العالم وحتى داخل اميركا، فكنا نتحدث عن الشعب الايراني ومعاناته.

وكل يوم كانت تزورنا مجموعات من الايرانيين من داخل ايران وخارجها، وكان ذلك يزيد من عزمنا واصرارنا على مواصلة هذه المهمة، واخيراً قررنا العودة الى ايران، لكن جهوداً مكثفة بُذلت لمنعنا من ذلك، فبختيار الذي هو وريث الشاه في جرائمه، بذل جهوداً حثيثة لعرقلة عودتي الى ايران.

وقد ادركت عند ذلك ان هذه العودة تحمل اضراراً كبيرة للحكم، ولهذا فانهم يبذلون المستحيل لمنعي، وبالاتكال على اللّه ـ تعالى ـ وهو مُعيننا دوماً، قررت العودة وبالفعل عدت.

وقد كان اللّه ـ سبحانه وتعالى ـ عوناً لشعبنا في نهضته منذ البداية، ومن ألطاف اللّه

علينا انه منع هؤلاء من مواصلة التصدي لنا، ولو حدث في ايران، كما حدث في افغانستان لكنا قد خسرنا كثيراً، وصحيح اننا قدمنا ضحايا وخسائر في الثورة لكنها كانت قليلة بفضل الله ورعايته ...» (صحيفة كيهان ٤ اكتوبر / تشرين الاول ١٩٧٩)

لقد جاءت هذه الهجرة في نفس الوقت الذي قررت فيه الحكومة العراقية الحد من نشاطات الامام بشكل جدي، كما كان الساواك قد أعد خططاً - كُشف النقاب عنه فيما بعد - تقضي باختطاف الامام وجلبه الى ايران[٢٠].

وقد سبق القول عند الحديث عن نشاطات جهاز الامن الملكي (الساواك) أن نشاطات هذا الجهاز الارهابي قد تجاوزت حدود ايران لتمتد الى باقي الدول التي يسكنها المعارضون، خاصة تلك التي نشط فيها هؤلاء، وكان طبيعياً ان يصبح العراق ساحة لفعاليات نشطة لساواك بسبب وجود زعيم المعارضة. فقد كشفت الوثائق التي عُثر عليها فيما بعد أن عدداً من عناصر هذا الجهاز قد ارسلوا الى العراق لتضاف الى العناصر المقيمة هناك، اذ قام هؤلاء بتزويد الجهاز المركزي للساواك في طهران بتقارير عن الامام وأتباعه في العراق[٢١]، وقبيل هجرة الامام الى باريس، قام الساواك بتكثيف نشاطاته.

وبعد هجرة الامام الى باريس، انهالت برقيات الاحتجاج على حكومة بغداد وبرقيات الشكر للحكومة الفرنسية، كما قام اصحاب البرقيات باطلاع المسؤولين الفرنسيين على منزلة الامام، وتعريفهم بشخصيته، كما أُرسلت بعض البرقيات الى الامام نفسه[٢٢].

١١ - اضراب العمال والموظفين:

بدأت حملة الاضرابات بـإضراب عمال الصناعات النفطية، وتبعه اضراب عمال وموظفي الاتصالات السلكية واللاسلكية، ثم البنوك ومصفى النفط في خارك ومؤسسة تصفية الماء وتوزيعه وعمال المواصلات والنقل، وظل الاضراب يتوسع ويعم قطاعات جديدة كل يوم حتى أُصيبت الحياة في البلاد بالشلل التام.

وقد أطلق المتظاهرون في الشوارع اسم مدرسة الثورة على حالة الاضرابات، وادى الى تضعضع اركان الاقتصاد، فقد عم الاضراب جميع المصانع والدوائر والمؤسسات الحكومية باستثناء العسكرية منها ومراكز الساواك والبلاط[٢٣].

وعمد العاملون في استخراج النفط وانتاجه الى إيقاف أعمالهم تماماً لأن حكومة شريف امامي ومن بعده أزهاري قامت بوضع جميع المخزون النفطي تحت تصرف الجيش الذي كان يصدّره الى اسرائيل وجنوب افريقيا بينما لم يكن يزوّد الناس بحاجاتهم اليومية من الوقود في محاولة لممارسة

الضغط عليهم وإخماد جذوة ثورتهم.

وقد أصبح إضراب عمال النفط سلاحاً قوياً استخدم ضد الحكومة، إذ أصبحت طوابير الناس أمام محطات النفط والبنزين، جزءاً من عملية الجهاد ضد السلطة، وقد فشلت كل الاجراءات الحكومية لإنهاء الإضراب، أما العاملون في محطات الكهرباء فقد قلّلوا من حجم عملهم مما أدى الى قطع الكهرباء لمدة ساعتين، حيث تبدأ فترة قطع الكهرباء قبيل بدء أخبار برامج الحكومة العسكرية التلفزيونية التي تذيع أخبار البلاد.

وقد فشل النظام في السيطرة على الوضع على الرغم من لجوئه الى اساليب القمع والسجن والمذابح، اذ بدأت كل القطاعات الرسمية من اقتصادية وسياسية وثقافية وقضائية وادارية تخرج من سيطرته الواحد تلو الآخر.

ولم يكن الامام الخميني ليترك الامة في هذه الظروف، دون ان يغذيها بالتوجيهات ويبشّرها بالنصر، فقد وجَّه بياناً، كان الاخير قبل عودته الى ايران، الى العاملين في شركة النفط الايرانية في ١٤ ذي القعدة ١٣٩٨ جاء فيه:

(تحية مني ومن شعب ايران الى عمال شركة النفط الايرانية وموظفيها.

يامن بيّضتم بإضرابكم المشرّف وجه أُمتكم.

إن إضرابكم، بكلّ أيامه وساعاته، له أكبر الأثر في إضعاف النظام وتدميره. إنه إضراب له قيمته لدى الشعب الذي حُرم من نعمة هذا الذهب الاسود الذي ظل يتعرض للنهب طوال سنين على يد الخونة، وقد وضعتم اليوم حدّاً لهذا النهب ومنعتم استمرار نهب ثروة هذه الشعب الفقير، ووجّهتم بذلك ضربة مدمّرة للخونة الذين استخدموا هذه الثروة سنداً لبقاء حكوماتهم الطاغوتية وعروشهم الشيطانية.

إن كل ساعة من اضرابكم هي خدمة كبرى للخالق عزوجل ولبلدكم الاسلامي. ان الذين يريدون إنهاء هذا الاضراب بالقوة، انما هم مجرمون و خدم للاجانب وخونة للشعب والوطن.

على الشعب الايراني الشريف أن يدعم كل العمال والموظفين المضربين في شركة النفط وباقي المؤسسات والدوائر الحكومية، وان يعوضوهم مايلحق بهم من أضرار مادية وغيرها وان يشجّعوهم على مواصلة إضرابهم المقدس الذي يقومون به اعلاناً لسخطهم واستيائهم من الشاه الخائن وعائلته القذرة، ودعماً للجهاد الشامل الذي يخوضه الشعب.

إن الحكومة العسكرية غير الشرعية تحاول بقوة السلاح اعادة الناس الى الوضع الطبيعي، غافلة عن أن رضى الشعب لايمكن كسبه بالحراب. هذه الحراب ستؤدي ـ في النهاية ـ الى انفجار كبير. ان الحكومة العسكرية المجرمة هي آخر وسيلة لجأ اليها الشاه لإنقاذ نفسه، وهذه ايضاً لن يكتب لها البقاء، لأن هذا النظام متآكل من الداخل. إن الخونة القذرين من أنصار الشاه يحاولون إخافة الناس من سقوط الشاه وما يسمونه بالفراغ الذي سيحدث، لكننا علينا ان ننظر ما الفراغ الذي ملأه الشاه لدى وجوده.

إن الشاه لم يملأ غير جيوب الأجانب وجيوبه واتباعه، هؤلاء الخونة سيلاقون جزاءهم بإذن اللّه آجلاً أم عاجلاً. على أميركا أن تكف عن محاولة الابقاء على الحكومة العسكرية بالقوة، وإراقة دماء الناس العزل كلّ يوم، عليها ان تكف عن أساليب التهديد والوعيد لإجبار عمال النفط على إنهاء اضرابهم بعد ما أخذوا يطالبون بزوال الشاه فالنفط يجب ان يبقى للاجيال القادمة. الافضل لاميركا ان تعيد النظر بسياساتها ومواقفها الداعمة للشاه، وعلى الساسة الاميركيين تحذير حكومتهم من سياساتها الظالمة المنافية لأبسط حقوق الانسان، والتي هي بالتالي منافية لمصالح الشعب الاميركي، فنهضتنا الاسلامية المقدسة قد وضعت حداً لدهر من النهب والدكتاتورية في ايران.

على المسؤولين الذين يأمرون بفتح النار على الشعب ان يعلموا بان انتصار هذا الشعب قريب، وسيقتص من الخونة بكل صرامة. ولاقيمة لعهودهم والتزاماتهم أمام الشاه، فالغضب الثوري لن يرحمهم، عليهم ان يعلموا أن الشاه قد يحاكمهم ويسجنهم كما يحاسب خدمه المطيعين، ويضحي بهم من اجل بقائه وخلاصه.

إنني أشكر جميع المضربين من أجل إنقاذ الوطن وخدمة الاسلام والمسلمين، من جميع القطاعات والفئات؛ معلّمين وتجاراً وكسبة وعمالاً وموظفين وصحفيين وغيرهم. وأطلب ـ وبتواضع واحترام ـ من جميع العلماءَ في البلاد (أعلى اللّه كلمتهم) باعتبارهم طلائع النهضة الاسلامية الكبرى والسد المنيع امام قوى الشرق والغرب والأعوان المخلصين لصاحب العصر الحجة (عجل اللّه فرجه)؛ أطلب إليهم أن يبادروا الى تعويض كلِّ انواع الضرر المادي الذي يلحق بالطبقات المستضعفة التي هي دائماً في مقدمة صفوف الصراع والجهاد، وذلك من الحقوق الشرعية (سهم الامام).

اقدّم شكري لجميع فئات الشعب الايراني الشريف وخاصة فئة العلماء، والسلام

عليكم ورحمة الله وبركاته). روح الله الموسوي الخميني

١٢ ـ فاجعة المسجد الجامع في كرمان:

بينما كان خمسة عشر ألفاً من النساء والرجال والاطفال مجتمعين في مسجد كرمان في ذكرى أربعينية شهداء ميدان جاله بطهران، هاجمت مجموعة مؤلفة من مئتي صعلوك من سكان الصرائف الجبلية، المجهزين من قبل السلطة بالهراوات والعصي، جموع المجتمعين في المسجد.

ومع بدء هجوم الاوباش، أغلق الناس أبواب المسجد، إلاّ ان المهاجمين قاموا بتكسير ماوجدوه أمامهم وتحطيمه اما الشرطة وجلاوزة الامن فقد قاموا باستخدام الغازات المسيلة للدموع مما جعل الناس داخل فناء المسجد في وضع حرج للغاية، ثم كمنوا في الخارج وبدأوا بضرب كل من يضطر الى الخروج من المسجد، بعدها قاموا باحراق جانب من مكتبة المسجد وهاجموا الجناح الخاص بالنساء وانهالوا بالضرب المبرح على النساء والاطفال، مستخدمين هراوات مزودة بمسامير ونتوءات حديدية من شأنها إحداث جروح بليغة في أجساد الضحايا، واثناء هروب أعداد كبيرة من المجتمعين في المسجد، قامت الشرطة باطلاق النار عليهم فأصابت عدداً كبيراً منهم.

وإكمالاً للجريمة، بادرت القوات الحكومية الى إحراق عدد من المحال التجارية في أرجاء المدينة والتي تعود ملكيتها الى بعض المجتمعين داخل المسجد، وقد أثبتت التحقيقات اللاحقة أن الجريمة تمت بتخطيط مسبق من قبل الساواك وبتنسيق مع الشرطة ومسؤولي المحافظة، وقد اعتبرت هذه الجريمة، مرحلة جديدة ومنعطفاً جديداً لمسيرة الانتفاضة الشعبية الاسلامية ضد النظام.

وإثر هذه الجريمة، وصل كرمان مبعوثون من قِبل العلماء وغيرهم للتحقيق في الجريمة، كما أصبحت مادة للشعارات والهتافات المضادة للحكم، كما اعتبر إحراق المسجد، بمثابة تكرار لجريمة إحراق سينما ركس في آبادان. أما الامام الخميني (ره) فقد اعتبرها انعكاساً للانهيار العصبي الذي أُصيب به الشاه وأذنابه [٢٤].

١٣ ـ احتفالات عيد ميلاد الشاه:

كان شهر «آبان» الهجري الشمسي (تشرين الاول ـ تشرين الثاني) يحمل للشاه وعائلته أفراحاً مضاعفة حيث تقع في هذا الشهر ذكرى ميلاده، ولذلك فان البلاد تشهد احتفالات ضخمة تنفق فيها الملايين وتُعطّل فيها الأعمال. فمنذ بداية العام الدراسي، ينشغل طلاب المدارس

بامور غير الدراسة من قبيل التدرُّب على الالواح السويدية التي يستمر التدرب عليها مئات الساعات، ومن ثم يقومون بعرضها خلال الاحتفالات، لأن العائلة المالكة ترغب في ذلك. لكن ذكرى ميلاد الشاه في ذلك العام كانت غير عادية ومختلفة تماماً عما كان يحدث خلال ٣٧ عاماً مضت فلم تكن هناك احتفالات ولا مهرجانات رياضية ضخمة، فقد كان من المستحيل قيام ذلك، بينما تشهد شوارع مدن ايران يومياً سقوط العشرات من المواطنين وسط دوي هتافات (يسقط الشاه) التي تملأ أجواء البلاد [٢٥].

ومع ذلك نشاهد العبيد المطيعين من رجال البلاط يقدمون فروض الطاعة ويبدون تملُّقهم للشاه الذي رد على رسالة رئيس البرلمان حول أخطاء الماضي! بالقول «بالتأكيد حدثت أخطاء في الماضي، فانحرف بعضٌ عن جادة الصواب والإخلاص، كما حدث سوء تنظيم، لكن كل ذلك يمكن إصلاحه، كما أنه يتوجب الآن مواصلة مكافحة الفساد» . ويبدو أن الشاه كان يجهل تماماً الهتافات التي تملأ أجواء البلاد، بل يحاول استغفال الملايين عبر تسميته لعمالته العريقة بـ«الاخطاء العادية» وعودته الى ممارسة لعبة «مكافحة الفساد» القديمة.

وقد استمرت في تلك الفترة عملية اطلاق سراح السجناء السياسيين الذين كان بينهم عدد من كبار العلماء امثال آية الله الطالقاني اللذين استقبلهم الناس بحفاوة بالغة، كما اعلنت الحكومة فصل عدد من مسؤولي الساواك، كما قدم الى البرلمان مشروع قرار لاعادة الاعتبار للسجناء السياسين، وهناك برز الى السطح مرة اخرى علي أميني حيث اعلن عن اجتماعه بالشاه وحديثه عن إنقاذ البلاد.

وبالرغم من كل هذه الاجراءات اليائسة، كانت اغلب المدن الايرانية غارقة في التظاهرات الدامية، كما كان انتاج النفط قدتوقف بشكل كامل، النواب مثلوا سيناريو جديداً، اذ قاموا باستدعاء الوزراء وطالبوهم بتوضيحات عن الاوضاع، ثم أعلن عن استقالة رئيس الوزراء ليقوم بتأسيس حزب جديد، بعدما أحسَّ بخطورة تولّي منصب تنفيذي، كما اعتزل باهري العمل الحكومي بعد الهزيمة التي مُني بها في البرلمان. الصحف كانت تنشر كل يوم احصائيات عن عدد القتلى والجرحى ومراكز الاضرابات وتفاصيل أنباء التظاهرات.

وقد رأت الحكومة أن إضراب عمال النفط وتوقف الانتاج بشكل كامل بمثابة ضربة قاتلة لها، فلجأت الى الجيش ليقوم باحتلال جميع المنشآت النفطية، ويقال إن توقف تصدير النفط قد ترك آثاراً سلبية سريعة على اقتصاد بريطانيا وفرنسا وألمانيا وهولندا وأسبانيا واليابان.

١٤ـ صعوبة الاجتماع بالامام:

تعتبر صعوبة اجتماع ممثلي الحكومة بالامام، من الظواهر الملفتة للنظر خلال مراحل الثورة، ففي الايام الاخيرة من حكومة «آموزغار» بدأ أقطاب النظام مساعي للوصول الى الامام وكسب رضاه وبالتالي إنهاء الازمة، وخلال عام كامل، توسلت الحكومة بكل السبل للالتقاء بالامام إلاّ انها فشلت تماماً. فالامام كان يستقبل أي ايراني مقيم في الخارج الآ أنه يرفض بشدة استقبال أي مبعوث للحكومة مما جعل من ذلك حلماً لأقطاب النظام.

وعندما جاء شريف امامي الى الحكم رافعاً شعار المصالحة الوطنية، تصور أنه سيتمكن من لقاء الامام في النجف، لكنه ـ أي الامام ـ رفض ذلك بتاتاً، كما لجأ إمامي الى بعض العلماء علّهم يساعدوه في تحقيق هدفه، لكن الفشل كان نصيبه ايضاً. وعندما هاجر الامام الى باريس، سافر اليها اردشير زاهدي مرتين، وكان في كل مرة يبذل قصارى جهده للاجتماع بالامام دون أية نتيجة.

وعندما «تطوع» علي اميني لتولي منصب رئيس الوزراء للمحافظة على النظام وإنهاء الازمة وارضاء الناس! قرر الاجتماع بالامام الخميني (رض) بعدما أدرك انه مصدر المعارضة ومحورها، وقد علّق آمالاً كبيرة على هذا اللقاء، حيث مهد لذلك باطراءات ومديح للامام وتحدث عن لقائه به عام ١٩٦١، وبعدما اقتنعت السياسة الاميركية ونظام الشاه باللقاء وكلفوه به، لم يلق الا الفشل ايضاً اذ أعلن الامام بكل صراحة «ليس هناك ماتتفاوض حوله، ولن نعطي أية مهلة مادامت ستعني استمرار الوضع الحالي [٢٦]». وعندما رأى الامام أن هذا التحرك يحظى بتأييد كارتر قال:

«لقد حدثت في المدن الايرانية مذابح ومجازر مروعة خلال الاشهر الماضية. وفي تظاهرات طهران في «١٧ شهريور» قتل الكثير من الناس. السيد كارتر الذي يدافع بحماس عن أحد السجناء في الاتحاد السوفيتي، لايتردّد ابداً في تأييد جميع هذه الجرائم والمجازر التي ترتكبها الحكومة الايرانية، وهذا ينطبق ايضاً على الصين والاتحاد السوفيتي».

وفي عهد حكومة ازهاري حاول بعض الاشخاص القيام بدور الوساطة وقاموا بعدة رحلات بين طهران وباريس لكنها لم تثمر ابداً، ولم يستطع مقابلة الامام آنذاك إلاّ بعض رموز المعارضة شرط ان لا يتحدثوا باسم النظام، أمثال سنجابي وبازركان[٢٧]. فهؤلاء كانوا يتصورون أن الامام يجهل حقائق الوضع داخل ايران بسبب ابتعاده عنها سنين طوال، فكانوا يطلبون منه

اتخاذ مواقف مرنة، لكنهم كانوا يقتنعون في نهاية اللقاء بوجهات نظر الامام بل ويتحمسون لها. فعندما التقى ممثل الجبهة الوطنية الدكتور سنجابي الامام، أعلن عن (٣) أسس لإنهاء الازمة مما ادى الى اعتقاله فور عودته الى ايران في ١١ تشرين الثاني ١٩٧٨[٢٨].

١٥ ـ احداث الجامعة (٤ تشرين الثاني ١٩٧٨):

كانت طهران قد تحولت في تلك الأيام الى مسرح لمواجهات مستمرة... واطلاق الرصاص يُسمع في كل حدب وصوب، والدخان يملأ سماء طهران. جامعة طهران تحولت الى قلعة حصينة، وأنين الجرحى كان يُسمع في كل مكان، والمواجهات غير المتكافئة مستمرة بين جلاوزة النظام المزودين بأحدث الاسلحة، والطلاب المسلّحين بالحجارة. كانت الجامعة ملتقى التضامن بين طلبة المدارس والجامعة... وبينما كانت حشود الطلاب المتظاهرين تتدفق على الجامعة. بينما أخذت قوات النظام تحاصرها من كل جانب.

وفي الرابع من تشرين الثاني ١٩٧٨ وبينما كانت الجامعة تغص بالمتظاهرين، فجأة بدأ إطلاق النار وكذلك القنابل المسيلة للدموع، فبدأ الطلاب يركضون ويطلقون الشعارات وقد بلغ الحماس والسخط الشعبي ذروته، وتعالت هتافات «لاتخافوا إنها رصاصات هوائية» و «اللّه اكبر»، فلم يكونوا يعلمون من أين يطلق الرصاص. المتظاهرون بدأوا يهتفون «سنقتل من قتل اخوتنا».

وفي الساعة الواحدة بعد الظهر، كان أزيز الرصاص يسمع من مناطق قريبة من الجامعة، بعدها بدأت سيارات الاسعاف تطلق صفاراتها وهي متجهة نحو الجامعة. فانتشر خبر هذه المجزرة الجديدة في أرجاء طهران كلها بسرعة كبيرة، وصارت الجامعة تسبح بالدماء والدخان. وكل شهيد كان يسقط، كان يزيد من حماس المتظاهرين وغضبهم فيهجمون بالحجارة على قوات السلطة.

وفي الساعة الثالثة من بعد الظهر انتقلت المواجهة من الباب الجنوبي الى الباب الشرقي، وأخذ الطلبة يشعلون الاطارات لإبطال مفعول الغازات المسيلة للدموع، فكانت أعمدة الدخان الأسود تتصاعد الى عنان السماء. وانتقلت المواجهة تدريجياً الى الشوارع الاخرى المحيطة بالجامعة حيث غطّتها دماء الشهداء، ولم يعرف الطلاب معنى التعب في ذلك اليوم.

وفي الساعة الثالثة والنصف، بلغ إطلاق النار ذروته، فكان الطلاّب يلجأون الى مجاري المياه والابنية القريبة للنجاة من رصاص الغدر. وعند الساعة الثامنة والنصف مساءً كان الحزن

يخيم على طهران، بينما تدفّق الناس على المستشفيات حاملين الأمدادات الضرورية من أغطية وقطن ومستلزمات طبية، وليتبرعوا بالدم لانقاذ حياة الجرحى.

ولم تنقطع التظاهرات في شوارع طهران، بل استمرت حتى العاشرة ليلاً، فكان ذلك اليوم، أحد الايام الدامية في تاريخ الثورة. وفي اليوم التالي، قام أزلام النظام باشعال النار في أرجاء المدينة وفرض إجراءات قمعية جديدة، تمهيداً لقيام الشاه بتشكيل حكومة عسكرية.

فحكومة شريف امامي التي ضرّجت الآلاف من الناس العزل بدمائهم خلال شهرين، لم تستطع وضع حد للتظاهرات وهتافات الاحتجاج التي تطلقها الجماهير المليونية، ولهذا لجأ الشاه الى حكومة عسكرية علّها تتمكن من قمع الشعب بوحشية اكبر، ومثل هذه الحكومة بحاجة الى أرضية مناسبة.

وهكذا قام جلاوزة الساواك في اليوم الأول بـإشعال النيران في دور السينما وبعض الدوائر الحكومية الكبيرة. وفي اليوم التالي، ظهر الشاه ليوجّه نداءً هزيلاً ينم عن مدى هزيمته، اذ أعلن تشكيل حكومة عسكرية برئاسة أزهاري.

وفي ١٩٧٨/١١/٦ ، اعلن النظام إغلاق أبواب جميع الجامعات والمدارس في البلاد، في محاولة للحد من التظاهرات المتزايدة للطلاب، حيث حلت الحكومة العسكرية محل حكومة الوفاق الوطني!

وبعد مسيرات عاشوراء (يومي التاسع والعاشر من محرم) قررت الحكومة فتح المدارس المتوسطة، لكن هذا الافتتاح سرعان ماصاحبته عودة التظاهرات الطلابية الصاخبة، فاعلنت الحكومة إغلاق ٢٢ مدرسة متوسطة، لكن المظاهرات عمت في اليوم التالي باقي المدارس والمراكز التعليمية. فقد اعتصم أساتذه جامعة طهران، وفي اليوم التالي اعتصم عدد آخر من الاساتذة في وزارة التعليم العالي، وكان من بينهم الاستاذ «نجات اللهى» الذي قتل في ٢٦ كانون الاول حيث وقعت اثناء تشييع جثمانه، مجزرة اخرى.

١٦ ـ الجهاز القضائي يلتحق بالاضراب:

يعتبر الجهاز القضائي من الاجهزة القوية التي كانت في قبضة الحكم الملكي، ومع ذلك، فقد كان هذا الجهاز يتخذ مواقف سلبية من النظام، اذ طالما كان مسؤولو هذا الجهاز يحتجون على انتهاك القانون، ولهذا نرى الحكومة تبادر الى تأسيس ادعاء عسكري ومحكمة عسكرية لتقوما بدور الاجهزة القضائية وتمارسا انتهاك القانون والظلم دون منغصات.

وخلال تصاعد موجة التظاهرات، حظي القضاة غير المؤيدين للسلطة والذين لم ينتموا الى صفوف حزب رستاخيز، بدعم الشعب، حيث كانوا يتصدون للنظام كما خاضوا في بعض المدن صدامات مع أزلام السلطة اضافة الى القيام باعتصامات واضرابات في مناطق متفرقة بانتظار ماسيسفر عنه الوضع في طهران.

وقبل اعلان الحكومة العسكرية، كان القضاة ينظّمون تجمعات محدودة، ويضربون عن ممارسة بعض الاعمال، لكنهم كانوا يواجهون معارضة بعض زملائهم بحجة إن إغلاق المراكز القضائية هو كتعطيل المستشفيات والمراكز الطبية. لكن القضاة قرروا أخيراً بدء اضراب شامل، حيث دعوا الى اجتماع للقضاة يوم ٥ تشرين الثاني وهناك انقسم المجتمعون الى مجموعتين:

الاولى: ايدت وزير العدل ووقفت ـ بالتالي ـ الى جانب شريف امامي، واقترحت عدة حلول لمنع حدوث الاضراب والتعاون مع وزير العدل، كما أعد أعضاء هذه المجموعة مسودة بيان يدعو وزير العدل الى مطالبة البرلمان بمنح صلاحيات أكبر للقضاة.

اما المجموعة الاخرى، فكان اعضاؤها من مؤيدي الانتفاضة منذ البداية، كما احتجوا بشدة على دخول وزير العدل الى هذا الاجتماع وكانوا يؤكدون أن الجهاز القضائي يجب ان يكون في خدمة الشعب في تصديه للحكم الغاشم[٢٩].

وعقب هذا الاجتماع، بدأت فكرة الاضراب تكتسب قوة اكبر، وقد اقترح بعض القضاة تشكيل تجمع للقضاة المخلصين، ليكون قاعدة للجهاد ضد السلطة، وبعد تحركات واتصالات عديدة أُعلن عن تأسيس «مجمع قضاة ايران» الذي يضم في عضويته كل القضاة المخلصين المعارضين للظلم البهلوي، وقد ذهب اعضاء هذا «المجمع» الى مقر إقامة الامام الخميني بعد عودته، وتلقوا منه التوجيهات اللازمة لتأسيس جهاز قضائي ثوري جديد.

القسم الثالث

٦ تشرين الثاني ١٩٧٨ ـ ٧ كانون الاول ١٩٧٩

١ ـ تشكيل الحكومة العسكرية:

بعد حوادث ٥ تشرين الثاني وخطاب الشاه، كُلّف ازهاري بتشكيل الحكومة[٣٠] بعد أن انهارت حكومة مايسمى بالوفاق الوطني بسلسلة من الفضائح والجرائم[٣١]. وفي البداية قامت القوات المسلحة بالسيطرة على الصحف الخاضعة لهيمنة الحكومة والتي كان قد دار الجدال حول منحها الحريات. لكن هذه الصحف اعلنت اضراباً مفتوحاً استمر ٦١ يوماً، وهي الفترة التي حكمت فيها الحكومة العسكرية، وقد طالبت الصحف بثلاثة امور، هي:

١ ـ اطلاق سراح الصحفيين المعتقلين.

٢ ـ الامتناع عن اعتقال المحررين.

٣ ـ ضمان حرية الصحافة.

وقد لبت الحكومة الامرين الاولين وبقي الثالث دون تنفيذ، مما حدا بكل الصحف وحتى صحيفة رستاخيز! بمواصلة الاضراب. لكن صحفاً ومجلات صغيرة واجهت معارضة شديدة من قبل نقابة الصحفيين وخلال فترة اضراب الصحف، كان الناس يتابعون الاخبار من خلال الاذاعات الأجنبية او من خلال النشرات الجدارية والمنشورات اليدوية التي توزّع في التجمعات العامة. أما الاذاعة والتلفزيون فقد كانتا تخضعان لرقابة مشدّدة من قبل الحكم العسكري.

وقبل إعلان أعضاء الحكومة العسكرية، اعلن الشاه في خطاب له أنه نادم على اجراءاته السابقة ووعد بتصحيح تلك الاخطاء والمجيء بحكومة يرضاها الشعب وقال (لكن الظروف الحالية تتطلب حكومة عسكرية مؤقتة لحل الازمة) والتمس العلماء مدّ يد العون له. لكن هذه

التصريحات لم تخدع أحداً، فالشعب لم يعد يعرف الهدوء ولا الخوف من السلطة، وطهران أضحت مدينة مشلولة الحركة، والبازار (السوق الكبير) في اضراب تام، وطوابير الناس امام مراكز بيع الوقود والمخابز طويلة جداً. وكان من المتوقع أن يعلن انهاء الاضراب في ٢٤ تشرين الثاني لكن الاعلان جاء ليمدّد الإضراب لفترة اخرى، وأصدر العلماء بياناً اكدوا فيه ضرورة مواصلة الإضراب العام.

وفي اليوم التالي، صوّب جندي ـ في محلّة باچنار بطهران ـ رشاشته الى قائده العسكري وأرداه قتيلاً بعدما كان قد أعطى الأوامر بفتح النار على الناس. ولم يكتف بذلك بل فتح النار ايضاً على باقي الضباط في المنطقة بعدما حاولوا قتله. وقد جسّدت هذه الحادثة هشاشة الوضع داخل الجيش وعدم جدوى الاجراءات التي يتخذها قادة الجيش لرفع معنويات الجنود الذين كانوا يتعاطفون مع الناس تدريجياً[٣٢].

٢ ـ اطلاق نداء «اللّه اكبر» من سطوح المنازل:

يوم الجمعة الاول من محرم عام ١٣٩٩ هـ. ق شهدت طهران وباقي المدن تظاهرات عديدة لم يسبق لها نظير في تاريخ النضال السياسي فى العالم. فقد وقفت السلطة امام تلك التظاهرات عاجزةً تماماً، ولم تكن الهتافات تخرج عن عبارتين مقدستين هما «اللّه اكبر» و «لااله الا اللّه» وهي هتافات هزت أرجاء البلاد وأيقظت الكثير من القلوب التي كانت لاتزال في سبات عميق.

وقد جرى التخطيط من قبل لهذه التظاهرات العظيمة التي كانت شيئاً جديداً لم تألفه الدنيا من قبل. فلم ينزل المتظاهرون الى الشوارع ولم يقفوا وجهاً لوجه أمام قوات النظام، بل صعد الملايين من الناس الى السطوح يطلقون نداءات «اللّه اكبر» و «لااله الا اللّه» فكانت تشق عنان السماء وتولّد حالة رعب وهستيريا لدى أزلام السلطة الذين راحوا يطلقون النار في الهواء في محاولة للتعتيم على الهتافات المقدّسة ولكن دون جدوى. كما خرجت أعداد كبيرة من الناس المتجمعين في المساجد الى الشوارع بنفس الهتاف، ليمتزج مع هدير الدبابات وأزيز الرصاص وصفارات سيارات الاسعاف التي تنقل الجرحى والشهداء.

وفي اليوم التالي، وقف ازهاري في البرلمان ليدّعي بان نداءات «اللّه اكبر» واطلاق الرصاص كانت تنطلق من مسجلات الصوت التي أُعدَّت من قبل، وجرى بثها من مكبرات الصوت، في محاولة منه للتقليل من أهمية هذا الانعطاف الجديد في مسيرة الجهاد الشعبي. لكن هراءه لم يغير من

الحقيقة شيئاً واستمرت تلك التظاهرات بنفس القوة، فكان لها أكبر الأثر في تجسيد البعد الالهي للثورة وتعميق الأمل في نفوس الامة التي كانت توشك على النصر. وكانت «مرحلة محرم» الجهادية قد بدأت بنداء من الامام الخميني جاء فيه:

بسم اللّه الرحمن الرحيم

(مرة اخرى تمتد يد الشاه المجرم ومن خلال حكومة الصعاليك العسكرية لتضرج أبناء الشعب الايراني بدمائهم مع بداية شهر محرم الحرام.

مرة اخرى يشن السفاكون ومصاصو الدماء والناهبون هجومهم على ابناء الاسلام والقرآن، ويضرجون براعم الانسانية بدمائهم الزكية، باستخدام الدبابات والمدافع والرشاشات.

إن الاخبار المفجعة التي لاتُحتمل، والواصلة من أرجاء ايران العزيزة حتى هذه اللحظة ـ حيث لم يمض بعدُ اليوم الاول من شهر محرم ـ قد أثارت في نفسي الالم والأسى. وهذه الأخبار تكشف أبعاد جرائم الشاه ودولته المجرمة، كما تكشف للعيان شجاعة شعبنا الغيور وشهامته. وإن أعداء الاسلام من مؤيدي النظام اليزيدي يقفون اليوم بوجه أنصار القرآن والإسلام المعارضين الاشداء للنظام الطاغوتي السفياني، يريدون القضاء على الشعارات الاسلامية والحسينية التي تهدف الى إحياء الإسلام ونيل الحرية والاستقلال وإقامة حكومة القرآن بدل سلطة الشيطان، وحكومة القانون والعدل بدل قانون الغابة، مستخدمين في هذا التصدي الإجرامي، مالديهم من دبابات ومدافع ورشاشات جرى دفع أثمانها من جهود وعرق جبين هذا الشعب.

إنهم غافلون عن أن الامة التي نهضت بوعي كامل بأن نهضتها شرعية وإلهية، إنما تنظر الى كل هذه الاسلحة باستهزاء وسخرية. وان هذه الامة هي شيعة أعظم رجل في التاريخ، إنها من شيعة الرجل الذي سطّر ملحمة عاشوراء العظيمة بنفر قليل من الرجال، تلك الملحمة التي اقبرت ـ والى الأبد ـ السلالة الأموية المجرمة.

وبعون من اللّه، فان شعبنا العزيز، سيواصل نهج الامام الحسين (عليه السلام) وسيدفن ـ عبر التضحية بدماء ابنائه ـ السلالة البهلوية الشيطانية في مقبرة التاريخ، وسيرفع راية الاسلام في أرجاء البلاد، بل في كل البلدان.

إن ارتكاب المذابح بحق مواكب العزاء الحسيني وصمة عار في جبين الشاه الخائن وأنصاره المحليين والدوليين، ومبعث فخر واعتزاز للشعب الايراني الذي يتصدى

للاسلحة المتطورة بقبضاته المتراصّة، التي بها اهتزت عروش الظلم والغدر. إني وعبر هذه المسافات البعيدة، أُرسل سلامي اللامتناهي الى الشعب الايراني العظيم وأُشاركه في كل أفراحه وأتراحه وأُعلن وفائي التام له.

إنني أطلب العون من جميع البشر، لدعم الاهداف التي نهض شعبنا من اجلها كما اطلب من المسلمين كافة تقديم العون لهذه النهضة الاسلامية التي تستهدف انقاذ الاسلام والدول الاسلامية. إنني أنصح اولئك الذين يلتزمون الصمت القاتل او الممارسات الداعمة للشاه الخائن بان يلتحقوا بشعبنا المظلوم الذي يضحّي بدمه من أجل الاسلام، ويتغلّبوا على أهوائهم النفسية. إن شعبنا منتصر سواء لجأ الشاه الى الحراب لمواصلة سلطته أم لا، فقد سجّل شعبنا مفاخر كبرى في حضرة الخالق.

لقد اهتزت شعوب العالم لثباتكم أيها الاعزاء في سبيل إحقاق الحق ودحض الباطل. فقد وجدت الشعوب المظلومة، في نهضتكم نهجها المنشود. ولقد نلتم بنهضتكم هذه رضى اللّه الذي هو فوق كلّ الامور. وإنني أطلب من الجنود في أرجاء البلاد أن يهربوا من المعسكرات، فالواجب الشرعي يحتّم عليكم أن لا تكونوا في خدمة الظالم.

إنني أُطالب آباء اصحاب المناصب الرسمية وامهاتهم وعوائلهم بمنع ابناءهم من إطاعة أوامر الأجانب وخدّام الشاه، كما أطلب من جميع ضباط الجيش ومراتبه الالتحاق بشعبهم والفوز بفخر خدمة المسلمين، كما أرى لزاماً عليَّ تقديم شكري الجزيل للمشاركين بالإضراب الشامل المدعوم من قبل الشعب. هذه الإضرابات القيّمة تلعب ـ بالرغم من صعوبتها ـ دوراً كبيراً في تحقيق الأهداف المقدسة للنهضة الشعبية. واصلوا اضرابكم وشلوا جميع أجهزة هذه الطغمة الشريرة.

إن تقديم العون لهؤلاء الخونة حرام ومخالف لرضى اللّه، واطاعة أوامر هؤلاء ـ مهما كان السبب ـ إنما هو معارضة للاسلام والخالق عزوجل. إضراب العاملين في قطاع النفط والحيلولة دون إهدار ثروة الشعب العظيمة انما هي اطاعة للباري عزوجل. كما أُعلن هنا تأييدي ودعمي لبيان مدرسي الحوزة العلمية وفضلائها العظام (دامت بركاتهم) الخاص بيوم التضامن الشعبي مع الاضرابات التي تقوم بها المؤسسات الحكومية وخاصة شركة النفط. وأُعلن هنا ـ باعتباري فرداً من هذه الامة ـ تضامني مع المضربين.

وفي هذه البرهة الحساسة التي يتوجب علينا فيها تحديد مصيرنا، فان كل من يتقاعس

عن اداء واجبه ويتنصل عن دعم النهضة، سيُطرد من حضرة إمام العصر (عجل اللّه فرجه الشريف)، كما يتوجب على ابناء الشعب طرد هذه العناصر من صفوفهم، وعدم القبول بما يقدمونه من أعذار وذرائع، وكل من يسعى من محترفي السياسة للحصول على منصب حكومي في ظل الشاه، سيطرد من صفوف الشعب وسيعتبر مخالفاً للاسلام. على الانتهازيين ان يقبعوا في أماكنهم، فلامكان لهم اليوم أبداً.

إن أمام الشاه طريقاً واحداً للإفلات من غضب الشعب، ألا وهو التخلي عن عرش الهيمنة والظلم. وفي هذه البرهة الحساسة، يتحمل المراجع العظام والعلماء الاعلام (دامت بركاتهم) وكذلك الخطباء المحترمون مسؤولية كبيرة جداً، فنحن جميعاً مسؤولون أمام اللّه تعالى. وكلُّ تساهل وتقاعس سيكون خدمة للظالم وهدراً لدماء الشهداء، وتمهيداً للقضاء على المصالح الاسلامية السامية ومصالح البلاد.

إنني أشكر جميع فئات الشعب المحترمة التي تأسّت في جهادها، بجهاد الامام الحسين (ع) ونهجه، واللّه معكم والقرآن حاميكم.

والسلام على من اتبع الهدى

روح اللّه الموسوي الخميني

١٣٩٩/١/١

وبعد اسبوع من الاضراب، احتجاجاً على إعلان الحكومة العسكرية، عاد البازار الى مزاولة نشاطاته التجارية بناءً على طلب من عدد من العلماء، لكن المدن ظلت تواصل اضرابها، فمدن قم ومشهد وشيراز واصفهان وسنندج وساري وغيرها كانت تعيش إضراباً شاملاً، ووزارة المالية ظلت تعيش إضراباً عن العمل منذ شهر مضى، مخازن النفط مازالت مقفلة بوجه الاجانب، وابناء الجنوب الابطال ـ حيث مراكز النفط ـ مازالوا صامدين مصرين على تلبية مطاليبهم السياسية. طهران اضحت مسرحاً لقوات مسلحة قوامها مئة الف عسكري وعشرات الدبابات والمدرعات، وأجواء الكبت والقمع تلقي بظلالها على كل مكان.

الشاه اشترى كميات كبيرة من القنابل المسيلة للدموع من اميركا متصوراً أنها ستنهي الاضرابات وتعيد الناس الى أعمالهم. أما فرح ديبا ـ زوجة الشاه ـ فقد لجأت الى خداع الناس، فتظاهرت بالتوبة واللجوء الى الائمة الأطهار، فسافرت الى العراق وصلّت في مرقد أبي الاحرار الإمام الحسين في كربلاء، ثم توجهت الى النجف الاشرف حيث مرقد الامام علي (عليه السلام)

مرتدية العباءة (التشادور) السوداء والجوارب السميكة، بينما كانت وسائل الاعلام تتابع وتنشر تفاصيل هذه اللعبة، والتلفزيون والراديو يتابعان كل تحركاتها ويبثانها مباشرة على الهواء.

اما الصحف فقد امتنعت عن الصدور مرة اخرى، والأخبار أخذت تنتقل عن طريق الناس فقط أو عبر الهاتف. أزلام الشاه واميركا واصلوا مجازرهم بحق الناس العزل، فهاجموا زوار مرقد الامام الرضا (عليه السلام) وقتلوا بالرصاص عدداً منهم.

أربعمئة ألف معلم واصلوا إضرابهم، بينما لجأ أزلام الشاه الى شتى أساليب القمع والإرهاب لإجبار تلاميذ المدارس والجامعات على انهاء الاضراب.

٣ ـ عاشوراء ذروة الغليان:

يوما التاسع والعاشر من شهر محرم كل عام كانا ناقوس خطر للحكومات التي تعاقبت على حكم ايران، فقد كانت شخصية يزيد متجسدة في اولئك الحكام، ولهذا كانوا يخشون كلّ حديث عن يزيد وظلمه وجرائمه، كما كانوا يعادون ـ وقد يعاقبون ـ من يركّز في حديثه على يزيد، فقد كان من الطبيعي أن تؤدي أيام عاشوراء والحديث عن ثورة الامام الحسين (عليه السلام) الى توعية الكثير والتحاقهم بركب الثورة.

ومع اقتراب ذكرى عاشوراء في ذلك العام، كانت الاوضاع تزداد تأزماً، كما ازدادت حالات الفرار من الجيش. فقبل ذلك، لم يكن قادة الجيش يتصورون أن ظاهرة الهروب ستصل الى هذا الحد، لكن ماحدث في معسكر لويزان، جعل القوات المسلحة في وضع يشرف على الانهيار، فقد قام مجموعة من الثوار المندسين في صفوف حرس الشاه الخاص «الخالدون» بفتح نيران رشاشاتهم على عدد كبير من زملائهم الضباط والمراتب في الحرس الخاص في صالة الطعام بمعسكر لويزان وأوقعوا في صفوفهم عدداً من القتلى والجرحى[٣٣]. وكان ذلك يحمل الكثير من المعاني والدلالات للنظام.

فقد تحمل الشاه ظاهرة هروب العسكريين وكان يأمل بأن يوضع حدٌّ لها ، لكن هذه الحادثة ادخلت الرعب واليأس الى قلبه ووجد انه عاد وحيداً عاجزاً، ولم يعد يثق بإعلان بعض أذنابه الوفاء له، والوعود التي كانوا يقدمونها بإعادة المياه الى مجاريها لم تعد تستطيع طمأنته.

فالصحف الكبرى مثل كيهان وإطلاعات التي اعتاد الناس قراءتها عشرات السنين، لم تعد تصدر، وكل يوم يسقط العشرات من المدنيين قتلى على أيدي قوات النظام، والتظاهرات

الواسعة تعم أرجاء البلاد. ولم تستطع حكومة أزهاري أن توصل عمرها الى الشهرين، وخلال هذه الفترة كانت الصحف مستمرة في إضرابها، كما التحق بهذا الاضراب غالبية العاملين في الاذاعة والتلفزيون، وظهرت تغييرات ملحوظة على طبيعة برامجها المسموعة والمرئية.

ومع اقتراب يومي التاسع والعاشر من محرم، قام آية اللّه الطالقاني ـ الذي كان قد أُطلق سراحه للتو ـ بعملية اختبار لوحدة القوى الوطنية والدينية. فقد حظر الحاكم العسكري في طهران إقامة أية مسيرات وتظاهرات سياسية، وسمح باقامة مجالس العزاء في المساجد والتكايا فقط، كما كرر الاعلان أن «المخربين يعدون العدة لإراقة الدماء». لكن آية اللّه الطالقاني أعلن انه سيتحدى كل الأخطار المحدقة وسيبدأ مسيرة من بيته في الساعة التاسعة من يوم التاسع من محرم. وضمت المجموعات السياسية والجمعيات صوتها إليه ودعت الى المشاركة في هذه المسيرة، مما أجبر الحكومة على التراجع عن تهديداتها في اللحظات الاخيرة[٣٤]، فسحبت العسكر من طريق المسيرة وخرجت المسيرة المليونية طيلة يومين، فكانت طهران في يد الشعب دون السلطة. وخلال تلك اليومين، اعلن الشعب والحكومة كلاهما أنهما بعيدان عن احدهما الآخر وان كلاً منهما في واد.

وقد تحولت تظاهرات محرم في ذلك العام من مراسم عزاء الى استعراض ديني كبير وانتخابات شعبية كبرى بدون احصاء الاصوات، كما رسخت ارتباط الامة بقائدها الامام الخميني (قدس سره). فقد حملت الجماهير المليونية صوره وجابت بها شوارع طهران[٣٥].

لقد ارتدت طهران في ذلك اليوم حلّة جديدة، وكان ذلك بمثابة استعداد لثورة كبرى، وإقرار حكومة العدل، وتصميم راسخ من الامة على الاطاحة بالطاغوت ومواصلة الجهاد ضد الامبريالية. وقد كان البيان الذي صدر عن التظاهرة الكبرى[٣٦] يعكس بوضوح أوضاع البلاد ومطاليب الشعب. فقد قدرت وكالات الانباء عدد المشاركين في المسيرة بين ٣ ـ ٤ ملايين شخص، وقد كان الشعب مسروراً لهذا الاستعراض الشعبي الذي جسد تلاحم كل فئاته.

أما الجيش فقد ركز جهوده لحماية المناطق الشمالية للمدينة حيث يسكن كبار المسؤولين، وأحاطت الدبابات بقصر الشاه في منطقة نياوران، فقد كانت شعارات المتظاهرين اكثر حماساً، وكلها تؤكد أنها ستقتص من الشاه كما كانت هتافات «يسقط الشاه» تنطلق من ملايين الحناجر، وخلال وقت قصير انتشرت اخبار هذا الانعطاف الكبير في مسيرة الثورة، في أنحاء العالم واعتبره المراقبون بمثابة استفتاء شعبي على موقف الشعب من الشاه.

وخلال تلك الايام، اغلقت الحكومة مطار طهران بوجه الرحلات المحلية والدولية، لكن

عدداً كبيراً من الصحفيين كانوا قد وصلوا ايران من قبل، والطائرات العمودية العسكرية كانت تحلّق في اجواء المدن وخاصة طهران لمراقبة الأوضاع وحماية المراكز الحساسة وفتح النار على المتظاهرين اذا حاولوا الاقتراب منها، لكن صفوف الشعب المتراصة ومحافظة المتظاهرين على النظام سلب السلطة أية قدرة على التدخل.

وفي تبريز ومشهد تظاهر ملايين الاشخاص، وفي اصفهان تحركت جموع الشعب باتجاه تماثيل الشاه في الساحات العامة وهاجمتها، بينما راحت الطائرات العمودية تطلق النار عليهم من الجو مما أدى الى قتل عدد كبير من المتظاهرين، وفي هذه الاثناء وصل بيان من الامام وبالسرعة المعهودة، وجرى إلصاقه على الجدران في الشوارع والاماكن العامة ليعطي زخماً جديداً للشعب الثائر فقد جاء في البيان:

بسم اللّه الرحمن الرحيم

«تحية من الأعماق للشعب الايراني الشجاع. لقد أثبتم للعالم بارادتكم التي تُقهر وشعاراتكم المدمرة، بانكم ترفضون الشاه وتصرون على إزاحته من عرش الظلم، واثبتّم بالاستفتاء الشعبي الأخير الذي قمتم به افتقار الشاه للقاعدة الشعبية، وهذا ما اكدتموه عدة مرات كما أُحبِطت ادعاءات التافهين الذين ادعوا عدة مرات أن المعارضين هم فئة قليلة من المخربين وأن الشعب يريد الشاه، وهذه المرة ايضاً وجهتم بقبضاتكم القوية ضربة كبرى الى أفواه هؤلاء، إن اللّه راضٍ عنكم، وإمام العصر «عج» يشيد بكم، وان الاسلام يفخر بكم، يامن تقدمون التضحيات من دماء شبانكم من أجل رفع رايته خفاقة.

واني - وبقلب مفعم بالامل والحب لكم ايها الأعزاء - أشعر بفخر كبير وأنا أراكم تصرون على الإطاحة بنظام الشاه واقتلاع جذور النظام الشاهنشاهي وإقامة حكومة الجمهورية الاسلامية. لقد جددتم في مسيرات التاسع والعاشر من محرم العظيمة العهد مع سيد الشهداء وإمام المظلومين والمضحّين عليه الصلاة والسلام.

لقد أعلنتُ تزامناً مع هذه المسيرات لجميع الحكومات ان هذا الاستفتاء العفوي خلال هذين اليومين، لم يبق أيّ شك في أن الشعب يرفض الشاه بتاتاً، وان اي رئيس دولة ينوي مساندة الشاه سيحرم من نفط ايران، وستعتبر اتفاقياته المعقودة مع الشاه لاغية وسيستمر ذلك ما داموا يساندون نظام الشاه.

وعلى الشعوب أن تعترض على زعمائها، وعلى مجلس النواب الأميركي أن يستوضح

حكومة كارتر. لقد طلبتُ من الضباط الشبان في الجيش، ان يلتحقوا بالشعب ليتخلصوا من هيمنة المستشارين العسكريين الأجانب ويعودوا الى احضان الشعب. على الضباط الشبان المحترمين الامتناع بحزم عن التصدي لإخوتهم واخواتهم وان يلتحقوا بصفوفهم، وذلك مايريده الاسلام. واطلب من الشعب أن يحتضن هؤلاء الضبّاط وان يوفر لهم الحماية الكافية ويقدّم لهم الدعم اللازم.

على الشعب ان يدرك أن الظروف حساسة جداً، وان لايعير اهتماماً للاصوات الداعية الى التخاذل والسكوت سواء كانت عن قصد أو جهل، وان يوسع احتجاجه ضد الشاه. ولأنّ وسائل الاعلام في حالة اضراب شامل الآن، فإنّ على الشعب فتح قنوات اتصال بين جميع المدن وايصال أخبار الحوادث والتظاهرات والبطولات الى كل المدن.

أُقدّم شكري الجزيل للشعب العزيز، وأسأل اللّه له النصر، والذي سيكون نصراً للقرآن الكريم والاسلام، والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته).

روح اللّه الموسوي الخميني

١١ محرم ١٣٩٩

٤ـ السلطة الحاكمة ومسيرات عاشوراء:

قرر جهاز الامن الشاهنشاهي (الساواك) التصدي للتظاهرات الشعبية مستعيناً بأعداد كبيرة من أزلام السلطة من الاجهزة الاخرى، واستخدموا شاحنات الجيش فهاجموا مسيرات إصفهان ومدن اخرى وأوقعوا اصابات في صفوف الشعب، ولما لم تؤدِ هذه الخطوة الى النتيجة المطلوبة، واعلنت السلطة ــ من خلال الاذاعة ــ أن الاوامر صدرت الى الحكام العسكريين في كل المحافظات بالتصدي للتظاهرات وقمعها.

اما ازهاري فقد ظل عاجزاً أمام موجة الاضرابات الكبرى، ولم يكن باستطاعته اتخاذ أي اجراء، فلجأ الى التهديد والوعيد، فهدد بعواقب وخيمة تنتظر الشعب في حال عدم انهاء الاضراب»، كما هدّد عمال النفط بعدم دفع رواتبهم قائلاً «مادمنا لا نبيع النفط فلن يكون لدينا مال ندفع منه الرواتب، كما ان استمرار الاضراب سيدفعنا الى شراء النفط الكويتي بأسعار باهضة، وسنشتري الحنطة وباقي المواد الغذائية من بلدان اخرى، لكن الخزينة الآن خاوية، ولذا لن نتمكن من دفع رواتب العمال والموظفين مادام الإضراب مستمراً، وعلى الوزارات طرد

الموظفين المضربين، ولن نسمح لعدد من الشيوعيين بالعمل داخل البلاد» .

وفي تلك الاثناء لجأ الشاه الى طريق آخر، فقرر عقد لقاءات «ودية» مع المعارضين، فطلب العون من الجبهة الوطنية وقيل في حينها أن لقاءً تم بين الشاه والدكتور سنجابي سكرتير الجبهة الذي كان قد اعتقل بعد عودته من باريس ولقائه بالامام هناك، ولم يصدق أحد هذا الخبر لأن الامام كان قد أعلن أن كل من يلتقي الشاه سيطرد من صفوف الشعب، لكن سنجابي اعترف فيما بعد باللقاء، إلا أنه اوضح الأسباب والمسوّغات لذلك.

وبالرغم من ان هذا اللقاء لم يؤدّ الى نتائج إيجابية ولم يسفر عن إناطة رئاسة الوزراء بسنجابي، واستبداله ببختيار من قبل الشاه، إلا أنه جاء خلافاً للنهج الواضح الذي أعلنه الإمام وأذعن له سنجابي في باريس.

فقد أدى هذا اللقاء، ولقاءات اخرى مع قادة الجبهة وأخيراً تنصيب بختيار ـ الذي هو أحد رموزها ـ رئيساً للوزراء، إلى سلب الجبهة اعتبارها الشعبي وتأييدها الجماهيري خلال ايام الثورة وادى الى إثارة شبهات حول تاريخ رموزها وممارساتهم السابقة.

ولما كانت حكومة أزهاري العسكرية قد رأت هزيمتها بنفسها فقد لجأت الى الانتقام من الشعب عبر ارتكاب مذابح دامية في قم ومشهد وتبريز واردبيل وطهران ومناطق عديدة اخرى، وكانت مقبرة «بهشت زهرا» في طهران أحد أهم مراكز التجمع الشعبي، حيث يتجمع الناس حول قبور الشهداء، ويناقشون الأوضاع ويتخذون القرارات بشأنها، ويعاهدون الشهداء على مواصلة الطريق، كما كانت المنشورات تُوزَّع او تُلصَق على الجدران هناك.

وكانت الحكومة تعتقل الجرحى من المستشفيات، ولهذا كان الناس يتولّون معالجتهم داخل البيوت. وفي الأيام الاخيرة من عام ١٩٧٨، جرى فتح المدارس، لكن تظاهرات الطلاب عادت من جديد، وأضحى هتاف «يسقط الشاه» يدوّي في كل حدب وصوب. فكان أزلام النظام يطاردون التلاميذ ويقتلون عدداً منهم في الشوارع بسبب ترديدهم لهذا الهتاف.

كما كانت ظاهرة الطوابير الطويلة أمام مراكز توزيع النفط مشهودة في كل مكان، حيث قررت الحكومة ممارسة الضغط على الشعب لإركاعه والتخلي عن مواصلة الثورة، لكن الشعب كان يقاوم بصلابة، وفي هذه الاثناء تم تشكيل لجنة من خمسة أشخاص تقوم بزيارة المراكز النفطية لتطلب من العمال المضربين إنتاج مايكفي لسد حاجة الناس فقط شرط عدم تصدير قطرة واحدة منه الى الخارج.

٥ ـ الاعلان عن تهريب مايعادل ١٣ مليار تومان من العملة الصعبة:

اعلن البنك المركزي في عهد حكومة ازهاري قائمة بأسماء ١٧٥ شخصاً قاموا خلال حكومة شريف امامي بتهريب مايعادل ١٣ مليار تومان من العملة الصعبة الى الخارج وعلى الرغم من تكذيب ازهاري لهذا النبأ، إلا انه اضطر اخيراً الى إحالة الامر الى المحكمة العليا للتحقيق.

وقد جاءت نتيجة التحقيق لتؤيد هذا الامر، وصدر الامر بمنع المهربين من مغادرة البلاد، لكن معظم هؤلاء هربوا خلال فترة الشهرين من حكم ازهاري وقد فُتِحت خلال تلك الفترة ١٧ رصيداً بعناوين سياسية يبلغ مجموعها ٣٧٥٠ مليون تومان وأودعوها في حسابات خاصة في بنوك سويسرا وفرنسا واميركا.

وقد كان للكشف عن هذه القائمة ردود فعل واسعة حيث كشف كيف أن اعوان النظام كانوا يستعدون للهروب من ايران وترتيب مستقبلهم.

وعقب ذلك تم نشر قوائم اخرى عن ممتلكات مؤسسة بهلوي والشاه، وكان ذلك يزيد من روح المقاومة عند الشعب ويرفع من ضراوة ثورته، بعدما انكشف له اكثر فاكثر كيف أن البلد الذي يعيش فيه ملايين الفقراء يضم اناساً يملكون كل هذه الاموال الطائلة ويقومون بتهريبها الى الخارج، وما السبب وراء الذعر الذي دب في قلوب هؤلاء ودفعهم الى تهريب أموالهم الى الخارج.

هذا الوضع دفع الناس الى سحب أموالهم من البنوك التي اضحت خزائنها شبه خالية، حتى ان بعضها لم يكن يستطيع دفع مبلغ ١٠ آلاف تومان، وهكذا اضحى الإفلاس يهدد كل الطبقات وفي تلك الفترة تم تأسيس عدة صناديق لدعم العمال والموظفين المضربين وكان تمويلها يتم من قبل التجار والعلماء.

وفي مجلس الشيوخ اعلن رئيس الوزراء أنه سيتولى إدارة شؤون البلاد بكاملها وان الشاه لن يتدخل في شيء بل سيظل بمثابة مستشار سياسي ذي تجربة طويلة في شؤون البلاد، كما أعلن أن الحكومة الوطنية التي يطالب بها آية الله الخميني، لايمكن تحقيقها الآن، وإلاّ فإن الشعب يجب ان يتهيأ لسلسلة انقلابات كبرى.

ولم يكن هذا التحذير، يتم بمعزل عن التحذير الذي وجهه الرئيس الفرنسي آنذاك (جيسكار ديستان) الى الامام الخميني والذي طالب فيه الامام بالكف عن مواجهة الشاه.

٦ ـ ايام دامية في مشهد:

مشهد مدينة مقدسة مكتظة بالسكان كانت هي الاخرى ناشطة في دعم الثورة بالتظاهرات والاضرابات. وخلال الايام ٣٠ و ٣١ من شهر كانون الاول ١٩٧٨ والاول من العام الجديد،

شهدت تظاهرات المدينة مجازر عديدة قام بها أزلام السلطة، كما شهدت المدينة موجة إضرابات كبرى. فعندما أعلن موظفو مركز المحافظة إضرابهم، توجهت المسيرات باتجاه مبنى المحافظة وهناك، وخلال خطاب حماسي للعالم المجاهد السيد الخامنئي، هاجمت الدبابات والمدرعات الجموع المحتشدة، فقتلت حوالي خمسمئة منهم كما وصل عدد الجرحى الى الألف، لكن ذلك أجّج نار الثورة اكثر فأكثر، فهاجمت الجموع الغاضبة دبابات الجيش واشعلت النار في العديد منها كما احتلّت عدة مراكز للشرطة، كما قتلت بالركل والضرب أحد ضباط الجيش ويُدعى كمالي، وأحرقوا السوق المركزي للجيش وشنقوا ثلاثة من أفراد الساواك في «ساحة الشاه».

٧ ـ الاجتماع الرباعي:

بينما كانت الازمة في ايران قد بلغت ذروتها، عقد زعماء اميركا وانجلترا وفرنسا وألمانيا اجتماعاً لمحاولة وضع ترتيبات جديدة تضمن لهم بقاء ايران في قبضتهم، وبالرغم من سرية المحادثات، لكن المعلومات المتسربة منها اكدت ان كارتر أعرب عن عميق قلقه لما يجري في ايران كما قدم شرحاً للاهمية الستراتيجية التي يتمتع بها هذا البلد أما الرئيس الفرنسي فقد ابدى وجهة نظره باعتبار ان الامام يقيم في بلده، وفي ضوء نتائج زيارة مبعوثه بونياتوفسكي الى ايران واجتماعه بالشاه، اما المستشار الالماني هلموت شميت ورئيس الوزراء البريطاني كالاهان فقد حذّرا من عواقب قضية الوقود والطاقة، وقد ظلت قراراتهم سرية كما لم يصدروا أي بيان عقب الاجتماع، لكن الايام التالية شهدت طرح قضية تولّي بختيار لرئاسة الوزراء ومحافظته على حكم الشاه، وبدأت المحاولات لفتح قنوات اتصال بين بختيار والامام الخميني، ولهذا الغرض زار الجنرال هايزر ايران ومكث فيها شهراً كاملاً، لكن موقف الامام لم يتغير لكن الامام أعلن أن أية حكومة تتعاون مع النظام الايراني الحالي ستكون مرفوضة بتاتاً.

٨ ـ سقوط الحكومة العسكرية:

لم يكن إعلان الحكومة العسكرية أمراً مستبعداً، اذ كان من الطبيعي ان يلجأ الشاه الى العسكر لمواجهة الثورة المتصاعدة، لكن الشيء المؤكد هو أن أية حكومة عسكرية لم يكن بامكانها القضاء على الثورة، فقد كانت حكومة أُويسي[٣٧] العسكرية في طهران جرّبت حظّها في حوادث ٨ أيلول (١٧ شهريور) في ظل حكومة شريف إمامي، ورأت كيف أن الاسلحة النارية هزمت امام سلاح الشهادة والتحدي، وكانت النتيجة تصاعد لهيب الثورة وخروج الشعب منها اكثر صموداً واصراراً على مواصلة طريقهِ. ولم تستطع حكومة ازهاري عمل أي شيء سوى انها زادت من قلق الدوائر الامبريالية وخوفها مما يجري، وعندما رأى النظام هذه النتيجة، عاد من جديد الى لعبة المصالحة الوطنية ومنح الديمقراطية.

القسم الرابع

المساعي الأخيرة وتشكيل حكومة ديمقراطية اشتراكية

١ـ نظرة عامة:

الآمال الاميركية بالإبقاء على الشاه تبددت، وحل محلها يأس شديد[٣٨]، فالمذابح المتواصلة التي ارتكبتها حكومة ازهاري زادت من وخامة الأوضاع، وبدأت المحاولات الاميركية والغربية للعثور على صيغة تضمن بقاء ايران في الفلك الغربي، حتى لو سقط الشاه، ولهذا بدأ التحرك صوب انصار مصدق وأتباعه، فقد أبقتهم أميركا كاحتياطي لها، وقدمت لهم الدعم الكافي خلال السنوات الماضية، وقد آن الأوان لتستخدم هذا الاحتياطي في خدمة سياساتها.

فبعض هؤلاء كان يمارس نشاطات إعلامية انطلاقاً من أميركا، وهم ينتظرون اليوم الذي يصل فيه دورهم لتولّي السلطة. كما كانت مجموعات اخرى من هؤلاء تعيش في دول اوروبية مثل فرنسا وبريطانيا وألمانيا، تقوم بالبحث والدراسة في سياسات مصدق ونهجه، كما كانت تطبع خطاباته. وفي ايران، كان يعيش قسم من هؤلاء فكانوا يرفعون اسم مصدق في كل مناسبة للاشارة الى هويتهم.

ومنذ اندلاع الشرارة الاولى للثورة، والحديث يدور حول ضرورة اختيار أحد مؤيدي مصدق لإدارة شؤون البلاد، وقد كثر هذا الحديث في عهد حكومة ازهاري كما كان أنصار مصدق يقومون بنشاطات اعلامية خلال فترة الانفتاح السياسي، رافعين اسمه مؤكدين على أنه قائدهم. وكان من مصلحة أميركا أن يطفو على السطح أشخاص يحملون صفة وطنية، وفي نفس الوقت يتصدون للنهضة الاسلامية.

وكان في النموذج المصدقي خير مايلبي المطالب الاميركية، فقد استطاع مصدق من قبل القضاء على تيار ديني كبير قاده المرحوم آية الله الكاشاني، تحت ستار شعبي ووطني استمر حتى بعد الاطاحة به، حيث تمثل في أتباعه ومؤيديه الذين شكلوا الجبهة الوطنية.

وفي العام ١٩٧٨، كان هدف أميركا الاول، هو الحصول على شخص «مصدقي» ليتولى مقاليد السلطة، بعدما يئست من إمكانية الإبقاء على الشاه، وحتى لو بقي كان لابد وأن يستعين بهذا النموذج المصدقي في شؤون الحكم. وهكذا تبدّد القلق الاميركي، بعدما جرى إعداد عدة عناصر من هذا الخط. ولانعني هنا أن جميع أتباع مصدق كانوا عملاء لاميركا، يتسلّمون منها الاوامر مباشرة، لكن الحقيقة هي أن السياسات الاميركيه كانت تمرَّر عبر هؤلاء. وقد يكون بعضهم يجهل المنحى الذي يسير فيه، لكنه يشعر في النهاية أنه يتمتع بدعم قوي، وكان بعضهم يوعزها الى كفاءته واهليته لذلك.

فالمصدِّقيُّون كانوا يرون أن الثورة كانت تنطلق من المساجد، وبيانات الامام الخميني ونداءاته كانت تؤجِّج لهيب الثورة وتدفع الناس العزل الى التصدي لدبابات النظام واسلحته الاخرى، لكنهم كانوا غير مقتنعين بانعدام أي تأثير لهم على الثورة. ولهذا كانوا يوزّعون منشوراتهم خلال التظاهرات المليونية، ويصدرون البيانات ليوحوا بأن الثورة هي ثمرة جهودهم، والشعب إنما نهض لتأييدهم، وكانوا يؤكدون للصحفيين الأجانب أن الثورة مصدِّقيَة ، وهذا مادفع الامام الخميني الى التأكيد باستمرار على أن الثورة إسلامية، والشعب مسلم ويريد حكومة إسلامية، وكلّ فريق يدّعي غير ذلك عليه أن يخرج من صف الثورة، اما من يريد المشاركة في الثورة فعليه أن يضع اسم جبهته او حركته جانباً، وينخرط في صفوف الشعب[٣٩].

٢ـ تنصيب بختيار رئيساً للوزراء:

وقع اختيار اميركا على شاهبور بختيار من بين باقي المرشّحين ليكون رئيساً للوزراء، ولم يكن هذا الاختيار من فعل الصدفة، بل إنها وجدت فيه كل المواصفات المطلوبة، فهو من أتباع مصدّق الاساسين، وكان وكيلاً لإحدى الوزارات في حكومة مصدق. وبعد الإطاحة بمصدّق اعتُقل فترة من الزمن وظل ممن يرفعون رايته ويدعون اليه ويعتبرونه القائد الفريد، كما كان بختيار مجداً في تنفيذ السياسات الأجنبية في ايران، في عهد هيمنة شركة النفط البريطانية، كان خادماً مطيعاً في هذه الشركة . وفي عام ١٩٥٨ أعلن تأييده لنظرية ايزنهاور، واضافة الى ذلك، كان بختيار يرفع شعار الوطنية، وكان عضواً فعالاً في الجبهة الوطنية، فضلاً عن تزعمه لحزب ايران، كما كان يحظى بتأييد أصدقائه ومؤيدي هذا النهج، ممن كانوا في الجبهة الوطنية او حزب ايران او «نهضة الحرية» ، كما استطاع بعض هؤلاء زج أنفسهم في الحاشية المحيطة بالإمام خلال

إقامته في باريس.

لقد اختار الشاه بختيار، واشترطت أميركا لذلك مغادرة الشاه لايران عدة أشهر [٤٠]، وفي خطاب اذاعي، أعلن الشاه للشعب أنه بحاجة الى استراحة طويلة وأنه يحاول مغادرة البلاد لفترة معينة. فقد كانت أميركا تسعى الى القضاء على مقاومة الامام والشعب، من خلال تنصيب بختيار واستغلال اصدقائه الذين كانوا آنذاك مقلّدين للامام ومترجمين له في باريس.

لكن بختيار لم يكن بإمكانه كسب التأييد الشعبي، فلم تنفع كل محاولات وصفه بـ(الوطني) و (المخلص) في التعتيم على عمالته لأميركا وتنفيذه لسياساتها، والدعم الكبير الذي قدمه له كارتر [٤١]. فعندما تسلم امر التنصيب من الشاه، اتضح ان منصبه لايملك أية قيمة. فالشعب قد نهض ضد الحكم الملكي، وطالب ـ عبر مسيراته المليونية واضراباته ـ بزوال هذا النظام، فكيف يمكن أن يرضى بالدكتور بختيار وحكومته التي تتشكل بأمر من الشاه [٤٢]. وهكذا فقد كانت الفضيحة التي لحقت ببختيار بدرجة بحيث أجبرت حتى الجبهة الوطنية على ادانته تحاشياً لغضب الشعب [٤٣]، خاصة وأن الامام كان قد أعلن أن كل معارض تسوّل له نفسه التقرب من الشاه والقبول بمنصب حكومي سيُطرد من صفوف الثورة، وهكذا اضحى بختيار خائناً للثورة والشعب.

وبعد انتصار الثورة، كشف أحد مترجمي الامام في باريس، أن كارتر كان قد أرسل في ٨ كانون الثاني ١٩٧٩ تهديداً الى الامام بتحويل ايران الى حمامات دم مالم يدعم حكومة بختيار. وقد سلم الرسالة التهديدية ممثلان شخصيان للرئيس الفرنسي، حيث طلب كارتر الى الامام استخدام كل نفوذه من أجل منع المعارضة الشعبية لحكومة بختيار. واكد له أن الشاه سيخرج من ايران قريباً، وجاء في الرسالة «قد يؤدي الامر الى تدخل الجيش، وبذا ستزداد الاوضاع وخامة، أليس من الافضل أن تشهد ايران الآن مرحلة من الهدوء».

وقد أعرب كارتر عن أمله بأن تبقى هذه الرسالة سرية جداً. ويقول يزدي: إن هذه الرسالة جرى إعدادها في لقاء زعماء الدول الاربعة الكبرى في جزر الكاريبي.

وقد رد الامام على رسالة كارتر كالآتي:

(تتضمن رسالة التهديد هذه مطلبين:

الاول: تأييد حكومة بختيار، او السكوت حيالها على الاقل، والآخر التلويح باحتمال وقوع انقلاب عسكري وتوقع حدوث مذابح واسعة. وبهذا فانكم تريدون إخافتنا.

اما فيما يتعلق بحكومة بختيار، فانكم تطالبوننا بالعمل خلافاً لقوانيننا، ولو افترضنا اننا سنرتكب هذا الخطأ فاننا سنواجه رفضاً قاطعاً من قبل الشعب الذي تحمل كلّ هذه

المعاناة، وقدم التضحيات من أجل التحرر من سلطة النظام البهلوي. فشعبنا لن يرضى بان تذهب كل دمائه وتضحياته هدراً، ويبقى الشاه في مكانه، أو أن يذهب الشاه ليعود وهو أسوأ مما كان. كما أن شعبنا لايوافق على شورى السلطنة فهو يعارض الدستور ايضاً، وقد أعلنت ذلك مراراً.

أما فيما يتعلق بالسكوت وتهدئة الاوضاع، فنحن نريد للبلد ان ينعم بالهدوء والاستقرار دوماً، لكن تحقيق الهدوء والاستقرار ليس ممكناً مادام الشاه موجوداً في الحكم. ولو كان السيد كارتر حسن النية الى هذا الحد فليُخرج الشاه من ايران ويكف عن دعم حكومة بختيار وليرضخ بذلك للمطاليب المشروعة للشعب، وبذلك سيحل الاستقرار وتحقن الدماء.

اما قضية الانقلاب، فقد أخبروني الآن أن انقلاباً عسكرياً يوشك أن يحدث في ايران، وانهم ينوون ارتكاب المزيد من المجازر، وقد طلبوا مني تحريم شراء السلع الاميركية وتحذير أميركا من الضلوع في دعم هذا الانقلاب[٤]).

وفي هذا الصدد صرح الامام للتلفزة الايطالية:

«... حكومة بختيار غير قانونية، فقد عينها الشاه، والشاه لايملك صفة شرعية، بل إن وجوده مخالف للقانون، وقد أيد بختيار مجلسا الشورى والشيوخ، وهذان المجلسان غير قانونيّين ايضاً، اذن فنحن ضد بختيار فالحكومة التي سنشكّلها، هي حكومة جمهورية تستند الى الشعب ودستورها هو الاسلام، فهي دولة إسلامية ولا مكان لمعارضي الدين فيها، لأنهم لن يكسبوا أصوات الناخبين، لأن مجتمعنا اسلامي[٥]».

لقد جرى تشكيل حكومة بختيار من خلال رفع اسم مصدق وصورته وجرى تقديم الحكومة الى الشاه، أما الشعب فقد رفضها منذ البداية وبدأ يستعد لمراسم الحداد في ٧ كانون الثاني/يناير ، حيث ذكرى المجازر التي ارتكبها النظام في مشهد وقزوين. أما الصحف فقد انهت إضرابها بموافقة من الامام، لكن الاضرابات الشاملة، كانت ماتزال مستمرة، فيما يصدر الامام بيانات لحل مشاكل الامة ويجري تنفيذها اولاً بأول، بينما وزراء حكومة بختيار، لايستطيعون حتى دخول الوزارات.

أما اميني، الذي كان يتوقع حتى تلك اللحظة حصوله على منصب رئيس الوزراء، فقد أصدر بياناً أعلن فيه انتهاء وساطته.

وفي تلك الاثناء، أصدر الامام بياناً أعلن فيه حالة الطوارئ في البلاد. وجاء في بيانه:

«١ـ على العلماء الاعلام والخطباء المحترمين تذكير الفلاحين الأعزاء بضرورة شحذ الهمم هذا العام لزراعة القمح بشكل واسع والامتناع عن زراعة المواد الغذائية التي تمنحها الحكومة المجرمة الى الأجانب، فليس مستبعداً من هؤلاء الخونة افتعال حالة مجاعة مصطنعة لإركاع الشعب، وانني أرجو الناس عامة دعم الفلاحين في هذا السبيل.

٢ـ لقد بعثت وفداً لتقصّي الحقائق ومعالجة الامر للتصدي لاعلام السلطة الخبيث، فيما يخص إضراب عمال النفط، وقد أصدرت أوامري باستخراج مايسد حاجة الامّة من النفط فقط، بالرغم من ان المطلعين يؤكدون وجود مخازن احتياطية كبيرة من النفط للاستهلاك المحلي، لكن الحكومة تريد افتعال ازمة حادة، حيث يقال إن ازلام السلطة العسكريين يقومون بتفريغ هذه المخازن ونقل محتوياتها الى أماكن مجهولة. وأنتهز هذه الفرصة لاقدم شكري للعاملين في شركة النفط لتعاونهم مع الوفد المرسل.

٣ـ أطلب من التجار والكسبة والمهنيين المحترمين عدم رفع أسعار المواد الغذائية والسلع الاستهلاكية، لئلاّ يرتكبوا ظلماً بحق الشعب المظلوم المجاهد فالظلم والاجحاف مرفوض في كل الظروف.

كما ان هذا السلوك سيصب ـ في هذه الفترة الحساسة ـ في مصلحة الجهاز الظالم الحاكم بما لايرضي اللّه تبارك وتعالى، ولهذا فانني أشدد على ضرورة عدم تخطي حدود الانصاف في التسعير والبيع، بل وتخفيض الاسعار للمستضعفين والمعدمين، وسيكون لذلك أثر كبير على دعم حركة النهضة الاسلامية، وكسب رضا الباري عزوجل، أسأل اللّه التوفيق للشعب الايراني المجاهد للوصول الى أهدافه الانسانية الاسلامية».

روح اللّه الموسوي الخميني

وبعد هذا البيان، أعلن العاملون في شركة النفط بأنهم سيقومون باستخراج ما يسدّ الحاجة المحلية، وسيحولون دون تصدير قطرة واحدة منه، وفيما لو حالت الحكومة دون وصول النفط المستخرج الى الشعب، فانهم سيلتحقون بباقي القطاعات المضربة.

اما الشعب، فقد قام ـ واستلهاماً من بيان الامام ـ بتشكيل مجاميع صغيرة أخذت تساهم في إيصال الوقود والمواد الغذائية الى الناس، اذ قامت بتوفير اللحوم والرز والخضروات والحبوب وباقي المواد الغذائية بأسعار زهيدة، وإيصالها الى الناس دون أية أرباح، وقد شكّل الطلاّب والشبّان الغالبية العظمى لأعضاء هذه المجموعات، أما الانتهازيون الذين كانوا بانتظار هذه الايام لرفع أسعار السلع فقد خابت آمالهم، فظاهرة التآزر الشعبي بلغت حداً يصعب تصوره

في بلد تسعى الحكومة فيه بكل الاساليب الى اختلاق أزمات وظروف حرجة للشعب.

٣ ـ مجلس الوصاية:

عندما يئس الشاه من كل شيء، وبات يدرك حتمية سقوطه، لجأ الى الصلاحيات القانونية المدرجة في الدستور، بحثاً عن سبيل للنجاة فقد سعى لإيجاد ذرائع ومسوّغات لخروجه من البلاد، ذلك الامر الذي كان بمثابة إخراج اجباري له، فادّعى أنه يغادر البلاد للعلاج والاستراحة، لكن الاوضاع المحيطة به كانت متدهورة لدرجة ان لاأحد من مرتزقته والمقربين إليه كان يوافق على العضوية في مجلس الوصاية، الذي يشكله لتولي ادارة البلاد في غيابه.

فقد سعى لاختيار اشخاص أوفياء له، وفي نفس الوقت، لايملكون سوابق سيئة لدى الشعب، وقد تردّدت أسماء عديدة لعضوية هذا المجلس لكنهم جميعاً رفضوا ذلك مثل اميني وسنجابي وصديقي. وقد شكّل المجلس أخيراً بعضوية رئيس الوزراء ورئيسي مجلس الشيوخ والنواب، ورئيس أركان الجيش، والسيد جلال الدين الطهراني بسبب تقربه الظاهري من الحوزة والعلماء، ولم يكتب لهذا المجلس الاستمرار ولم يجتمع إلاّ مرة واحدة لانتخاب الطهراني رئيساً له، ليتسنى لهم الاتصال بالامام، لكن هذا الرئيس لم يستطع الالتقاء بالإمام، إلاّ بعد تقديم استقالته من المجلس، واعلانه ان هذا المجلس غير قانوني، وقد جاء في استقالته مايلي:

الاحد، الاول من شهر بهمن ١٣٥٧ هـ. ش. الموافق للثاني والعشرين من صفر ١٣٩٩ هـ. ق ـ باريس.

لقد كان قبولي لرئاسة مجلس الوصاية في ايران بدافع الحفاظ على مصالح البلاد والسعي لإقرار الهدوء، لكن المجلس لم ينعقد بسبب سفري الى باريس لتحقيق هدفنا الاساس، وفي هذه الفترة شهدت أوضاع البلاد تطورات سريعة تحتم علينا احترام الرأي العام، ولهذا واستناداً الى فتوى سماحة آية الله العظمى الخميني (دامت بركاته) القاضية بعدم شرعية هذا المجلس، فانني أُعلن ان هذا المجلس ليس قانونياً. وأُقدم استقالتي منه.

اسأل الله ـ تعالى شأنه ـ أن يصون ايران وشعبها المسلم من كل سوء في ظل رعاية وبركة إمام العصر (عجل الله فرجه) وأن يحفظ لنا استقلال بلادنا العزيزة.

محمد الحسيني، سيد جلال الدين الطهراني

٤ ـ المجلس يمنح الثقة للحكومة الاشتراكية الديمقراطية:

بعد مناقشات مطوّلة لم يسبق لها مثيل في برلمان الشاه، فاز بختيار بثقة المجلس بـ (١٤٩) صوتاً من مجموع (٢٠٥) أصوات فيما عارضه (٤٣) نائباً وامتنع ١٣ منهم عن التصويت.

وقبل حصوله على الثقة قال بختيار: إن ما يتضمنه برنامج عمل حكومتي، موجود في نظام الجبهة الوطنية، وعلى هذا فانني قد أدرجت أهداف الجبهة كاملة في منهاج عمل الحكومة. في الخليج الفارسي لن تلعب ايران بعد الآن دور الشرطي، والجامعات ستكون مستقلة، والجيش ستجري عليه عملية تطهير.

وقد جاء منح الثقة له، بعد صدور أمر تعيينه من قبل الشاه، فقد كان السائد منذ عام ١٩٥٣، عندما عزل البرلمان عن ممارسة دوره الحقيقي، أن يتم صدور أمر التعيين الملكي، ثم يقوم المجلس بمنح الثقة لكن بختيار، ولأجل أن يتظاهر باستقلاليته ووطنيته ومشروعية تعيينه طلب أن يتم منحه الثقة في المجلس أولاً، قبل أن يقوم بتسلم أمر تعيينه من الشاه.

٥ ـ بختيار يحتمي بالدستور:

بقي الجانب المتعلق بحقوق الشعب، من الدستور مجمداً طيلة ٧٥ عاماً، ولكن كلما كان النظام يواجه مأزقاً خطيراً، كان يلجأ الى الدستور. وآخر مرة كانت في ١٩٧٨/١١/٦ عندما لاحت أمامه مؤشرات الثورة. اذ طالب الشاه بتطبيق الدستور، لكن الوقت كان قد فات.

وفي احدى المقابلات الصحفية، أعلن بختيار أن الشاه قد انتهك الدستور، وهكذا بدأ يطرح معارضته لعودة الشاه الى البلاد، أما الشعارات التي كانت تطلقها جموع الشعب الغاضبة ضدّه، فقد ردّ عليها بالقول «فيما يخص تلك الهتافات الموجهة ضدي شخصياً، او مايكتب ضدي، فلن يثير غضبي، لكنني لن اسكت حيال استمرار إهانة الجيش ومسؤولي البلاد... إن اشاعة استقالتي وتركي لمتراس الدستور عارية عن الصحة، فلن اترك متراس الدستور مهما كلف الامر، فكل شبر من أرض الوطن يساوي عندي كل الوطن، ولن أتوانى في الدفاع عن وحدة البلاد»

٦ ـ رحيل الشاه:

كان خروج الشاه من ايران في ١٩٧٩/١/١٦ حدثاً مهماً، اذ تبدلت التظاهرات الجماهيرية في أنحاء البلاد الى أفراح شعبية[٤٦]. فقد اختلف رحيل الشاه هذه المرة عن خروجه من البلاد فيما مضى، فخلال ٣٧ عاماً من حكمه الملكي، غادر الشاه إيران مئات المرات، لكن عودته كانت

دائماً مؤكدة، لكنه يغادر البلد هذه المرة بضغط من الشعب الذي كان يصرخ بصوت واحد (الموت للشاه) ولم يكن تنفع معه كل المذابح الدموية. فالقوات التي أعدها الشاه لهذا اليوم لم تعد تستطيع فعل شيء، ولا أمل في عودته هذه المرة، لكنه لم يكن يريد الاذعان لهذه الحقيقة المرّة عليه، ولهذا فانه ظل حتى اللحظة الاخيرة يؤكد أن سفره للعلاج والاستراحة من عناء العمل، وينيط عودته بتحسُّن صحته وانتهاء مدة علاجه. فلم يكن يعلم ما يخبئ له المستقبل، كما لا يعلم اين سيذهب بالتحديد، لكنه ظل يبذل المحاولات الاخيرة، فقد تأخّر عن مغادرة البلاد حتى يطمئنّ على حصول حكومة بختيار على ثقة المجلس، وبدء اعمالها تحت راية الدستور، اذ سعى الى رفع هذه الراية كمحاولة أخيرة للحفاظ على الحكم الملكي، بالرغم من أنه ظل ينتهك هذا الدستور طيلة ٣٧ عاماً.

وعندما كان الشاه يغادر ايران بطائرته الخاصة [٤٧]، كانت مشاعر الغضب والفرحة الشعبية في نفس الوقت قد بلغت ذروتها، فكل الشعب كان يعلم أن ذهابه، يعني انتهاء العهد الملكي وبدء العهد الجمهوري وهكذا ظهرت على جدران الشوارع عبارة «الجمهورية الاسلامية» إيذاناً ببدء عهد جديد من تاريخ ايران، أما وكالات الانباء فقد أكدت انه حتى لو ظل الشاه في ايران، فسيكون رمزاً فقط دون أي دور عملي في الحكم.

وقد قلّد الشاه مافعله أبوه عند إخراجه من ايران، اذ حمل معه صندوقاً فيه شيء من تراب ايران، تأكيداً لـ «حبه» لبلده! وما أن أعلن المذياع نبأ مغادرة الشاه مطار طهران، حتى انفجرت موجة عارمة من الفرح الشعبي، اذ نزلت جموع مليونية الى الشوارع تهتف وتبدي فرحها وسرورها، بينما راحوا يلصقون صور الامام الخميني على سيارات الجيش. واضاءت السيارات في الشوارع مصابيحها واخذت تطلق العنان لأبواقها. كبار السن من النساء والرجال لم يتخلفوا عن هذا المهرجان الشعبي، بل راحوا يرشون العطور من سطوح المنازل والأبنية. النساء المحجبات كن يرفعن ايديهن بعلامة النصر، بينما الرجال كانوا يهاجمون تماثيل الشاه في الساحات العامة ويحطّمونها، فيما راح بعضهم يوزع الحلوى على أفراد القوات المسلحة. وبالرغم من ذلك فقد حدثت بعض المواجهات المتفرقة وأسفرت عن مقتل وجرح عدد من الناس.

وامام السجن، تجمع الناس مطالبين بالإفراج عن باقي السجناء السياسيين. اما اولئك الذين سجنهم الشاه كاجراء تحذيري للشعب، من أعوانه والمقربين منه، أمثال هويدا ونصيري و آزمون وغيرهم، فقد احتموا بالخطر الحقيقي يداهمهم.

وفي باريس، كانت الاوساط السياسية والصحفية تنتظر تعليق الامام على خروج الشاه من

ايران، اذ تدفق الصحفيون على محل اقامته في نوفل لوشاتو [48] وبدأت وسائل الاعلام تبرق ـ بسرعة ـ احاديث الإمام وتصريحاته، فقد كان يتحدث للصحافة يومياً، وقد جاء حديثه متزامناً مع خطاب بختيار في مجلس الشيوخ وادعائه بانه من عائلة دينية وان له صلة قرابة بعائلة الامام، وان الامام لايُشكل على أُسلوب عمله كثيراً.

وفي حديثه اليومي المعتاد، خاطب الامام الشعب الإيراني بقوله:

(ان اميركا التي اضحت متيقنة من سقوط الشاه، لجأت الى اساليب جديدة فهاهي تدعم الحكومة التي عينها الشاه ساعية الى الحفاظ على هذا النظام. إنهم يريدون تهدئة الامة كما يقولون، ولهذا قاموا باخراج الشاه من البلاد، بانتظار ان تسنح الفرصة لاعادته ثانية، لذلك نراهم يبذلون المستحيل لكسب الدعم لهذه الحكومة والاعتراف بها بينما هي حكومة غير شرعية، ولامكان لها بين الشعب وعلى الشعب ان يتظاهر ضد هذه الحكومة، وعليه النهوض بوجهها حتى اسقاطها، بالرغم من أنها ساقطة قانونياً. فالشعب الذي تصدى للحكومة العسكرية، سيتصدى لهذه الحكومة التي لاتختلف في وعودها ونهجها عن سابقاتها) .

٧ ـ ذكرى اربعين الامام الحسين (ع):

خرج الشاه من ايران، وترك محلّه بختيار كأمل أخير. قادة الجيش، ظلوا يتسلمون التعليمات من الجنرال الاميركي هايزر حول كيفية دعم بختيار في تلك الاوضاع. وبالرغم من حصول بختيار على ثقة مجلس النواب والشيوخ إلاّ أن كل الظروف كانت غير مساعدة لممارسته السلطة، وقد حلت في تلك الفترة، مناسبة ذكرى أربعين الامام الحسين، وبهذه المناسبة وجه الامام الخميني بياناً تضمن تعليمات جديدة للامة، فقد جاء فيه:

بسم اللّه الرحمن الرحيم

لقد حلّت ذكرى اربعين سيد المظلومين والشهداء (سلام اللّه عليه) وقد عاشت امتنا مناسبات أربعين عديدة. لقد عانينا خلال السنوات الاخيرة مصائب وكوارث مدمرة. لقد تزامن اربعين الامام الحسين (ع) هذا العام، مع اربعين عدد من اتباعه وسالكي نهجه فدماء هؤلاء الاحرار، هي امتداد لدماء شهداء كربلاء. اربعين هذا العام غير عادي، فشعبنا العظيم في ايران سيدفن هذا النظام، انه يعلن معارضته لمجلس

الوصاية غير الشرعي، ودعمه لقيام الجمهورية الاسلامية. ونحن نعيش في هذا الظرف الحساس، لابد من لفت أنظار الامة الى عدة امور:

١ ـ تفيد المعلومات الواصلة لنا أن أزلام السلطة يقومون ليلاً بتفريغ المخازن والسايلوات من محتوياتها من الحنطة والغذاء في محاولة لخلق مجاعة مصطنعة، أحبطوا هذه المؤامرة الجديدة، فالتساهل حيالها غير جائز شرعاً.

٢ ـ تفيد المعلومات أن الحكومة الاميركية تنوي سرقة الاسلحة والمعدات لعسكرية التي فرضتها على الشعب الايراني مقابل نهب نفطه. وهنا يتوجب على ضباط الجيش ومراتبه التصدي لهذه المؤامرة، وقد سمعت انه تم تفجير بعضها كما يتوجب على الشعب العزيز مؤازرة الجيش في هذا العمل، وان لايدع ثروة الشعب تتعرض للدمار والنهب اكثر من هذا، وليعلم الضباط الاعزاء أن التهاون في هذا الامر انما هو خيانة للاسلام والوطن.

٣ ـ ادعو الفلاحين الاعزاء لشحذ الهمم للزراعة، خاصة الزراعة الديمية.

٤ ـ على المصارف الاسلامية، منح الفلاحين القروض اللازمة لدعم الزراعة.

٥ ـ اطلب من جميع البنوك خارج ايران، عدم تسليم ايداعات السراق الذين نهبوها من ابناء شعبنا.

٦ ـ أُحذر اعضاء مجلسي الشيوخ والنواب غير القانونيين من حضور اجتماعاتهما، والمخالف منهم سيتعرض لعقاب الشعب الايراني الشريف.

٧ ـ اطلب من الجامعيين المحترمين، مواصلة اطلاق شعاراتهم المعارضة للنظام الفاسد والاستمرار بتظاهراتهم ضد الحكومة الغاصبة ومجلس الوصاية غير الشرعي، وإبعاد الاساتذة المرتبطين بالجهاز الحاكم الظالم او المؤيدين لفساد النظام وظلمه من صفوفهم.

٨ ـ احذّر الذين شاركوا في عضوية مجلس الوصاية غير الشرعي، من ان تصرفهم غير شرعي، وتدخلهم في مقدرات البلاد جريمة كبرى، وعليهم الابتعاد عن هذا العمل حالاً، وبغير ذلك سيكونون ـ وحدهم ـ المسؤولين عن عاقبة سلوكهم.

٩ ـ اعضاء مجلس قيادة الثورة الاسلامية موجودون الآن داخل البلاد، وسيعلن عن

اسمائهم قريباً.

١٠ـ اسأل الله ان يشملنا برحمته الواسعة وينقذنا من الاشرار المحليين والاجانب.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

روح الله الموسوي الخميني

ويلاحظ هنا كيف أن الامام أخذ يدير امور البلاد باعتباره الولي الفقيه.

وقد لعبت التظاهرات الشعبية الخاصة بيوم الاربعين دوراً كبيراً في عرض القوة الشعبية، وهتافات «الله اكبر» كانت تهز كيان الطواغيت، النساء والاطفال كانوا يشكلون نسبة كبيرة من المتظاهرين. المسيرات كانت على شكل صفوف متراصة من اناس قرروا تقرير مصيرهم بانفسهم، صور الامام وبأحجام مختلفة، كانت مرفوعة في المسيرة، الجموع تحركت من ساحة الامام الحسين وحتى ساحة الحرية في اقصى غرب طهران، عبر شارع «انقلاب» ـ أي الثورة ـ امام الشوارع المؤدية الى هذا الشارع من الشمال والجنوب، فكانت تغص بالجموع التي تلتحق بالمسيرة، كما التحقت بجموع الشعب جموع كبيرة من ابناء الاقلّيات الدينية كاليهود والزرادشت والأرمن.

لقد كانت المسيرة بمثابة تحدٍ للهيمنة الاميركية، والشعارات المرفوعة كانت تعكس درجة التلاحم الشعبي الذي لم يُشهد له مثيل من قبل. وفي الساعة الثانية عشرة ظهراً قرئ البيان الختامي للمسيرة الذي كان يُنقل الى المشاركين عبر ٨٠٠ مكبرة صوت. وقد انتهت مسيرة طهران في ذلك اليوم بدون أية حوادث مهمة، لكن عدداً من المتظاهرين قتل في أهواز ودزفول ونجف آباد.

وقد جاء في البيان الختامي لمسيرة طهران:

بسم الله الرحمن الرحيم

(في هذا اليوم التاريخي الذي دخل فيه الشعب الايراني المجاهد المسلم مرحلة جديدة من مسيرة نهضته ضد الطاغوت، تزامناً مع ذكرى أربعين سيد الشهداء وقدوة الأحرار الحسين بن علي (ع)، وفي ظل القيادة الحازمة والواعية للمرجع الكبير والقائد العظيم الامام الخميني وباقي المراجع والعلماء الواعين والمجاهدين، فان دماء آلاف الشهداء بدأت تينع، وهاهم المشاركون في هذه المسيرة، والذين يشكلون الاغلبية الساحقة للشعب الايراني البطل، يعلنون مطاليبهم بصوت واحد وقلب واحد ويؤكدون اصرارهم على مواصلة النهج حتى تحقيقها:

١ ـ نعلن أن سلطة العائلة البهلوية غير شرعية، ونطالب بازاحة الشاه الذي اغتصب ـ كما فعل

ابوه ـ السلطة بالقوة.

٢ ـ نرفض النظام الشاهنشاهي الرجعي، ونطالب بإقامة حكومة الجمهورية الاسلامية في ايران، جمهورية اسلامية حرة تستند الى رأي الشعب وتقوم على أساس تعاليم الاسلام.

٣ ـ نعلن تأييدنا لتشكيل مجلس قيادة الثورة الاسلامية في ايران من قبل المرجع الكبير وقائد جهاد الامة الامام الخميني الذي يحظى بتأييد مطلق من قبل الامة، ونطلب منه الإعلان عن هذا المجلس وتشكيل الحكومة المؤقتة بأسرع وقت ليتسنى لها تسلم زمام الامور ورسم مستقبل ايران استناداً الى رأي الشعب.

٤ ـ نؤكد عدم اعترافنا بحكومة بختيار التي جاءت الى الحكم بأمر من السلطة الملكية غير الشرعية ومصادقة من مجلسي الشورى والشيوخ غير الشرعيين.

٥ ـ الشعب يكنّ الاحترام للجنود والضباط والمراتب الذين يقفون الى جانبه ويدعمون الثورة الاسلامية. ونحن نطالب كل العسكريين بعدم الابتعاد عن الشعب وان لايدعوا السلطة تستخدمهم اداة لقمع الامة والمجاهدين الاحرار.

٦ ـ إن النهضة الشعبية هي اسلامية بالكامل، وتشارك فيها كل الفئات الشعبية باخلاص، ولاترتبط بأي شكل من الاشكال بأية جهة أجنبية، وشعبنا سيظل محافظاً على اصالته الاسلامية ووحدة صفوفه في الجهاد، ونحذر هنا الفئات والمجموعات كلها من الفرقة والخلافات والتشتت.

٧ ـ نتطلع الى اقامة علائق حسنة مع جميع الشعوب والانظمة شرط أن لا تعرقل جهاد شعبنا البطل، وأي موقف سلبي من جانب هذه الحكومات سيترك اثره المباشر عل الروابط السياسية والاقتصادية، معها في المستقبل.

٨ ـ نؤكد أن شعبنا سيواصل جهاده من خلال التظاهرات والاضرابات وباقي السبل، حتى النصر النهائي وإقامة حكومة العدل الاسلامية، وقد أثبت شعبنا عملياً قدرته على تحمل كل الصعاب في هذا السبيل، مؤمناً بالوعد الالهي بالنصر المؤزر.

٩ ـ نطالب الأعضاء غير الشرعين للمجلسين بعدم الحضور في جلساتها، وبالالتحاق ـ بدلاً من ذلك ـ بصفوف الشعب.

١٠ ـ نطالب الذين قبلوا عضوية مجلس الوصاية غير الشرعي بالاعلان عن عدم شرعية عضويتهم، وعليهم أن يعلموا أن جميع شؤون البلاد يجب ان تدار من قبل مجلس قيادة الثورة الذي سيشكله الامام الخميني).

لجنة اقامة مسيرة الاربعين.

وقد أثارت مسيرات الاربعين ارتياح الامام وزادت من عزمه، فأصدر بياناً ثانياً، أعلن فيه قرب عودته الى ايران وحدّد مصير مجلس الشورى ومجلس الوصاية وقوى الامن الداخلي. فقد جاء في البيان:

«السلام والتحيات على أبناء ايران الغيارى كافة.

يامن اكدتم في ذكرى اربعين الامام الحسين (سلام اللّه عليه) وحدتكم وإصراركم على خلع الشاه واجتثاث جذور نظامه، واقامة حكومة اسلامية. ان نهضتكم المقدسة وبالرغم من أنها اقترنت بمصائب وتضحيات كبرى، لكن التاريخ سيسجّل بطولتكم واصراركم على نيل الاستقلال والحرية وطردكم ألدَّعدوّ لكم ولوطنكم من بلادكم وقيامكم بدفن اكبر مجرم وخائن لوطنكم.

لقد أثبتُّم بنهضتكم وثباتكم لجميع الشعوب المستضعفة ان الاسلحة المتطورة والقوى الشيطانية لايمكنها التصدي لإرادة شعب نهض يدافع عن عقيدته وحقه ببطولة، كما أثبتُّم أن قوة الشعب الواعي تتغلب على أسلحة القوى الكبرى.

لقد ذهب الشاه، وانهار النظام الملكي، وسرّاق بيت المال قاموا بتهريب أموال البلاد الى الخارج، وخرجوا الواحد تلو الآخر، لكن شعبنا الشجاع سيعاقبهم جميعاً. لقد ولّوا وخلّفوا وراءهم مشاكل واضطرابات ودماراً كبيراً لكن على الشعب أن يعيد بناء كل شيء بإذن اللّه، بالرغم من أن ذلك يتطلب سنين طوال.

واني اذ أُقدّم شكري الجزيل للشعب العزيز، أُذكّره ببعض الامور:

١ـ أُعلمكم بأنني سألتحق بكم سريعاً بعون اللّه تعالى، لأكون في خدمتكم، وأعمل على معالجة بعض الامور، بهمتكم وشجاعتكم، ونتمكن معاً من التغلب على الفساد.

أعزائي: استعدّوا لخدمة الاسلام والامة المحرومة، استعدوا لخدمة عباد اللّه، فهي خدمة للّه. وسأكون بينكم خلال أيام بعون اللّه وسأُواصل أداء واجبي معكم.

٢ـ احذّر نواب محمدرضا بهلوي الذي اغتصبوا المجلسين، واطلب منهم أن ينسحبوا من مجلس الشعب ويتركوهما لممثلي الشعب ليعودوا اليها بعد خمسين عاماً من غصب هذا الحق الشعبي، وسترون جميعاً باذن اللّه ماذا تعني الانتخابات الحرة، والبرلمان السليم. إنني احذّر هؤلاء من أن دخولهم هذين المجلسين لن تحمد عقباه وسيتحملون وحدهم

مسؤولية عواقب هذا الامر.

٣ـ مرة أُخرى، أُحذّر اعضاء مجلس الوصاية الذين هم غصن تابع لتلك الجذور غير الشرعية، وادعوهم للانسحاب منه وعدم التمادي في معارضة إرادة الشعب.

٤ـ مرة اخرى، اوصي قوى الامن الداخلي والقوات البرية والبحرية والجوية بالحفاظ على النظام والتعاون مع الامة الشريفة الواعية.

ايها الشعب الواعي،

قفوا بوجه الاشخاص او المجموعات المنحرفة التي تريد إثارة المشاكل وخيانة البلد والثورة خدمة لمصلحة الاجانب، وحذّروهم من التمادي في ممارساتهم اللاإنسانية واللاإسلامية واللاوطنية، وأدعوهم للالتحاق بكم.

اسأل اللّه تعالى النصر المؤزّر للشعب الايراني.

والسلام عليكم ورحمة اللّه

روح اللّه الموسوي الخميني.

وفي هذه الاثناء، قرر بعض نوّاب البرلمان الذين أفاقوا لتوّهم ورأوا أنفسهم محاصرين من قبل الشعب، الانصياع لأوامر قائد الثورة والانسحاب من البرلمان، لكن بختيار حال دون ذلك، فقد كان يرى ـ واعتماداً على الدعم الاميركي ـ ان النجاح سيكون حليفه في النهاية، ولذلك لم يكن مستعداً للانسحاب بهذه البساطة، ولهذا بادر الى تقديم مقترحات ومشاريع عديدة الى البرلمان ليوحي بأن حكومته تختلف عن باقي الحكومات التي سبقته.

كما كان يطلق أكاذيب إعلامية كبيرة املاً في أن يستطيع بها خداع الشعب المسلم المجاهد، وكان ينتظر إجراءات ــ من جانب اميركا ــ لعرقلة عودة الامام الى ايران، لكن حنكة الامام وصرخات جموع الغضب المليونية للشعب المنتظر لقائده، أحبطت كل الآمال والاجراءات الاستعمارية المتخذة.

وكانت مسيرة طهران الكبرى في ٢٧ كانون الثاني ١٩٧٩ نذيراً بسقوط آخر حكومة للشاه وعودة مظفرة لقائد الثورة.

القسم الخامس

الامام يعلن تشكيل مجلس الثورة

١ـ تشكيل مجلس الثورة:

بينما كان الشاه يبذل آخر محاولة لصيانة النظام الملكي من السقوط والقوى الدولية تبحث عن حل يضمن لها مصالحها، كانت كل القوى المعادية للثورة قد دعمت حكومة بختيار وتعهدت أميركا بحماية هذه الحكومة ودعمها، وبذلت من أجل ذلك كل جهد تملكه من أجل إخماد شعلة الثورة ولو مؤقتاً، فقدمت ـ مثلاً ـ مشروع قانون لحل الساواك الى مجلس الشورى «الرستاخيزي» في محاولة لإعادة الحيوية والنشاط له، لكن الامام كان يوجه في الوقت المناسب ضرباته القاضية الى جسد النظام المحتضر. وكان الاعلان عن تشكيل مجلس الثورة احد تلك الضربات الموجعة التي وضّحت ـ في نفس الوقت ـ معالم الوضع ومجريات الامور، ورسمت النهج الذي كان يجهله بعض الاشخاص.

فحتى ذلك الوقت لم تكن قوى الثورة تدرك كيفية امكان انتقال السلطة، كما كان بعض الانتهازيين يتصور أن عملية انتقال السلطة تكتنفها بعض المشاكل والصعاب، لهذا راح هؤلاء يقدّمون المشاريع والاقتراحات للحصول على موطئ قدم لهم في السلطة.

لكن الامام كان قد أعلن باستمرار أن هذه النهضة إسلامية وعلى الذين يفكرون بإقامة حكومة غير اسلامية الخروج من صف الشعب. وفي بيانه المؤرخ في ١٩٧٩/١/١٢ أعلن الامام عن تشكيل مجلس مؤقت باسم «مجلس الثورة الاسلامية» من أشخاص صالحين معتمدين متدينين، وسيبدأ المجلس عمله قريباً. وكانت هذه اول مرة يطرح فيها رسمياً اسم (مجلس الثورة الاسلامية).

٢ـ اعضاء المجلس:

لم يتم الاعلان عن أسماء أعضاء مجلس الثورة الاسلامية قبل انتصار الثورة، وكانت الاسماء التي تتداولها الالسن مجرد تكهّنات ، فضلاً عن أن المقربين من الإمام في باريس كانوا قد اطلعوا على بعض الاسماء البارزة في تشكيلة المجلس. وفي هذا الصدد يتحدث الشهيد الدكتور آية اللّه البهشتي عن بدايات تشكيل المجلس فيقول:

«لقد قام الامام نفسه بتعيين الاشخاص في هذا المجلس، بمعنى ان سماحته كلف بادئ الامر مجموعة مؤلفة من خمسة اشخاص من العلماء بمسؤولية استكشاف وترشيح الاشخاص اللازمين لادارة البلاد مستقبلاً، وهؤلاء الخمسة هم: آية اللّه المطهري، وحجة الاسلام الرفسنجاني، وآية اللّه الموسوي الأردبيلي، والدكتور باهنر وأنا. ثم انضمَّ إلينا آية اللّه مهدوي كني بعد موافقة الامام على ذلك. وهكذا تشكلت نواة مجلس الثورة، ثم أُضيف الى المجموعة السداسية، كلّ من آية اللّه الطالقاني، والسيد علي الخامنئي، وقد بدأنا ـ نحن الستة الأوائل ـ بالتحري والبحث ومناقشة صلاحيات اشخاص مثل السيد بازركان والدكتور سحابي وعدد آخر ممن كان الامام يعرفهم من قبل واستقبلهم في باريس، ثم قدّمنا رأينا النهائي الى الامام في باريس فوافق هو أيضاً على انضمامهم إلى المجلس وهكذا تم تشكيل المجلس من عدد من العلماء المجاهدين والشخصيات التي تملك خلفيات جهادية وسياسية على اساس الاسلام، وأخذ المجلس يعقد اجتماعاته في منازل أعضائه» [٤٩].

٣ ـ مهام مجلس الثورة:

لم يكن لدى مجلس الثورة الإسلامية نظام داخلي ولا منهج يحدد مسؤولياته ومهامه، ولهذا نجد هذا المجلس يتعرض لتغييرات وتقلبات كثيرة خلال مدة عمله، حتى إنه تولى في احدى المراحل مسؤولية الشؤون التنفيذية للبلاد بشكل مباشر.

هوامش الفصل السابع عشر

(١) ـ السنة الهجرية الشمسية الايرانية تبدأ مع بداية فصل الربيع أي في ٢١ آذار من كل عام (المترجم) .

(٢) ـ أُعيد تشكيل الجبهة الوطنية بمبادرة من شاهبور بختيار في عام ١٩٧٧ تحت اسم (اتحاد قوى الجبهة الوطنية) التي تشكلت من ثلاثة أحزاب هي (حزب ايران) لبختيار وحزب (ملت ايران) لفروهر و (جبهة النهضة الوطنية الاشتراكية) لرضا شايغان، وكان (حسيبي) يرأس مجلس قيادة الجبهة، واللجنة المركزية مؤلفة من سنجابي وبختيار وفروهر ورضا شايغان ومشيري. هذه الجبهة قررت استغلال اجواء الانفتاح السياسي، وكانت تتحين الفرص وتراقب التضحيات التي يقدمها الشباب المخلصون، حتى يتم زعزعة الاوضاع وفسح المجال لهؤلاء السياسيين بتشكيل الحكومة واحتلال كل المناصب الحساسة.

(٣) ـ الهجوم الذي تم على مسجد (لرزاده) في طهران، مساء الحادي عشر من شهر رمضان، نموذج من هذه الهجمات الوحشية، حيث استخدم فيه أزلام النظام اقصى درجات العنف والوحشية. فقد كان هذا المسجد مقراً لاجتماعات جماهيرية حاشدة، وقد اعتقل النظام خطيب المسجد، ثم هاجم افراد الحرس الملكي والشرطة المسجد بالغازات المسيلة للدموع، ثم فتحوا النار على الجماهير المحتشدة فقتلوا ثلاثة أشخاص وجرحوا أعداداً كبيرة وهكذا قيل في حينها إن فاجعة المسجد الجامع في كرمان قد تكررت في طهران.

(٤) ـ ألقى محمدرضا جلالي النائيني عضو مجلس الشيوخ خطاباً في هذا المجلس قبل خمسة ايام من سقوط حكومة آموزغار، وكان واضحاً أن هذا الخطاب جاء وفق خطة معدَّة مسبقاً تستهدف تغيير الحكومة، و «جلالي» عضو في المحفل الماسوني الايراني وعضو في الجبهة الوطنية، كما شغل منصب رئيس نقابة المحامين لعدة سنين، وفيما يلي نورد جانباً من خطابه الذي يكشف مدى تدهور الاوضاع في ذلك الحين، وكذلك مدى قرب مجلس الشيوخ من الشاه، فقد تحدث عن اوضاع البلد، والحكم العسكري في اصفهان وحادثة سينما ركس في آبادان والمظاهرات والاضراب في يزد، واتهم المسؤولين بانهم فشلوا في البرهنة على اخلاصهم لـ «صاحب الجلالة» ، بعدما تسببوا في كل هذا السخط الشعبي وقال: (إن «جلالة» الشاه واسلافه خدموا البلاد، خلال ٢٥٠٠ عام ،ونحن أوفياء للسلالة البهلوية ونريد ان يعيش الشاه مئة وعشرين عاماً وان يكون في كل يوم منشأ خدمات جديدة للبلاد، لكن هذا الأمر يتطلب أن تأتي حكومة نشيطة وفعّالة لاتؤدي ممارساتها الى تذمر الناس وسخطهم.

إن المسؤولين الحاليين اعتدوا على حقوق الناس، فنهبوا أموالهم واعتدوا حتى على شرفهم وأعراضهم، ألم يقم تيمور بختيار باغتصاب إحدى النساء؟ أهكذا يكون رئيس جهاز الأمن؟ ايمكن له اعتقال الناس وتعذيبهم عبثاً؟ هذه الممارسات أدت الى موجة سخطٍ وتذمُّر في صفوف الناس. الوزير يجب أن يكون نشيطاً في عمله، لا أن يستغل منصبه لجمع الاموال والذهاب الى الخارج لشراء الأبنية والاثاث والأراضي. هذه الممارسات أدت الى موجة من السخط.

هذه البلاد يجب ان تصدح من مآذن مساجدها نداءات (الله اكبر) فلو تسلّم مقاليد الامور اناس يعارضون الدين الاسلامي، فلن يسمع نداء (الله أكبر) من مأذنة مسجد! «هذا السناتور يتظاهر بالحرص على الاسلام كما تظاهر الشاه بذلك من قبل» . الى متى نظل ساكتين عن كشف هذا الواقع؟ يجب ان لانظل متفرجين على الاوضاع الى ان تنهار البلاد لاسمح الله.

سيادة الرئيس «ويعني شريف امامي رئيس مجلس الشيوخ»

أرجو أن تطلب لقاءً مع «جلالة» الشاهنشاه آريامهر، لنتشرف جميعاً بلقائه ونطلعه على مجريات الامور، فلعله لايعلم بما يجري. إن حادثة اعتداء الضابط على قائد فرقته في خراسان ، ليست بالامر الهين، ألم يحن الوقت لنستيقظ من غفوتنا؟!

سيادة الرئيس!

لقد أثبتَّ بانك كنت ولازلت مخلصاً حقاً للشاه «المتحدث والرئيس كلاهما ماسوني» ، فتشرَّف بلقاء الشاه. اين السيد

اردلان (وزير البلاط) لماذا لاتنقل هذه الحقائق الى الشاهنشاه؟! لماذا لاتتشرف انت يا دكتور سجادي بلقاء الشاه «اصبح فيما بعد رئيساً لمجلس الشيوخ» ؟! لماذا لاتذهب انت يا سيد دشتي ؟! ان الشعب يريد الحرية، يريد تطبيق الدستور، يريد الأمن وبرأيي فانّ المخلص للشاه حقاً هو ذلك الذي يوصل لجلالته الحقائق ولا يساعد على ظهور التذمر الشمي.

ان على الحكومة ان تفتح قنوات اتصال مع العلماء والحوزة للحفاظ على الوحدة الوطنية بـإذن الله.

إن مانُسب الى الشاه إنما هو افتراء من قبل اناس محتالين، فجلالته مما يدّعون براء، فقلّما نجد بين أبناء ايران الطاهرين من لايحترم الشاه) !!

(٥) ـ وعد شريف امامي بجملة إنجازات، منها: إصدار عفو عن كل الفارّين او المتخلّفين عن الخدمة العسكرية، وخفض الضرائب، واطلاق سراح السجناء السياسيين، وحل حزب رستاخيز، ومعاقبة مسؤولي الحكومة السابقين، وزيادة روابت الموظفين والعمال، وتغيير وضع المحاكمات السياسية، والاستجابة لمطالب العمال، ومنح الاستقلال للجامعات، وحماية حرمة الاساتذة وإعادة المفصولين منهم الى الخدمة.

اما الجنرال نصيري رئيس جهاز الساواك السابق فقد عُيّن سفيراً لايران في باكستان، واعتبر النظام ان جرائم جهاز الساواك في عهد نصيري كانت من أهم أسباب تأزم الوضع، لكنه أُعيد الى طهران بطائرة خاصة في ١٨ تشرين الاول ١٩٧٨ ليتم التظاهر باعتقاله من أجل خداع الناس كما تم في نفس الفترة الإفراج عن عدة مجموعات من السجناء السياسيين.

(٦) ـ كان شريف امامي وزيراً للطرق في حكومة «رزم آرا» عام ١٩٥٠، وفي حكومة زاهدي عام ١٩٥٤، اصبح رئيساً لمؤسسة التخطيط، وفي حكومة إقبال عام ١٩٥٧ اصبح وزيراً للصناعة، وفي عام ١٩٦٠ اصبح رئيساً للوزراء، ثم رئيساً لمؤسسة بهلوي، فرئيساً لغرفة الصناعة والمناجم، ورئيساً للهيئة الادارية لبنك التنمية الصناعية، ثم عضواً في مجلس الشيوخ فرئيساً له منذ عام ١٩٦٣ ولمدة ١٥ عاماً، كما كان رئيساً للمحفل الماسوني في ايران. وقد هرب الى الخارج قبل سقوط نظام الشاه.

(٧) ـ علي أميني كان أحد الأشخاص الذي لجأ اليهم الشاه في ايامه الاخيرة، حيث كان يتصل به تلفونياً عدة مرات في اليوم في عهد حكومة شريف امامي، ليبحث معه أوضاع البلاد، ووفقاً لأشرطة الكاسيت التي سجلها الساواك، فان الشاه كان يتصل تلفونياً بأميني في ساعات متأخرة من الليل يسأله: «عزيزي دكتور علي، إعذرني أن ايقظتك من نومك! ولكني أُريد أن أعرف ماذا يريده العلماء اكثر من هذا؟! المسكين هويدا رميناه في السجن، واعتقلنا عدداً آخر من المسؤولين لكن كل هذا لم يرضِ العلماء، بالله عليك إذهب وتفاوض معهم» (صحيفة اطلاعات/ ١ـ آذر ١٩٧٩).

(٨) ـ نشرت صحف يوم ١٠ تشرين الثاني، جوانب من التظاهرات المليونية للامة، فقد كتبت صحيفة كيهان المسائية «شهدت طهران وباقي المدن اكبر تظاهرات سياسية دينية في تايخ ايران، حيث استمرت حتى منتصف الليل. فقد اكتظّت الشوارع بالمتظاهرين وبلغ طول التظاهرات عدة كليومترات واشترك فيها النساء والرجال والشبان والشيوخ والأطفال، فكانت بمثابة استعراض للقوة لم يسبق له نظير حسبما قالت وكالات الأنباء العالمية، فقد كان المتظاهرون يهتفون «نضالنا حسيني .. قائدنا الخميني» .

وقد أظهرت الصور المنشورة لهذه التظاهرات تحشُّد أعداد كبيرة من الجنود الذين انتشروا حول المظاهرة، او تجمعوا داخل شاحنات عسكرية وسط المتظاهرين الذين كانوا ينثرون الورود عليهم بحرارة ويهتفون «يا أخي العسكري لماذا تقتل إخوتك» مما خلق مشاعر بالتقارب بين الجيش والامة.

فقد قالت وكالة الانباء الفرنسية في تقريرها عن التظاهرات: «قد تكون ايران دخلت مرحلة جديدة لامناصّ منها ... فالاسلام كشف قوته في طهران وباقي المدن، ويبدو أنه يملك من القوة مايمكّنه من تحقيق أهدافه» . وجاء في ختام التقرير: وعلى

هذا الاساس ، وبالرغم من ان الحكومة تبدو ضعيفة إلاّ أنها لم تفقد السيطرة على زمام الامور بشكل كامل، اذ لايزال لديها جيش نظامي منضبط قوامه ٥٠٠ ألف مقاتل، إضافة الى قوات الشرطة والساواك التي لم تنزل إلى الساحة بعد، وبامكان الحكومة السيطرة على الوضع تماماً خلال يوم واحد من خلال الحل العسكري الذي اضحى الحل الأخير لانهاء الفوضى، حتى لو ادى ذلك الى اصابة الكونغرس الاميركي والرأي العام الاوروبي بالحيرة والدهشة اما وكالة انباء رويتر فقد ذكرت ان عدد المتظاهرين كان عشرين ألفا!

وعلى الرغم من أن الطابع العام لتلك التظاهرات كان طابعاً سلمياً إلاّ أن صدامات وقعت بين الشرطة والمتظاهرين في مدن قم وايلام وكرج وخين، مما ادى الى مقتل عدد من المتظاهرين.

(٩) ـ جاء في البلاغ الاول للحاكم العسكري لطهران وضواحيها:

«حرصاً من الحكومة الشاهنشاهية على توفير الامن والاستقرار، فقد أعلنت الاحكام العرفية في عدد من المدن، منذ الساعة السادسة من صباح الجمعة ٨ تشرين الثاني ١٩٧٨ ، وقد عُيّنت أنا حاكماً عسكرياً لطهران وضواحيها، ومن هنا ، فأنا اطلب من جميع أهالي طهران وضواحيها المحترمين، الامتناع عن كل ما يخالف قانون الأحكام العرفية، وسيعاقب المخالفون طبقاً للقانون، وسيكون قرار منع التجول ساري المفعول اعتباراً من الساعة التاسعة مساءً وحتى الخامسة صباحاً» ..

الحاكم العسكري لطهران وضواحيها

الجنرال غلام علي اويسي

وعندما تصدى الناس للأحكام العرفية بشكل واسع، وشاركت اعداد غفيرة منهم في الاجتماعات والمظاهرات دون علم بالأحكام العرفية، ووقعت تلك المجزرة المروعة، أصدر الحاكم العسكري بلاغه الثاني، الذي ضمّنه تهديدات أكثر عنفاً، ففي الساعات الاولى من يوم ٨ تشرين الثاني (١٧ شهريور) أصدر البلاغ الثاني الذي جاء فيه:

«بعد هذه السنوات الطويلة من خدمتي في الجيش الشاهنشاهي، فان نمط سلوكي معروف للكثير من المواطنين. فقد اقسمت امام القرآن الكريم وعلم البلاد على الدفاع عن استقلال البلد وحماية الدستور والنظام الشاهنشاهي في بلدنا العزيز، وكذلك الدفاع عن الدين الاسلامي المبين، وسأبذل قصارى جهدي، وأتعامل بحزم وصرامة من أجل الوفاء بهذا العهد المقدس حتى آخر لحظة من حياتي، وسأتعامل بمنتهى الصرامة طبقاً للقانون مع من يخالف القانون» .

ويلاحظ انه أورد اسم القرآن والاسلام في محاولة لخداع الناس، لكنه سرعان ما كشّر عن أنيابه في نفس البيان وهدّد وتوعد بالصرامة لمن يعارض النظام الشاهنشاهي، حيث يسمي ذلك بانتهاك القانون، أما ممارسات النظام المخالفة أساساً للدستور والقوانين فلا تعتبر انتهاكاً للقانون في نظره أبداً.

(١٠) ـ بعد يومين من إعلان الاحكام العرفية وبدء المذابح الجماعية عاد أردشير زاهدي من واشنطن ـ حيث كان سفيراً لايران فيها ـ الى طهران حاملاً رسالة سرية جداً من كارتر الى الشاه، وبعد تسليم الرسالة، عقد الشاه اجتماعاً سرياً جداً مع السفير الاميركي في طهران سوليفان وزاهدي والجنرال أويسي الحاكم العسكري لطهران وضواحيها. كما أعقبه اجتماع مماثل ثانٍ حضره رئيس الوزراء شريف امامي إضافة لزاهدي وسوليفان واويسي. وقبل كل من الاجتماعين كان هناك اتصال هاتفي بريجنيسكي مستشار كارتر لشؤون الامن القومي، الذي قدم للشاه نصائحه وتعليماته وكان كل اجتماع منها يتمخض عن جملة قرارات لم يكن أحد يجرؤ على اتخاذها من قبل، حيث صدرت الاوامر في الساعة الثانية عشرة من ظهر يوم ١٦ شهريور (٧ تشرين الاول) أي قبل يوم واحد من المجزرة بفتح النار على التظاهرات السلمية، كما تقرر إعلان الاحكام العرفية في طهران برئاسة الجنرال اويسي ..»

[انقلاب ایران ومبانی رهبری امام خمینی

سیروس پرهام الصفحة ٥٥ (فارسي)]

(١١) ـ ورد في الصفحة ٤٤ من كتاب ثورة ايران واسس قيادة الامام الخميني «انقلاب ايران ومباني رهبري امام خميني» ادعاء للمؤلف سيروس برهام ان التقارير الواردة من مقبرة «بهشت زهراء» ان عدد قتلى مجزرة الجمعة السوداء بلغ اكثر من أربعة آلاف ومئتين وثمانين قتيلاً، إلا أن هناك احتمالاً كبيراً بأن ٦٠٠ جثة أُخرى قد دُفنت في مكان آخر، مثلما حصل في المجازر التي وقعت فيما بعد، اذ لم يتم دفن جميع الشهداء في المقابر العامة.

أما وزارة العدل فقد اعلنت ان عدد قتلى الجمعة السوداء بلغ خمسة وتسعين شخصاً فقط! (الصحف الخبرية الصادرة في ١١ تشرين الثاني ١٩٧٨).

(١٢) ـ تحدث أحد أعضاء حزب رستاخيز في البرلمان فقال «الحكومة جاءت بشعار الوفاق الوطني، لكنها باشرت العنف والقتل منذ الساعات الاولى، فكيف يمكنها ـ والحال هذه ـ التحدث عن الوفاق الوطني ؟! كم من هذه الاموال التي تنفق كل يوم، يصل الى القرى ؟! لقد جعلوا منا ـ نحن النوّاب ـ أُلعوبة ..» .

كما تحدث نائب آخر فاتهم الحكومة بإعلان احصائيات كاذبة عن ضحايا الجمعة السوداء وقال: «الحقيقة هي أن آلاف الناس قتلوا في هذا اليوم» .

(١٣) ـ لعبت النساء دوراً في الثورة كان من الأهمية بحيث اعتبره بعض الاشخاص اكبر من دور الرجال، وقد وردت اشارة الى هذا الموضوع في مقدمة الدستور حيث جاء فيما يلي: (التلاحم الواسع للرجال والنساء من مختلف الفئات والشرائح والاتجاهات الدينية والسياسية كان له الدور المصيري في انتصار الثورة، ويحظى دور المرأة بأهمية خاصة، اذ شاركت في جميع مراحل الثورة وعلى جميع الصُّعد، ومن المشاهد التي تعكس حضور هذه الفئة الكبيرة من المجتمع في ساحة الجهاد ومساهمتها المصيرية في النضال، مشهد ام تحتضن طفلها مسرعة نحو ساحة المعركة في مواجهة فوهات الاسلحة الرشاشة) .

(١٤) ـ من تلك الحوادث؛ إعلان شريف امامي عن اعتقال (١١٠٦) اشخاص منذ فرض الاحكام العرفية، وتقديم الحكومة وعداً للشعب بتخفيض نسبة الضرائب واختفاء سفير افغانستان في طهران، واختطاف الامام موسى الصدر زعيم الشيعة في لبنان الذي كانت له أصداء واسعة في ايران اضافة الى حوادث اخرى كانت تصب في النهاية في نهر الثورة الجارف، من قبيل تشييع جثمان نجل آية الله العظمى الكلبايكاني الذي توفي في حادث سيارة اثناء الحملة الشعبية لدعم منكوبي الزلازل، وقد اقيمت له مجالس تأبين عديدة.

(١٥) ـ قالت صحيفة كيهان ١٩٧٨/١٠/٥: (الدكتور شاهبور بختيار، الأمين العام لحزب ايران والعضو التنفيذي في الجبهة الوطنية، طالب بالحريات المنصوص عليها في الدستور وطعن بصلاحية حكومة امامي في ادارة البلاد، كما اعلنت الجمعية الايرانية للدفاع عن حقوق الانسان أنها بعثت ـ خلال فترة نشاطها ـ بعشرات الرسائل الاحتجاجية الى الحكومة لكنها لم تتلقَّ أيّ جواب واعلنت إستعدادها لخوض مناظرة مفتوحة) .

(١٦) ـ بدأت الحكومة في تلك الأيام تشيع أن مطاليب المضربين تتلخص في زيادة الرواتب ووضع سيارات نقل خاصة بهم، وامتيازات اضافية وترفيع وظيفي ... الخ، وهي محاولة متعمدة للتغطية على المطاليب الحقيقية.

(١٧) ــ من بين الوثائق التي عُثر عليها في مراكز الساواك؛ وثيقة تمثل تقريراً يحمل الرقم ٣١٢/٧٤٠٣ بتاريخ ٢٤/ايلول/١٩٧٨ حيث يروي فيه رئيس الساواك الجنرال مقدم الى الشاه تفاصيل اللقاء الذي تم بينه وبين شريعتمداري، وتكشف هذه الوثيقة طبيعة الخط المنحرف داخل الحوزة والذي ظهر منذ حوادث ١٩٦٢ وقضية تأسيس مجالس الولايات، وقد

كان الامام يشير الى هذا الخط بشكل غير مباشر ويبدي قلقه من وجوده. وفيما يلي نص الوثيقة كما وردت في صحيفة كيهان، العدد (١١٥٦٠) بتاريخ ٢٤/نيسان/١٩٨٢، وهي تكشف بوضوح طبيعة أحد الخطوط السرية التي كانت تعمل ضد مسيرة الثورة:

(خلال اللقاء الذي دام حوالي ٤ ساعات مساء يوم ١٣٥٧/٧/١ (١٩٧٨/٩/٢٣) . مع السيد كاظم شريعتمداري في منزله بمدينة قم، قمت في البداية باعطاء نبذة مختصرة عن الموقع الجغرافي لايران، والاخطار المحدقة بالبلاد من جانب القوى الخارجية، شرقيها وغربيها، وكذلك الشؤون الداخلية في ايران والتحريض الذي يقوم به الشيوعيون وعملاء الاجنبي الآخرون.

وقد أبدى آية الله شريعتمداري سروره الكبير لهذا اللقاء وأعرب عن تأييده للنظام حيث أدلى بحديث اشار فيه الى عدة أمور منها:

١ ـ قال: ابلغوا سلامي الى جلالة الشاه وأحيطوه علماً بأن المشاكل التي يواجهها جلالته اليوم نواجهها نحن ايضاً، وآمل ان يواجه جلالة الشاه هذه المصاعب بصبر كبير، الى أن تتذلل بالشكل الذي يريده، بما يعود بالنفع على البلاد.

قبل ايام، وعندما زارني ممثلوا الملك الحسن، طلبوا مني أن أبدي ليناً أكثر حيال جلالة الشاه، لكنني أخبرتهم بصراحة ان كل جهودي إنما تستهدف الحفاظ على الملكية، وطلبت منهم أن يبلغوا الملك حسن طلبي إليه بان يقف الى جانب جلالة الشاه ويؤازره ليتمكن من الثبات أمام المشاكل الداخلية، كما طلبت منهم إبلاغ الشاه بضرورة الاسراع بالاصلاحات.

إن النجف هي احد مراكز معارضة النظام الملكي وانا ضد النجف تماماً، وانا أُفكر وأعمل من أجل الحفاظ على البلاد والدين والنظام الملكي.

لقد التجأت الى الدستور من أجل الحفاظ على التاج والنظام الملكي وقد اخترت سبيلاً معتدلاً، يعود بالنفع على جلالة الملك وعليّ وكذلك على من يتلاءم نهجهم مع نهجي.

إنني أسلك هذا السبيل للحيلولة دون أن يصبح زمام المبادرة بيد المتشددين، فلو شعروا بانني أدعم النظام، فلن يكون بامكاني اعتراض مسيرة المتشددين، عليّ أن أتصرف بشكل بحيث اكسب رضاهم، ولهذا اخترت طريقاً وسطاً بين جميع التيارات الفكرية داخل البلاد وخارجها، ولو لم أفعل ذلك، لكان المتشددون قد قضوا على البلاد حتى الآن.

لقد استندت في تحركاتي الى الدستور لأتمكن من العمل بنجاح على حماية التاج والعرش والبلاد.

٢ ـ وقال أيضاً: إن الخميني معارض لنظام ايران، والنجف هي مركز التآمر على ايران، فالكثير من البيانات الواصلة من النجف، تسبب التظاهرات وإراقة الدماء، وان كان اناس آخرون تسببوا في هذه الحوادث فانهم ـ بالتأكيد ـ يتلقون التحريض من النجف. إن الخميني ومن يفكرون على شاكلته ويعتقدون بأن الحكومة الاسلامية هي افضل حل لمشاكل البلاد، إنما يعملون على القضاء على مركز القوة ويسوقون البلاد الى الدمار وليس الاعمار، وإنني على ثقة من أن مايفعله هؤلاء يجني ثماره أناس آخرون.

إنني أُعارض تماماً ما يقوم به هؤلاء من اعمال تؤدي الى خلق مصاعب للناس، مثل الاضرابات وإغلاق الاسواق وإيجاد الفوضى والتظاهرات والاخلال بالنظام. لقد اطلقوا شعارات عنيفة في مجلس تأبين ابن آية الله الكلبايكاني اليوم. والجدير بالذكر إن أحد الاشخاص المؤيدين لي ـ وكان يجلس بقربي في مجلس التأبين ـ قال مازحاً: «الظلم الذي كان سائداً في السابق افضل لدينا من العدالة التي يعد بها هؤلاء» .

إن الكثير من العلماء يزورونني ويستفسرون عن رأيي بنهج الخميني وهل اختلف معه ام لا؟ فأُجيبهم بنعم. وأُوضح لهم بأنه معارض للشاه، بينما انا لست كذلك، لقد أرسلت الى الخميني اسألهُ: مادمت تتصيد العثرات على الحكومة، فلماذا لم تحتج على حكومة العراق التي تقتل من يريد المشاركة في مسيرة الاربعين من النجف الى كربلاء ، بينما الحكومة الايرانية لاتقوم بشيء من

هذه الاعمال؟ انا لاأخاف من الخميني، لكن انصاره مجانين لايتورعون عن استخدام السلاح في التخريب وقتل الآخرين. نحن لسنا مصَونين من أذاهم حتى ونحن في بيوتنا، ويجب أن تعطونا الحق في أن نسلك نهجاً معتدلاً لنأمن الضرر من هؤلاء ونؤدي واجبنا حيال جلالة الملك والامة.

٣ ـ وعن تأثير سلوك أنصار الخميني ومعارضيه قال شريعتمداري:

الذين يملكون الشجاعة للوقوف بوجه الخيمني وأنصاره قليلون جداً، فخلال السنوات الاخيرة أدى سلوك انصار الخميني الى بث الرعب في قلوب غالبية الذين يؤيدونني في وجهة نظري، أي يؤيدون الحكم الملكي، خاصة وأن انصاري لايملكون تنظيماً معيناً، ولذا فانهم قلقون جداً. علينا العمل من أجل تبديد مخاوف هؤلاء تدريجياً، وايجاد تنظيم في صفوفهم، يمكّنهم من الاتحاد والتصدي لخط النجف. ونهجي المعتدل سيؤدي الى استقطابهم نحوي الامر الذي يمهد الطريق لايجاد التنظيم اللازم والتمتع بقوة ملحوظة لبدء التصدي العلني في المستقبل. وعلينا تجنيد الطاقات كلها لإيجاد هذا التنظيم وبدء التخطيط للمستقبل.

٤ ـ وعن الحكومة الجديدة قال شريعتمداري:

إنني اؤيد جميع اجراءات هذه الحكومة باستثناء الاجراء الذي ادى الى مقتل العديد من الناس في بداية إعلان الاحكام العرفية. ويجب الاهتمام أكثر بعدَّة امور منها: وضع الخبز واللحوم والثقافة والاهتمام بالشؤون الدينية في المدارس لقطع الطريق أمام الشيوعية.

واضاف: إن اعلان الحكم العرفي (العسكري) اجراء قيم ومفيد ويجب ان يستمر. وانا اؤكد بصراحة ـ وارجو إيصال هذا الى جلالة الشاه ورئيس الوزراء ـ ضرورة تمديد فترة الاحكام العرفية قدر المستطاع. وقد اصبح اتهام الحكومة بكل مايحدث موضة كما هو الحال في حادث السينما في آبادان. وللاسف فان هناك افراداً بسطاء كثيرين يتأثرون بدعايات الشيوعيين وبقاء الحكم العسكري كفيل بالتقليل من تأثير هذه التحريضات.

٥ ـ وعن مجيء بعض الاشخاص إلى منزله كممثلين لمنظمات الدفاع عن حقوق الانسان قال شريعتمداري:

ان باب بيتي مفتوح، فبعض هؤلاء تربطني به علاقة صداقة قديمة، وليس بامكاني اغلاق باب بيتي بوجه الزوار. فهؤلاء يجلبون الصحفيين الاجانب لاجراء مقابلات معي. وبالطبع فـإني أعرف واجبي الشرعي، كما انني قلت رأيي بوثيقة حقوق الانسان، واكدت انها مجرد مزاح. فعندما تملك خمس دول كبرى حق النقض (الفيتو)، فما الذي يبقى من حقوق الانسان؟ فكل قانون له قيمته في وقته، وفي الاسلام لدينا بعض القوانين كانت واجبة التطبيق في زمن معين، لكنها مرفوضة اليوم، فنحن لدينا الاسلام الذي يعطينا ماهو أفضل من الاعلان العالمي لحقوق الانسان، مثل الاحسان والمساواة والورع والتقوى.

٦ ـ وعن علي اميني قال شريعتمداري:

أقول بصراحة إن اميني يحاول كثيراً ـ وعبر وسطاء ـ التقرب مني لكنني اعلن بصراحة بانني لاأرغب بتزكية شخص يتولى رئاسة الحكومة، لانني أعتقد أن الحكومة تؤدي واجبها، وكل ما اطلبه هو أن تسرع الحكومة بمكافحة الفساد ومعاقبة كل الذين خلقوا المشاكل والمصاعب ومارسوا سياسة التميز والتفرقة.

٧ ـ وعن السجناء السياسيين أبدى شريعتمداري رأيه كالآتي:

انا لا أؤيد اطلاق سراح جميع السجناء، بل اطلقوا سراح اولئك الذين تتأكدون من أنهم لن يعودوا الى نشاطاتهم المعارضة. أما الباقون فابقوا عليهم، خاصة اولئك الذين تطاولوا على مقام الملوكية وجلالة الشاهنشاه.

٨ ـ وعن تردد المراسلين الصحفيين عليه وادلائه بالاحاديث الصحفية قال شريعتمداري:

يزورني عدد كبير من الصحفيين، وفي الاحاديث التي ادلي بها لهؤلاء، أستند بشكل رئيس الى الدستور والالتزام به، بينما

الخميني لايعترف بالنظام ولا بالدستور. وخلال اجاباتي عن أسئلة الصحفيين، فانا اقترح دائماً القيام بـإصلاح الاوضاع.

وقد سألني أحد الصحفيين حول رأيي بتعديل الدستور او اضافة بعض المواد إليه ومن أجل أن اعطي جواباً معتدلاً قلت له: تغيير الدستور يستدعي اجتماعاً مشتركاً لمجلسي الشورى والشيوخ وأن يملك هذان المجلسان الاهلية اللازمة لتغيير الدستور. وهذا سيتدعي ان يكون اعضاؤهما قد انتُخبوا من قبل الشعب بشكل سليم، ولأن هذين المجلسين لايحظيان حالياً بثقة الناس، فان أصل موضوع اجراء تعديلات على الدستور أمر مستحيل حالياً، وهكذا ربطتُ الامر بشيء مستحيل.

وفي أغلب المقابلات الصحفية، يسألني الصحفيون عن رأيي بالمادة (١٩) من مواد الدستور وانا اجيب دائماً بانني أُوافق على هذه التطورات، مهما سُمّيت، ولكن من غير الصحيح أن يصفونا بالرجعية، لأننا نعارض القمار والزنا والسرقة وفساد الشيوعيين، لكننا لانعارض التقدم العلمي والصناعي.

٩ ـ ومن مطاليبه، الاهتمام بأوضاع مدينة قم حيث قال:

بعد طهران ـ باعتبارها العاصمة السياسية ـ فان الانظار في الخارج تتجه الى قم، ففيها اكبر حوزة علمية دينية للشيعة بعد النجف، ولهذا فنحن نأمل عدم تعيين مسؤولين غير لائقين وضعيفي الشخصية هنا، بل ينبغي اختيار اناس لائقين وجديرين بـإدارة المدينة ليقوموا بـإعمارها وتطويرها.

١٠ ـ على ضوء التوضيح الذي قدمته له في بداية اللقاء حول اوضاع ايران قال شريعتمداري:

كم هو جيد أن تقوم الحكومة بتوضيح هذه الامور للشعب باستمرار فذلك كفيل بتوعية الناس على الاخطار المحدقة بهم وببلادهم، وهنا ستنجحون في شق عصا المعارضين، وعندها سيمكننا إيجاد قوة من هؤلاء للوقوف بوجه الخميني، وسيؤدي ذلك الى معارضة شعبية علنية لتحركاته وتحريضاته.

يجب ان تقولوا للناس إنه لو استمرّ الوضع على حاله، فان ارواحهم واعراضهم وممتلكاتهم في خطر. هذا التحذير يجب ان يتم بصور مختلفة، من قبيل نشر المقالات في الصحف وبث الاحاديث في الاذاعة والتلفزيون. وهنا أُؤكد من جديد ان على الحكومة ان تبادر بسرعة الى اجتثاث جذور الفساد واستخدام الحزم في تعاملها مع المسيئين، وكسب رضى الناس، خلافاً لما كان يحدث سابقاً.

وفي الختام، كرر آية الله شريعتمداري طلبه بـإبلاغ سلامه الى جلالة الشاه».

(١٨) ـ استقال خلال تلك الفترة أشخاص مقربون للشاه مثل وزير العلوم نهاوندي والجنرال مزين ممثل الشاه المفوض في الشمال والذي مارس الظلم والاستبداد لسنين طوال. كما هرب مدير عام منظمة إعمار جزيرة كيش. ووصل الى طهران الجنرال نصيري لبذل مايمكنه من أجل انقاذ الشاه. كما رفض الدكتور صديقي والدكتور نصيري تولّي منصب وزير العلوم.

(١٩) ـ في خطابه الذي القاه بتاريخ ١٩٧٩/٦/٢١ قال الامام الخميني:

«القوى الكبرى مثل أميركا وروسيا والصين وبريطانيا، كانت كلها تدعم الشاه. وليس عبثاً ان يمنعوا عبوري من الأراضي الكويتية، لم يكن عبثاً أن تمارس الحكومة العراقية ضغوطاً علينا لاسكاتنا او خروجنا من العراق. فكلهم كانوا متّحدين، القوى الشيطانية كانت متحدة. وعندما رأيت أنهم منعوني حتى من دخول الكويت، أدركت أن الامر لايقتصر على الكويت وحدها. فجميع الحكومات التي تُسمى اسلامية كانت متوحدة في سياساتها ومصالحها. ولهذا قررتُ من هناك الذهاب الى بلد لايرزح تحت هيمنة أحد، فاخترت فرنسا».

(٢٠) ـ اعترف المقدم لهراسبي ـ آمر وحدة طيران القوة البرية لجيش الشاه في كرمانشاه ـ أن الوثائق التي عُثر عليها تؤكد أنه كانت هناك خطة لاختطاف الامام الخميني واعتقاله في جزيرة كيش في الخليج فعندما رفضت السلطات الكويتية السماح

للإمام بدخول أراضيها، ووفق تعليمات صدرت عبر الهاتف قام جلاوزة العميل خسروداد ـ الذي كان من أخبث قادة قاعدة طيران القوة البرية في كرمانشاه ـ بإرسال عدة طائرات سمتية باتجاه منطقة خسروي الحدودية لاختطاف الامام حيث كان قد توقف قرب البصرة. وتزامناً مع ذلك تم اعداد طائرة نقل من طراز فالكس في مطار كرمانشاه لنقل الامام الى جزيرة كيش وفي الجزيرة كانت هناك طائرة سمتية لنقل الامام من هناك الى مكان مجهول. لكن هذه الخطة فشلت بسبب اندساس عناصر ثورية في العملية، وعدم إيصال الوقود اللازم للطائرات مما أحبط الخطة كلها.

(٢١) ـ عثر على وثيقة عند الساواك ضد الامام جاء فيها:

«تنفيذاً للأوامر الصادرة، فقد توجه وفد من دائرة الساواك الى بغداد بعد ظهر يوم ١٩٧٨/١٠/٢م، وقد ورد في تقرير الوفد مايلي:

تم الاجتماع بسعدون شاكر لمدة ثلاث ساعات ونصف الساعة وتم فيه مايلي:

١ ـ تم ابلاغ سعدون شاكر شكر رئيس الساواك لتعاونه معنا في هذا المجال.

٢ ـ اعتبر سعدون شاكر الاجراءات الاخيرة المتخذة بحق الخميني سليمة وقائمة على أساس اتفاقية الجزائر، وبهدف تقوية علائق التعاون والجوار.

٣ ـ شكا سعدون شاكر مما تكتبه الصحف الايرانية ضد العراق، وعرض نماذج من المواضيع التي تحوي صور الخميني. وقد قدمنا التوضيحات اللازمة فيما يخص وضع الصحافة في ايران. وقد أيد أهمية حرية الصحافة لكنه أكد ان نشر مواضيع تعرّض المصالح الوطنية للخطر يعتبر خيانة لايمكن التغاضي عنها.

٤ ـ اخبرنا أنه التقى الخميني وقال إنه رجل صعب المراس قوي الارادة في مواصلة طريقه، وأبدى اعتقاده بأن الخميني لن يكف عن السعي لتحقيق أهدافه.

٥ ـ قال إن الخميني رد على طلبه بالتخلي عن العمل السياسي بالقول: انا رجل سياسة ودين، ولن أحيد عن وجهات نظري السياسية.

٦ ـ أبلغناه باقتراح رفع الحصار عن الخميني نسبياً ومراقبته اكثر، فوعدنا بطرح الامر في مجلس قيادة الثورة، لكنه يعتقد بأن إعطاء الحرية للخميني سيؤدي الى تصعيد نشاطاته المعارضة لايران والعراق على حد سواء.

٧ ـ أكد أن بقاء الخميني في العراق مضرٌ للعراق وايران، ويعتقد أن ذهابه الى مكان آخر، قد يزيد الأمر تعقيداً.

٨ ـ الخميني حصل على تأشيرة خروج من العراق ولا أحد يعلم تاريخ مغادرته العراق، وقد يحدث ذلك في اي وقت.

٩ ـ أكد أن الحكومة العراقية غير قادرة على منع الخميني من مغادرة العراق وقد تأكدنا من صحة مايقول» .

(٢٢) ـ ياسر عرفات كان من بين الذين أبرقوا الى الامام حيث جاء في برقيته:

«حضرة المجاهد الاكبر والامام الاعظم الخميني.

إن الحزن ليملأ قلبي لما عانيتموه من ألم الغربة والبعد عن وطنكم العزيز ايران، ولما يحيط بكم من مؤامرات. لاأدري كيف اواسيكم ـ أيها المجاهد الكبير ـ فلا أستطيع دعوتك الى وطني، لأنه ممزق دام يرزح تحت نير المستعمرين واذنابهم الصهاينة. كم اتمنى لو كنت في وطني لادعوك اليه، فوطني أرض الابطال والاحرار أمثالكم إن المؤامرات تحيط بنا من كل جانب، فحتى في لبنان، يتعرض اخوتنا اليوم للموت، لكن النضال ضد الاستعمار وأذنابه مستمر حتى تحرير الوطن الحبيب.

ايها الامام المجاهد

ان اسلوب نضالكم يأخذ الالباب خاصة وإننا نراك تواصل نضالك المرير بالرغم من كل المضايقات التي أوجدتها دول

تدعي الثورية، وكما أنك وجميع المناضلين الايرانيين دعمتم الثورة الفلسطينية دائماً فإننا نعلن وضع جميع إمكاناتنا تحت تصرفكم».

وقد أجاب الامام عن البرقية كالتالي:

«السيد ياسر عرفات، رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية.

وصلتني برقيتكم بيد مبعوثكم الخاص. اشكرك على مشاعرك ودعمك للشعب الايراني في الظروف الحساسة الحالية.. لقد كنا دائماً ضد اسرائيل ومع من يعارضها. كنا معكم دائماً، نطلع العالم على جرائم اسرائيل ضد الشعوب، واليوم حيث يمر الشعب الايراني بظروف حساسة للغاية، ندعوكم لضم صوتكم الى صوت هذا الشعب وإيصال صوته ـ من خلال وسائل اعلامكم ـ الى أسماع العالم انقلوا ما يعانيه شعب يريد أن يستقل بعيداً عن التبعية للشرق والغرب. وإنني على يقين بأن النصر حليف شعبنا الواعي لامحالة» (نقلاً عن صحيفة كيهان بتاريخ ١٩٧٨/١١/٨).

(٢٣) ـ بعض موظفي الدولة الطامعين، وبعض الذين يعانون من ضائقة مالية، حاولوا استغلال الاضرابات التي كانت قد سرت الى الدوائر والمصانع لتحقيق مطاليبهم على صعيد الرفاهية، دون الاهتمام بالجوانب السياسية لها، فأخذوا يطرحون مطاليب من قبيل زيادة الرواتب ومخصصات السكن، وقروض السكن باقساط طويلة الامد، وتحسين وضع التقاعد وتوزيع الاراضي والبيوت، وقد عملت الحكومة على ترسيخ هذه المطاليب لحرف الإضراب عن الهدف الحقيقي، لكن يقظة الامة احبطت هذه المؤامرة.

(٢٤) ـ في بيانه للشعب بتاريخ ١٩٧٨/١٠/٢٦ قال الامام الخميني:

«.. الاوضاع الجارية في ايران تثير قلقي بشدة.. فأنا أخشى من أن يدفع الانهيار العصبي للشاه واعوانه الى ارتكاب المزيد من هجماته الجنونية وإراقة المزيد من دماء الشعب الايراني.

إن مذبحة كرمان الجماعية، وإحراق مساجد المسلمين ومهاجمة النساء والرجال العزل من قبيل ما حصل في مجازر همدان وباقي المدن في أنحاء ايران التي يتعذر تعداد اسمائها كلها تستدعي من أبناء الشعب الشريف وكل الفئات المحبة للاسلام والبلاد، أن لاتمهل النظام، وان تقضي على هذه الحكومة الغاصبة بأسرع وقت.

إن شعار (العمل بالدستور) الذي طرحه مؤخراً عملاء الشاه في مجلس الشورى والشيوخ خيانة للاسلام والبلاد، وان الحديث عن زوال الشاه وبقاء النظام، بمثابة قتل الحية وتربية حربشها». (صحيفة جمهوري اسلامي بتاريخ ١٩٧٩/٦/٢٥).

(٢٥) ـ هنأ كارتر وبريجنيف وهوا كوفنغ وباقي رؤساء الكتلتين الشرقية والغربية الشاه بذكرى ميلاده معلنين دعمهم له في تلك الظروف العصيبة.

فقد جاء في برقية كارتر: «جلالة الشاهنشاه محمدرضا بهلوي، شاهنشاه ايران ـ طهران.

نقدم لك ـ انا وروزالين ـ أسمى آيات التبريك في ذكرى مولدك، وكما اكدنا لك في الماضي، فاننا نراقب الوضع في ايران باهتمام كبير خلال الاشهر الماضية، وأنا أعلم بأن الاضرابات الأخيرة قد اشغلت ذهن جلالتك، لكنني واثق من أن جلالتك وقد

استطعت خلال ٣٧ عاماً دفع بلادك نحو التقدم والازدهار بهمة عالية وثقة بالنفس، سيتمكن من اجتياز المرحلة الحالية متغلباً على المشاكل كافة، وسيصبح الشعب الايراني شعباً قوياً مقتدراً بفضل برنامج الاصلاحات السياسية الذي طبقته.

جلالة الشاه: إسمح لي أن اؤكد لك ـ مرة أخرى ـ أن الولايات المتحدة الاميركية تدرك جيداً أهمية العلائق العريقة التي تربطها بايران، وما تحظى به من أهمية كبرى لدى الجانبين، وسيتواصل تعاون شعبينا من أجل توفير السعادة لكل العالم. وتقبّل أحر تحياتي ... جيمي كارتر» (نقلاً عن الصحف المسائية ليوم ـ ١٩٧٨/١٠/٢٨)

(٢٦) ـ يوم الجمعة ١٩٧٨/١٠/٣ التقى علي أميني بشريعتمداري في قم لعدة ساعات، وفي اليوم التالي عكست صحيفة اطلاعات هذا اللقاء مايلي:

قال آية الله شريعتمداري في معرض الاعلان عن مطاليب العلماء التي لاتنفصل عن مطاليب الشعب: مانريده هو الالتزام بالدستور فنحن لانطمع بمنصب، وأساساً فإن علماء الشيعة لايريدون تولّي مقاليد الامور. وحينما نطالب بإقامة حكومة اسلامية فاننا نعني بذلك أن تقوموا انتم السياسيين بمراعاة الأحكام الاسلامية كافة، وتشكلوا حكومة مؤلفة من القوى التقدمية الاسلامية والوطنية، وتوفروا ارضية سليمة لاجراء الانتخابات. إن العلماء لايمكنهم غض الطرف عن مصير ٣٥ مليون مسلم، وعندما يتم تشكيل المجلس الوطني (البرلمان) فان على العلماء ـ وطبقاً للدستور ـ الاشراف على سن القوانين والمصادقة عليها. ومادام المجلس الحالي لايحظى بثقة الناس، واكثر النواب لم ينتخبهم الشعب، فكيف يمكن ممارسة هذا الاشراف؟ وعندما طلبوا منا انتخاب خمسة علماء لهذا الاشراف أجبنا بأنه متى ما جرت انتخابات حرّة، فسنقوم عندها بأداء مسؤولياتنا.

وفي هذا اللقاء طرح الدكتور علي اميني ـ بدوره ـ وجهات نظره واكد انه يبذل مساعيه الحثيثة لدعم بعض قوى المعارضة التي تؤمن بالدستور والعلماء التقدميين».

وقد وجد أمين في هذا اللقاء أملاً كبيراً في امكانية تحطيم حاجز العلماء واعادة الاوضاع الى سابق عهدها. وقد نشرت صحيفة اطلاعات تفاصيل اللقاء وما طرحه أميني من اعتراف بالإمام الخميني ودوره، وفي نفس العدد من الصحيفة ـ والذي كان آخر عدد يصدر لها قبل الإضراب الذي دام شهرين ـ أوردت الصحيفة تصريحاً للامام الخميني نقلاً عن وكالة الانباء الفرنسية قال فيه:

«النظام الحالي يجب أن يتغير، لقد أراد هذا النظام فتح الحوار مع عدد من المعارضين، لكن الوقت قد فات. لقد أخبرنا المتحدثين باسم المعارضين، أمثال الدكتور اميني والدكتور سنجابي أنهم متى ما قبلوا بالمفاوضات مع النظام فسيطردون من المعارضة».

(٢٧) ـ قال الدكتور سنجابي زعيم الجبهة الوطنية لدى توجهه الى باريس:

«أعتقد ان ذهابي الى باريس واللقاء بآية الله العظمى الخميني هو أهم عمل يمكن أن أؤديه في المرحلة الحالية، حيث وصل الغليان الشعبي ذروته وقتل المئات من أبناء الشعب، وقد ذهب صديقنا المهندس بازركان الى باريس لنفس الغرض فالجبهة الوطنية كانت ولازالت حامية للدستور، وتعتبر مواده الثابتة تقدمية وصالحة للتطبيق في كل زمان، وكل مافي الامر أن مواده

يجب ان تطبّق كلّها معاً، لاأن تطبّق المواد التي تعود بالنفع على رأس الهرم القيادي فقط.

(٢٨) ـ قال سنجابي في مقابلة صحفية له بتاريخ ١٩٧٩/١/٩ حول لقائه بالامام:

«زرت الامام باعتباري فرداً مسلماً وايرانياً، وباعتباره قائداً حاضراً في جميع مايحدث في ايران اليوم وقد اكدت للامام بأنني أُشهد اللّه على أنني لاارتبط بأية جهة سياسية للنظام سواء بشكل مباشر اوغير ذلك، ولاعلاقة لي بأية جمعية سرية او علنية، ولم التقِ بأيّ من مسؤولي الحكومة او البلاط، بل جئت لباريس لأوضح لكم وجهة نظر الجبهة الوطنية فقط». هذا الحديث يدل على الشروط التي كان يطلب توفُّرها فيمن يريد اللقاء به من رجال السياسة.

ويضف الدكتور سنجابي: «لقد أعددت مشروعاً من ٣ مواد وكتبته هنا بخطّي أنا وارسلته الى الامام، حيث اضاف عليها كلمة «الاستقلال» وعلى الفور وقعت الورقة وأرسلتها إليه في اليوم التالي، وقلت له هذه الورقة ستبقى سنداً ومنهاجاً لعملنا فأجاب: أعلنوا هذه المواد الثلاث. فخرجت الى باحة الدار وقرأت مافي الورقة في جمع يضم حوالي ١٠٠ شخص، حيث تناقلته وكالات الانباء بسرعة وكانت المواد الثلاث هي:

١ ـ النظام الحالي يفتقد القاعدة القانونية والشرعية بسبب انتهاكه المستمر للدستور وممارسته الظلم والجور وإشاعة الفساد والخضوع امام سياسات الأجانب.

٢ ـ ان الحركة الوطنية الاسلامية في ايران لايمكنها أن تؤيد أية حكومة تتشكل في ظل النظام الملكي غير الشرعي.

٣ ـ نظام الحكم في ايران يجب ان يقوم على أساس الاسلام والديمقراطية والاستقلال من خلال الاعتماد على آراء الشعب».

ويلاحظ أن الدكتور سنجابي ذهب الى باريس ممثلاً عن الجبهة الوطنية ظناً منه بأنه سيُطلع الامام على حقائق الامور في ايران ليوجد نوعاً من المساومة في موقفه، لكنه التقى الامام بصفته الشخصية وهناك أدرك أن الامام على علم كامل بما يجري داخل ايران، مما اضطر سنجابي الى الانصياع لرأي الامام دون مناقشة، حيث أصدرت الجبهة بعد ذلك بياناً من ثلاث مواد تعلن فيه الطاعة للامام، لكننا نرى ـ فيما بعد ـ عضواً آخر من هذه الجبهة يرتمي في أحضان الشاه. فقد قبل شاهبور بختيار تولي رئاسة الوزراء فخالف ـ بذلك ـ المواد الثلاث للجبهة، مما أوجد مشاكل جديدة في طريق الثورة كانت اميركا المخطط لها.

(٢٩) ـ شارك مؤلف هذا الكتاب في حوادث ذلك اليوم، فقد كانت له كلمة في اجتماع القضاة قال فيها «زملائي الاعزاء، نمر اليوم بلحظات تاريخية حساسة، فشعبنا بجميع فئاته نهض اليوم ضد الظلم والجور، وإن المرحلة التي نمر فيها من حياة بلادنا لم يسبق لها نظير في التاريخ، ولن يكون لها نظير في المستقبل ايضاً. فالنظام محاصر من كل الجهات، وقد اتضحت اليوم الكثير من جرائم النظام الفاسد، وانكشفت للعيان جوانب من ممارسات النهب التي تمارسها الحكومة.

لقد أدركنا اليوم مدى التعذيب والمجازر والجرائم التي ترتكب ضد أبناء هذا البلد الأحرار المسلمين، بالرغم من أن النظام حاول التعتيم على كل ذلك، لقد طلع علينا شريف إمامي الخادم القديم للاجانب، بثوب جديد، من خلال مايسميها بحكومة الوفاق الوطني، في محاولة أخرى للحفاظ على مصالح ووجود الاستعمار في هذا البلد. ورأينا كيف أن اعلان الحكم العسكري أدى الى مقتل الناس العزّل بالجملة.

لقد مضى ذلك الوقت الذي كنا نطلب فيه من الحكومة تقديم مشروع قانون الى المجلس لإعطاء السلطة القضائية مزيداً من الصلاحيات، فالحكومة اليوم لاعلاقة لها بالشعب بل هي توجه رصاصها الى قلوب أبناء الشعب. فكيف نطلب شيئاً من هذه الحكومة وهي التي لاتملك أية صفة قانونية؟ كيف نريد من المجلس المصادقة على منحنا صلاحيات أكثر، وهو المجلس الرستاخيزي الذي يأمر أحد اعضائه وهو «سردارجاف» بـإطلاق النار على جموع الشعب في منطقته؟ ماهذا البيان الذي اعددتموه.

ان على الجهاز القضائي ان يعلب دوراً بنّاءً في هذه النهضة التي يقودها مرجع الشيعة، لا أن نطلب صلاحيات من هذه الحكومة. علينا ان نعلن احتجاجنا على التدخل الأجنبي الذي يستهدف حماية هذا النظام الفاسد. أمعنوا النظر في تصريحات وزراء خارجية الدول الكبرى وانظروا كيف يدعم هؤلاء الحكومة المعادية للشعب، متجاهلين كل هذه المذابح التي ترتكب ضد الشعب علينا ان نضع حداً لهذه المذابح التي ترتكب بحق الشعب الاعزل عن عمد.

الاسلحة التي اشتريت من ثروات الشعب يجب ان تستخدم على الحدود دفاعاً عن استقلال البلاد، وليس في شوارع المدن وازقتها لتطلق رصاصها في صدور الناس. هذا البيان الذي اعددتموه يعد انحرافاً عن جادة الصواب، فلا الحكومة ولا المجلس الرستاخيزي المفضوح يملكان أهلية للمصادقة على قانون للجهاز القضائي. إن الجهاز القضائي يتحمل في هذه المرحلة، مسؤوليات حساسة وخطيرة عليه النهوض بها ليظل الى جانب أبناء الشعب». (راجع كتاب (نظرة الى تاريخ القضاء) باللغة الفارسية/ الصفحتان ٨و٩) .

(٣٠) ـ الاحصاءات التي توفرت حول عمالة أعضاء حكومات هويدا واموزغار وشريف امامي وأزهاري هي كالاتي (القياس على أساس ٥٩ شخص من مجموع ١٠٠ شخص) : ٣٨٪ من الماسونيين، ٢٤٪ مرتبطون بالمخابرات المركزية الاميركية و ١١٪ أعضاء في الساواك.

(٣١) ـ عقب سقوط حكومة شريف امامي، وصل بيان الامام الى الشعب، حيث جاء فيه:

« ... اقدم شكري للشعب الايراني الشريف الذي أسقط بشجاعته عروش الظلم الواحد تلو الآخر، وحطم هذا الصنم الشيطاني بصموده وبطولاته اعزائي .. اصبروا وصابروا فالنصر قريب والله مع الصابرين. فبصمودكم سترفعون هامات جيل المستقبل، فايران أضحت اليوم معقلاً للاحرار، لاتدعوا الخوف يأخذ طريقه الى قلوبكم، وهكذا عهدي بكم. ولاتصغوا لوساوس عبيد الجهاز الظالم الحاكم. فشجاعتكم أضحت حديث العالم، وقدوة لكل التحرريين. إنني ومن هذا المكان البعيد، أعلّق عليكم الآمال، وسأقدّم لكم كل مافي وسعي لخدمة الحق وقد أوصلت وسأواصل إيصال نداءكم التحريري الى أسماع العالم أجمع» .

(٣٢) ـ صادف يوم الجمعة ١٧ تشرين الثاني ١٩٧٨، عيد الجيش الايراني فكانت جموع الشعب تنثر الزهور على العسكر في الشوارع وتناديهم بـ«الاخوان» وتدعوهم لدعمها. اما قادة الجيش فقد أقاموا احتفالاً واستعراضاً بالمناسبة، عرضوا خلاله آلاف الصواريخ فكان بمثابة عرض للعضلات أمام الشعب.

أما الشعب فقد واجه ذلك بباقات زهور، مؤكداً للعسكر ان الجيش يجب ان ينضمّ الى الشعب، لأن يصبح اداةً بيد الاجنبي.

(٣٣) ـ الجيش الشاهنشاهي الذي كان يعتبر القلعة الحصينة للنظام الملكي والذي كان الشاه يشيد به باستمرار، ويستند اليه في القيام بالممارسات المخالفة للقانون، أصبح مهدداً بالانهيار من الداخل، فقد بدأ المتدينون داخل الجيش بالتحرك انطلاقاً من واجبهم الديني. فقام شخصان هما سلامتبخش وأُميدي عابد باطلاق النار داخل مطعم الضباط على من فيه ظهر يوم العاشر من محرم فبعثت هذه الحادثة الرعب في قلوب قادة الجيش (صحيفة اطلاعات/١٧ تشرين الثاني ١٩٨٠) .

(٣٤) ـ اعلنت الحكومة العسكرية في اوائل محرم حرية إقامة مجالس العزاء يومي التاسع والعاشر ـ كما قللت ساعتين من

المدة اليومية المقررة لمنع التحول، وكانت تأمل ان يكتفي الناس بمواكب العزاء الحسيني، لكنها واجهت مسيرات حاشدة، ولافتات معارضة للنظام، وكان الأوان قد فات للتصدي لها. وهكذا التزمت الحكومة الصمت بينما شهدت المسيرات المليونية ذروتها.

(٣٥) ـ المئات من المصورين الصحفيين سجلوا بكاميراتهم مشاهد هذا التجمع الحاشد. عدد منهم كان قد صعد على سقوف سيارات تتحرك داخل الجموع، بينما كانت الجموع تطلق شعار «الخميني قائدنا» و «الله، القرآن، الخميني» وترفع يافطات تحمل عبارات مثل «الحكومة الاسلامية بقيادة الامام الخميني هي مطلب كل الشعب».

(٣٦) ـ نص البيان الذي صدر في ختام مسيرات التاسع والعاشر من شهر محرم في ذلك العام كان كالآتي:

بسم الله الرحمن الرحيم

في هذا اليوم التاريخي المظيم، حيث تحل ذكرى استشهاد ملهم الاحرار وإمام الثائرين والمسلمين، الامام الحسين بن علي (ع) واصحابه الاوفياء، يجدد الشعب الايراني ـ بكل طبقاته وفئاته ـ بمسيرات عظيمة قل نظيرها، التحامه وسيره على نهج ثورة كربلاء التاريخية وأهدافها المقدسة. ويعلن في نهاية هذه المسيرات مايلي:

١ ـ ان سماحة آية الله العظمى الامام الخميني هو قائد الامة، ومطاليبه هي مطاليب الشعب كله. وهذه المسيرة هي بمثابة ثقة تامة يمنحها الشعب من أعماق قلبه ووجدانه وروحه لقائده، تقديراً من الشعب المسلم لزعامته وجهاده المرير.

٢ ـ نطالب باسقاط الشاه وإلغاء النظام الملكي الاستبدادي وإنهاء كل اشكال الاستعمار الخارجي الذي التقى مع الاستبداد الداخلي في نهجه وأهدافه، ونطالب باستقلال حقيقي وامساك الشعب بزمام أموره.

٣ ـ نطالب بـإقامة حكومة إسلامية عادلة استناداً الى رأي الشعب والحفاظ على استقلال البلاد ووحدة أراضيها وتوفير الحريات الفردية والاجتماعية وفقاً للمعايير الاسلامية.

٤ ـ نغتنم فرصة تزامن هذه الايام المقدسة، مع ذكرى اعلان الميثاق العالمي لحقوق الانسان ونعلن أن حركتنا لاتستهدف تأمين الحقوق الطبيعية والفطرية للبشر فحسب، بل إن الاسلام نفسه هو الذي وضع اسس حقوق الانسان.

٥ ـ لابد من اجتثاث جذور كل أشكال الاستعمار والاستغلال والتبعية للامبريالية الشرقية والغربية والقوى السلطوية الأجنبية واستبدالها بعلائق سليمة على أساس مصالح وحقوق الجانبين، مع كل الدول التي لاتملك أطماعاً او مواقف خيانية حيال بلدنا.

٦ ـ صيانة الحقوق السياسية والاجتماعية لجميع أفراد المجتمع، والاقليات الدينية وجاليات الدول الاخرى المقيمين في ايران.

٧ ـ نطالب بمنح الحرية الحقيقية المستندة الى العفة والشرف والكرامة الإنسانية للمرأة التي حضيت باهتمام الاسلام، وكذلك توفير سبل نمو جميع الابداعات والمواهب النسائية بشكل بناء.

٨ ـ نطالب بـإقرار العدالة الاجتماعية وتأمين حقوق العمال والفلاحين.

٩ ـ نطالب باجتثاث جذور كل أشكال التفرقة والتميز القانوني والاجتماعي واستغلال الانسان بواسطة اخيه الانسان، وجني الأرباح غير المشروعة والهيمنة الاقتصادية التي تؤدي الى تكدُّس الثروات لدى قلّة من الناس الى جانب الفقر والحرمان لدى غالبية أبناء الشعب.

١٠ ـ نطالب بتحقيق الاستقلال واحياء الزراعة ودعم القطاع الصناعي المستقل للوصول الى الاكتفاء الذاتي والتخلص من التبعية للأجانب.

١١ ـ نؤيد اضرابات العاملين في مؤسسات القطاع الخاص والحكومي الذي وجه صفعة قوية للنظام المنهار،الى الحد الذي لايخلق مصاعب في تأمين الحاجات اليومية للشعب.

١٢ ـ نوصي الشعب البطل بالصبر على شحة بعض المواد حتى يتسنى له اجتياز هذا النفق المظلم. وذلك يستلزم تعاضد الجميع وتعاونهم من اجل سد الحاجات الضرورية للآخرين، كما ندعو الى تحاشي عمليات احتكار السلع الضرورية.

١٣ ـ نحن نعتبر إنزال الجيش الى الشوارع ووضعه في مواجهة الشعب خيانة كبرى للجيش والشعب معاً وعلى الجيش الايراني أن يعلم أن واجبه الاسلامي والانساني والوطني يقضي بوقوفه بوجه أعداء الشعب وليس الشعب نفسه.

١٤ ـ الاعلام الفارغ للنظام، بخصوص الاختراق الشيوعي الدولي للتحرك الاسلامي والوطني الايراني ولجوء النظام الى أساليب الإجرام وافتعال الحرائق لتشويه سمعة الحركة الإسلامية، لن تحقق أهدافه في ثني امتنا الواعية المؤمنة بالقرآن والاسلام وحب الوطن، عن مواصلة ثورتها.

١٥ ـ نحيي الأرواح الطاهرة لشهداء الحركة الاسلامية في ايران وخاصة شهداء السنوات الخمس عشرة الاخيرة التي كانت لها الدور الكبير في دفع مسيرة الثورة الى الأمام استلهاماً من مدرسة الحسين بن علي (ع) الذي ضحى بدمه من أجل اهدافه المقدسة.

١٦ ـ نشدد على ضرورة إطلاق سراح جميع السجناء وإعادة جميع المبعدين بتهمة الدفاع عن الحق والاسلام والوطن.

١٧ ـ ولتحقيق الاهداف السالفة الذكر فإن جهاد الامة الواعية سيستمر بشتى الاساليب حتى تحقيق النصر، ولن تنفع كل الدسائس والمؤامرات والممارسات الحكومية في ثني الامة عن هذا التحرك التحرري.

النصر للجهاد العادل لامتنا المسلمة بقيادة الإمام الخميني»

«لجنة اقامة مسيرات التاسع والعاشر من محرم»

(٣٧) ـ حل الجنرال رحيمي محل أويسي كحاكم عسكري، بعد أن أدرك اويسي أن عقاباً صارماً ينتظره بسبب مذبحة ١٧ شهريور، لذلك رجّح الهرب من البلاد. أما رحيمي فكان ضمن اوائل الذين وقعوا في قبضة الثوار فنفذوا بحقه حكم الاعدام.

(٣٨) ـ قبل سقوط الشاه قال اردشير زاهدي ـ سفير ايران في أميركا خلال عهد الشاه ـ: إن يأس كارتر من الشاه أوقعه في خطأ كبير، لأن اميركا لو تركت الشاه يسقط، لخرجت ايران من قبضتها الى الابد (صحيفة آيندكان ١٩٧٩/١/١٤ نقلاً عن وكالة الصحافة الفرنسية).

(٣٩) ـ عندما كان الامام في باريس، كان العالم يتابع حديثه وتصريحاته بدقه، ولهذا فقد تدفقت على «نوفل لوشاتو» اعداد كبيرة من الصحفيين، ليتمكنوا من نقل أخبار الامام وتصريحاته الى العالم بأقصى سرعة. فقد كان العالم قد أيقن أنه زعيم ايران المقبل. ولكي نعرض شيئاً من آراء الامام بخصوص اوضاع ايران والعالم آنذاك ننقل جانباً من الاسئلة التي كان يطرحها عليه الصحفيون، وهي اسئلة الدكتور جيم كوكّرفت استاذ جامعة روتكرز الاميركية في ٢٨ ديسمبر ١٩٧٨:

س ـ ماهو تقييمكم للنضال الحالي وكيف يسير؟

ج ـ جهاد الشعب الايراني بلغ الآن ذروته، وآمل ان نستطيع في المستقبل القريب طرد الشاه من البلاد، فالشعب الايراني يعي أهدافه وجهاده جيدا، ويدرك مدى صعوبة الطريق الذي سلكه، لكن النصر سيكون حليفه باعتماده على إيمانه وإرادته.

س ـ ما رأيكم بالحكومة الإئتلافية؟ وماهي الخطوة الاولى للحكومة الاسلامية؟

ج ـ لقد قلت مراراً بأن الشعب وأنا نرفض بتاتاً أية حكومة مع وجود الشاه، وان حكومة كهذه ستقوم بخيانة

الشعب والوطن والاسلام. اننا مصممون على اجتثاث جذور هذه المآسي، وأعني أننا سنطرد الشاه من ايران.

س - كيف ستعاملون الاقليات الدينية في ظل الحكومة الاسلامية كالمسلمين السنة، والصوفية، والآشوريين والمسيحيين، والأرمن واليهود والبهائيين؟ وهل سيكون للمرأة دور في النشاطات العسكرية مستقبلاً؟

ج - أولاً: إن الاخوة اهل السنة ليسوا من الاقلّيات الدينية أبداً، وقد اكدت مراراً بان معاملتنا للاقلّيات الدينية ستكون حسنة جداً، فالاسلام يحترمها، وسنمنحهم جميع حقوقهم. فسيكون من حقّهم انتخاب نائب لهم في مجلس الشورى، وسيمارسون نشاطات سياسية واجتماعية بكل حرية، كما سيمارسون طقوسهم الدينية بكل حرية، إنهم ايرانيون وسيتمتعون بالأمان في ظل الجمهورية الاسلامية. وبإمكان المرأة المشاركة في المجالات العسكرية كما هو الحال مع باقي المجالات. وفي صدر الاسلام، كانت النساء في الجبهات وكنّ يتولّين رعاية شؤون الجرحى.

س - هل سيتمتع البهائيون بالحريات السياسية والدينية في ظل الحكومة القادمة؟

ج - لن تعطى الحرية للاشخاص الذين يضرون بالبلاد.

س - وهل ستعطى حرية اقامة المراسم الدينية لهم؟

ج - كلا.

س - لو قطعتم علائقكم مع اسرائيل لقولكم انها ظلمت شعبكم، الا تعتقدون أن عليكم ان تقطعوا علائقكم مع بعض الدول العربية لنفس السبب؟

ج - نحن ضد كل دولة تريد ممارسة الظلم، سواء كان هذا البلد شرقياً ام غربياً. لكن اسرائيل اغتصبت حقوق العرب، وسنقف بوجهها، فضلاً عن أنها من أكبر حماة الشاه والمسؤولة عن إدارة شؤون الاعلام الساواكي. اذن فهي شريكة للساواك والشاه في كل جرائمها (صحيفة كيهان: ١٤/أيار/١٩٨٠).

(٤٠) - أدّى بختيار القسم خلال إلقائه خطاباً مكتوباً له عبر الاذاعة والتلفزيون العسكري، ودعا الناس الى الهدوء، محاولاً فرض «مصالحة وطنية» على الشعب كما فعل قبله شريف إمامي، أما الآن، وبعد المذابح الوحشية، فقد ارتدى لباس المعارضة للشاه والحكومة، لكنه كان يسعى في السر الى خدمة الشاه وحكومته.

وفي تصريحاته يؤكد بختيار القول (أنا اعرف - اكثر من غيري - معاناة الشعب الايراني)، كما ألقى مسؤولية كل الحوادث التي مرت خلال ٢٥ عاماً على عاتق جميع المسؤولين مستثنياً الشاه منهم. وواصل خطابه قائلاً: (انا وانصاري في الجبهة الوطنية وحزب ايران، لم يكن لنا اي دور في الحوادث التي وقعت. وها نحن اليوم نشاهد نتائجها المأساوية فقط.

وبالرغم من أن ضميرنا لا يؤنّبنا، إلا أن مسؤوليتنا الوطنية لم تنته. بل إننا (أنا وأنصاري) نأخذ هذه الامور بنظر الاعتبار في أحاديثنا وكتاباتنا.

إنني وفيٌّ لجميع أفكاري ومعتقداتي السياسية خلال الثلاثين عاماً الماضية! وسأسخّر كلّ الامكانات والصلاحيات القانونية المتاحة لتحقيق تلك الأهداف. وانا على استعداد لإناطة هذه المسؤولية الجسيمة، بأي شخص ايراني يتطوع للتضحية من أجلها. وأنا لست على استعداد لترك البلاد تسير نحو الدمار، حتى لو كلفني ذلك حياتي وكرامتي. وباعتباري ابن أحد زعماء الحركة الدستورية، ومن أكثر الأنصار وفاءً لقائد الشعب العظيم الدكتور محمد مصدق، أُقسم هنا بأنني سأتصدى - وحتى آخر نفس - لكل من يريد تقسيم ايران ويرفع علماً غير العلم الايراني.

اقسم بأن أكون مبلّغاً للاسلام في وطني، وأن أُكنّ الاحترام لكل الاديان الاخرى المعترف بها.

اقسم بان اطلق سراح جميع السجناء السياسيين، وأُقسم بأنني سأمنح الحريات السياسية والاجتماعية التي نص عليها الدستور

والاعلان العالمي لحقوق الانسان، وسيتم اطلاح سراح كل السجناء السياسيين. الحكومة العسكرية سيتم إلغاؤها تدريجياً، ليكون الجيش مستعداً للدفاع عن حدود البلاد. الجيش الايراني لايمكنه الانفصال عن الشعب. فنحن جميعاً اخوة، من دم واحد ودين واحد، كما سأضع الترتيبات السريعة لعودة صدور الصحف الحرة المستقلة وفق القوانين الجارية، وبعيداً عن كل أشكال الرقابة.

سأعالج الامور بدقة، وسأفعل مايضمن تقديم الدعم المادي والمعنوي لعوائل شهداء الأشهر الثلاثة الأخيرة.

وبإمكان جميع الاحزاب السياسية القانونية بدء نشاطاتها السياسية حالاً، وبامكان الاحزاب الممنوعة الحصول على الترخيص شرط عدم ارتباطها بالخارج.

وهكذا، ومع الاخذ بنظر الاعتبار الاوضاع الخطيرة في البلاد، واستناداً الى التجربة التي خضتها خلال ثلاثين عاماً من العمل السياسي، أطلب من جميع المواطنين الكف عن كل الممارسات التي تؤدي الى التخريب والقتل وإرباك الهدوء العام، فإن لم تشهدوا خلال فترة مناسبة الوفاء بوعودنا فستكونون أحراراً في تغيير موقفكم. لكن على أعداء البلاد أن يعلموا بأنني قبلت عبء هذه المسؤولية وانا على علم تام بالاوضاع المؤسفة التي تمر بها ايران، وآمل ان أستطيع معالجة الاوضاع اعتماداً على ايمان الشعب العزيز ودعمه لنجعل من البلاد، بلداً ديمقراطياً اشتراكياً حقيقياً.

اطلب من الله تعالى والذين يعرفونني جيداً العون، ولن يثنيني أي خطر او تهديد عن مواصلة خدمتي) .

(٤١) ـ يقول هادينك كارتر، المتحدث باسم الخارجية الاميركية، إن اميركا طلبت من الجيش يوم الجمعة تقديم الدعم الكامل لحكومة بختيار والامتناع عن القيام بانقلاب عسكري لأن ذلك لن يحل مشاكل ايران ابداً، وأبلغت الجيش الايراني بأنها ـ أي اميركا ـ بانتظار كسب حكومة بختيار ثقة البرلمان. كما دعا وزير الخارجية الاميركي آنذاك (سايروس فانس) الجيش الايراني لنفس الامر لأن عدم نجاح بختيار في هذه المهمة، سيقوي احتمال حدوث انقلاب عسكري.

وقد أُنيطت مهمة ترطيب الاجواء بين بختيار وقادة الجيش بالجنرال الاميركي (هويزر) الذي كان يقيم في ايران، ويذكر أن قضية الوضع في ايران قد نوقشت في مؤتمر غوادالوب من قبل الحلفاء الاساسيين لأميركا ومنهم فرنسا.

(صحيفة آيندكان ١٩٧٩/١/١٤ نقلاً عن وكالة الصحافة الفرنسية).

(٤٢) ـ مجرد خروج الشاه من ايران لايغير من الوضع شيئاً، بل يجب اجتثاث جذور هذا النظام الحاكم في ايران، فكل مؤسسات النظام كانت غير شرعية كالنظام نفسه؛ الحكومة ومجلس الشيوخ والنواب ومجلس الوصاية. والشعب سيواصل انتفاضته مصراً على تغيير النظام كله. إن حكومة الشاه كانت تعارض تطورنا الاجتماعي، وفقد البلد كل استقلاله وحريتهُ. إن الحكومة الاسلامية لاتتراجع، إنها لاتعارض التحضر والمدنية، إلا مايمسُّ منها استقرار الشعب واستقلاله، ومايعارض العفة والعقيدة. فالاسلام لايؤيد حرية المرأة فحسب، بل إنه هو الذي وضع أُسس حرية المرأة، في جميع ابعادها (من مقابلة أجرتها مع الامام اذاعة وتلفزيون «لوكسمبورغ» نقلاً عن صحيفة كيهان في ١٩٧٩/٦/١).

(٤٣) ـ جاء في بيان للجبهة الوطنية مايلي:

(تفيد التقارير الواصلة أن الدكتور شابور بختيار عضو الجبهة الوطنية الايرانية قد قبل مسؤولية تشكيل الحكومة دون مراعاة الضوابط والمقررات الجبهوية.

إن الجبهة الوطنية لايمكن ان توافق على اية حكومة مادامت تحت ظل النظام الملكي غير الشرعي. والجبهة في الوقت الذي تستنكر فيه تصرف الدكتور بختيار، فإنها تعلن للجميع أن مافعله، لايتطابق مع أيٍّ من أهداف الجبهة الوطنية الايرانية وضوابطها و مقرراتها وعليه فاننا نعلن فصله من عضوية الجبهة.

(۱۹۷۸/۱۲/۳۰ ـ اللجنة المركزية للجبهة الوطنية)

(٤٤) ـ صحيفة كيهان بتاريخ ۱۹۷۹/۸/٦.

(٤٥) ـ من حديث أدلى به الامام للتلفزيون الايطالي في ۱۹۷۹/۱/۱۲، نقلاً عن صحيفة كيهان بتاريخ ۱۹۸۰/٥/٤.

(٤٦) ـ محمدرضا شاه الذي هو آخر ملك حكم ايران، واجه مصيراً لم يكن يقوى حتى على تصوره، ولعل مصيره أصاب بالرعب العديد من الطغاة المعاصرين. فتشرُّد الشاه وبحثه عن مأوى منذ خروجه من ايران وحتى موته في ۲۷ أيلول ۱۹۸۰، على الرغم من امتلاكه الارصدة الضخمة من الاموال، فيه الكثير من العبر والدروس لكل انسان.

وفي ايران، أضفى خبر موت الشاه ـ البالغ من العمر ستين عاماً ـ جواً من الفرح والبهجة على البلد وأخذ الشعب يعبّر عن فرحته بأساليب شتى، فالسيارات اطلقت العنان لابواقها، والحلوى تُوزَّع على المارة في الشوارع. وقد هلك الشاه بعد سنة ونصف من خروجه من ايران، وخلال هذه الفترة، كان يعرض للخطر كل من كان يؤويه، وحتى اميركا لم تستطع ايواءه، والحكومة الاسلامية كان تطالب بتسليم الشاه وامواله التي سرقها من البلاد. وقد دفع عدم استجابة اميركا للطلب الشعب الايراني الى احتلال وكر التجسس الاميركي في طهران الذي كان سفارة لها، واحتجاز الجواسيس العاملين فيها.

إذاعة القاهرة أعلنت موت الشاه دون ذكر اية تفاصيل أخرى فبادرت اميركا واسرائيل وبريطانيا وفرنسا ومصر الى ارسال برقيات التعازي الى عائلته. فقد اصدرت حكومة كارتر بياناً مقتضباً جاء فيه «علمنا أن شاه ايران السابق قد توفي في القاهرة، وبهذه المناسبة يقدم السيد كارتر وعقيلته التعازي لعائلة الشاه ويواسيانها بمصابها» .

اما أنور السادات فقد قال لدى سماعه موت الشاه في احدى مستشفيات القاهرة: (أنا حزين لموت صديق) بينما أعلنت إذاعة سوريا أن عدو الشعب الايراني والعرب (الشاه) مات اليوم ذليلاً الى جوار الرئيس المصري.

كما أصدر مكتب رئيسة وزراء بريطانيا بياناً رسمياً جاء فيه (خلال حكمه الطويل لايران، اقامت الحكومات البريطانية المتعاقبة علائق وثيقة مع الشاه وصداقته لبلادنا لايمكن ان تنسى)، وقال عنه كيسنجر (إنه كان صديقاً حميماً للولايات المتحدة ... لكنه مات وحيداً في القاهرة) وقد أصدر روكفلر بياناً قال فيه: ان على أميركا ان تتذكر الخدمات التي أسداها لنا الشاه خلال سبع وثلاثين عاماً من حكمه. كما شارك الرئيس الاميركي الاسبق نيكسون في تشييع جنازته وقال «كان صديقاً وفياً للولايات المتحدة طيلة ۳۰ عاماً، كما كان صديقاً لي شخصياً، وانه لمن المفجع ان يموت بعيداً عن الوطن» !

ريغن، المشرح آنذاك لرئاسة الجمهورية، قال «موت الشاه يذكّرنا بأن نقف دائماً الى جانب أصدقائنا الحقيقيين» . اما اذاعة موسكو فقد اذاعت تحليلاً سياسياً جاء فيه (ان القوى الامبريالية هي التي أوصلت الشاه الى الحكم، ولهذا فقد كان يعتمد عليها خلال ممارساته القمعية والاجرامية بحق شعبه، وهي التي ارسلته الى مصر لتجعل منها قاعدة للعمل المضاد لايران ..) . ولا يفوتنا ان نذكّر بأن الاتحاد السوفيتي كان يتخذ المواقف التي تنسجم مع مصالحه، حتى في عهد الحكم الاستبدادي للشاه، وقد مر بنا كيف أنه وقف الى جانب الشاه في توجيه الاتهامات الباطلة لانتفاضة ٥ حزيران (۱۹٦۳م).

(٤٧) ـ طائرة الشاه الخاصة التي عاد بها طيارها من المغرب الى ايران تعتبر من أغلى الطائرات في العالم، فهي من طراز بوينغ وفيها من التجهيزات الترفيهية والكمالية ماقيمته ۳۰۰ مليون تومان، فضلاً عن الديكورات المصنوعة من الذهب والبالغة قيمتها ۱٥ مليون تومان، وأجهزة التلكس والهاتف وغيرها، البالغة قيمتها ٤٠ مليون تومان. و ٦ دوائر تلفزيونية داخلية.

وفي الطائرة ٦ مرافق صحية؛ خمسة منها لسائر الركّاب المرافقين للشاه وواحدة في مقدمة الطائرة خاصة بالشاه وزوجته، كلها من الذهب، بدءاً من مقبض الباب وحتى المقعد وأصغر قطعة او جهاز فيها.

وفي صالة الطعام توجد منضدة تتكون من (٤٠) قطعة مرصّعة بالجواهر، استغرقت عملية صنعها (٦) آلاف ساعة

وانفقت عليها ملايين التومانات.

اما غرفة النوم فليست أقل من باقي الاقسام بذخاً وترفاً، ففيها الكثير من المناظر والديكورات والاثاث الثمين، حتى انها تعتبر لوحدها متحفاً صغيراً، وجميع مقابض الابواب مصنوعة من الذهب الخالص، وهكذا جميع حنفيات الحمام والساعات الجدارية.

وفي غرفة العمل الخاصة بالشاه توجد عدة ساعات تشير الى الوقت حسب أنواع التوقيت ففضلاً عن التوقيت المحلي، تشير الى توقيت غرينتش وتوقيت المقصد الذي يتوجه اليه، عن أجهزة ومقاييس تشير الى سرعة الطائرة وارتفاعها واتجاهها.

ويقول طيارها انه لا توجد طائرة أغلى من هذه غير طائرة الآواكس. فالمطبخ يضم أواني وأدوات طبخ ذهبية وفضية نفيسة. وهكذا صالة الطعام التي يوجد فيها بار مخصّص للمشروبات الكحولية صُنع من أغلى أنواع الخشب.

كما كان الشاه يملك طائرات أخرى مشابهة خاصة لباقي أفراد العائلة، وتتجاوز قيمة طائرات الشاه وعائلته ثلاث مليارات تومان. وفي رحلة العودة الى البلاد، بلغت كلفة وقود طائرة الشاه (شاهين) التي غادر بها ايران (٧٨) ألف تومان. ويتألف طاقم الطائرة ـ فضلاً عن الطيار ـ من ثلاثة رجال وامرأة واحدة كانت مسؤولة عن ملابس زوجة الشاه (فرح ديبا) وأحد الثلاثة مسؤول عن الحقائب والكلاب الخاصة بالشاه داخل الطائرة، فقد كان لديه ٩ كلاب ترافقه في حله وترحاله! (صحيفة اطلاعات ـ ٢٠/شباط/١٩٧٩) .

(٤٨) ـ تمت قراءة بيان الامام الخميني امام اكثر من ٥٠٠ صحفي بتاريخ ١٩٧٩/١/١٦ وجاء فيه:

١ـ ان خروج الشاه من ايران هو بداية المرحلة الاولى لانتهاء سلطة النظام البهلوي المجرم التي دامت ٥٠ عاماً، وقد تحقق هذا بفضل الجهاد البطولي للشعب الايراني. وانني هنا أُهنئ الشعب الايراني على اجتيازه هذه المرحلة بنجاح وسأُوجه بياناً الى الشعب قريباً.

٢ـ سنعلن قريباً عن اسماء اعضاء الحكومة الانتقالية المؤقتة التي ستتولى اجراء انتخابات مجلس المؤسسين والمصادقة على الدستور الجديد.

٣ـ ساعود الى ايران في اول فرصة سانحة.

(صحيفة كيهان ١٩٧٨/٦/١٦).

(٤٩) ـ صحيفة اطلاعات/العدد ١٦١٦٩/٢٢تموز ـ يوليو ١٩٨٠.

الفصل الثامن عشر

انتصار الثورة الاسلامية
وسقوط النظام الملكي

١ ـ نظرة عامة:

غادر الشاه ايران وهو في ذروة اليأس، فالجيش الذي كان يعتبره قلعته الحصينة فقد قوّته، والضباط الكبار قلقون من المستقبل، وبختيار الذي جاء الى الحكم بعد اجتماع قمة (غوادالوب) مصحوباً بدعم اميركا له، لم يكن يتمتع باي قاعدة شعبية، والقوة الحقيقية كانت بيد الخميني المنفي من وطنه والمصمم على العودة إليه، والذي كان يقود الامة من باريس.

عبر تلك المسافات الطويلة، كان الخميني يطلب من الشعب الاضراب، فيعم ذلك ارجاء البلاد، ويأمر الجنود بترك المعسكرات فيمتثلون. كان يوقف ـ وهو في باريس ـ تصدير النفط الايراني، ويعلن عدم شرعية مجلس الوصاية ويجبر رئيسه على الاستقالة، ويأمر باغلاق مباني الوزارات بوجه الوزراء، ويأمر اعضاء المجلس بالاستقالة، كان يفعل كل مايريد ـ باذن اللّه ـ بـإرادة وعزم راسخين.

اما بختيار فقد حاول إضفاء الشرعية على حكومته، والسعي لاستمهال الامام، وتجميع أكبر عدد من الانصار وقد أعلن استعداده للسفر الى باريس والتفاوض مع الامام، وتعديل الدستور وفق مايشاء الامام وبذلك كان يسعى لكسب عدد من العلماء الى جانبه[1]، لكن المؤشرات كانت تؤكد فشله الحتمي إنه حصل على الثقة من المجلس الذي يفتقد نفسه الى الشرعية. وقد اعتقل بعض رجال الحكم للتمويه، وتظاهر بالتستر تحت اسم مصدق واعلن اتباعه لنهجه، ومن أجل ذلك أعلن عن تشكيل تجمع «طريق مصدق»، إلاّ أن الثورة كانت قد وصلت الى مرحلة متقدمة بحيث يمكنها أن تحطم كل عقبة توضع في طريقها. وهكذا كان الزوال مصير هذا التجمع الخاوي.

ايران كانت مركز الاخبار.. مئات المراسلين تدفقوا على ايران لمشاهدة مجريات الجهاد الشعبي الدامي، مسؤولو الطيران المدني قرروا إرسال طائرة خاصة تقلّ الامام الى الوطن لكنّ النظام حال دون ذلك. الشعب الغاضب أقام تجمُّعات حاشدة أمام الجامعة وفي الشوارع المؤدية

الى المطار، وكانت شعاراته تخاطب بختيار بالقول «ان لم يأت الامام غداً فانتظر الرشاشات».

أما الامام فقد تحدث في مقابلة صحفية بعد إعلان اغلاق المطارات بوجهه قائلاً:

(اشكر الايرانيين الذين عاضدوني، وكنت أود لو اكون غداً مع أبناء الشعب لاشاركهم مايعانونه من الألم، إلا ان الحكومة الخائنة حالت دون ذلك وأغلقت جميع مطارات ايران. لكنني سأعود الى ايران بمجرد فتح المطارات، وسأُفهم بختيار بأنه خائن للشعب. فلن نتحمل بعد اليوم وجودكم يا عبيد الاجانب، على هؤلاء ان يعلموا ان زمن الاستهتار والقمع قد ولّى.

إنني أدعو الشعب الايراني الى مواصلة نهضته والتصدي لهؤلاء الصعاليك كما أشكر جميع أفراد الشعب الايراني، واؤكد لهم بأنني ساعود بأسرع وقت لاقتَلَ مع الشعب او استرد حقوقه المغتصبة، وأسأل اللّه التوفيق لكم جميعاً.

على الشعب الايراني أن يعلم أن هذا الشخص الذي يترأس الحكومة إنما يخون حتى قبيلته، تلك القبيلة التي كانت دعامة لايران، وتعرضت للقمع على يد رضاشاه، انه يخون قبيلته، وعلى قبيلة بختيار ان تعلم بان عليها القضاء على هؤلاء الأشخاص الذين يقفون بوجه أماني الشعب الايراني.

وعلى الجيش أن يعلم أن هؤلاء خونة، وعليه ان لايقدم أي دعم لهم. وعلى الايرانيين جميعاً أن يعلموا أن هناك مؤامرة تُدبَّر ضدهم، وعليهم احباطها. فهذه هي الخطوة الاخيرة التي يقدم عليها هؤلاء الخونة، وسنقوم بعون اللّه، بإفشال هذه الخطوة، وسنأتي اليكم قريباً).

ثم سأله المراسل: برأيكم متى سيكون بامكانكم العودة الى ايران؟

أجاب الامام:

(سأعود متى ما ازيلت العقبات وفتحت المطارات، وان كان لابدَّ لدمي من ان يراق، فليرق بين رفاقي والى جانب شباب ايران، ونحن لانخاف أحداً ولانريد سوى عزة الاسلام ورفعة ايران).

فسأله المراسل: هل توصون الناس بحمل السلاح وفتح المطارات بالقوة؟

أجاب الامام:

(حالياً لاأنوي ذلك، وسأفعله متى رأيت مصلحة في ذلك وعندها سأعلن للشعب مايتوجب عليه فعله).

وسُئِل الامام: ألا تنوون الذهاب الى مطار دولة قريبة من ايران ومن هناك تدخلون البلاد؟

فأجاب (رض):

(هذا الامر بحاجة الى دراسة).

وسأله أحد المراسلين: عودتكم قد تؤدي الى إراقة المزيد من الدماء، فهل إنكم تصرُّون على العودة؟

أجاب الامام:

(عليّ أن أكون الى جانب إخوتي).

وأخيراً سُئِل الامام: هل إن ماتقومون به سيكون بداية جهاد جديد؟

فأجاب:

(قد يكون ذلك).

ونعود الى بختيار، فقد ظلّ يحاول تهدئة الأوضاع واسترضاء الامام والادّعاء بأنه قريب من الامام وتظاهر بأنه تقرَّر اللقاء به في باريس، لكن الامام بادر الى نفي هذه الخديعة الجديدة وحذر الامة منها عبر رسالة قصيرة وجهها الى علماء ايران ونشرت بين الناس جاء فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرات حجج الاسلام في طهران وباقي المحافظات (دامت بركاتهم).

ان مانسب اليّ من موافقتي على استقبال بختيار وهو رئيس للوزراء، انما هو كذب محض، وما لَم يستقل من هذا المنصب لن يستطيع لقائي، فانا لااعتبره شرعياً. أيها السادة ابلغوا الامة أن هناك مؤامرة جديدة تُدبَّر ضدَّهم، وعليهم أن لاينخدعوا بهذه اللعب، فانا لم أتحدث ولم اتّفق مع بختيار على شيء، وما نسب اليه في هذا المجال فيما مضى كذب محض. على الشعب ان يبقى على مواقفه وان يحذر المؤامرات.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

روح الله الموسوي الخميني

٢٨ صفر ١٣٩٩

٢ ـ الاعتصام داخل جامعة طهران:

بعدما قرر الامام العودة الى ايران واثر حيلولة النظام ـ الذي توجس منها الخطر ـ دون هذه العودة، اضحت هذه القضية هي المطلب الاول للشعب الغاضب في اجتماعاته الحاشدة واضراباته

واعتصاماته وتظاهراته المليونية، وأصبح مسجد جامعة طهران مركزاً للمطالبة بهذا المطلب الجديد. وقد أعطى اعتصام العلماء ومدرستي الحوزة في جامعة طهران عملية الجهاد الشعبي زخماً أكبر مما أجبر بختيار على فتح المطارات مسجلاً تراجعاً آخر الى الوراء.

٣ ـ الاستقبال التاريخي:

منذ مغادرة الشاه ايران والجميع بانتظار عودة الامام. غالبية الشعب كانت تعتبر هذه العودة نصراً كبيراً وأن وجوده في ايران ضروري لدفع عملية الجهاد بزخم أكبر والحصول على الحرية والاستقلال وإقامة الحكومة الاسلامية. وقد سعت حكومة بختيار ـ وبدعم من أميركا ـ الى تأخير هذه العودة قدر الامكان لفسح المجال أمام حكومة بختيار للسيطرة على الاوضاع، لكن الامام كان قد قرر التعجيل بالعودة للسبب نفسه.

ويوم الاحد الحادي والعشرين من يناير / كانون الثاني ١٩٧٩، ظهرت الصحف المحلية بعنوان كبير يقول «الامام الخميني سيأُمُّ مصلّي الجمعة في طهران». فيما كانت الملايين من الناس تتقاطر على مطار طهران بانتظار العودة المظفرة. موظفو الاذاعة والتلفزيون المضربون أعلنوا أنهم سيعودون الى عملهم من أجل تسجيل مراسم العودة والاستقبال.

العسكر احتلوا مطار مهر آباد بطهران لمنع الطائرة التي تقلُّ قائد الثورة من الهبوط في المطار. صحف المساء اعلنت «الامام في طهران غداً» لكن الخبر لم يكن مؤكداً. وفي اليوم التالي، أعلنت الوكالات أن طائرة «اير فرانس» التي تقل الامام، هي في طريقها الى طهران. شبكة التلفزيون الايراني كانت على أُهبة الاستعداد لنقل مراسم الاستقبال على الهواء، لكن البث انقطع فجأة لتظهر صورة الشاه ومعها «السلام الملكي» مما أجَّج الغضب الشعبي أكثر فأكثر؟

وعندما وصل الامام الى طهران، خطب في الجماهير المليونية فقال:

اعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

اشكر جميع فئات الشعب على عواطفها تجاهي، وأنا عاجز عن رد الجميل لهذا الشعب، فقد تحملتم الكثير، وضحيتم ما استطعتم.

اني اقدم شكري هنا لجميع فئات الشعب الابي وشرائحه من جامعيين وتجار وكسبة وطلاب واساتذة جامعات وقضاة ومحامين وموظفين وعمال وفلاحين، فقد بذلتم ما استطعتم وانتصرتم بوحدتكم. وهذا النصر هو المرحلة الاولى، فقد طردتم الخائن

الاصلي محمدرضا من البلاد، وهو الآن مشرَّد في أنحاء العالم. حتى اسياده أغلقوا ابوابهم بوجهه، فالتجأ الى أمثاله علّهم يستطيعون مساعدته، بعد أن دمر هو وسلالته البلاد على مدى خمسين عاماً، وأكثر من ثلاثين عاماً من حكمه المليء بالاجرام والخيانة.

لقد دمر البلاد وحوَّل ثقافتها الى ثقافة استعمارية، وجعل الجيش، تابعاً للجيوش الاجنبية والمستشارين الأجانب. ان انتصارنا الكامل سيتحقق يوم تقطع كل الايادي الاجنبية عن هذا البلد، ونقتلع جذور النظام الملكي تماماً.

ان على العملاء الذين يحاولون إعادة الشاه او الابقاء على النظام الملكي أن يعلموا أن الأوان قد فات وان تحركاتهم ماهي الا محاولات يائسة لن تثمر، وعليهم الكفّ عن ذلك قبل أن يقوم الشعب بتأديبهم. علينا أن نشكر جميع فئات الشعب التي حققت النصر بوحدة كلمة المسلمين ووحدة كلمة الاقليات الدينية ووحدة العلماء والسياسيين، علينا جميعاً ان نعي أن الوحدة هي العامل الأكبر للنصر، وعلينا الحفاظ على هذا العامل وينبغي عدم السماح للشياطين بالتغلغل بينكم وتفريق صفوفكم.

أشكركم جميعاً، واسأل اللّه ان يقطع أيدي الاجانب وعملائهم).

ومن مطار طهران اتجه مباشرة الى مقبرة الشهداء في (بهشت زهراء). جموع المستقبلين كانت بحراً تتلاطم أمواجه، والسيارة التي اقلت الامام كانت تشق طريقها بصعوبة بالغة، بحيث إن الوصول الى مقبرة الشهداء استغرق ساعات عديدة بالرغم من قصر المسافة. عشرات الدراجات النارية كانت ترافق سيارة الامام، وفوق السيارة يجلس عدد من افراد لجان الثورة التي شكلت قبيل وصوله.

كان هؤلاء يطلبون من الناس فتح الطريق امام السيارة، وأمام سيارة الامام، كانت تسير سيارات تقل مئات المراسلين والمصورين لنقل دقائق هذا الحدث التاريخي الى أنحاء العالم. ملايين المستقبلين ملأوا الطريق من المطار الى المقبرة الذي يبلغ طوله حوالي ٣٣ كيلومتراً، كانوا اكثر من خمسة ملايين شخص لكن بعض المراسلين قدر عددهم بـ (ثمانية) ملايين شخص. سيارة الامام لم يكن بامكانها دخول مقبرة الشهداء، فكانت الطائرة العمودية هي الحل.

وداخل المقبرة وبجوار مراقد آلاف الشهداء، ألقى الامام خطابه التاريخي، وعندما وصل الى عبارة «سأقوم ـ وبدعم هذا الشعب ـ بتشكيل الحكومة، سأُلقّنُ الحكومة الحالية درساً لن تنساه» تعالت صرخات «اللّه اكبر» من ملايين الحناجر. وفي هذا الخطاب أكد الامام أن النظام الملكي ليس شرعياً، ودعم قوله بالادلّة والبراهين، وعدَّد المصائب والويلات التي جلبها

لهذا البلد، واستمر في خطابه يوضح معالم المستقبل.

كان ذلك الخطاب خطاباً تاريخياً، في حشد مليوني لم يشهد له التاريخ مثيلاً، وهذا نص الخطاب:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد حلت فيما مضى مصائب كبرى، كما حققنا انتصارات كبرى؛ مصائب نساء فقدن أبناءهن ورجال فقدوا ابناءهم، واطفال فقدوا آباءهم. عندما تقع عيني على الآباء والامهات الذين فقدوا ابناءهم، أشعر بعبء اكبر على عاتقي، لااستطيع تحمل ذلك، لأنني عاجز عن تعويض الشعب عن كل هذه الخسائر.

أنا لااستطيع تقديم الشكر لهذا الشعب، لانه قدم كل شيء في سبيل الله، والله سبحانه تعالى هو الذي يعطيهم أجرهم الجزيل. انا اقدّم مواساتي للام التي فقدت إبنها، والآباء الذين فقدوا أبناءهم، والأبناء الذين فقدوا آباءهم.

ما الذي فعله الشعب ليحل به كل هذا؟ ما الذي قاله وطالب به حتى يتحمل كل هذا القتل والظلم والنهب؟ كل الذي قاله الشعب هو إن هذه السلطة البهلوية ليست شرعية، بل قامت على اساس مخالفة القانون منذ البداية. والذين هم بعمري، رأوا بأنفسهم كيف جرى تأسيس مجلس المؤسسين بالحراب، ولم يكن للشعب أي دور في ذلك. أعضاؤه أُجبروا على منح أصواتهم للسلطة الملكية لرضاشاه. اذن فهذه السلطة قائمة على الباطل منذ البداية. كما ان أساس النظام الملكي كان منذ البداية مخالفاً للقوانين والقواعد العقلية وحقوق الانسان، فلو افترضنا أن الشعب ينتخب شخصاً ليكون سلطاناً عليه، عندها سيكون هذا هو الحاكم، وليس من حقه أن يورث هذا الحكم لأبنائه وأحفاده، فالشعب انتخبه هو وليس من سيأتي بعده. كما انه ليس من حق الشعب ان ينتخب من سيحكم أبناء الجيل القادم. فكل شعب وكل جيل يملك حق تقرير مصيره هو فقط.

ونحن نفترض هنا أن الشعب قد انتخب الحكم البهلوي وقت تأسيسه، كما نفترض أن مجلس المؤسسين جرى تأسيسه باختيار الشعب وموافقته. لو افترضنا هذا المحال، فان ذلك الانتخاب يخص الشعب في ذلك العهد، ولا يجب ان يسري على الاجيال التي تلته، فيصبح ابن ذلك الملك حاكماً وملكاً على الأجيال القادمة.

اذن فان سلطة محمدرضاشاه غير قانونية، لأن سلطة ابيه لم تكن قانونية، ولو افترضنا ان سلطة ابيه كانت قانونية، فانه لم يكن يحق للشعب آنذاك رسم مصيرنا، فكل شعب وكل جيل يحق له تقرير مصيره هو فقط، فهل إن أمرنا مِلك بيد أجدادنا حتى يقوموا من قبل (٨٠) أو (١٠٠) عام برسم مصيرنا ومستقبلنا، هذا دليل آخر على عدم مشروعية حكومة محمدرضا.

وفضلاً عن ذلك، فلو افترضنا ايضاً ان الانتخاب كان صحيحاً وان مجلس المؤسسين كان قانونياً، لكن الشعب اليوم يرفض هذه السلطة وهذا النظام، ومن حق هذا الشعب ان يقرر مصيره بنفسه، وهذا دليل آخر على عدم مشروعية هذا النظام.

والآن سنأتي الى الحكومات التي يعينها محمدرضا شاه والمجالس الموجودة في ظل حكمه. في عهد الحركة الدستورية، لم يكن النظام يتدخل بشؤون المجالس إلا في بعض الحالات، وبخصوص أشخاص معينين، اما الآن فالامر يختلف تماماً، فانتم ياشعب ايران، ويا أهالي طهران، هل انتخبتم بأنفسكم النوّاب الموجودين في مجلس الشيوخ او مجلس الشورى؟! إن الجميع يعلم أن غالبية اعضاء هذين المجلسين جرى تعيينهم دون موافقة الشعب او علمه وطبيعي أن يكون المجلس الذي يجري تعيين أعضائه بهذا الشكل غير قانوني. ان رواتب اعضاء هذين المجلسين انما هي مغصوبة من أموال الشعب. أما الحكومة التي يجرى تعيينها من قبل ملك غير شرعي، فلن تكون شرعية بطبيعة الحال.

لقد أعلن الشعب في عهد محمدرضا رفضه لهذا الملك، وطالب بتعيين مصيره بنفسه. وهذا الشعب نفسه يعلن اليوم رفضه لأعضاء مجلس الشورى والشيوخ والحكومة التي شكلها الشاه. وكيف تكون هذه الحكومة شرعية، وقد جرى تأسيسها من قبل الشاه والمجلسين، وهؤلاء جميعاً ليسوا شرعيين؟! إننا نقول إن جميع هذه المؤسسات الملكية غير شرعية ويجب أن تتنحى جانباً.

إننا نعلن أن هذه الحكومة التي تدّعي أنها شرعية، ليست شرعية، وهي بنفسها لاتعترف بشرعيتها، فأعضاؤها كانوا يشككون، قبل وصولهم الى السلطة بشرعية الحكومات القائمة في ظل الشاه، فما الذي تغير من الوضع لتصبح حكومتهم شرعية؟!

هذا المجلس ليس شرعياً. إسألوا النواب، هل إن الشعب هو الذي انتخبهم؟ وكل من يدعي منهم ذلك، سنأخذه الى منطقته الانتخابية ونسأل أهالي المنطقة، هل انتخبتموه بأنفسكم؟ بالتأكيد سيأتي الجواب بالنفي. إذن فالشعب الذي يعلن عدم شرعية ملكه

وحكومته ومجالسه هل يُجازى بالقتل لدرجة ان تقام مقابر خاصة لشهدائه في طهران وباقي المدن.

لقد ولّى محمدرضا بهلوي ـ هذا الخائن الخبيث ـ من ايران، وهرب بعد أن دمر كل شيء. دمّر البلاد وعمر المقابر، دمر الاقتصاد لدرجة إننا لو أردنا إعماره، لتطلب ذلك منا سنين طوال، وسيتطلب الامر تظافر جهود الجميع، فليس بإمكان حكومة واحدة أن تعيد بناءه، ولا شريحة واحدة من المجتمع، بل الامر يتطلب تكاتف الجميع وتظافر جهودهم لكي يتمكنوا من إنقاذ اقتصاد البلاد.

إننا نريد إحياء الزراعة، نريد فلاحين، وليس عبيداً، إن فلاحينا كانوا ـ لحد الآن ـ عبيداً للإقطاعيين، الاصلاح الزراعي الذي رفع النظام الملكي عقيرته به قضى على الزراعة بشكل كامل، وجعل البلاد تستورد كل شيء من الخارج. فقد فعل محمدرضا كل هذا ليجعل من ايران سوقاً لأميركا، تستورد الحنطة والرز والبيض منها او من اسرائيل التي هي صنيعتها.

اذن، فالممارسات التي قام بها هذا الشخص تحت عنوان الاصلاح الزراعي كانت فساداً ودماراً للبلاد. الاصلاح الزراعي كان ضربة مدمرة للبلاد وقد لانستطيع محو آثارها لعشرين عاماً آخر، إلاّ ان تتظافر جهود كل فئات الشعب.

ثقافتنا ابقيت ثقافة متخلفة، فالتحصيل العلمي لشبابنا ناقص، فقد خططوا للتعليم بحيث يظل الطالب بحاجة الى اكمال دراسته في الخارج، فلدينا الجامعات منذ اكثر من خمسين عاماً، لكن الخيانات هي التي حالت دون تطور هذا البلد.

لقد دمر هذا الشخص كل طاقاتنا البشرية الخلاّقة، واشاع مراكز الفحشاء. التلفزيون كان قد أضحى مركزاً للفساد، وهكذا الاذاعة. في طهران أضحت مراكز بيع الخمور اكثر بكثير من المكتبات، أما مراكز الفساد والفحشاء فحدّث ولاحرج. فلماذا يجب أن تصبح دور السينما مراكز للفحشاء؟ فنحن لسنا ضد السينما، بل ضد الفساد والفحشاء، نحن لانخالف الاذاعة، بل نخالف مافيها من فساد، نحن لسنا ضد التلفزيون، بل ضد الفساد الذي فيه. نحن ضد كل ما يخدم الأجانب ويعمل على تدمير طاقاتنا البشرية. فمتى عارضنا التقدم والتطور؟!

إن السينما هي احدى مظاهر التحضر، ويجب أن تكون في خدمة الشعب، يجب ان تقوم بتربية الشعب وتثقيفه، وقد رأيتم كيف جرّوا شبابنا الى الفساد بواسطة هذه

المراكز. لقد خانوا البلاد على كل صعيد.

واما نفطنا، فقد قدموه للاجانب على طبق من ذهب، ووهبوه للاميركيين وغيرهم. ومقابل بعض هذا النفط المهدى الى اميركا، حصلوا على أسلحة ومعدات عسكرية، وهذه ايضاً استخدموها في إنشاء قواعد لأميركا في البلاد. وكانت النتيجة أن ايران منحت النفط والقواعد العسكرية لاميركا.

لقد عملت أميركا ـ وبمساعدة من الشاه ـ على نهب نفطنا وأنشأت قواعد عسكرية لها في اراضينا، أعطونا اسلحة لايحق لجيشنا استخدامها إلا بوجود المستشارين والخبراء الأميركيين».

٤ ـ اميركا تهدد الشعب بالانقلاب:

الانقلاب كان أحد الاخطار التي تهدد الشعب وخاصة بعد خروج الشاه من ايران، انقلاب اميركي يستهدف القضاء على المقاومة الشعبية. وغالباً مايستخدم مصطلح (الانقلاب) للتعبير عن قيام مجموعة عسكرية مدعومة من إحدى القوى الكبرى بالاستيلاء على الحكم في بلد معين وكثيراً ماشهد القرن الماضي حصول مئات الانقلابات في العالم الثالث كانت معظمها مدبرة من خلال السياسات الاستعمارية.

وفي ايران وخارجها كان الحديث يجري عن احتمال حدوث انقلاب تدعمه اميركا، فالثورة كانت قد وصلت ذروتها والحكومة العسكرية ـ التي هي نوع من أنواع الانقلابات ـ لم تستطع إخماد لهيب الثورة، والشعب يمر بأيام دامية وعصيبة مثل الجمعة السوداء (١٧ شهريور ـ ٨ أيلول) ولهذا فانّ الانقلاب لم يكن بإمكانه أن يغير من الوضع شيئاً، ولكن احتمال هذا الانقلاب كان قائماً، فلم يكن بإمكان اميركا التخلي عن ايران بهذه السهولة. والتحليل السائد آنذاك هو ان أميركا لابد وأن تلجأ في النهاية الى إخماد نار الثورة وإعادة البلاد الى الحكم السابق او المجيء بمجموعة جديدة من العسكريين الى سدّة الحكم، تقوم باعتقال زعماء الثورة وإعدامهم والقيام بمذابح كبرى في أوساط الشعب.

اما بختيار فكان يصرح بأن عدم انصياع الشعب له، سيجعله عُرضةً للانقلاب، وكان في هذا الاعلان رسالة مؤداها أن أميركا ليست مستعدة لترك إيران تقرر مصيرها بحرية. لكن صفوف الشعب المتراصّة لم تكن تترك مجالاً لأي انقلاب، بل إنّ الحديث عن ذلك بدأ يتلاشى بحدوث التطورات الجديدة وأهمها تمرد الجيش والتحاقه بركب الثورة الشعبية.

٥ ـ موقف القوى الدولية من الثورة:

يعتبر الموقف الاميركي من الثورة الاهم من غيره على صعيد المواقف الدولية، فأميركا كانت تتصرف رسمياً وعلنياً وكأنها صاحبة حق ثابت في ايران. فخبراؤها يقومون بـإدارة الجيش، وسفارتها في طهران كانت وكراً للتآمر، والمستشارون الاميركيون يرسمون الخطط لمستقبل ايران ويقدّمون التعليمات والاقتراحات الى الحكومة. فالشاه كان عليه التصرف وفقاً للارادة الاميركية، اما كارتر فكان يواصل التظاهر بسياسة الدفاع عن حقوق الانسان، لكنه وقف متفرجاً ومؤيداً حيال مذبحة الجمعة السوداء.

وكانت أميركا تتصور في البداية وكأنّ الازمةستُحلُ من خلال المجيء ببيادق جديدة لها صبغة وطنية مؤيدة للغرب، وان الشعب سيوافق على ذلك وسيعتبره نصراً كبيراً، وهكذا ستهدأ الاوضاع بتعاضد المشروع الاميركي لحقوق الانسان مع نشاطات المنظمات التي أُسست في ايران لهذا الغرض[٢]، ولهذا فقد بدأت الدوائر الاميركية اتصالات بالرموز التي تتظاهر بالوطنية والتي كانت تهاجم الشاه بدعم من اميركا وتدّعي النضال لإقامة حكومة وطنية، وكان أغلب هؤلاء، من مؤيدي مصدق واصدقائه، فقد قامت الصحف المؤيدة للنظام بالدعاية لهؤلاء لمدة طويلة من خلال طرح اسمائهم ونشر مقالاتهم التي تهاجم النظام بشدة.

فقد أدركت اميركا خلال الاشهر الاخيرة من عمر النظام الملكي ان الشعب الايراني قد حطّم قيود الذل والعبودية وأخذ يسعى لنيل حقوقه بجدية ولم يعد يعير اهمية لمشروع كارتر المتعلق بحقوق الانسان، كما أدركت أن هناك نقاط ضعف عديدة في سياساتها تجاه الثورة، وأن زمام الامور قد خرج من ايديها، لكنها ظلت تبذل مساعيها لتهدئة الاوضاع وإعادة القوة الى بيادقها السابقة في الحكم. كما كانت تجهل تماماً طبيعة الحكومة الإسلامية التي كان الامام يعلن إقامتها.

التهديد الاميركي بالانقلاب العسكري ظل مستمراً لكنه لم يتعدَّ مرحلة التهديد ليس إلاّ، وقد أدرك الامام ـ قبل غيره ـ خواء هذا التهديد، فكيف كان يمكن للجيش المشاركة في مثل هذا الانقلاب وافتعال المذابح وقد بدأ يتفكّك من الداخل واستمرت حالات العصيان على الحكومة وإعلان الولاء للامام والثورة، ولم تعد أية مجموعة عسكرية تجرؤ على التحرك ضد الثورة، اما لو كانت اميركا تفكّر بالتدخل العسكري المباشر، لكان مصير قواتها أسوأ من مصيرها في فيتنام وهذا ما كان يدركه الساسة الاميركيون حتى عندما لا يأخذون بنظر الاعتبار وجود الاتحاد

السوفيتي سابقاً ـ وهو أمر يجب أخذه بنظر الاعتبار ـ على الحدود الشمالية لايران.

وبشكل عام فان السياسة الاميركية حيال الثورة الاسلامية في ايران قد وصلت الى طريق مسدود، لكنها لم تكن تريد أن ترضخ لحقيقة الثورة الاسلامية، بل ظلت تبذل جهودها لإحلال بديل محل الشاه وزمرته، يدين بالولاء لها، لكنها لم تكن قادرة على تنفيذ إرادتها، فالاميركيون فشلوا حتى في تأخير عودة الامام الى البلاد من أجل منح بختيار فرصة اكبر لمعالجة الموقف، و «هايزر» الذي انصبّ جهده آنذاك على دعم بختيار، اصيب بالعجز التام[٣].

اما الموقف السوفيتي من الثورة فيمكن استعراضه من خلال طبيعة العلاقة التي كانت تربط الحكومة السوفيتية بالشاه فبينما كانت الثورة قد بلغت ذروتها، كانت العلائق السوفيتية ـ الايرانية في ذروة ازدهارها، بالضبط كما كانت عليه خلال انتفاضة ١٥ خرداد (٥/حزيران/١٩٦٣) الشعبية، ففي تلك الفترة، تناست القيادة السوفيتية كل خلافاتها مع حكومة الشاه، واندفعت تشيد بمايسمى بالثورة البيضاء وتطلق صفة الرجعية على الانتفاضة الشعبية، وبهذا اتخذت موقف التأييد لحكومة الشاه، لان الشعار الذي كان يرفعه الشعب هو الاسلام، وهو ما لايرضي السوفيت الذين توجسوا خطراً على مستقبل افغانستان خاصة وان الاسلام يعتبر الشيوعية كفراً وإلحاداً، ويرفع هو شعار الدفاع عن المحرومين والمستضعفين في العالم.

وقد استمر الموقف السوفيتي المؤيد لنظام الشاه على حاله، الى ان تيقّن السوفيت من حتمية سقوط النظام الملكي، عندئذ، اتجهوا الى تأييد الثورة تحاشياً للموقف الذي قد تتخذه الحكومة القادمة في ايران، كما حاولوا استغلال الموقف المعادي للامبريالية والذي اتسمت به الثورة، للحصول عل موطئ قدم لهم في ايران، وجاء تطبيلهم وتهويلهم لخطر التدخل الاميركي في هذا السياق.

وبعد الانتصار، حدث الاحتلال السوفيتي لافغانستان المسلمة، وهو أمر لم تواجهه القيادة الاسلامية بعدم الاكتراث.

اما بريطانيا الاستعمار العجوز، فقد كانت تراقب حوادث الثورة بدقّة، وجندت كل أذنابها في ايران لدعم النظام الملكي والحيلولة دون سقوطه، وفي هذا السياق قامت بدفع كل الاشخاص الذين ادّخرتهم لمثل هذه الايام الى التحرك العلني ودعم الشاه، الامر الذي ساعد على فضحهم أمام الشعب وبالتالي فشل بريطانيا في سياساتها.

لقد عجزت بريطانيا عن العثور على طريق يضمن ترسيخ النظام، للتعويض عن فشل

سياساتها في ايران، كما لم تستطع دعم الموقف الاميركي والحيلولة دون انتصار الثورة، لكنها ظلت تصرّح بدعمها لنظام الشاه، حتى انها استطاعت قبل انتصار الثورة اقناع كارتر بإجراء تعديل على «نظريته» حول حقوق الانسان [٤].

٦ ـ القوة الجوية تلتحق بالثورة:

بعد خروج الشاه من ايران، ظلّ الجيش مشكلة كبرى تطرح العديد من الاسئلة، هل يقوم بانقلاب عسكري؟ وضد من؟ هل يستطيع الجيش صون حكومة بختيار من ضربات الثورة المتلاحقة؟ هل سيظل يفتح نيران اسلحته على ملايين الناس؟ هل يطيع الجنود أوامر الامام ويتمردون على أوامر قادتهم، ويفرون من المعسكرات؟ هل ستنتشر ظاهرة مهاجمة الجنود للقادة العسكريين التي تزايدت مؤخراً؟ هل سينجح الجيش في قمع الشعب؟ هذه الاسئلة ومئات غيرها كانت تطرح نفسها في تلك الفترة.

كما قيل حينها إن الشاه ـ وقبل مغادرته ايران ـ أمر أحد قادة سلاح الجو بإعداد العدة لقصف بعض المدن، كما نقلت الصحف أن (٢٨٠٠) من ضباط قاعدة شاهرخي الجوية الواقعة في همدان، ومراتبها، قد بدأوا إضراباً عن الطعام لمدة اسبوع، كما توالت التقارير لتخبر عن التحاق عدد آخر بالمضربين، بعدها أُعلن عن التحاق قاعدة بندرعباس الجوية بالثورة وبدئها اضراباً كاملاً، كما خرج ألف شخص من منتسبي القوة الجوية في مسيرة سلمية [٥].

ومنذ ذلك الحين بدأت قضية التحاق منتسبي القوة الجوية بالثورة تأخذ أبعاداً واسعة، كما كانت أخبار اعتقال هؤلاء، والإشاعات عن اعدام بعضهم تؤجج غضب الامة أكثر فاكثر، فقامت عوائل المعتقلين بمهاجمة المراكز القضائية، وأعلن الشعب دعمه لها، وتدريجياً سرت هذه الظاهرة الى باقي قطاعات الجيش، اذ كان يبدو أن قلوب منتسبي القوات المسلحة مع الثورة، لكن وجود مجموعة من القادة الموالين للشاه، والعقوبات الصارمة تحول دون إعلان هذا التأييد، لكن الدعم السري للثورة كان مستمراً عبر اصدار بيانات بهذا الشأن.

فقد أصدر مجموعة من الضباط والمراتب في لواء (نوهد ٢٢) للقوات الخاصة المحمولة جواً، بياناً جاء فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

(«الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت»)

اولاً: منذ اكثر من عام والشعب الايراني قد اجتاز، بقيادة الزعيم الاعظم، نائب امام العصر،

السيد الخميني، مرحلة الغفلة، ونهض بوجه الظلم الذي يمارسه الجهاز الحاكم في هذا البلد.

ثانياً: إن الخونة وباعة الوطن الذين يؤلفون الجهاز الحاكم في هذا البلد وعلى رأسهم الشاه المخلوع، قد عبأوا قوى الجيش ومنها قوات لواء نوهد بقيادة العميد شفاعت، بهدف مواجهة هذه النهضة، فارتكبوا مجزرة قم، وبعدها تبريز وتلتها مذبحة ١٧ شهريور ـ ٨ أيلول (الجمعة السوداء) الوحشية التي نفذتها فرقة الحرس.

ثالثاً: إن جميع الذين أطاعوا أوامر قادتهم الخونة، ونفّذوا جرائم بشعة بحق الشعب، كالتي سلف ذكرها، والذين شنوا الهجوم على الشباب الفارين في جبال (دركه) و (ايفين) على يد كتيبتي ١٨١ و ٢٩١ من هذا اللواء، والهجوم على منطقة (سنكى) على يد الكتيبة الخامسة، والهجوم على عمال مصانع ناشينال بالهراوات، وإرسال مجموعات من أفراد هذه الكتيبة الى المساجد متسترين بملابس مدنية لإشاعة الفوضى فيها، والتعاون المستمر مع جهاز الساواك الذي يعرف الجميع خيانته. هؤلاء جميعاً قد ادركوا ان ماقاموا به، كان خيانة للنهضة الشعبية، واننا ندين جميع هذه الممارسات.

رابعاً: إن تعليمات الجنرال الاميركي هايزر ـ ومعه سبعون شخصاً من المتخصصين في مسائل القمع من الذين عملوا في شيلي والفلبين وفيتنام وغيرها لمدد طويلة ـ كلها مرفوضة من قبلنا، وإننا ندين بشدة تنفيذ الأوامر الصادرة من الهيئات الاستعمارية الاميركية الهادفة الى القضاء على الثورة الاصيلة والشعبية.

خامساً: قامت الحكومة الغاصبة بتاريخ ١٩٧٩/١/٢٤ بزج عدد كبير من العسكريين، ومنهم أفراد الكتيبتين ١٨١ و ١٥٤ وخلافاً لرغبتهم في مظاهرات معادية للثورة والشعب، دعماً للشاه، وهذا دليل بارز على خيانة العقيد «ركني»، آمر لواء نوهد ٢٢.

سادساً: يعلن عدد كبير من ضباط لواء (نوهد ٢٢) ومراتبه عن دعمهم للبيان الصادر في يوم عاشوراء والمؤلّف من ١٧ مادة، والذي صادقت عليه عدة ملايين من أبناء الشعب الايراني.

وفي الختام نعلن تضامننا الكامل مع الشعب الايراني، من خلال الإضراب عن الطعام والأساليب الاخرى، ونحن بانتظار عودة الامام الخميني).

٧ ـ اقامة الإمام في طهران:

عودة الامام جعلت جميع الناس ينتظرون تطوراً كبيراً في الوضع، وهذا التطور كان متوقعاً في أية لحظة. ملايين المشتاقين لرؤية الامام كانوا يتدفقون على محل إقامة الامام، يقفون ساعات

طويلة في الازقّة المحيطة بالمدرسة التي أقام فيها الامام، بانتظار وصول الدور لهم في لقائه، اما النساء فقد خُصِص لهن وقت للقاء وهو عصر كل يوم، الجموع كانت تدخل من الباب الامامي للمدرسة وتخرج من بابها الخلفي، لكن شدة الزحام كان تبطئ من حركة الجموع بشكل كبير، اما الامام فكان يطل من نافذة تشرف على الباحة ليرد على مشاعر الزوار وأحاسيسهم تجاهه، الجميع كانوا يهتفون «نحن جميعاً جنودك أيها الخميني» ، وانتشر هذا الهتاف حتى انه لم يبق للنظام اي جندي، بل إن هذا الشعار، غيّر معنى (الجندي) من الاساس.

والجدير بالملاحظة أن الامام لم يقم في منزل أي شخص، بل اختار مدرسة كانت قد تحولت إلى مقر للجنة الاستقبال، حيث تقع في وسط المدينة، وقد أُطلق على المنطقة فيما بعد اسم (نوفل لوشاتو) تخليداً لمكان اقامة الامام في باريس. وقد عمد أمين العاصمة ـ بعدما أحس بجدية الامور ـ الى تقديم استقالته الى الامام، لكنه كلِّف بمواصلة مهامه مؤقتاً[٦].

وبعودة الامام الى الوطن، انظمت فئات أُخرى من الجيش الى الشعب، وكان مؤملاً أن تؤدي ظروف الوحدة الشعبية وظهور القائد بين الناس، الى التحاق كل القوات المسلّحة بالشعب، لكن ذلك لم يحدث، لأن قادة الجيش كانوا قد تربوا في اطار مفاهيم ومقاييس تجعلهم غير قادرين على هضم احتمال أن يستطيع الشعب البقاء على قيد الحياة بدون «شاه»!

اما الامام فقد اعلن في هذا المجال:

« ... عندما نقول إن الجيش يجب ان يكون مستقلاً، فهل جزاؤنا أن تنزلوا الى الشوارع وتضرّجوا الشباب بدمائهم؟! أذلك لأننا طالبنا باستقلالكم؟ نحن نريد أن تكونوا سادة أنفسكم. أنا أشكر تلك الفئات من القوات العسكرية التي التحقت بالشعب، فقد حفظوا كرامتهم، وكرامة بلدهم وشعبهم. فهؤلاء ضباط القوة الجوية ومراتبها يستحقّون الشكر والإشادة من قِبلنا، وكذلك هم الذين في اصفهان، وهمدان، وباقي المدن فقد عرفوا واجبهم الشرعي والوطني، والتحقوا بالشعب ودعموا النهضة الاسلامية. ونحن نشكر هؤلاء جميعاً، وندعو الذين لم يلتحقوا بالشعب بعدُ ان يسارعوا الى ذلك. فالاسلام أفضل لكم من الكفر، والشعب أفضل لكم من الأجانب. إننا نريد مصلحتكم، فافعلوا ذلك من أجلكم أنتم، اتركوا هذا النظام.

لاتتصوروا أن تخليكم عنه يعني اننا سنعدمكم، فهذه إشاعات يبثها المغرضون فهؤلاء الضباط والمراتب الذين التحقوا بالشعب، يتمتعون بحمايتنا الكاملة. فنحن نريد أن يكون البلد قوياً، ونريد نظاماً مقتدراً، ولانستهدف زعزعة النظام

والاستقرار، بل تقويته ودعمه، لكننا نريده نظاماً نابعاً من الشعب، وفي خدمة الشعب، وليس نظاماً يديره ويسيّره الآخرون» .

اما بختيار فقد هدد قائلاً: «كل من يشعل الحرب الداخلية سيعدم رميا بالرصاص» !! .

٨ـ الامام يشكّل الحكومة المؤقتة:

الايام الاربعة الاولى التي قضاها الامام في طهران كانت أياماً عاصفة مليئة بالحوادث والاضطرابات، فالحكومة العسكرية لم تكن تمسك بزمام الامور، وهي تسير نحو الانهيار، لكن بختيار ظل يصارع من أجل البقاء، وظل يتظاهر بأن زمام الجيش مازال بيده وان الحكومة الدستورية! هي الأقوى. ولكن أي جيش هذا؟ أهو الجيش الذي يخاف قادتُه بشدة من الجنود، أم الحرس الملكي؟ فبختيار لم يستطع الحيلولة دون عودة الامام الى الوطن، كما فشل في فتح قناة اتصال معه، ولم يستطع ثنيه عن مواقفه الصلبة فحكومة بختيار، كانت تحكم في بلد لاتتمتع فيه بتأييد أحد.

لكن الامام اتخذ قراره الحاسم ـ وفي مدرسة «علوي» التي أقام فيها ـ وكان ذلك أحد اهم القرارات التاريخية. فأمام اكثر من ٣٠٠ صحفي اجنبي ومحلّي، تحدث الامام الخميني، ثم تلا العالم المجاهد الشيخ هاشمي رفسنجاني نص قرار الامام بتعيين مهدي بازركان رئيساً للوزراء، وكان مثاراً لدهشة العالم بأسره ان تبادر شخصية دينية عادت لتوها من المنفى الى تعيين حكومة لاتتطابق مع أيٍّ من المعايير المعمول بها في باقي الدول، لأن الإمام جسّد في ذلك قوة الامامة في المدرسة الشيعية. وبعد الإعلان عن ذلك اعترفت ليبيا بالحكومة رسمياً في برقية بعثها القذافي الى الإمام[٧].

وفيما يلي نص قرار الامام بتعيين بازركان:

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة السيد المهندس مهدي بازركان بناء على اقتراح مجلس الثورة، وعلى أساس الحق الشرعي والقانوني الناتج عن تأييد الغالبية الساحقة من الشعب الايراني لقيادة هذه النهضة والذي تجلى من خلال التجمعات الكبرى والمظاهرات الواسعة في أنحاء البلاد، وانطلاقاً من ثقتي بإيمانك الراسخ بالعقيدة الاسلامية المقدسة، ومعرفتي بممارساتك الجهادية الاسلامية والوطنية، وبغضّ النظر عن ارتباطك التنظيمي والحزبي، أُكلّفك بتشكيل حكومة مؤقتة، لتتولى إدارة البلاد، والإعداد لانتخابات عامّة وكسب رأي الشعب بشأن تغيير النظام السياسي الى نظام جمهوري اسلامي،

وتشكيل مجلس المؤسسين من أفرادينتخبهم الشعب، يتولّى المصادقة على دستور النظام الجديد وانتخاب مجلس لنواب الشعب على اساس الدستور الجديد.

ومن الضروري تقديم اسماء أعضاء الوزارة بأسرع وقت، وعلى أساس الضوابط والشروط التي حددتُها. موظفو الدولة والجيش وأبناء الشعب سيدعمون حكومتك، وسيلتزمون بالانضباط الكامل من أجل بلوغ الاهداف المقدسة للثورة وتنظيم شؤون البلاد.

اسأل الله التوفيق لك ولحكومتك في هذه المرحلة التاريخية الحساسة.

روح الله الموسوي الخميني

اما بازركان ـ رئيس الوزراء الموقت المكلّف تواً ـ فقد قدم شكره الى الامام الذي طالب ـ بدوره ـ الشعب بإعلان تأييده للحكومة المؤقتة من خلال الصحافة والمسيرات السلمية. لكن الذي حدث، كان خلافاً للضوابط التي حددها الامام، فقد شكّل بازركان حكومته على اساس الانتماءات الحركية والحزبية.

٩ ـ تأييد الدستور:

يوم الجمعة ٩ شباط ١٩٧٩ بذل بختيار ومؤيدو الشاه آخر محاولة مستميتة، لتجميع المؤيدين وإقامة تجمع باسم تأييد الدستور. وقبل اسبوع من ذلك نظّموا مثل هذا الاجتماع أمام مجلس الشورى، حيث هتف له مؤيدوه «اصمد في متراسك يا بختيار» !! كما قال بختيار في حديث صحفي: «إن بازركان كان من المؤيدين للدستور وكذلك الامام، فقد طالب قبل ١٥ عاماً في برقية الى وزير البلاط، بالالتزام بالدستور واعتبر مخالفته جريمة. ولكن يالي من مسكين فقد بقيت ادافع عن الدستور، لقد أضحت المشاركة في المسيرات، نوعاً من الترفيه، لأنّ جميع مرافق العمل معطلة، والشعارات التي يطلقونها، لايدركون معناها» !!

وعن اتصاله ببازركان، قال: تربطني به علائق شخصية منذ ٣٠ عاماً، واكنّ له احتراماً كبيراً، لكن لايمكن القبول بوجود حكومتين في ايران، وانا مستعد للتفاوض معه حول مصير بلادي» .

وقال: (إن الجيش هو الآن تحت امرة الحكومة، ولايمكن القبول بحكومة داخل حكومة، كل مافي الامر أن عدداً من الفنيين في الجيش غير راضين عن الوضع، أما هروب الجنود من المعسكرات فهو ظاهرة موجودة في كل الدول).

وعندما سُئل عن رأيه بتشكيل جمهورية اسلامية في قم قال: انا مستعد لعزل قم بجدار كبير

واجعل منها «فاتيكاناً» ثانياً واسلّمها لهؤلاء، فاذا كان بالامكان إدارة البلاد من قم فانا مستعد لإنشاء فاتيكان فيها) !!.

١٠ ـ الجيش يلتحق بالثورة:

الايام التي قضاها الامام في مدرسة «علوي» بطهران، كانت مليئة بالغليان الشعبي، في كل يوم كانت مئات الآلاف من مختلف فئات الشعب تتهافت على المدرسة لزيارة الامام وإعلان دعمها للثورة. التظاهرات كانت تعم أرجاء البلاد، وحكومة بختيار ترفض الاستقالة.

وهنا كان الجيش بمثابة مشكلة كبرى، فقادته كان يجري توجيههم من قبل أميركا، والشاه أوصاهم بدعم حكومة بختيار، وهذا الدعم كان يقترن بإراقة الدماء، فكل يوم كان يستشهد عدد من أبناء الثورة، لكن أعداداً كبيرة من أفراد الجيش كانوا ينظمون الى الثورة سراً، وبعضهم شارك في التظاهرات بملابس مدنية، كما استمرت ظاهرة هروب الجنود من المعسكرات، كما تصدى بعض الجنود لقادتهم انطلاقاً من واجبهم الشرعي، لكن الجيش كان لايزال بيد النظام الملكي.

وقد زاد وجود الامام في طهران شوق الامة لرؤيته، فكانت الجموع الغفيرة تتهافت على محل اقامته، ولم يكن بالامكان منع الجنود المتدينين من الالتحاق بهذه الجموع، ولهذا فقد سرت هذه الظاهرة الى الجيش ايضاً، اما القوة الجوية فكان أفرادها قد نفذوا عدة اضرابات في أنحاء البلاد، واقتربوا من الشعب اكثر فاكثر.

ويوم الخميس، زار جمع كبير من قادة هذه القوة الإمام في مقر إقامته معلنين البيعة له، وقد نشرت صحيفة كيهان صورة جماعية لهم وهم يلقون التحية العسكرية للامام وانتشر الخبر في ارجاء العالم كله بعدما اعتُبر بمثابة التحاق الجيش بالامام.

اما بختيار فقد كذَّب صحة الصورة واعتبرها فبركة صحفية فنية «تستهدف بث الفرقة بين وحدات الجيش» !!

أما قيادة الجيش فقد أصدرت بياناً جاء فيه: «في الصفحة الاولى من صحيفة كيهان ليوم ٨ شباط ١٩٧٩، نُشرت صورة مزوّرة حول استعراض لآلاف العسكريين حيث إن طبيعة «المونتاج» والتزوير التي حصلت على الصورة واضحة لكل من يعرف مبادئ مهنة التصوير، وهي تستهدف بث الفرقة بين صفوف الجيش المتلاحمة، والوصول من خلال ذلك الى أهداف وتطلعات معينة.

ان قيادة الجيش تلفت أنظار الوطنيين الأعزاء الى هذه الممارسات الوضيعة، وتلاحق قانونياً كل المتورطين بالتزوير ونشر الأكاذيب التي تستهدف استفزاز الجيش واهانته، بينما لايتدخل الجيش بالشؤون السياسية، وذلك وفقاً لضوابط قانون العقوبات العسكرية».

اما الامام الخميني فقد اكّد (**ان الصورة المنشورة صحيحة وحقيقية تماماً، وان كوادر عسكرية قد زارتني يوم الخميس**). والحقيقة ان الجيش الشاهنشاهي كان قد خسر فئات كبيرة من أفراده، كما انه أضحى خارج سيطرة قادته.

وفي مساء الجمعة، أعلن التلفزيون أنه سيعرض فلماً عن مراسم عودة الامام الى الوطن. وفي فترة الاخبار، تم اولاً عرض فلم عن تظاهرات النظام التي نظّمها تأييداً لدستوره وبينما كان هذا الفلم يعرض من شاشة التلفزيون، كان طلاب العلوم الفنية في القوة الجوية متجمعين في أحدى صالات معسكرهم لرؤية فلم عودة الامام، وهكذا بدأوا بالاستهزاء بفلم تظاهرات النظام لكن أفراد الحرس الشاهنشاهي كانوا قد أعدوا العدة للهجوم على معسكر القوة الجوية رداً على زيارتهم للامام وبيعتهم له.

وعندما بدأ التلفزيون ببث فلم العودة، وبمجرد ظهور الامام على الشاشة تعالت أصوات الحاضرين في الصالة بالصلاة على محمد و آلِهِ ثلاث مرات وقبل ان يتموا الصلاة الثالثة، تحطّم زجاج النوافذ بمدفع دبابة اقتحمت الصالة وبدأت الاسلحة الرشاشة تطلق نيرانها على الجالسين فيها، وتعالت هتافات «اللّه اكبر» لتملأ الصالة، ووقعت معركة غير متكافئة، احد طرفيها جلاوزة مسلحون بأحدث الاسلحة والمعدات، والطرف الآخر مجموعة من الشباب المؤمنين العزّل من السلاح.

أصوات أنين الضحايا واستغاثاتهم وصلت الى مسامع المارة في الشارع، مما ادى الى انتشار الخبر في طهران، فتدفقت جموع الناس باتجاه معسكر القوة الجوية هاتفة «اللّه اكبر»، فقد تصوروا ان الحرس الملكي شنّ هجوماً على مقر اقامة الامام، لكنهم أدركوا ما حدث، فاتجهوا نحو المعسكر، وبعد برهة من الزمن بات المعسكر محاصراً من قبل عشرات الآلاف من الجماهير الغاضبة العزلاء من السلاح.

ولم يكن أحد يجرؤ على دخول المعسكر، لكن انين الضحايا دفع الناس الى الهجوم خاصة بعد سماعهم نبأ مقتل عدد من أفراد القوة الجوية داخل المعسكر، فهاجموا أفراد الحرس بالحجارة، مما حدا بهؤلاء الى فتح النار على الناس وقتل العديد منهم. وقبيل صباح السبت كان عدد القتلى قد تزايد.

اما أفراد الحرس الملكي فكانوا قد قرروا القضاء على تمرد القوة الجوية تماماً وإحباط الثورة، لكن جنونهم جُنَّ وهم يرون التصدي البطولي من قبل الجماهير.

اما أفراد القوة الجوية، فقد هاجموا مخازن السلاح ووزعوا محتوياتها على الناس مما قلب الوضع، فأصبح أفراد الحرس محاصرين من قبل الناس وقتل العديد منهم. بينما راح الناس يعدون قنابل المولوتوف ويتصدون بها لتقدم الدبابات. وما هي إلآ ساعات حتى كان الجميع قد أقام المتاريس، وتهيأت آلاف القناني لصنع المولوتوف. ولم تستطع قوات الامداد التي جاءت لإنقاذ الحرس، من الوصول الى المعسكر، اذ تصدى لهم الناس وقضوا عليهم في الطريق.

وفي الساعة الثانية من بعد ظهر السبت، تخندق افراد القوة الجوية في المعسكر، فيما كان الشعب يدعمهم بشدة أما طائرات الحرس العمودية، فلم تعد تجرؤ على الاقتراب من المنطقة. وتحولت طهران بأسرها الى جبهة للجهاد ضد السلطة، فكان الجميع يتحركون ويشعرون بالمسؤولية. مئات السيارات الخصوصية كانت تقوم بجمع الاغذية والدواء والاغطية وتتجه بها صوب معسكر القوة الجوية. الآلاف تدفقوا على مراكز التبرع بالدم لإنقاذ الجرحى. واينما يسمع صوت إطلاق النار، كانت الجماهير تندفع مسلحة صوب منطقة الصوت. المئات من سيارات الاسعاف تطلق صفاراتها، وتنقل الجرحى الى المستشفيات.

طهران كانت قد اتخذت شكلاً آخر، جموع غفيرة من الشباب كانت تستقل الدراجات البخارية حاملة أسلحتها وهي تهتف «الله اكبر» وتهرع لدعم الجماهير اينما اقتضى الأمر.

وفي هذه الاثناء أصدرت الحكومة العسكرية قراراً بمنع التجول ابتداء من الرابعة والنصف عصراً بعدما بيتت مؤامرة ضد الثورة، فقد كشفت الوثائق التي تم الحصول عليها فيما بعد أن الخطة رُسِمَت بحيث يتمركز الجيش خلال ساعات منع التجول في المراكز المهمة من المدينة، ويبادر الى اعتقال قادة الثورة، وباعدامهم وقتل أعداد كبيرة من الشعب، يتم إخماد الثورة نهائياً[٨].

لكن الإمام، لم يغفل عن ذلك أيضاً، وأصدر قراره التاريخي الذي أحبط المؤامرة، فقد أمر الامام، الناس بالبقاء في الشوارع وعدم الانصياع الى قرار منع التجول، وانتشر الأمر بواسطة مكبرات الصوت، وقرر الناس التمرد على أوامر الحكومة العسكرية ولم تستطع الاسلحة الرشاشة فرض سيطرة قوى الامن على الشوارع.

لقد كان ذلك اليوم يوماً تأريخياً، ففي تلك الليلة لم يغمض لأغلبية الناس جفن، والكثير منهم ظل خلف المتاريس حتى الصباح. وفي الرابعة صباحاً، شنت دبابات الحرس هجوماً على

معسكر القوة الجوية لكن الناس تصدوا لها بقنابل المولوتوف. كما أُشيع حينها أن قوات إسناد اضافية قد أُرسلت من باقي المحافظات الى طهران، لكن الناس تصدوا لها في الطريق وأعاقوا تحركها بحفر خنادق في طريقها.

بعض العسكريين كانوا مترددين في اتخاذ مواقفهم بسبب القسم الذي أدّوه في بداية دخولهم الجيش، لكن فتوى الامام ببطلان ذلك القسم أنهت المشكلة[١]. بعدها اعلنت القوة البحرية دعمها للقوة الجوية، فهاجم أفرادها ــ ومعهم الشعب ــ مخازن السلاح، فأصبحت أسلحة الجيش في يد الثوار، وبدأت المعسكرات ومراكز الشرطة تسقط في أيدي الشعب الواحد تلو الآخر.

١١ ـ انتصار الثورة الاسلامية:

يوم ٢٢ بهمن (١١ شباط) ، كان يوم انهيار النظام الملكي والى الأبد في هذا اليوم، تجسدت امام العالم وحدة الشعب الايراني، القصور انهارت في هذا اليوم، والمعسكرات سقطت الواحد تلو الآخر، والحاكم العسكري لمدينة طهران اعتقل بايدي الناس، لكنه لم يكن يصدق أن الوضع تغير، فكان يتحدث مدافعاً عن ممارساته بانه (جندي مطيع لأوامر معالي الشاهنشاه!) .

الناس احتلوا مراكز الساواك والسجون، وهويدا ونصيري اللذان اختارا السجن الطوعي لخداع الناس، سقطا بأيدي أفراد لجان الثورة الإسلامية، رجال النظام السابق اختبأوا وهرب بعضهم.

أبناء الاسلام كانوا يلاحقون اتباع النظام السابق في كل مكان. قادة الجيش أصبحوا اسرى بيد الجنود السجناء، بقايا أفراد الحرس والساواك ظلوا كامنين في بعض الاماكن. بهدف فتح النار على الشباب الثوري. الناس كان يحملون السلاح ويتولون حماية أمن كل محلة وحارة. المساجد أضحت مراكز حصينة للجهاد ضد أعداء الثورة، رجال الدين كانوا نشطين في كل مكان، من مدرسة «علوي» التي كانت مركز القرار السياسي، وحتى أبعد منطقة في البلاد، كانوا يتحملون أعباء كل مسؤولية، ويعملون ليل نهار.

وفي أرجاء البلاد، زحفت الجماهير على ماتبقى من آثار الشاه، فحطموا تماثيله وتماثيل افراد عائلته، التي كانت تملأ الساحات والاماكن العامة. الحكومة المؤقتة بدأت عملها استناداً الى قوة القيادة والشعب. شعار «في فجر الحرية نفتقد الشهداء» كان ينتشر في كل مكان وخاصة التلفزيون. ايران تحررت، والنظام الملكي انهار بالرغم من قوته وعلى الرغم من الدعم الكبير الذي كان يتلقّاه من الخارج.

كان شيئاً عجيبا لكنه حقيقة واقعة. فدبابات النظام المدمرة والمحترقة كانت متناثرة في جميع المدن، والشباب يتمركزون خلف متاريسهم في كل مكان، ويراقبون الاوضاع بدقة، ومقبرة «بهشت زهراء» صارت مركزا لدفن جنائز الشهداء الذين سطّروا ملاحم بطولية بتضحياتهم وانتصروا بايمانهم الراسخ على دبابات النظام. مئات الآلاف من الناس كانوا يتدفقون على هذه المقبرة الكبيرة لدفن الجنائز. أعداد الشهداء كانت كبيرة جداً، وكانت هناك حاجة ماسة لتشخيص هويتهم.

وهكذا اصبحت الامة الثورية المسلمة ممسكة بزمام أُمورها وجميع مراكز النظام السابق انهارت .. الشباب المسلح يحافظ على الأمن في انحاء البلاد ... المتاريس في كل مكان واليقظة تحبط محاولات بقايا أزلام النظام، ... لا أوامر تطاع غير أوامر الامام الخميني .. المئات من اللجان الثورية تشكلت في المساجد حاملة إسم الامام والناس تولّوا إدارة الشؤون العامة.

بدأت تتناهى الى الاسماع عبارة «حرس الثوة الاسلامية» فهؤلاء شباب وضعوا أرواحهم على الاكف لحماية الثورة من كل سوء. بدأوا عملهم الطوعي بمراقبة الاوضاع واعتقلوا المئات من كبار ازلام النظام البائد، وهم في المخابئ، او وهم يهمّون بالهروب من البلاد، واقتادوهم جميعاً الى مدرسة «علوي» .

(شارع ايران) حيث تقع مدرسة «علوي» مركز قيادة الثورة، كان مركز ثقل البلاد والثورة الساخنة التي تنبعث منها الاخبار وترسل في كل ساعة الى شتى أنحاء العالم. فهنا قضي على الحكومة، وأُعلنت حكومة اسلامية مؤقتة، وهنا صار يُجلب قادة النظام البائد، مدنيين وعسكريين، مكبلين أذلاء. وهنا ايضاً كانت تكدّس الاسلحة التي يتم الاستيلاء عليها من مراكز النظام المنهار. وهنا يقطن مراسلو الوكالات والصحف ومراكز الأنباء في العالم، ليوصلوا المستجدّات المتلاحقة أولاً بأول.

لقد اجتاز الامام، باعتباره شخصية دينية كبيرة، هذا الامتحان الصعب بنجاح كبير، وأثبت انه قائد محنك مقتدر لهذه الثورة الكبرى، فقد كان هو مركز القرار السياسي.

اما مجلس الثورة فقد لعب دوراً مصيرياً في تثبيت أركان الثورة في أيامها الاولى، وكان مقره في مدرسة «علوي» أيضاً.

حكومة بازركان المؤقته حلت محل حكومة بختيار بدعم كامل من الامام، وهو ما أدى الى كسب تأييد الشعب لهذه الحكومة. المرحلة كانت حساسة جداً، لكن الحكومة المؤقتة لم تكن ثورية بمستوى تلك المرحلة، بلحاظ الافراد الذين اختارهم بازركان لعضويتها. فبازركان

وجماعته لم يدركوا ذلك المعنى العميق للثورة، فكان يتصرف على أساس تشكيل حكومة وطنية إصلاحية، وهذا الامر دفع القوى الثورية الى تشكيل مؤسسات وتنظيمات الى جانب الحكومة، مما أدى الى إثارة حفيظة الحكومة التي لم تستطع السيطرة على كل الامور.

وفي الوقت الذي كان يتعين فيه على الحكومة الحيلولة دون هروب المجرمين من رجال الحكم البائد، نراها تلعب دور الوساطة مع هؤلاء وتمهد الطريق لهروب بعضهم. وفي تلك الاحيان، برزت الى السطح محاكم الثورة وقوات اللجان الثورية، وحرس الثورة الاسلامية التي تشكلت من بين صفوف الشعب الثوري، لتمسك بزمام الامور بيدها، وأضحت الحكومة عاجزة عن كبح جماحها.

ومن جهة أُخرى، بدأت تتشكل تنظيمات صغيرة وأحزاب سياسية عديدة، لكنها لم تكن تتمتع بالدعم الكافي.

المناصب الحكومية كانت في أيدي أتباع مصدق، وحكومة بازركان التي تسلمت الحكم بفضل دماء عشرات الآلاف من الشهداء وتضحيات الشعب المظلوم، وفي ظل ولاية الفقيه لم يكن أيٌّ من اعضائها قد عانى مصاعب الجهاد ضد الحكم البائد، بل إنهم كانوا ينتقدون صلابة الامام ضد نظام الشاه.

ومنذ تولّي هؤلاء مناصبهم الوزارية، بدأت حكومة بازركان ترسخ في اذهان الناس ان مهمة الامام قد انتهت، وكانوا ينتظرون ان يترسخ نهج مصدق، لكن المؤسسات والقوى الثورية كانت حائلاً دون ذلك بعد أن أخذت هذه الحكومة تسير في غير خط الثورة.

وظلت الحكومة تعزو فشلها الى تدخل المؤسسات الثورية الجديدة وتطالب بحلها باستمرار، وانسحب هذا الأمر الى مجلس الثورة الذي ظهرت فيه خلافات بين الاعضاء حول عدة قضايا ومنها السياسة الخارجية للبلاد، والتي كان يجب الاسراع برسمها على أساس مبادئ الثورة الاسلامية. فالصورة لم تكن واضحة بعد، على الرغم من ان ايران قطعت روابطها مع اسرائيل ونظام جنوب افريقيا العنصري، وخرجت من حلف السنتو.

اما سفارات ايران في الخارج فلم تكن مع الثورة، وعموماً فإن نهج الحكومة لم يكن يتطابق مع نهج الثورة، اذ أراد بازركان تشكيل حكومة على نمط حكومة بختيار بحيث يظل بقاؤها مرهوناً بالدعم الاميركي. وكان اصلاحياً وليس ثورياً.

ولانتوي في هذا الكتاب الخوض في مجريات الامور بعد الثورة الاسلامية. فهذا عمل يجب ان يجري بحثه بشكل مستقل ومفصل، ولكن نقول بشكل عام ان دور الحضور الشعبي المستمر

في ساحة الجهاد من أجل حماية الثورة، ودور قيادة الامام الحكيمة ـ التي كان لها اكبر الاثر في اجتياز الثورة عقبات خطيرة ـ استطاعا صون البلاد من السقوط في الهاوية، عندما كانت عرضة للتقسيم، وعندما دُبِرت المؤامرات الكبرى ضد الثورة من الخارج، وتعرضت ايران لهجوم عسكري أجنبي حينما كان التشتُّت الداخلي قد ألقى بظلال اليأس على قلوب الجميع.

لقد أوصل الامام الخميني الشعب الايراني الى حد الوقوف بصلابة أمام اكبر القوى الدولية، بكل ثبات، والرد بقوة على كل أحابيلها ومؤامراتها. لقد أقام جمهورية اسلامية، يقوم دستورها على اساس التعاليم الاسلامية.. وهذا بحد ذاته إنجاز عظيم.

هوامش الفصل الثامن عشر

١ ـ ادعى شاهبور بختيار ان تسعة أعشار العلماء والمراجع يؤيدونه بسكوتهم، مما حدا بالمراجع الى إصدار بيانات اعلنوا فيها عدم شرعية حكومة بختيار وكذّبوا ادعاءاته (صحيفة اطلاعات ١٩٧٩/١/٢٢) . ولم يكن أحد من العلماء يجرؤ على إبداء وجهة نظر تخالف مطاليب الإمام آنذاك، وحتى الذي كان يمارضها، فانه يضمر ذلك أو يتظاهر بالتأييد، وفيما يلي نورد وثيقة حول مكالمة تلفونية بين أحد الاشخاص والشاه، تم نشرها في صحيفة كيهان بعددها (١١٥٦١) عام ١٩٨٢ .

وطبيعي أن الامام كان يعرف طبيعة هذا الشخص ونهجه الفكري منذ عام ١٩٦٢، أي منذ انطلاقة الثورة، وفي كتابه «ولاية الفقيه» شن الامام هجوماً عنيفاً على رموز هذا النهج المنحرف. فقد جاء في نص الوثيقة التي نشرت في كيهان:

(تحدث آية الله السيد كاظم شريعتمداري في مكالمة هاتفية حول وضع روح الله الخميني وطلب منّا عرضها على محضركم المبارك، اذ يقول:

خلال الايام الاخيرة، راجعني عدد كبير من ابناء الشعب من مختلف الطبقات بشأن موضوع عودة الخميني الى البلاد. وانني اعلن لحضرتكم بصراحة أنني اعارض هذا الأمر تماماً، لكنني اقدم اقتراحاً من أجل تحاشي ردود الفعل والضغوط التي لا تحمد عقباها، أرى فيه مصلحة، وآمل أن ينال رضاكم .فانا أقترح أن تطلب الحكومة ـ وفي ضوء المشاكل الموجودة، وبأمر من جلالتكم ـ إلى سفيرها في باريس الاتصال بآية الله الخميني وابلاغه بعدم معارضة الحكومة لعودته الى ايران، وذلك على الرغم من اعلان الحكومة معارضتها الصريحة ـ من خلال الصحف ـ لعودته.

وانني (أي شريعتمداري) على ثقة من أن الخميني سيرفض العودة الى البلاد، لأنه إنسان عنيد، وان وفد السفارة سيشترط عليه ـ بالتأكيد ـ التعهد بالالتزام بالدستور، بينما هو لا يؤمن بهذا الدستور أبداً ولهذا فأنا واثق من أنه سيرفض العودة وستنتهي هذه المشكلة. إن اصدار هذا الاعلان من جانب الحكومة الايرانية سيترك أثره الإيجابي على الرأي العام الداخلي والخارجي فضلاً عن الآثار الاعلامية المترتبة عليه، ومن هذه الفوائد:

أولاً ـ سيوضح هذا الاعلان مدى تسامح وعفو معالي الشاهنشاه الذي هو أقدس وأعلى منصب في الدولة الاسلامية.

ثانياً ـ سيكشف ذلك أن الدولة لا تعير أهمية للخميني، وتبدّد اوهام أنصار الخميني في هذا المجال.

ثالثاً ـ التخفيف من حدة التوترات الناتجة عن الحوادث الاخيرة.

رابعاً ـ اصدار هذا الاعلان سيوضح آمرية وتفوق جلالة الشاه في العالم، خاصة بين الشيعة في العالم، وسيضعف بالطبع موقف الخميني») .

٢ ـ دافع الدكتور سنجابي في مقابلة أجرته معه صحيفة إطلاعات في عددها المؤرخ ١٩٨٠/٣/١٨ دافع عن نفسه وعن الجبهة الوطنية فيما يخص العلاقة مع باتلر رداً على سؤال بهذا الخصوص. فقد سألته الصحيفة:

(س ـ اعترف الدكتور «ميناجي» ـ بعد كشف الطلبة الذين احتلوا السفارة الاميركية لوثائق السفارة ـ بأنك كنت تتعاون مع لجنة الدفاع عن حقوق الانسان التي ورد ذكرها في الوثائق بل وأنك عضو فيها فاهي حقيقة علاقتك مع اللجنة وماهو مستواها؟

ج ـ قبل ان اجيب عن هذا السؤال، أرى لزاماً عليّ القول إن السيد ميناجي لم يكن في قيادة الجبهة الوطنية في اي وقت من الاوقات، بل إنه لم يكن عضواً في الجبهة أساساً، والاميركي الذي كتب تلك الوثيقة، إما انه كان جاهلاً بالأمور، او انه فعل ذلك عن عمد ونية سيئة.

اما حول اعترافات السيد ميناجي في دفاعه عن نفسه، وقوله إن لجنة حقوق الانسان تم تشكيلها بتنسيق مع الدكتور

سنجابي والمهندس بازركان وعدد من الحقوقيين، فأنا أرى لزاماً عليّ هنا لتوضيح هذا الامر اكثر، فانا شاركت في تشكيل لجنة حقوق الانسان، وان كنتم تتذكرون فإن أول حديث صحفي، للصحافة المحلية والأجنبية قد تم في منزلي. وأنا قرأت بيان اللجنة وأجبت عن اسئلة الصحفيين الاجانب، وكانت أجوبتي تُترجم الى الانكليزية والفرنسية. وقد اعلن حينها بأنني رئيس اللجنة والناطق باسمها والرسائل الاولى التي رفعناها الى الحكومة كانت بتوقيعي. وأحياناً نشترك انا والسيد بازركان بتوقيعها.

وقد رغب السيد بازركان بان يترأس لجنة الدفاع عن حقوق الانسان. وقد يكون ذلك بسبب ايحاءات الاصدقاء هنا وفي اميركا واتفاقهم على أنه هو الاصلح لهذا الامر، ولم أُبدِ انا أيّ معارضة لهذا الأمر.

ومع مرور الزمن، تأكد لي ان هذه اللجنة على علاقة مع جهات أجنبية في اميركا، واللجنة الموجودة في انجلترا، وخاصة بعد زيارة السيد باتلر الى ايران، فقد لاحظت انه يملك مع السادة في هذه اللجنة روابط قديمة وعلائق حميمة، ومنذ ذلك الوقت لم اشترك في هذه اللجنة، ولا مانع من تسجيل هذه النقطة بكل صراحة وهي أن قدمي لم تطأ ارض مقر اللجنة منذ مجيء باتلر).

وفضلاً عن الوثائق التي حصل عليها الطلبة السائرون على خط الامام خلال احتلالهم السفارة الاميركية والتي تكشف مدى اتساع النشاط الاميركي في ايران وأساليب زج افراد من عملائهم داخل صفوف الثوريين، فان تصريحات نظير ماقاله سنجابي تكشف بوضوح أن أميركا علّقت آمالها ـ خلال العقود الماضية ـ على إعداد بيادق يجري دفعها في الوقت المناسب الى إطلاق شعارات لخداع الناس، وبالتالي الوصول الى مراكز حساسة في البلاد، بالضبط كما فعل الانجليز خلال حوادث الحركة الدستورية والوطنية.

٣ ـ زار ايران في كانون الثاني ١٩٧٩ (اي قبل سقوط نظام الشاه) الجنرال هايزر. وفي ١٩٨١/٦/٩ أكّد أمام إحدى لجان الكونغرس الاميركي كانت تتولى التحقيق في الروابط الايرانية الاميركية، أن زيارته لايران استهدفت تشجيع الجيش على الامساك بزمام الامور، وقال انه طلب من الجيش دعم حكومة بختيار، واقرار الهدوء، وأنه كان يعتقد أن الجيش قادر على انهاء التوتر.

وفي ابريل/نيسان من عام ١٩٨٠ كتبت صحيفة نيويورك تايمز أن الجنرال هايزر كان يحمل أوامر للجيش بالقيام بانقلاب عسكري فيما لو قررت القوات الدينية المؤيدة لآية الله الخميني الاطاحة بالحكومة.

ويقول هايزر: (عندما وصلت ايران، فوجئت بأن قادة الجيش الكبار يريدون مغادرة ايران وكان من الصعب إبقاءهم فيها. كان علينا أن نشجعهم بشتى الوسائل على البقاء، لأن خروجهم كان يعني انهيار الجيش، وقد كنت انا والجنرال هيغ نرى أن حظ نظام الشاه في البقاء لايتعدى الواحد من عشرة آلاف)

(كيهان ١٩٨١/٦/١١ نقلاً عن رويتر).

٤ ـ يقول ديفيد اوين «... كنا دائماً نخشى أن يؤدي برنامج التحديث السريع الى حصول توترات في ايران وهكذا صرنا نرى ان المعارضة الاقوى تاتي من جانب العلماء الذين يمثلون اليمين، فلو كان الشاه سيسقط على يد مجموعة يمينية، ثم تبادر مجموعة يسارية الى الاستيلاء على الحكم، فان من الضروري دعم نظام الشاه فذلك لمصلحة الاستقرار في المنطقة، علينا ان نساعد الشاه لتنفيذ برنامج التحديث ومنح الحريات ... فهل يمكن ان نأخذ أموال هؤلاء، ونقوم ـ بدوافع المصالح الستراتيجية ـ بتزويدهم بالدبابات والسيارات ودفعهم الى إبقاء سعر النفط منخفضاً لمصلحة العالم. ثم نقف موقف المتفرج عندما يتعرضون لهجوم؟! إن هذه السياسة تزعجني، وان سقوط نظام الشاه سيكون بمثابة هزيمة لحقوق الانسان وليس نصراً لها)

(اطلاعات ـ كانون الاول/١٩٧٨).

٥ ـ صدر عن هذه المسيرة بيان يتضمن سبعة بنود جاء فيها:

اولاً ـ افراد قاعدة بندرعباس الجوية، ضباطاً ومراتب، يعلنون تضامنهم مع الشعب وافراد قاعدة شاهرخي في همدان وأفراد قاعدة «وحدتي» في اضرابهم عن الطعام.

ثانياً ـ لن نطيع الأوامر الصادرة ضد الشعب الغيور والبطل، وضد القرآن والتي تصب في مصلحة الجهاز الطاغوتي الحاكم.

ثالثاً ـ لسنا بحاجة الى المستشارين الاميركيين الذين هم أعضاء في وكالة المخابرات المركزية.

رابعاً ـ لن نؤيد انقلاباً ـ عسكرياً ـ يصب في مصلحة الحكومة غير القانونية والاستبدادية.

خامساً ـ كل قائد عسكري يصدر أمر الانقلاب، سيتعرض للقتل قبل غيره، ومن بعده سيقتل جميع أعوانه.

سادساً ـ نطالب باخراج المستشارين الأجانب من قاعدة بندرعباس بسرعة.

سابعاً ـ نطالب باخلاء القاعدة بسرعة من كل عناصر الساواك الذين أدى وجودهم الى إشاعة القلق بين أفراد القاعدة وعوائلهم.

(صحيفة جمهوري اسلامي ١٣/١٠/١٩٧٩).

٦ ـ جاء في نص استقالة امين العاصمة: «نزولاً عند رغبة الشعب وامتثالاً لرأي الزعيم الديني والاجتماعي للشعب الايراني سماحة آية الله العظمى الامام الخميني الذي اعتبر الحكومة الحالية غير شرعية، فـإنني أُعلن استقالتي من منصب أمانة العاصمة اعتباراً من اليوم ٣/شباط/١٩٧٩).

٧ ـ جاء في برقية القذافي إلى الامام:

حضرة الامام آية الله الخميني ـ طهران

بعد السلام:

الآن وقد حقق الشعب الايراني انتصاره العظيم الذي كان هدفه الاسلام الخالد المحرك للشعب دوماً، وحيث إن الشعب الايراني قد تخلص بثورته الوطنية والاسلامية التي لانظير لها في العالم من الظلم والجور وفتح صفحة جديدة في التاريخ، فقد بات واضحاً لشعوب الشرق والغرب مدى قوة الشعب المؤمن بالقرآن واقتداره. ولا شك في أن جميع المسلمين الذين يشاركون الشعب الايراني أفراحه، يأملون أن لا تنحصر هذه الثورة داخل أُطر الانظمة المعروفة في الغرب، مثل النظام الجمهوري والملكي، فالثورة الاسلامية التي انتصرت بقوة الشعب لن تستطيع تحقيق اهدافها السامية إلاّ بتشكيل جمهورية اسلامية يشكّل القرآن دستورها.

٨ ـ بعد انتصار الثورة كشف العقيد نصرتي، رئيس مقر شرطة طهران تفاصيل المؤامرة التي خطّط النظام لتنفيذها مساء يوم السبت ١٠ شباط في ظل نظام منع التجول. فقد أوعز الجنرال رحيمي الحاكم العسكري الى رئيس الشرطة بـإقامة متاريس فوق جميع الأبنية المطلة على الساحات والمراكز العامة في طهران حيث ستلتحق قوات الجيش بأفراد الشرطة. كما أصدر رحيمي أوامره بـإطلاق النار على كل شخص يشاهد في الشوارع.

وعندما اعتقل العقيد نصرتي، ادّعى انه يؤيد الثورة وانه لم يطع أوامر رئيس الشرطة وترك لأفراد مراكز الشرطة الثلاثة التي كان مقرراً أن تصبح مركز العمليات، حرية التمرد.

(اطلاعات ٢١/شباط/١٩٧٩).

٩ ـ جاء في نص فتوى الامام:

«القَسَم الذي يؤدي لحماية القوة الطاغوتية باطل، ومعارضة هذه القوة واجبة، والذين ادّوا هذا القسم عليهم

العمل بعكسه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

١٣ ربيع الاول ١٣٩٩

المصادر

اولاً: الوثائق:

١ـ وثائق وزارة الخارجية الايرانية.

٢ـ الوثائق المعلنة لوزارة الخارجية البريطانية.

٣ـ الوثائق المنشورة المتعلقة بمحاكم الثورة.

٤ـ الوثائق المنشورة والمتعلقة بجهاز الساواك وباقي مؤسسات النظام السابق.

٥ـ محاضر مناقشات مجلس الشورى الوطني بدوراته كافة.

٦ـ مجموعة القوانين التي صادق عليها مجلسا النواب والشيوخ في السنوات المختلفة.

ثانياً: الكتب الاجنبية (Foreign books):

1. J . E. Alexander, "Travels from India to England, Comprehend- ing a Visit to Burman Empire and a Journey through Persia, Asia Minor, Europe, Turkey, etc, in the Years 1825 - 26", London, Allenc, 1827.

2. Lt Col John Johnson, "A Journey from India to England, Persia, Georgia, Russia, Poland, and Prussia in the Year 1817", London.

3. The Calcutta Review - Our Political Relations with Persia from: (a) Progress of Russia in the East, 2nd Ed, 1838; (b) Quarterly Review, No. CXXXII' Art7; and (c) Foreign Office Correspondence Relating to Persia and Afghanistan, presemted to both Houses of Parlianent by Her Majesty's Command, 1839.

4. "Review Britannique".

5. Col Sir Arnould Wilson, "Persia", London, 1909. "A Bibli - ography of Persia", Oxford, 1930.

6. L T Mahan, "The Problem of Asia and its Effects upon International policies", London 1900.

7. Edward Gibbon, "The History of the Decline and Fall of the Roman Empire", 1854.

8. "Encyclopedia Britannica".

9. "Encyclopedia Americana"..

10. James Morier, "Adventures of Hajji Baba in Eagland".

11. Anth ony Jenkinson, "Early Voyages and Travels to Russia and Persia".

12. Robert Grant watson, "History of Persia", 1866.

ثالثاً: المصادر المؤلفة بالفارسية أو المترجمة إليها:

١ـ رحلات الأخوة شرلي / ط ١٨٢٥م.

٢ـ انگلترا وروسيا في الشرق / تأليف: راولين سن / ط ١٨٧٥م.

٣ـ تاريخ ايران / تأليف السير برسي سايكس / ترجمة فخرداعي گيلاني / ط ١٩٥١ طهران.

٤ـ قرنان من الصمت، تاليف: عبد الحسين زرين كوب / ط ١٩٥٧ طهران.

٥ـ تاريخ ايران الموجز / تأليف: باول هرن / ترجمه وعلق عليه الدكتور رضا زاده شفق/ ط ١٩٣٥ طهران.

٦ـ تاريخ العلاقات السياسية الايرانية ـ الانگليزية في القرن الميلادي التاسع عشر / تأليف: محمود محمود / ط ١٩٥٣ طهران.

٧ـ التحولات السياسية للنظام الايراني / تأليف: جهانگير قائمقامي / ط ١٩٤٧ طهران.

٨ـ ذكريات وخواطر / تأليف مهدي قلي هدايت ـ الملقب بـ(مخبر السلطنة) ـ ط ١٩٥٠ طهران.

٩ـ امير كبير وايران/ تأليف: الدكتور فريدون آدميت / ط ١٩٥٥ طهران.

١٠ـ الشرق الأوسط / تأليف: جورج لنجافسكي.

١١ـ مجلة «كاوة» / المقالات التي كتبها جمالزادة حول العلائق الايرانية الروسية.

١٢ـ نظرة خاطفة الى الثورة الاسلامية في ايران/ من اصدارات منظمة مجاهدي الثورة الاسلامية/ ط ١٩٨٠م.

١٣ـ نظرة الى تاريخ ثورة عام (١٩٢٠) الاسلامية في العراق/ تأليف الدكتور محمد صادقي/ ط ١٩٧٩.

١٤ـ تاريخ الحركة الدستورية في ايران/ تأليف: محمد كسروي (جزءان).

١٥ـ نبذة تاريخية عن الجماعات التي تشكلت منها منظمة مجاهدي الثورة الاسلامية/ ط ١٩٨٠ طهران.

١٦ـ تحليل موجز لتحولات ايران الاجتماعية والاقتصادية في العصر الحديث/ تأليف: ليجان جزائي.

١٧ـ ايران في عهد رضا خان / تأليف: احسان طبري/ ط ١٩٧٧م.

١٨ـ اقامة حكم رضاخان الاستبدادي في ايران/ تأليف: أ ـ س. مليكف/ ترجمة سيروس ايزدي/ ١٩٧٩.

١٩ـ موجز تاريخ الاحزاب السياسية في ايران/ تأليف: ملك الشعراء بهار/ ١٩٧٩.

٢٠ـ بطل الغابة: الميرزا كوجك خان/ تأليف: ابراهيم فخرائي/ الطبعة الرابعة/ ١٩٧٢م.

٢١ـ دفاعات مهدي بازرگان أمام المحكمة العسكرية منشورات مدرس / ١٩٧١م.

٢٢ـ مجموعة من وثائق الساواك عن المهرجان العالمي للطلبة الجامعيين الايرانيين عام ١٩٧١.

٢٣ـ كشف الاسرار / للامام الخميني (قدس سره).

٢٤ـ بحث حول المرجعية وعلماء الدين / مقالات كتبها مرتضى المطهري والدكتور بهشتي والسيد محمود الطالقاني وغيرهم.

٢٥ـ التغرب/ تأليف: جلال آل احمد.

٢٦ـ لاعبو العصر الذهبي/ تأليف ابراهيم خواجه نوري.

٢٧ـ دفاعات مصدق ورولن أمام محكمة لاهاي الدولية.

٢٨ـ ثلاثة وخمسون شخصا / تأليف: بزرك علوي.

٢٩ـ نزع السلاح ومنظمة الامم المتحدة/ تأليف: الدكتور سيد جلال الدين مدني/ ط ١٩٧٣م.

٣٠ـ الحصانة القضائية، تلك الجريمة التي اعترف بها هويدا. / تأليف: محمد تقي علويان قوانيني/ ١٩٧٩م.

٣١ـ نشرة «الموجود وغير الموجود»/ للدكتور مظفر كرماني/ ١٩٦٤م.

٣٢ـ ايران ضد الشاه/ تأليف احمد فاروقي وجون لورويه/ ترجمة مهدي نراقي/ ١٩٧٩.

٣٣ـ قادة الحركة الدستورية/ تأليف: ابراهيم صفائي.

٣٤ـ الماضي ينير الدرب في المستقبل/ منشورات جامي/ ١٩٧٨.

٣٥ـ الرسائل/ تأليف: علي أصغر حاج سيد جوادي/ منشورات قم.

٣٦ـ مصدق والتوازن السلبي/ ط ١٩٧٢م.

٣٧ـ مساعي الحرية/ تأليف: الدكتور باستاني باريزي.

٣٨ـ (١٩) بهمن عقدة جزنية/ تأليف: ظريفي/ ١٩٥٧.

٣٩ـ اتفاقيات نفطية أم وثائق خيانية؟/ تأليف: ابراهيم رازقي/ ١٩٧٩م.

٤٠ـ السيرة السياسية للسلطان احمد شاه / تأليف: حسين مكي/ الطبعة الاولى/ ١٩٤٥م.

٤١ـ تاريخ ايران خلال ثلاثين عاماً/ تأليف: بيجان جزني/ ١٩٧٩م.

٤٢ـ آخر دفاعات روزبه أمام المحكمة العسكرية/ من منشورات لوح.

٤٣ـ مذكرات ثريا/ ترجمة موسى مجيدي.

٤٤ـ تاريخ ايران الحديث/ تأليف: م. س. ايوانوف.

٤٥ـ انتفاضة أبطال قم وتبريز وسائر مدن ايران.

٤٦ـ القوة الجاذبة والقوة المنفرة للامام علي عليه السلام/ تأليف العلامة مرتضى المطهري/ منشورات صدرا.

٤٧ـ نظرة مقتضبة الى الحركة الوطنية الايرانية/ من منشورات منظمة مجاهدي الثورة الاسلامية/ ١٩٧٩م.

٤٨ـ علماء الدين والأسرار غير المكشوفة عن حركة النفط الوطنية/ منشورات أنصار الحركة الوطنية في اوربا/ ١٩٧٩/ طبعة دار الفكر ـ قم.

٤٩ـ ايران على فوهة بركان/ تأليف: محمد حسنين هيكل.

٥٠ـ اسلوب علي / تأليف: سيد جلال الدين مدني/ ١٩٥٦م.

٥١ـ مراسلات مصدق والسعي لتشكيل الجبهة الوطنية الثالثة / ١٩٧٥.

٥٢ـ خطابات وكتابات حول حياة السيد حسن مدرس/ منشورات دار ابوذر / ١٩٧٦م.

٥٣ـ مئة عام من جهاد علماء الدين التقدميين/ تأليف: عقيقي بخشارشي/ الجزءان الاول والثاني/ ١٩٧٩.

٥٤ـ سياسة التوازن السلبي في المجلس الرابع عشر / تأليف: كي استوان، ١٩٥٨.

٥٥ـ محاكمة الدكتور مصدق امام المحكمة العسكرية/ الجزء المنشور.

٥٦ـ من الذي انحرف؛ الدكتور مصدق أم الدكتور بقائي؟ / من دفاعات الدكتور بقائي أمام المحكمة العسكرية.

٥٧ـ مصدق ـ النفط ـ الإنقلاب / تأليف: محمود تفضلي/ ١٩٧٩م.

٥٨ـ حوار مع التاريخ/ تأليف: افريانافلاجي/ ترجمة بيروز ملكي/ ١٩٧٩.

٥٩ـ تبلور الاسلام أمام القوى الكبرى/ سيد جلال الدين مدني/ ١٩٧٩.

٦٠ـ ملحمة الصمود/ تأليف: اشرف دهقان.

٦١ـ دفاعات اعضاء منظمة مجاهدي الشعب أمام المحكمة العسكرية.

٦٢ـ «اطلاعات» خلال ربع قرن/ ١٩٥٠.

٦٣ـ وثائق سدان/ جمع: اسماعيل رائين/ ١٩٧٩.

٦٤ـ كردستان ـ الامبريالية والجماعات العميلة، من منشورات حرس الثورة الاسلامية، ١٩٨١م.

٦٥ـ الماسونيون، ملوك بلاتيجان ولا عروش/ منشورات مركز كامفراص/ ١٩٧٨.

٦٦ـ السيد جمال الدين وافكاره/ تأليف: مرتضى مدرسي چهاردهي/ الطبعة الخامسة.

٦٧ـ معرفة الحقيقة، الدكتور بقائي أمام التاريخ/ اصدار حزب الكادحين، فرع كرمان.

٦٨ـ سيرة حياة مصدق السلطنة/ تأليف: الدكتور بهمن اسماعيلي.

٦٩ـ تاريخ الأعوام العشرين/ تأليف: حسين مكي (٣ أجزاء).

٧٠ـ الكبت في ايران/ تأليف شوستر الأمريكي.

٧١ـ الماسونية في ايران/ تأليف: اسماعيل رائين (٣ أجزاء).

٧٢ـ في منتصف الطريق الى الجنة/ تأليف: سعيد نفيسي.

٧٣ـ الحركة الماسونية العالمية/ تأليف: ولي الله يوسفيه.

٧٤ـ الماسونية في ايران/ تأليف: محمود كتيرائي.

٧٥ـ الجمعيات السرية والتخريبية/ ترجمة: هاشمي حائري.

٧٦ـ الوثائق السياسية للعهد القاجاري/ تأليف: ابراهيم صفائي.

٧٧ـ نشرة «اسبوع العدل»/ العدد الخامس/ ١٩٧١.

٧٨ـ مذكرات فرُّخ السياسية/ تأليف: سيد مهدي فرُّخ.

٧٩ـ النفط الايراني خلال خمسين عاماً/ تأليف: مصطفى فاتح.

٨٠ـ تاريخ تأميم النفط الايراني/ تأليف: فؤاد روحاني.

٨١ـ بحوث وكتابات تاريخية/ تأليف: ايرج أفشار (الجزء الأول).

٨٢ـ تاريخ يقظة الايرانيين/ تأليف: ناظم الاسلام كرماني.

٨٣ـ مجموعة مقالات تقي زادة.

٨٤ـ حياة يحيى/ تأليف: الميرزا يحيى دولت آبادي.

٨٥ـ تاريخ ثورة الدستور في ايران/ تأليف: الدكتور مهدي ملكزادة/ ١٩٥٢.

٨٦ـ الثورة الايرانية/ تأليف: ادوارد براون.

٨٧ـ كتاب الخمسة والخمسين/ تأليف: علي دشتي.

٨٨ـ التنافس بين روسيا والغرب في ايران/ تأليف: جورج لزوفسكي/ ترجمة اسماعيل رائين.

٨٩ـ انتفاضة العقيد محمد تقي خان بسيان / تأليف: علي آذري.

٩٠ـ ابطال تنگستان/ تأليف: محمد حسين ركن زادة آدميت.

٩١ـ دراسة تحليلية لحركة الامام الخميني/ تأليف: السيد حميد روحاني.

٩٢ـ اوراق من الحياة الشخصية لناصر الدين شاه/ تأليف: معير الممالك دوستعلي.

٩٣ـ تاريخ إقامة الحكم الدستوري في ايران / تأليف: حسين معاصر.

٩٤ـ ثلاثة اعوام في البلاط الايراني/ تأليف: فوريه/ ترجمة عباس اقبال آشتياني/ ١٩٤٧.

٩٥ـ ايران في عهد الملوك القاجاريين/ ١٩٦٣ طهران.

٩٦ـ رسائل بعثها الامام كاشف الغطاء الى الإمام الخميني (بحث في ولاية الفقيه).

٩٧ـ حديث قصير حول حوادث ١٩ آب ١٩٥٣م / كراس من اصدارات الحزب الجمهوري الاسلامي.

٩٨ـ مذكرات الدكتور حسن ارسنجاني بشأن حوادث ١٩ آب ١٩٥٣

٩٩ـ انتفاضة الشعب المسلم الايراني في (٢٠) تموز ١٩٥٢، تأليف: الدكتور محمود كاشاني/ ١٩٧٩.

١٠٠ـ إني اتهم اللجنة المركزية لحزب توده الإيراني / تأليف: الدكتور فريدون كشاورز.

١٠١ـ نشرة اللجنة المركزية لحزب تودة (الحزب الشيوعي الايراني) / كانون الثاني ـ ١٩٥٤.

١٠٢ـ انتفاضة المهدي وثورته من وجهة نظر الفلسفة التاريخية/ تأليف: العلامة مرتضى المطهري.

١٠٣ـ الثورة البيضاء/ تأليف: الشاه المقبور محمد رضا بهلوي.

١٠٤ـ نبذة عن منظمة مجاهدي الشعب الايراني بين عامي ١٩٦٥ و ١٩٧١م.

١٠٥ـ ايران؛ سراب السلطة/ تأليف: روبرت غراهام.

١٠٦ـ سبعة أعوام في سجن آريا مهر/ مذكرات احمد آرامش/ ١٩٧٩.

١٠٧ـ ايران ـ ثورة باسم الله/ تأليف كلر بريروبير بلانشه.

١٠٨ـ ايران ـ الاستبداد والتنمية / تأليف: الفريدها ليداي.

١٠٩ـ تاريخ اوبك/ تأليف: فؤاد روحاني.

١١٠ـ تنبيه الأمة وتنزيه الملة / تأليف: الميرزا حسين النائيني/ ١٣٢٧هـ.ق.

١١١ـ نداء الثورة/ مختارات من بيانات الامام الخميني / جمعها: السيد حميد روحاني.

١١٢ـ الثورة الايرانية وأسس زعامة الإمام الخميني/ تأليف: سيروس برهام/ ١٩٧٩.
١١٣ـ تاريخ رجال ايران (القرون ١٢، ١٣، ١٤) / تأليف: مهدي بامداد، ١٩٦٨ (٥ أجزاء).
١١٤ـ النفط ودول العالم الكبرى/ تأليف: بيتر أودل.
١١٥ـ رسائل من تبريز/ تأليف: ادوارد براون.
١١٦ـ من الحرية الى الشهادة، قصة جهاد آية الله الطالقاني/ من منشورات دار ابو ذر/ ١٩٨٠.
١١٧ـ سيرة حياة الامام الخميني (من الولادة وحتى العودة) / ١٢ محرم ١٣٩٤هـ.
١١٨ـ الاسلام والحضارة الغربية/ تأليف: ابو الأعلى المودودي.
١١٩ـ العالم الثالث امام الطريق المغلق/ تأليف: بل بروك/ ترجمة أمير حسين جهانبكلو.
١٢٠ـ نفطنا ومشاكله القانونية / تأليف محمد علي موحد/ الطبعة الثالثة/ ١٩٧٨.
١٢١ـ الموظفون الانكليز في ايران/ تأليف: اسماعيل رائين، الطبعة الرابعة/ ١٩٧٣.
١٢٢ـ وثائق ومستندات حول السيد جمال الدين الأسد آبادي تأليف: صفات الله جمالي/ ١٩٥٠.
١٢٣ـ موقع مصدق في الحركة الاستقلالية / تأليف: ابو الحسن بني صدر/ ١٩٧٩.
١٢٤ـ تاريخ العلاقات الايرانية العراقية/ تأليف: مرتضى مدرسي/ ١٩٧٢.
١٢٥ـ الشرق الأوسط والنفط والقوى الكبرى / تأليف: بنيامين شوادران/ ترجمة: عبد الحسين شريفيان/ ١٩٧٥.
١٢٦ـ تاريخ العلاقات بين ايران والولايات المتحدة الأميركية / تأليف: رحيم زاده ملك/ ١٩٧١.
١٢٧ـ تاريخ ايران السياسي والدبلوماسي من گناباد وحتى تركمان چاي/ تأليف: علي اكبر بينا / ١٩٦٩.
١٢٨ـ روسيا والعالم (السياسية الخارجية للاتحاد السوفياتي) / تأليف: وليام هايتر/ ترجمة كاووس حشمتي/ ١٩٧٥.
١٢٩ـ تاريخ فلسطين أو لائحة الاستعمار السوداء/ تأليف: اكرم زعيتر/ ترجمة علي اكبر هاشمي رفسنجاني.
١٣٠ـ الاستعمار الجديد/ تأليف: حسن الصدر/ ١٩٧٠.
١٣١ـ ملحمة الثورة/ تأليف: محمود حكيمي/ ١٩٧٩.
١٣٢ـ علماء الدين وانتفاضة الخامس من حزيران ١٩٦٣/ اصدار الجمعية الاسلامية للطلبة الجامعيين في أميركا وكندا/ ١٩٧٠.
١٣٣ـ لحظات الثورة/ محمود گلابدرئي/ ١٩٧٩.
١٣٤ـ مهمة الأمريكيين في ايران/ تأليف: الدكتور ميلسبو/ ترجمة الدكتور حسين أبو ترابيان/ ١٩٧٧.

رابعاً: الصحف والمجلات:

١ـ الصحف الصادرة قبل انتصار الثورة مثل: (اطلاعات) و(كيهان) و(رستاخيز) و(آيندگان) وغيرها.
٢ـ مجلات «خواندنيها» و«آشفته» و«دادگستري» و«يغما» والمطبوعات التي اصدرتها وزارة الخارجية الايرانية.
٣ـ الصحف والمجلات الصادرة بعد انتصار الثورة مثل: «جمهوري اسلامي» و«انقلاب اسلامي» و«كيهان»

و«اطلاعات» و«آزادكان» وغيرها.

٤ـ البيانات والمنشورات التي أصدرتها الجماعات والأحزاب والمؤسسات الحكومية والجمعيات الاسلامية.

٥ـ النشرات السنوية: «دنيا» و«دانش» و«كشور ايران».

٦ـ بيانات الامام الخميني (قدّس سرُّه) وتصريحاته بين عامي ١٩٦٢ و ١٩٧٩.

تنويه

الصفحات التالية تتضمَّن صوَراً تأريخيَّة عن مراحل نهضة الشعب الإيرانيّ حتىٰ تحقيقه الإنتصار علىٰ نظام الشاه المقبور ، وصوَراً عن جهاد الإمام الخمينيّ (قدّس سرّه) حتىٰ التحاقه بالرفيق الأعلىٰ ، وقد رتبت الصور زمنياً .



إمامُ الأمّة الإسلامية يتوسط حَشداً من ابناء الشعب الإيراني المسلم الذين فُجعوا بابنائهم نتيجة للهجوم الوحشي لأزلام النظام على المدرسة الفيضية



(من اليمين) الشهيد السيد مصطفى الخميني نجل الإمام (ق.س) ، واكب والده الإمام وسايره بثبات في جهاده وثورته ، ضد نظام الشاه العميل ، لحين استشهاده في النجف الأشرف ـ العراق ، عام ١٩٧٧

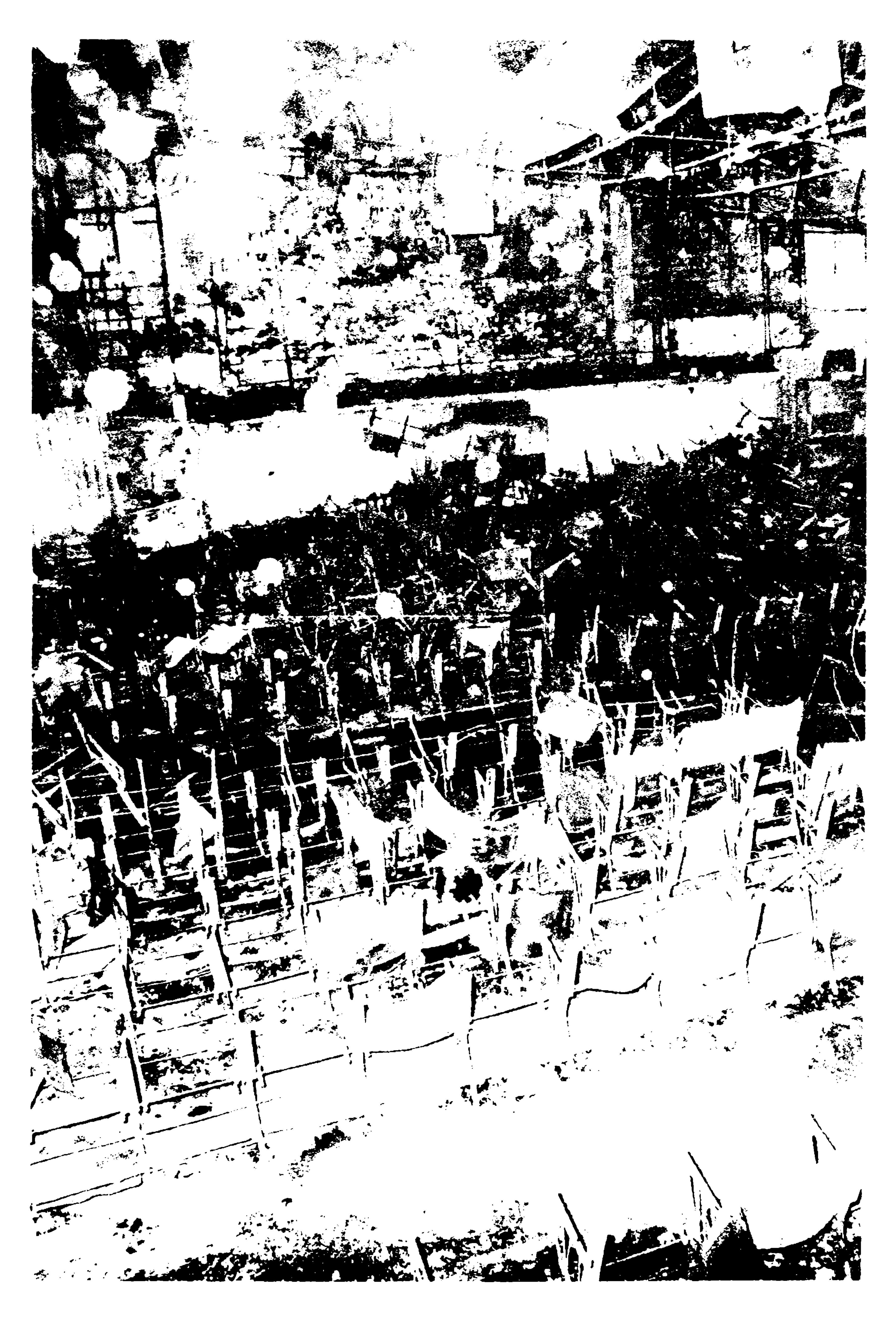


مشهد لحلقة من حلقات الجهاد الإسلامي ضد نظام الشاه ، ونُرى هنا عُصبة من شرطة النظام
تهاجم الشعب المسلم بشراسة وعنف

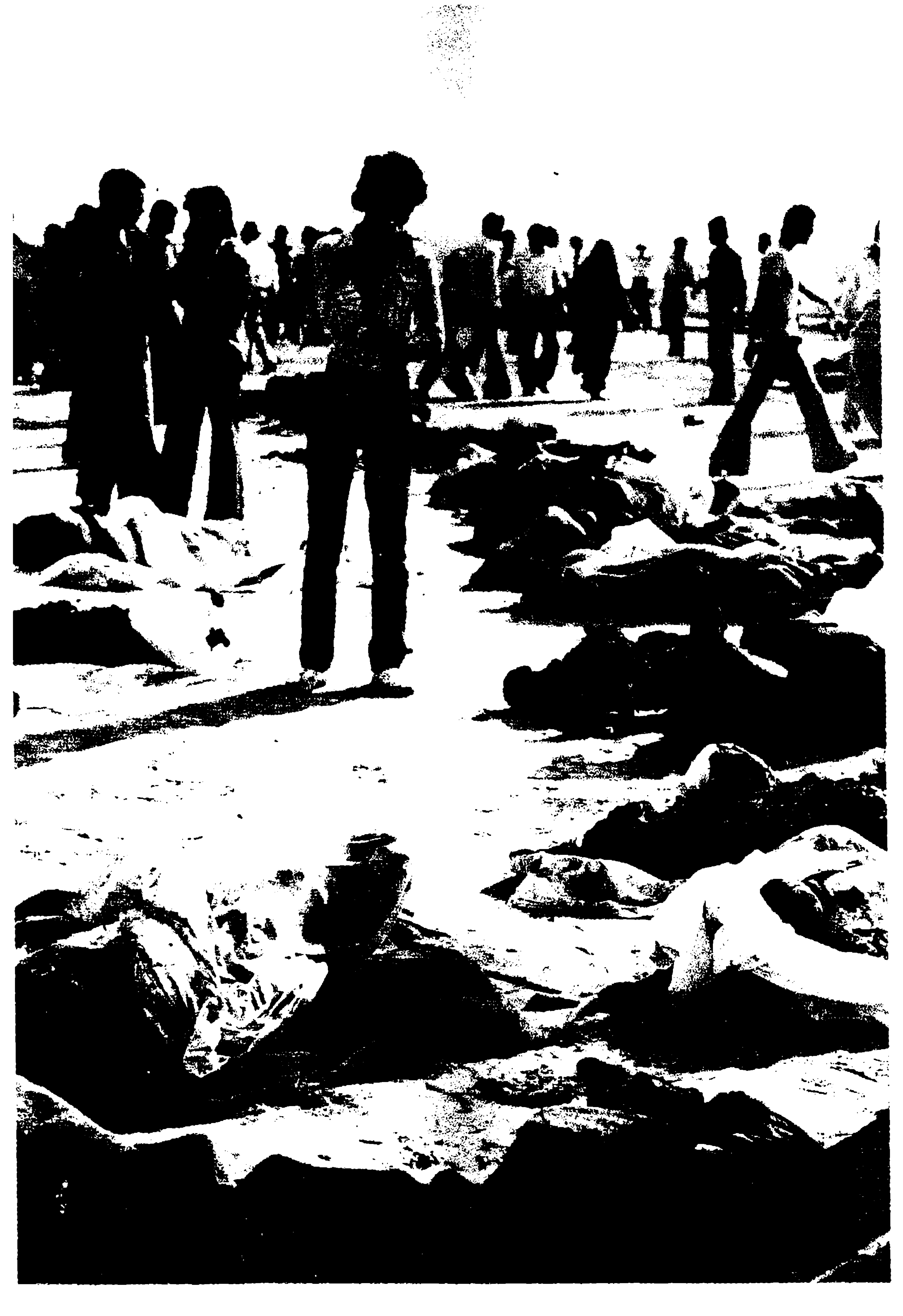


اعتاد رجالُ شرطة نظام الشاه بتسليم أبناء الشعب بهذه الطريقة الى مراكز أمن السافاك (امن الشاه) لغرض السجن والتعذيب

وهكذا أخذت الثورة الإسلامية تتعاظم قوة واندفاعاً

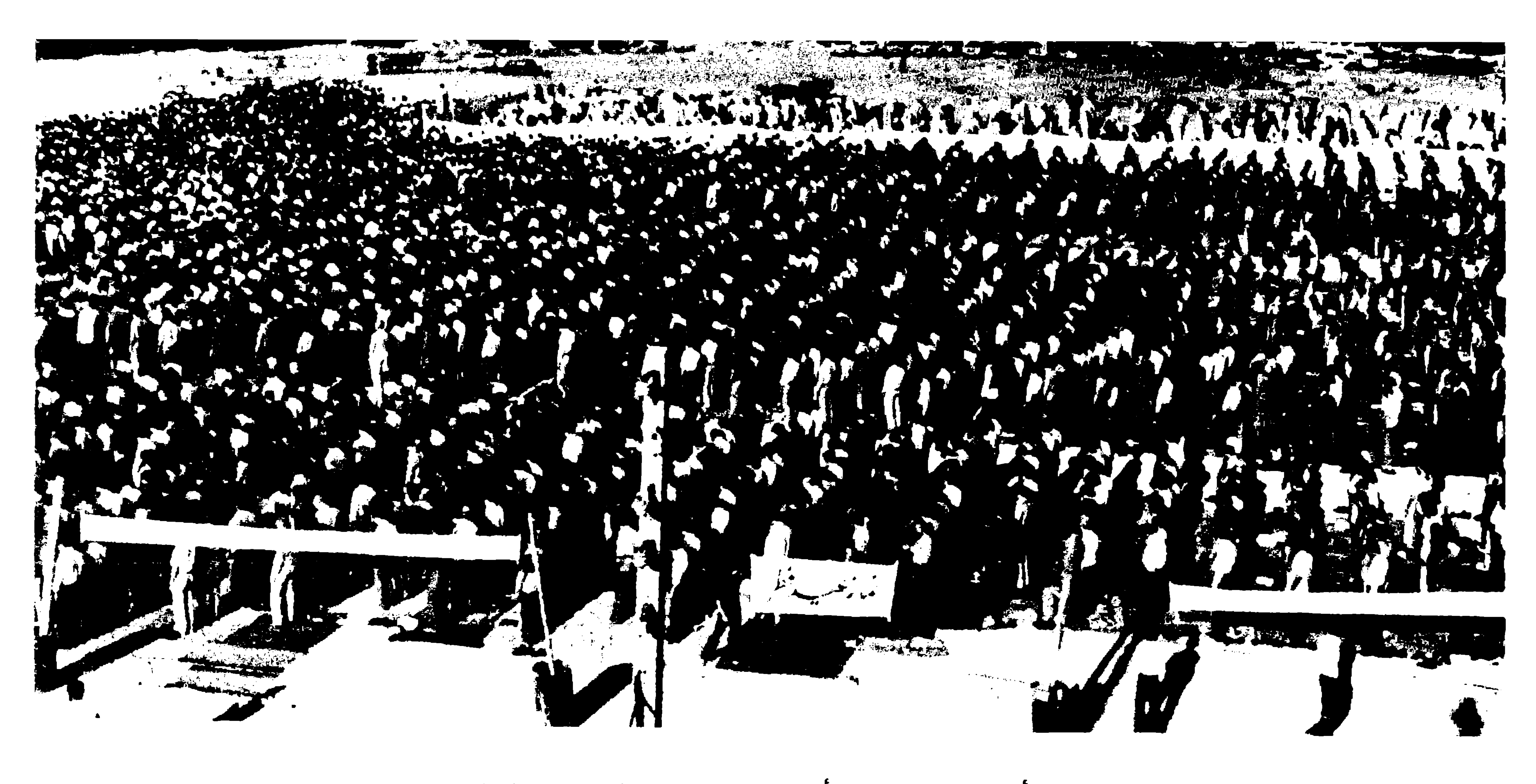


مشهد لسينما ركس من الداخل في عبادان بعد احراقها من قبل عملاء نظام الشاه



منظر مُؤلم للأجساد المحروقة لابناء الشعب المسلم في الحادثة

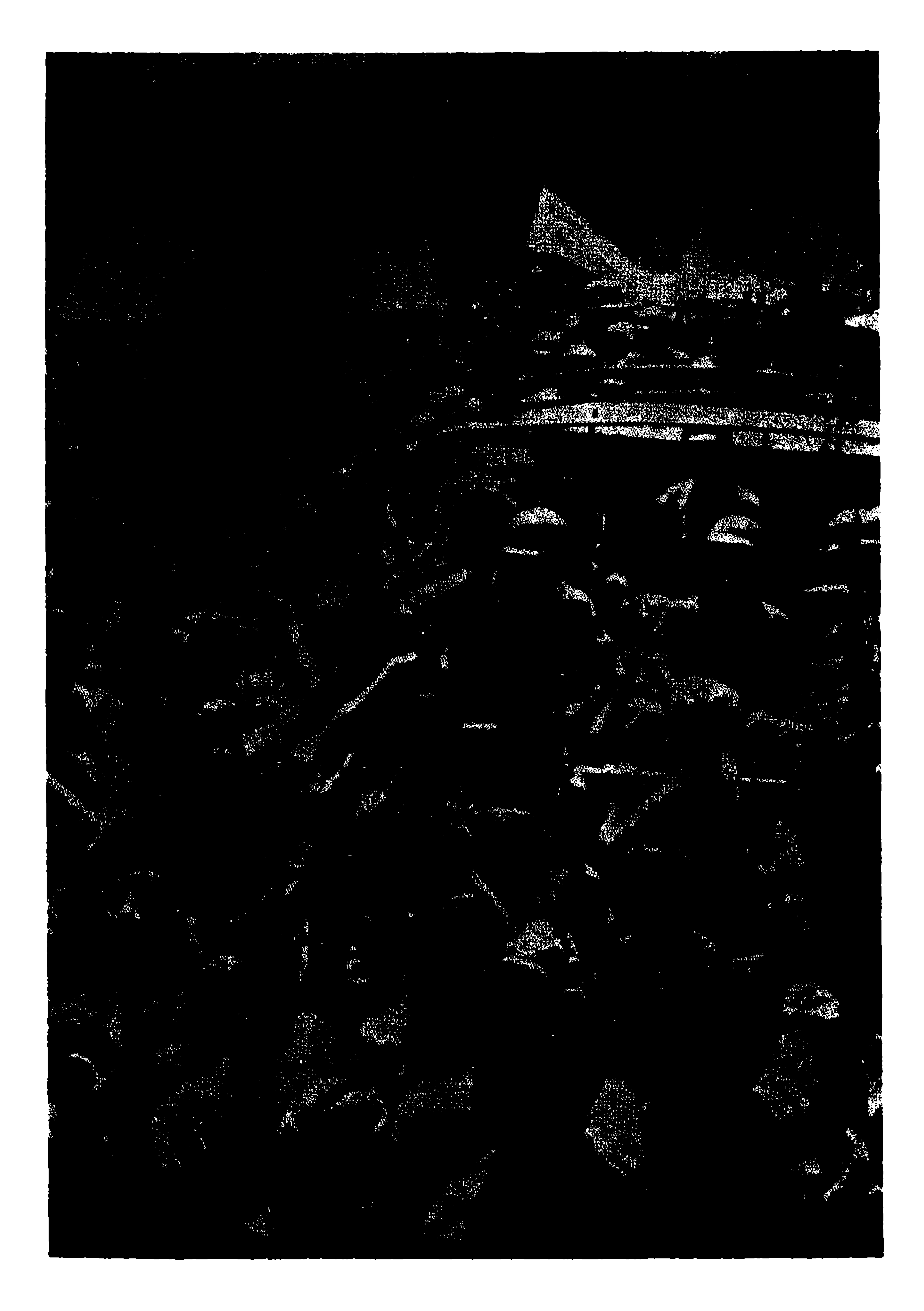
المفجعة الأليمة التي وقعت في سينما ركس بعبادان



منظر للمصلّين من أبناء الثورة الإسلامية أثناء الصلاة التاريخية في عيد الفطر المبارك وهو يظهر نشاطات معارضة النظام الجهادية المنظّمة ضد السلطة (في ٤ أيلول ١٩٧٧)



قال الإمام الخميني (قدس سره) «لقد قام الشعب المسلم في إيران بنشاط عبادي كبير آخر بعد صلاة عيد الفِطر المبارك ، وهو الهتاف بشعاراتهم ضد النظام الجائر الظالم ، مِن أجل اقامة الحكومة الإسلامية العادلة»

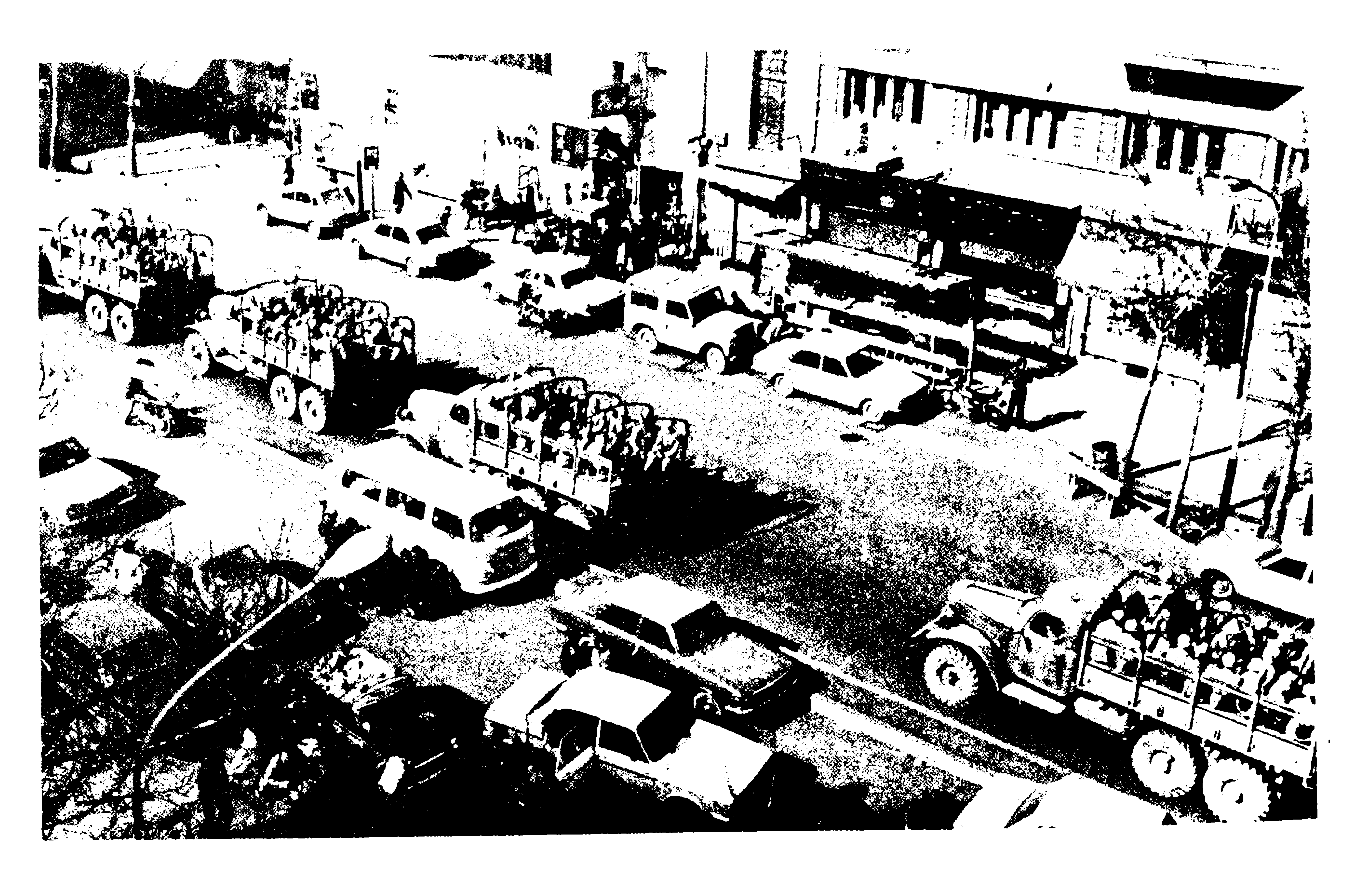


لقد واجه الشعب المسلم في ايران جيش وشرطة الشاه خلال تظاهراته التـاريخية بعد صلاة عيد الفطر (٤ ايلول ١٩٧٧)



مشهد للتظاهرة الجماهيرية لأبناء الشعب الإيراني المسلم في ١٦ شهريور ١٣٥٧ هـ.ش

الموافق (٤ ايلول ١٩٧٨م)



مجموعة من العجلات (ناقلات الاشخاص) العسكرية وهي محملة بجنود النظام الطاغوتي لضرب ابناء الشعب المسلم



أحد المشاهد لاستعدادات جيش نظام الشاه العميل لضرب الشعب المسلم بعد إعلان النظام العسكري في ايران

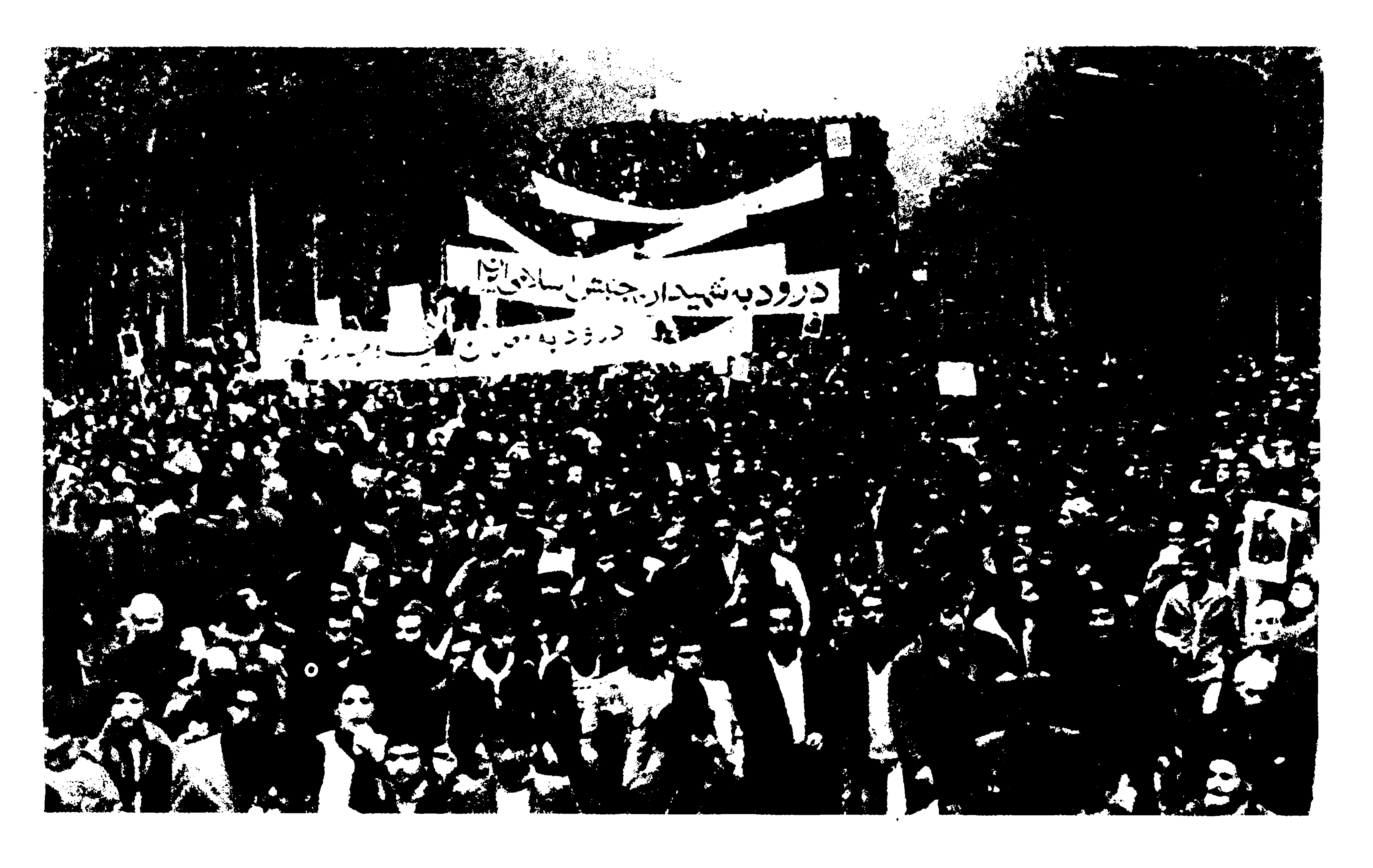


الإمام (قدس سره) في باريس

في جامعة طهران يُشاهَد الطلبة وهم يُحاصرون من قبل شرطة الشاه المسلحين



الإمام الخميني (قدس سره) ينصح الجيش الايراني بلوقوف صفاً واحداً مع الشعب
ويشاركه في جهاده ضد طغمة الشاه



مشهد لأحد مواكب عزاء الحسين (ع) الجماهيرية واحياء ذكراه وذكرى عاشوراء المقدسة

(عام ١٩٧٨)



مشهد آخر من تظاهرات ابناء الشعب في ذكرى عاشوراء (عام ١٩٧٨) وهم في صدد تـأسيس الحكومة الاسلامية



مظاهر الفرح والبهجة وانتصار الشعب المسلم عند رحيل الشاه من ايران ، الذي مثّل نهاية الحكم الاستعماري الطاغوتي الذي دام (٢٥٠٠) عامٍ



عودة الإمام إلى بلد الاسلام بعد امضائه ١٤ عاماً من الغربة عند ابعاده إلى خارج الوطن الاسلامي ايران

الامام تستقبله قلوب الشعب الايراني المسلم (عام ١٩٧٩) إعند عودته الى الوطن الاسلامي



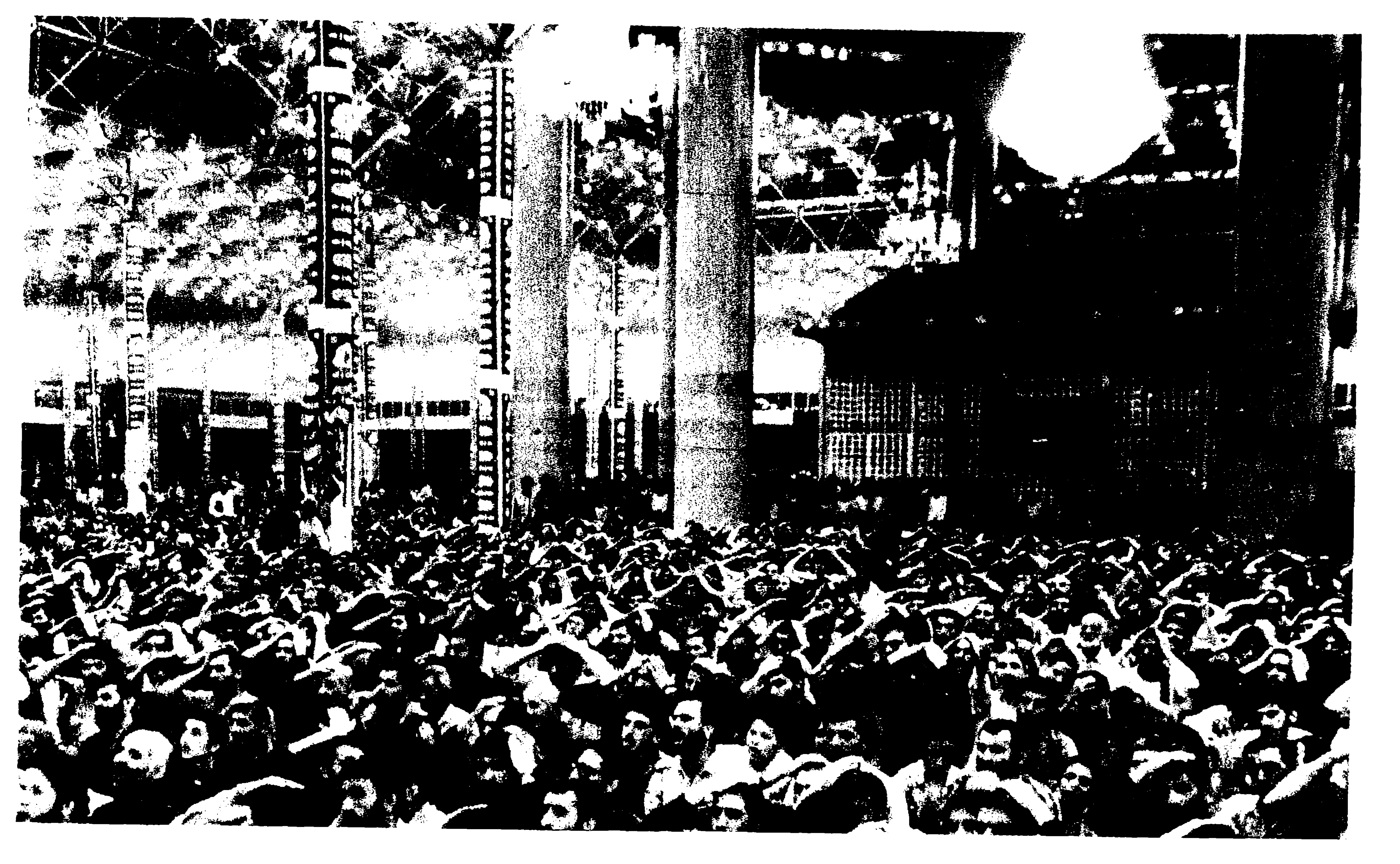
منظر يُظهر حماس الشعب الايراني المسلم وهو يستقبل الإمام عند عودته استقبالاً تاريخيا مهيباً ، ويشاهد الامام داخل سيارة تقلّه وتحفها الآلاف المؤلفة من الحشود الجماهيرية

يصل الامام - على متن طائرة مروحية - لزيارة مراقد الشهداء في مقبرة «بهشت زهراء»

ضباط القوة الجوية الإيرانية يتقدمون لبيعة الإمام بتقدير واحترام منقطعي النظير



وبانتصار الثورة الاسلامية في ايران عام ١٩٧٩ وتشكيل حكومة الجمهورية الاسلامية اظهر الامام للعالم الاسلامي قيادة حكيمة وبارزة ثابتة الجذور راسخة الأسس اخذت تقود وتوجه الأُمة الإسلامية . وفي عام ١٩٨٩ أصاب الإمام عارض مرضي أقعده الفراش ـ وهذه صورة له وهو يصلّي لله سبحانه وتعالى على أحد أسرة المستشفى ، وكان ذلك قبل يوم من اجراء العملية الجراحية الأخيرة له (ويشاهد هنا وهو يُزرق عن طريق الوريد بالمغذي السائل)



بقلب مطمئن ونفسٍ راضية مرضية يودع الإمام (قدس سره) الأمة الإسلامية عند رحيله إلى الرفيق الأعلى في الثالث من حزيران سنة ١٩٨٩، بعد جهاد كبير مستديم وعمل دائب حثيث ضد الاستكبار العالمي من اجل النهضة الإسلامية. لم يكن من الهيّن على الأمة الإسلامية وبالأخص شعب ايران تحمّل شدة الصدمة لرحيله، وتشاهد الحشود الجماهيرية المسلمة تندفع إلى رواق صحن الامام لتعزّيه عند مرقده الشريف في مقبرة بهشت زهراء التي تضم مراقد آلاف الشهداء